No. ........................ : الرقم          Date ........................

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات

الرقم: ٤٠٥١ ف ٨٤٢/٣

العنوان: مجموع يشتمل على كتابين أولهما: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم

المؤلف: ابن رجب ، ابن كثير

تاريخ النسخ: ١١٩٤ ، ١١١٩هـ

اسم الناسخ: عبد الله بن سليمان بن عبد الوهاب ، ؟

عدد الأوراق: ١٢٧ ق

ملاحظات: ٢٢×١٦ سم

٨٢ -

م

٢٨٠
م

(جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم)، تأليف عبد الرحمن بن احمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي ابي الفرج، زين الدين (٧٣٦-٧٩٥هـ)، بخط عبد الله بن سليمان بن عبد الوهاب سنة ١١٩٤هـ.

١٤٠٥ م
١

١٠١ق مختلف المسطرة ٢٢×١٦سم

نسخة حسنة (ضمن مجموع ف ١-١٠١)، ناقصة الاول، خطها نسخ معتاد، طبع.

الاعلام ٤ : ٦٧، الازهرية ١: ٤٦٨

١- الاحاديث السنية الاخرى أ- ابن رجب، عبد الرحمن ابن احمد-٧٩٥هـ ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ د- شرح الاربعين النووية.

---

٢٨٠
م

تفسير سورة براءة، تأليف اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء ابن درع القرشي، البصري ثم الدمشقي، ابي الفداء، عماد الدين (٧٠١-٧٧٤هـ). كتب سنة ١١١٩هـ.

٣٤ ق مسطرته مختلفة ٢٢×١٦سم

١٤٠٥ م
٢

نسخة حسنة ضمن مجموع (ق ١٠٤-١٣٧)، المتن بالحمرة ثم فوقه خط بالحمرة، خطها نسخ معتاد.

الاعلام ١ : ٣١٨، معجم المطبوعات ١ : ٢٢٦

١- التفسير، قرآن كريم وعلومه أ- ابن كثير، اسماعيل ابن عمر-٧٧٤هـ ب- تاريخ النسخ.

الامام
احمد والترمذي من حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه ان يقول اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت
يا رسول الله اري ان القلوب لتتقلب قال نعم ما من خلق الله من بني آدم من بشر الا ان قلبه بين اصبعين من اصابع الله
فان شاء الله عز وجل اقامه وان شاء ازاغه فنسال الله ربنا ان لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونساله ان يهب لنا من لدنه رحمة
انه هو الوهاب قالت قلت يا رسول الله الا تعلمني دعوة ادعو بها لنفسي قال بلى قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب
غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن ما احييتني وفي هذا المعنى احاديث كثيرة وخرج مسلم من حديث عبد الله
بن عمرو سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن عز وجل كقلب واحد يصرفه حيث
شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك

## الحديث الخامس

عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم
من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وهذا الحديث خرجاه في الصحيحين من رواية القاسم بن محمد عن عمته عائشة رضي الله عنها والفاظ الحديث
مختلفة ومعناها متقارب وفي الفاظ من احدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد وهذا الحديث اصل عظيم من اصول الاسلام وهو
كالميزان للاعمال في ظاهرها فكما ان كل عمل لا يراد به وجه الله فليس لعامله فيه ثواب فكذلك كل عمل لا يكون عليه امر الله ورسوله
فهو مردود على عامله وكل من احدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء وسيأتي حديث العرباض بن
سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة ضلالة وكان صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته ان اصدق الحديث كتاب الله
وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وسيأتي الكلام على المحدثات الى ذكر حديث العرباض المشار اليه
ونتكلم هاهنا على الاعمال التي ليس عليها امر الشارع وردها فهذا الحديث منطوقه يدل على ان كل عمل ليس عليه امر الشارع فهو
مردود ويدل بمفهومه على ان كل عمل عليه امره فهو غير مردود والمراد بامره هاهنا دينه وشرعه كالمراد
بقوله في الرواية الاخرى من احدث في امرنا ما ليس فيه فهو رد فالمعنى ان من كان عمله خارجا عن الشرع ليس متقيدا بالشرع فهو مر
دود وقوله ليس عليه امرنا اشارة الى ان اعمال العاملين كلهم ينبغي ان تكون تحت احكام الشريعة وتكون احكام الشريعة حاكمة
عليها بامرها ونهيها فمن كان عمله جاريا تحت احكام الشرع موافقا لها فهو مقبول ومن كان خارجا عن ذلك فهو مردود والاعمال قسمان
عبادات ومعاملات فاما العبادات فما كان منها خارجا عن حكم الله ورسوله بالكلية فهو مردود على عامله وعامله يدخل تحت
قوله ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فمن تقرب الى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة الى الله فعمله باطل مردود عليه وشبيه بحال
الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية وهذا كمن تقرب الى الله بسماع الملاهي او بالرقص او بكشف الراس في غير الاحرام او ما اشبه ذلك
من المحدثات التي لم يشرع الله ورسوله التقرب بها بالكلية وليس ما كان قربة في عبادة يكون قربة في غيرها مطلقا فقد راى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا (قربة)
قائما في الشمس فسال عنه فقيل انه نذر ان يقوم ولا يقعد ولا يستظل وان يصوم فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يقعد ويستظل وان يتم صومه
فلم يجعل قيامه وبروزه للشمس قربة يوفى بنذرها وقد روي ان ذلك كان في يوم الجمعة عند سماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فنذر ان
يقوم ولا يقعد ولا يستظل ما دام النبي صلى الله عليه وسلم يخطب اعظاما لسماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قربة يوفى بنذره
مع ان القيام عبادة في مواضع اخر كالصلاة والاذان والدعاء بعرفة والبروز للشمس قربة للمحرم فدل على انه ليس كل ما كان قربة في موطن يكون قربة
في كل المواطن وانما يتبع في ذلك ما وردت به الشريعة في مواضعها وكذلك من تقرب بعبادة نهي عنها بخصوصها كمن صام يوم العيد او صلى
وقت النهي واما من عمل عملا اصله مشروع وقربة ثم ادخل فيه ما ليس بمشروع او اخل فيه بمشروع فهذا ايضا مخالف للشريعة بقدر
اخلاله بما اخل به او ادخاله ما ادخل فيه وهل يكون عمله من اصله مردودا عليه ام لا فهذا لا يطلق القول فيه برد ولا قبول بل ينظر فيه فان كان ما اخل به من اجزاء
العمل او شروطه موجبا لبطلانه في الشريعة كمن اخل بالطهارة للصلاة مع القدرة عليها او كمن اخل بالركوع او بالسجود او بالطمانينة فيها

فهذا عمله مردود وعليه اعادته ان كان فرضا وان كان ما اخل به لا يوجب بطلان العمل كمن اخل بالجماعة للصلاة المكتوبة عند من
يوجبها ولا يجعلها شرطا فهذا لا يقال ان عمله مردود من اصله بل هو ناقص وان كان قد زاد في العمل المشروع ما ليس بمشروع فزيادته مردودة
عليه بمعنى انها لا تكون قربة ولا يثاب عليها ولكن تارة يبطل بها العمل من اصله فيكون مردودا كمن زاد ركعة عمدا في صلاته وتارة
لا يبطله ولا يرده من اصله كمن توضا اربعا اربعا او صام الليل مع النهار وواصل في صيامه وقد يبدل بعض ما يؤمر به في العبادة
بما هو منهي عنه كمن ستر عورته في الصلاة بثوب محرم او توضا للصلاة بماء مغصوب او صلى في بقعة غصب فهذا قد اختلف العلماء فيه
هل عمله مردود من اصله او انه غير مردود وتبرا به الذمة من عهدة الواجب واكثر الفقهاء على انه ليس بمردود من اصله وقد حكى عبد الرحمن
بن مهدي عن قوم من اصحاب الكلام يقال لهم الشمرية اصحاب ابي شمر انهم يقولون ان من صلى في ثوب كان في ثمنه درهم حرام فعليه اعادة
صلاته وقال ما سمعت قولا اخبث من قولهم نسال الله العافية وعبد الرحمن بن مهدي من اكابر فقهاء اهل الحديث المطلعين على مقالات السلف وقد
استنكر هذا القول وجعله بدعة فدل على انه لم يعلم عن احد من السلف القول باعادة الصلاة في مثل هذا ويشبه هذا الحج بمال حرام وقد ورد
في حديث انه مردود على صاحبه ولكنه حديث لا يثبت وقد اختلف العلماء هل يسقط به الفرض ام لا وقريب من ذلك الذبح بالة محرمة او ذبح
من لا يجوز له الذبح كالسارق فاكثر العلماء قالوا انه تباح الذبيحة بذلك ومنهم من قال هي محرمة وكذا الخلاف في ذبح المحرم
للصيد لكن القول بالتحريم فيه اشهر واظهر لانه منهي عنه بعينه فلهذا فرق من فرق من العلماء بين ان يكون النهي لمعنى يختص
بالعبادة فيبطلها وبين ان لا يكون مختصا بها فلا يبطلها فالصلاة بالنجاسة او بغير طهارة او بغير ستارة او الى
غير القبلة يبطلها لاختصاص النهي بالصلاة بخلاف الصلاة في الغصب ويشهد لهذا ان الصيام لا يبطله الا ارتكاب ما نهي عنه
فيه بخصوصه وهو جنس الاكل والشراب والجماع بخلاف ما نهي عنه الصائم لا لخصوص الصيام كالكذب والغيبة عند الجمهور
وكذلك الحج لا يبطله الا ما نهي عنه في الاحرام وهو الجماع ولا يبطله ما لا يختص بالاحرام كالقتل والسرقة وشرب
الخمر وكذلك الاعتكاف انما يبطل بما نهي عنه فيه بخصوصه وهو الجماع وانما يبطل بالسكر عندنا وعند الاكثرين لنهي
السكران عن قربان المسجد ودخوله على احدى التاويلين في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ان المراد مواضع
الصلاة فصار كالحائض ولا يبطل الاعتكاف بغيره من ارتكاب الكبائر عندنا وعند كثير من العلماء وقد خالف في ذلك طائفة
من السلف منهم عطا والزهري والثوري ومالك وحكي عن غيرهم ايضا **واما المعاملات** كالعقود والفسوخ
ونحوها فما كان منها تغييرا للاوضاع الشرعية كجعل حد الزنا عقوبة مالية وما اشبه ذلك فانه مردود من اصله لا ينتقل به الملك
لان هذا غير معهود في الاسلام ويدل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للذي سأله ان ابني كان عسيفا على فلان فزنى بامراته
فافتديت منه بماية شاة وخادم فقال النبي صلى الله عليه وسلم المائة شاة والخادم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام وما
كان منها عقدا منهيا عنه في الشرع اما لكون المعقود عليه ليس محلا للعقد او لفوات شرط او لظلم يحصل به للمعقود
معه او عليه او لكون العقد يشغل عن ذكر الله عز وجل الواجب عند تضايق وقته او غير ذلك فهذا العقد هل هو
مردود بالكلية لا ينتقل به الملك ام لا هذا الموضع قد اضطرب الناس فيه اضطرابا كثيرا وذلك انه ورد في بعض الصور انه
مردود لا يفيد الملك وفي بعضها انه يفيده فحصل الاضطراب بسبب ذلك والاقرب ان شاء الله تعالى انه ان كان النهي عنه
لحق الله تعالى فانه لا يفيد الملك بالكلية ومعنى ان يكون الحق لله انه لا يسقط برضا المتعاقدين عليه وان كان النهي عنه لحق
ادمي معين بحيث يسقط برضاه به فانه يقف على رضاه به فان رضي لزم العقد واستمر الملك وان لم يرض به فله الفسخ
فان كان الذي يلحقه الضرر لا يعتبر رضاه بالكلية كالزوجة والعبد في الطلاق والعتاق فلا عبرة برضاه ولا بسخطه وان كان
النهي رفقا بالمنهي خاصة لما يلحقه من المشقة فخالف وارتكب المشقة لم يبطل بذلك عمله **فاما الاول** فله
صور كثيرة منها نكاح من يحرم نكاحها اما لعينها كالمحرمات على التابيد بسبب او نسب او للجمع او لفوات شرط لا
يسقط بالتراضي باسقاطه كنكاح المعتدة والمحرم والنكاح بغير ولي وغير ذلك وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فرق بين رجل وامراة تزوجها وهي حبلى فرد النكاح لوقوعه في العدة ومنها عقود الربا فلا تفيد الملك ويؤمر بردها وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم

من باع صاع تمر بصاعين ان يرده ومنها بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام والكلب وساير ما نهي عن بيعه مما
لا يجوز بيعه واما الثاني فله صور عديدة منها انكاح الولي من لا يجوز له انكاحها الا باذنها لغير اذنها وقد رد
النبي صلى الله عليه وسلم نكاح امراة ثيب زوجها ابوها وهي كارهة وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه خير امراة زوجت بغير اذنها
وفي بطلان هذا النكاح ووقوفه على الاجازة روايتان عن احمد وقد ذهب طايفة من العلما الى ان من تصرف لغيره
في ماله بغير اذنه لم يكن تصرفه باطلا من اصله بل يقف على اجازته فان اجازه جاز وان رده بطل واستدلوا بحديث
عروة بن الجعد في شرائه للنبي صلى الله عليه وسلم شاتين وانما كان امره بشراء واحدة ثم باع احداهما وقبل النبي صلى الله عليه وسلم
وخص ذلك الامام احمد في المشهور عنه بمن كان يتصرف لغيره في ماله باذن اذا خالف الاذن ومنها تصرف المريض في ماله
كله وهل يقع باطلا من اصله ام يقف تصرفه في الثلثين على اجازة الورثة فيه اختلاف مشهور للفقهاء والخلاف في
مذهب احمد وغيره وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اعتق ستة مملوكين عند موته لا مال له غيرهم فدعاهم فجزاهم
ثلاثة اجزاء فاعتق اثنين وارق اربعة وقال له قولا شديدا ولعل الورثة لم يجيزوا العتق للجميع والله اعلم ومنها بيع
المدلس ونحوه كالمصراة وبيع النجش وتلقي الركبان ونحو ذلك وفي صحته كله اختلاف مشهور في مذهب الامام احمد
وذهب طايفة من اهل الحديث الى بطلانه ورده والصحيح انه يصح ويقف على اجازة من لحقه ظلم بذلك فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه جعل مشتري المصراة بالخيار وانه جعل للركبان الخيار اذا هبطوا السوق وهذا كله يدل على انه غير مردود من اصله
وقد اورد على بعض من قال بالبطلان حديث المصراة فلم يذكر عنه جوابا واما بيع الحاضر للبادي فمن صححه جعله من
هذا القبيل ومن ابطله جعل الحق فيه لاهل البلد كلهم وهم غير منحصرين فلا يتصور اسقاط حقوقهم فصار كحق الله
عز وجل ومنها لو باع رقيقا يحرم التفريق بينهم وفرق بينهم كالام وولدها فهل يقع باطلا مردودا ام يقف على
رضاهم بذلك وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر برد هذا البيع ونص احمد على انه لا يجوز التفريق بينهم ولو رضوا
بذلك وذهبت طايفة الى جواز التفريق بينهم برضاهم منهم النخعي وعبيد الله بن الحسن العنبري فعلى هذا القول يتوجه ان
يصح ويقف على الرضا ومنها لو خص بعض اولاده بالعطية دون بعض فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه امر بشير بن
سعد لما خص ولده النعمان بالعطية ان يرده اليه ولم يدل ذلك على انه لم ينتقل بذلك الملك الى الولد
فان هذه العطية تقع وتقع مراعاة فان سوى بين الاولاد في العطية او استرد ما اعطى الولد جاز وان مات ولم يفعل
شيا من ذلك فقال مجاهد هي ميراث وحكي عن احمد نحوه وان العطية تبطل والجمهور على انها لا تبطل وهل للورثة
الرجوع فيها ام لا فيه قولان مشهوران هما روايتان عن احمد ومنها الطلاق المنهي عنه كالطلاق في زمن الحيض فانه
قد قيل انه نهي عنه لحق الزوج حيث كان يخشى عليه ان يعقبه فيه الندم ومن نهي عن شي رفقا به فلم ينته عنه بل
فعله وتجشم مشقته فانه لا يحكم ببطلان ما اتى به كمن صام في المرض او السفر او واصل في الصيام او اخرج ماله
كله وجلس يتكفف الناس او صلى قائما مع تضرره بالقيام للمرض او اغتسل وهو يخشى على نفسه الضرر او التلف
ولم يتيمم او صام الدهر ولم يفطر او قام الليل ولم ينم وكذلك اذا جمع الطلاق الثلاث على القول بتحريمه وقيل انما نهي عن
طلاق الحائض لحق المراة لما فيه من الاضرار بها بتطويل العدة ولو رضيت بذلك بان سالته الطلاق بعوض في الحيض فهل
يزول بذلك تحريمه فيه قولان مشهوران للعلماء والمشهور من مذهبنا ومذهب الشافعي انه يزول التحريم بذلك وان قيل
ان التحريم فيه لحق الزوج خاصة فاذا اقدم عليه فقد اسقط حقه فسقط وان علل بانه لحق المراة لم يمنع نفوذه
ووقوعه ايضا فان رضا المراة بالطلاق غير معتبر لوقوعه عند جميع المسلمين لم يخالف فيه سوى شرذمة يسيرة من
الروافض ونحوهم كما ان رضا الرقيق بالعتق غير معتبر ولو تضرر به ولكن اذا تضررت المراة بذلك وكان قد بقي شي
من طلاقها امر الزوج بارتجاعها كما امر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر بارتجاع زوجته تلافيا منه لضررها وتلافيا منه لما

وقع منه من الطلاق المحرم حتى لا يصير بعيد بما منه ثانية عن طلاق محرم وليتمكن من طلاقها على وجه مباح
فيحصل إبانتها على هذا الوجه وقد روي عن أبي الزبير عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم ردها عليه ولم يرها شيئا وهذا مما
تفرد به أبو الزبير عن أصحاب ابن عمر كلهم مثل ابنه سالم ومولاه نافع وأنس وابن سيرين وطاوس ويونس بن جبير وعبد الله
بن دينار وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وغيرهم وقد أنكر أئمة العلماء هذه اللفظة على أبي الزبير من المحدثين
والفقهاء وقالوا إنه تفرد بما خالف الثقات فلا يقبل تفرده فإن في رواية الجماعة عن ابن عمر ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم
حسبها عليه المطلقة من وجوه كثيرة وكان ابن عمر يقول لمن سأله عن الطلاق في الحيض إن كنت طلقت واحدة أو اثنتين
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بذلك يعني بمراجعة المرأة وإن كنت طلقت ثلاثا فقد عصيت ربك وبانت منك
امرأتك وفي رواية أبي الزبير زيادة أخرى لم يتابع عليها وهي قوله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي إذا
طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ولم يذكر ذلك أحد من الرواة عن ابن عمر وإنما روى عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه كان
يتلو هذه الآية عند روايته للحديث وهذا هو الصحيح وقد كان طوائف من الناس يعتقدون أن طلاق ابن عمر كان
ثلاثا وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما ردها عليه لأنه لم يوقع الطلاق في الحيض وقد روي ذلك عن أبي الزبير أيضا من رواية
معاوية بن عمار الذهبي عنه فلعل أبا الزبير اعتقد هذا حقا فروى تلك اللفظة بالمعنى الذي فهمه وروى ابن لهيعة هذا
الحديث عن أبي الزبير فقال عن جابر أن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فإنها امرأته
وأخطأ في ذكر جابر في هذا الإسناد وتفرد بقوله فإنها امرأته وهي لا تدل على عدم وقوع الطلاق إلا على تقدير
أن يكون ثلاثا فقد اختلف في هذا الحديث على أبي الزبير وأصحاب ابن عمر الثقات الحفاظ العارفون به الملازمون
له لم يختلف عليهم فيه وروى أيوب عن ابن سيرين قال مكثت عشرين سنة يحدثني من لا أتهمه أن ابن عمر طلق
امرأته ثلاثا وهي حائض فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يراجعها فجعلت لا أتهمهم ولا أعرف هذا الحديث حتى لقيت
أبا غلاب يونس بن جبير وكان إذا ثبت فحدثني أنه سأل ابن عمر فحدثه أنه طلقها واحدة خرجه مسلم وفي رواية
قال ابن سيرين فجعلت لا أعرف للحديث وجها ولا أفهمه وهذا يدل على أنه قد شاع بين الثقات من غير أهل الفقه
والعلم أن طلاق ابن عمر كان ثلاثا ولعل أبا الزبير من هذا القبيل ولذلك كان نافع يسأل كثيرا عن طلاق ابن عمر هل
كان ثلاثا أو واحدة ولما قدم نافع مكة أرسلوا إليه من مجلس عطاء يسألونه عن ذلك لهذه الشبهة واستنكار ابن
سيرين لرواية الثلاث يدل على أنه لم يعرف قائلا معتبرا يقول إن الطلاق غير واقع وأن هذا القول لا وجه له وقال
الإمام أحمد في رواية أبي الحارث وسئل عمن قال لا يقع الطلاق المحرم لأنه يخالف ما أمر به فقال هذا قول سوء ورأي
ثم ذكر قصة ابن عمر وأنه احتسب بطلاقه في الحيض وقال أبو عبيد الوقوع هو الذي عليه العلماء مجمعون في جميع الأمصار
حجازهم وتهامهم ويمنهم وشامهم وعراقهم ومصرهم وحكى ابن المنذر ذلك عن كل من يحفظ قوله من أهل العلم إلا ناسا
من أهل البدع لا يعتد بهم وأما ما حكاه ابن حزم عن ابن عمر أنه لا يقع الطلاق في الحيض مستندا إلى ما رواه من طريق محمد
بن عبد السلام الخشني الأندلسي نا محمد بن بشار نا عبد الوهاب الثقفي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر في الرجل يطلق
امرأته وهي حائض قال لا يعتد بها وبإسناده عن خلاس نحوه فإن هذا الأثر قد سقط من آخره لفظة وهي قال
لا يعتد بتلك الحيضة كذلك رواه أبو بكر بن أبي شيبة في كتابه عن عبد الوهاب الثقفي وكذا رواه يحيى بن معين عن
عبد الوهاب أيضا وهو غريب لم يحدث به إلا عبد الوهاب ومراد ابن عمر أن الحيضة التي طلق فيها لا تعتد بها
المرأة قرءا وهذا هو مراد خلاس وغيره وقد روي ذلك أيضا عن جماعة من السلف منهم زيد بن ثابت وسعيد بن المسيب
فوهم جماعة من المتأخرين كما وهم ابن حزم فحكى عن بعض من سمينا أن الطلاق في الحيض لا يقع وهذا سبب وهمهم
والله أعلم وهذا الحديث إنما رواه القاسم بن محمد لما سئل عن رجل له مساكن فأوصى بثلث ثلاث مساكن هل يجمع له في مسكن واحد

فقال يجمع

فقال يجمع ذلك كله في مسكن واحد حدثتني عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وخرجه
مسلم ومراده أن تغيير وصية الموصي إلى ما هو أحب إلى الله وأنفع جائز وقد حكي هذا عن عطاء وابن جريج وربما يستدل بعض
من ذهب إلى هذا بقوله تعالى فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه ولعله أخذ هذا من جمع العتق فإنه
صح أنه أعتق ستة مملوكين عند موته فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم فجزأهم ثلاثة أجزاء فأعتق اثنين وأرق أربعة خرجه مسلم
وذهب فقهاء الحديث إلى هذا الحديث لأن تكميل عتق العبد مهما أمكن أولى من تشقيصه ولهذا شرعت السراية والسعاية
إذا أعتق أحد الشريكين نصيبه من عبد وقال صلى الله عليه وسلم فيمن أعتق بعض عبد له فهو عتيق كله ليس لله شريك و
أكثر العلماء على خلاف قول القاسم هذا وأن وصية الموصي لا تجمع ويتبع لفظه إلا في العتق خاصة لأن المعنى الذي جمع له في
العتق غير موجود في بقية الأموال فيعمل فيها بمقتضى وصية الموصي وذهب طائفة من الفقهاء في العتق إلى أنه يعتق
من كل عبد ثلثه ويستسعون في الباقي واتباع قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق وأولى والقاسم نظر إلى أن في هذا
شركة الموصى له للورثة في المساكن كلها ضررا عليهم فيدفع عنهم هذا الضرر وتجمع الوصية في مسكن واحد فإن الله قد شرط
عدم المضارة بقوله تعالى غير مضار فمن ضار في وصية كان عمله مردودا عليه لمخالفته ما شرط الله تعالى في الوصية و
قد ذهب طائفة من الفقهاء إلى أنه لو أوصى له بثلث مساكنه ثم تلف ثلثا المساكن وبقي منها ثلث أنه كله يعطى للموصى له وهذا
قول طائفة من أصحاب أبي حنيفة وحكي عن أبي يوسف ومحمد ووافقهم القاضي أبو يعلى من أصحابنا في خلافه وبنوا ذلك على
أن المساكن المشتركة تقسم بين المشتركين فيها قسمة إجبار وكأنه هو قول مالك وظاهر كلام ابن أبي موسى من أصحابنا والمشهور
عند أصحابنا أن المساكن المتعددة لا تقسم قسمة إجبار وهو قول أبي حنيفة والشافعي رحمهم الله وقد تأول بعض المالكية
فتيا القاسم المذكورة في هذا الحديث على أن أحد الفريقين من الورثة أو الموصى لهم طلب قسمة المساكن وكانت متقاربة
بحيث تضم بعضها إلى بعض في القسمة فإنه يجاب إلى قسمتها على قولهم وهذا التأويل بعيد مخالف للظاهر والله أعلم

## الحديث السادس

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الحلال بين وإن الحرام بين و
بينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام
كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت
صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب رواه البخاري ومسلم هذا الحديث متفق على صحته من رواية الشعبي
عن النعمان بن بشير وفي ألفاظه بعض الزيادة والنقص والمعنى واحد أو متقارب وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر وعمار بن ياسر وجابر وابن مسعود وابن عباس وحديث النعمان أصح أحاديث الباب
فقوله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس معناه أن الحلال
المحض بين لا اشتباه فيه وكذلك الحرام المحض ولكن بين الأمرين أمور تشتبه على كثير من الناس هل هي من الحلال أم
من الحرام وأما الراسخون في العلم فلا يشتبه عليهم ذلك ويعلمون من أي القسمين هي فأما الحلال المحض فمثل أكل
الطيبات من الزرع والثمار وبهيمة الأنعام وشرب الأشربة الطيبة ولباس ما يحتاج إليه من القطن والكتان أو
الصوف أو الشعر وكالنكاح والتسري وغير ذلك إذا كان اكتسابه بعقد صحيح كالبيع أو بميراث أو هبة أو غنيمة والحرام المحض
مثل أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وشرب الخمر ونكاح المحارم ولباس الحرير للرجال ومثل الأكساب المحرمة
كالربا والميسر وثمن ما لا يحل بيعه وأخذ الأموال المغصوبة بسرقة أو غصب ونحو ذلك وأما المشتبه فمثل أكل بعض ما
اختلف في حله أو تحريمه من الأعيان كالخيل والبغال والحمير والضب وما اختلف في تحريمه من الأنبذة التي يسكر كثيرها
ولبس ما اختلف في إباحة لبسه من جلود السباع ونحوها وأما من المكاسب التي اختلف فيها كالعينة والتورق ونحو ذلك

ونحو هذا المعنى فسّر المشتبهات احمد واسحق وغيرهما من الائمة وحاصل الامر ان الله انزل على نبيه الكتاب وبين فيه للامة ما يحتاج
اليه من حلال وحرام كما قال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي قال مجاهد وغيره لكل شي امروا به ونهوا عنه وقال تعالى في اخر سورة
النسا التي بين فيها كثيرا من احكام الاموال والابضاع يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شي عليم وقال تعالى وما لكم الا تاكلوا مما ذكر
اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وقال تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ووكل
بيان ما اشكل من التنزيل الى الرسول كما قال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اكمل له ولامته الدين ولهذا انزل عليه بعرفة قبل موته بمدة يسيرة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا وقال صلى الله عليه وسلم تركتكم على بيضا نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك وقال ابو ذر توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما طاير يحرك جناحيه في السما الا وقد ذكر لنا منه علما ولما شك الناس في موته صلى الله عليه وسلم قال عمه العباس والله ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترك السبيل نهجا واضحا واحل الحلال وحرم الحرام ونكح وطلق وحارب وسالم وما كان راعي غنم
يتبع بها رووس الجبال يخبط عليها العضاة بمخبطه ويمدر حوضها بيده بانصب ولا ادأب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
فيكم وفي الجملة فما ترك الله ورسوله حلالا الا مبينا ولا حراما الا مبينا لكن بعضه كان اظهر بيانا من بعض فما ظهر بيانه واشتهر
وعلم من الدين بالضرورة من ذلك لم يبق فيه شك ولا يعذر احد بجهله في بلد يظهر فيه الاسلام وما كان بيانه دون ذلك فمنه
ما اشتهر بين حملة الشريعة ايضا فاختلفوا في تحليله وتحريمه وذلك لاسباب منها انه قد يكون النص عليه خفيا لم ينقله
الا قليل من الناس فلم يبلغ جميع حملة العلم ومنها انه قد ينقل فيه نصان احدهما بالتحليل والاخر بالتحريم فيبلغ
طايفة منهم احد النصين دون الاخر فيتمسكون بما بلغهم او يبلغ النصان معا من لا يبلغه التاريخ فيقف لعدم معرفته
بالناسخ ومنها ما ليس فيه نص صريح وانما يوخذ من عموم او مفهوم او قياس فتختلف افهام العلما في هذا كثيرا ومنها ما يكون فيه
امر او نهي فتختلف العلما في حمل الامر على الوجوب او الندب وفي حمل النهي على التحريم او التنزيه واسباب الاختلاف اكثر مما ذكرنا
ومع هذا فلا بد في الامة من عالم يوافق قوله الحق فيكون هو العالم بهذا الحكم وغيره يكون الامر مشتبها عليه ولا يكون عالما
بهذا فان هذه الامة لا تجتمع على ضلالة ولا يظهر باطلها على اهل حقها ولا يكون الحق مهجورا غير معمول به في جميع الامصار اهل حق
والاعصار ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في المشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فدل على ان من الناس من يعلمها وانما هي مشتبهة على من لم
يعلمها وليست مشتبهة في نفس الامر فهذا هو السبب المقتضي لاشتباه بعض الاشيا على كثير من العلما وقد يقع الاشتباه في
الحلال والحرام بالنسبة الى العلما وغيرهم من وجه اخر وهو ان من الاشيا ما يعلم سبب حله وهو الملك المتيقن ومنه ما يعلم سبب
تحريمه وهو ثبوت ملك الغير عليه فالاول لا تزول اباحته الا بيقين زوال الملك عنه اللهم الا في الابضاع عند من يوقع الطلاق
عند من يوقع الطلاق بالشك فيه كمالك او اذا غلب على الظن وقوعه كاسحق بن راهويه والثاني لا يزول تحريمه الا بيقين العلم [illegible]
بانتقال الملك فيه فاما ما لا يعلم له اصل ملك كما يجده الانسان في بيته ولا يدري هل هو له او لغيره فهذا مشتبه ولا يحرم عليه تناوله
لان الظاهر ان ما في بيته ملكه لثبوت يده عليه والورع اجتنابه فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لانقلب الى اهلي فاجد التمرة
ساقطة على فراشي فارفعها لاكلها ثم اخشى ان تكون صدقة فالقيها خرجاه في الصحيحين فان كان هناك من جنس المحظور و
شك هل هو منه ام لا قويت الشبهة وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابه ارق من الليل فقال له
بعض نسايه يا رسول الله ارقت الليلة فقال اني كنت اصبت تمرة تحت جنبي فاكلتها وكان عندنا تمر من تمر الصدقة فخشيت ان
تكون منه ومن هذا ايضا ما اصله الاباحة كطهارة الما والثوب والارض اذا لم يتيقن زوال اصله فيجوز استعماله وما اصله
الحظر كالابضاع ولحوم الحيوان فلا يحل الا بيقين حله من التذكية والعقد فان تردد في شي من ذلك لظهور سبب اخر رجع
الى الاصل فبني عليه فيرجع فيما اصله الحرمة الى التحريم ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اكل الصيد الذي يجد فيه الصايد اثر
سهم غير سهمه او كلب غير كلبه او يجده قد وقع في ما وعلل بانه لا يدري هل مات من السبب المبيح له او من غيره ويرجع لا يدري كم
فيما اصله الحل الى الحل فلا ينجس الما والارض والثوب بمجرد ظن النجاسة وكذلك البدن اذا تحقق طهارته وشك هل
انتقضت بالحدث عند جمهور العلما خلافا لمالك رحمه الله اذا لم يكن قد دخل في الصلاة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه

شكي اليه الرجل

شكي اليه الرجل يخيل اليه انه يجد الشي في الصلاة فقال لا ينصرف حتى يسمع صوتا او يجد ريحا وفي بعض الروايات في المسجد بدل الصلاة
وهذا يعم حال الصلاة وغيرها فان وجد سبب قوي يغلب معه على الظن نجاسة ما اصله الطهارة مثل ان يكون الثوب يلبسه كافر لا يتحرز من النجاسات
فهذا محل اشتباه فمن العلما من رخص فيه اخذا بالاصل ومنهم من كرهه تنزيها ومنهم من حرمه اذا قوي ظن النجاسة مثل ان يكون الكافر ممن لا
يباح ذبيحته او لا يكون ملاقيا للعورة كالسراويل والقميص وترجع هذه المسايل وشبهها الى قاعدة تعارض الاصل والظاهر فان الاصل الطهارة
والظاهر النجاسة وقد تعارضت الادلة في ذلك فالقايلون بالطهارة يستدلون بان الله احل طعام اهل الكتاب وطعامهم انما يصنعونه بايديهم
في اوانيهم وقد اجاب النبي صلى الله عليه وسلم دعوة يهودي وكان هو واصحابه يلبسون ويستعملون ما يجلب اليهم مما نسجه الكفار من الثياب
والاواني وكانوا في المغازي يقتسمون ما وقع لهم من الاوعية والثياب ويستعملونها وصح عنهم انهم استعملوا الما من مزادة مشركة والقا
يلون بالنجاسة يستدلون بانه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن انية اهل الكتاب الذين ياكلون الخنزير ويشربون الخمر فقال ان لم تجدوا غيرها
فاغسلوها بالما وكلوا فيها وقد فسر الامام احمد الشبهة بانها منزلة بين الحلال والحرام يعني الحلال المحض والحرام المحض وقال
من اتقاها فقد استبرا لدينه وفسرها تارة باختلاط الحلال والحرام ويتفرع على هذا معاملة من في ماله حلال وحرام
يختلط فان كان اكثر ماله الحرام فقال احمد ينبغي ان يجتنبه الا ان يكون شيا يسيرا او شيا لا يعرف واختلف اصحابنا
هل هو مكروه او محرم على وجهين وان كان اكثر ماله الحلال جازت معاملته والاكل من ماله وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يعا
لون المشركين واهل الكتاب مع علمهم بانهم يجتنبون الحرام وقد روى الحارث عن علي رضي الله عنه انه قال في جوايز السلطان لا باس بها
ما يعطيكم من الحلال اكثر مما يعطيكم من الحرام وكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يعاملون المشركين واهل الكتاب مع علمهم بانهم لا يجتنبون
الحرام كله وان اشتبه الامر فهو شبهة والورع تركه قال سفيان لا يعجبني ذلك وتركه اعجب الي وقال الزهري ومكحول لا باس
ان يوكل منه ما لم يعرف انه حرام بعينه فان لم يعرف في ماله حرام بعينه ولكن علم ان فيه شبهة فلا باس بالاكل منه نص عليه احمد في
رواية حنبل وذهب اسحق بن راهويه الى ما روي عن ابن مسعود وسلمان وغيرهما من الرخصة والى ما روي عن الحسن وابن سيرين
في اباحة الاخذ مما يقضى من الربا والقمار نقله عنه ابن منصور وقال الامام احمد في المال المشتبه حلاله بحرامه ان كان المال كثيرا اخرج منه
قدر الحرام وتصرف في الباقي وان كان المال قليلا اجتنبه كله وهذا لان القليل اذا تناول منه شيا فانه يتعذر معه السلامة
من الحرام بخلاف الكثير ومن اصحابنا من حمل ذلك على الورع دون التحريم واباح التصرف دون التحريم واباح التصرف في القليل
والكثير بعد اخراج قدر الحرام منه وهو قول الحنفية وغيرهم واخذ به قوم من اهل الورع منهم بشر الحافي ورخص قوم من السلف
في الاكل ممن يعلم في ماله حرام ما لم يعلم انه الحرام بعينه كما تقدم عن مكحول والزهري وروي مثله عن الفضيل بن عياض وروي
في ذلك اثار عن السلف فصح عن ابن مسعود انه سيل عمن له جار ياكل الربا علانية ولا يتحرج من مال خبيث ياخذه يدعوه
الى طعام قال اجيبوه فانما المهنا لكم والوزر عليه وفي رواية انه قال لا اعلم له شيا الا خبيثا او حراما فقال اجيبوه وقد صحح
الامام احمد عن ابن مسعود هذا ولكنه عارضه بما روي عنه انه قال الاثم حواز القلوب وروي عن سلمان مثل قول ابن مسعود الاول وعن
سعيد بن جبير والحسن البصري ومورق العجلي وابراهيم النخعي وابن سيرين وغيرهم والاثار بذلك موجودة في كتاب الادب
لحميد بن زنجويه وبعضها في كتاب الجامع للخلال وفي مصنفي عبد الرزاق وابن ابي شيبة وغيرهم ومتى علم ان عين الشي حرام
اخذ بوجه محرم فانه يحرم تناوله وقد حكى الاجماع على ذلك ابن عبد البر وغيره وقد روي عن ابن سيرين في الرجل يقضي من الربا قال
لا باس به خرجه الخلال باسناد صحيح وقد روي عن الحسن خلاف هذا وانه قال ان هذه المكاسب قد فسدت فخذوا منها شبه
المضطر وعارض المروي عن ابن مسعود وسلمان ما روي عن ابي بكر الصديق انه اكل طعاما ثم اخبر انه من حرام فاستقاه وقد يقع
الاشتباه في الحكم لكون الفرع مترددا بين اصول تجتذبه كتحريم الرجل زوجته فان هذا متردد بين تحريم الظهار الذي
ترفعه الكفارة الكبرى وبين تحريم الطلقة الواحدة بانقضاء عدتها الذي تباح معه الزوجة بدون زوج واصابة وتحريم
الرجل عليه ما احله الله له من الطعام او الشراب الذي لا يحرمه وانما يوجب الكفارة الصغرى او لا يوجب شيا على الاختلاف
في ذلك فمن هاهنا كثر الاختلاف في هذه المسالة في زمن الصحابة ومن بعدهم وبكل حال فالامور المشتبهة التي لا

يشتبه انها حلال او حرام لكثير من الناس كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وقد يتبين لبعض الناس انها حلال او حرام لما عنده من ذلك
من مزيد علم وكلام النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ان هذه المشتبهات من الناس من يعلمها وكثير منهم لا يعلمها فدخل فيمن لا يعلمها
نوعان احدهما من يتوقف فيها لاشتباهها عليه والثاني من يعتقدها على غير ما هي عليه ودل كلامه على ان غير هؤلاء يعلمها
ومراده انه يعلمها على ما هي عليه في نفس الامر من تحليل او تحريم وهذا من اظهر الادلة على ان المصيب عند الله في مسائل الحلال
والحرام المشتبهة المختلف فيها واحد عند الله عز وجل وغيره ليس بعالم بها بمعنى انه غير مصيب لحكم الله فيها في نفس الامر
وان كان يعتقد فيها اعتقادا مستندا الى شبهة يظنها دليلا ويكون ماجورا على اجتهاده ومغفورا له خطاؤه لعدم
اعتماده **وقوله** صلى الله عليه وسلم فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام
قسم الناس في الامور المشتبهة الى قسمين وهذا انما هو بالنسبة الى من هي مشتبهة عليه وهو ممن لا يعلمها فاما
من كان عالما بها واتبع ما دله علمه عليها فذلك قسم ثالث لم يذكره لظهور حكمه فان هذا القسم افضل الاقسام الثلاثة
لانه علم حكم الله في هذه الامور المشتبهة واتبع علمه في ذلك واما من لم يعلم حكم الله فيها فهم قسمان احدهما من يتقي هذه الشبهات
لاشتباهها عليه فهذا قد استبرا لدينه وعرضه من النقص والشين والعرض هو موضع المدح والذم من الانسان وما
يحصل له بذكره بالجميل مدح وبذكره بالقبيح قدح وقد يكون ذلك تارة في نفس الانسان وتارة في سلفه او في اهله فمن اتقى الامور
المشتبهة واجتنبها فقد حصن عرضه عن القدح والشين الداخل على من لا يجتنبها وفي هذا دليل على ان من ارتكب الشبهات
فقد عرض نفسه للقدح فيه والطعن كما قال بعض السلف من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من اساء الظن به وفي رواية للترمذي
في هذا الحديث من تركها استبراء لدينه وعرضه فقد سلم والمعنى انه تركها بهذا القصد وهو براءة دينه وعرضه من النقص
لا لغرض آخر فاسد من رياء ونحوه وفيه دليل على ان طلب البراءة للعرض ممدوح كطلب البراءة للدين ولهذا ورد انه
ما وقى به المرء عرضه فهو صدقة وفي رواية في الصحيحين في هذا الحديث فمن ترك ما يشتبه عليه من الاثم كان لما استبان اترك
يعني ان من ترك الاثم مع اشتباهه عليه وعدم تحققه فهو اولى بتركه اذا استبان له انه اثم وهذا اذا كان تركه تحرزا من الاثم
فاما من يقصد التصنع للناس فانه لا يترك الا ما يظن انه ممدوح عندهم تركه **القسم الثاني** من يقع في الشبهات
مع كونها مشتبهة عنده فاما من اتى شيئا مما يظنه الناس شبهة لعلمه بانه حلال في نفس الامر فلا حرج عليه من الله في ذلك لكن اذا
خشي من طعن الناس عليه بذلك كان تركها حينئذ استبراء لعرضه فيكون حسنا وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن رآه واقفا مع
صفية انها صفية بنت حيي وخرج انس الى الجمعة فراى الناس قد صلوا ورجعوا فاستحيا ودخل موضعا لا يراه الناس فيه
وقال من لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله وخرجه الطبراني مرفوعا ولا يصح وان اتى ذلك لاعتقاده انه حلال اما
باجتهاد سائغ او تقليد سائغ وكان مخطئا في اعتقاده فحكمه حكم الذي قبله فان كان الاجتهاد ضعيفا او التقليد
غير سائغ وانما حمل عليه مجرد اتباع الهوى فحكمه حكم من اتاه مع اشتباهه عليه والذي ياتي الشبهات مع اشتباهها عليه
فقد اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم انه وقع في الحرام وهذا يفسر بمعنيين احدهما ان يكون ارتكابه للشبهة مع اعتقاده
انها شبهة ذريعة الى ارتكابه الحرام الذي يعتقد انه حرام بالتدريج والتسامح وفي رواية في الصحيحين لهذا
الحديث ومن اجترا على ما يشك فيه من الاثم اوشك ان يواقع ما استبان وفي رواية ومن يخالط الريبة يوشك ان يجسر
اي يقرب ان يقدم على الحرام المحض والجسور المقدام الذي لا يهاب شيئا ولا يراقب احدا ورواه بعضهم يجسر بالحاء
المهملة اي يرتع والحسر الرعي وحسرت الدابة اذا رعيتها وفي مراسيل ابي المتوكل الناجي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من يرعى بجنبات الحرام يوشك ان يخالطه ومن تهاون بالمحقرات يوشك ان يخالط الكبائر و
المعنى الثاني ان من اقدم على ما هو مشتبه عنده لا يدري اهو حلال او حرام فانه لا يامن ان يكون حراما في نفس الامر فيصادف الحرام وهو لا يدري انه حرام وقد روي ... عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحلال بين والحرام بين

وبينهما

٥

وبينهما
مشتبهات فمن اتقاها كان انزه لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات اوشك ان يقع في الحرام كالمرتع حول الحمى اوشك
ان يواقع الحمى وهو لا يشعر خرجه الطبراني وغيره واختلف العلماء هل يطيع والديه في الدخول في شيء من الشبهة ام لا يطيعهما
فروي عن بشر بن الحارث قال لا طاعة لهما في الشبهة وعن محمد بن مقاتل العباداني قال يطيعهما وتوقف احمد في هذه المسالة
وتوقف احمد في حرام ما يوكل وما يلبس منها وقال في التمرة يلقيها الطير لا ياكلها ولا ياخذها ولا يتعرض لها وقال
الثوري في الرجل يجد في بيته الافلس او الدراهم احب الي ان يتنزه عنها يعني اذا لم يدر من اين هي وكان بعض السلف
لا ياكل الا شيئا يعلم من اين هو ويسال عنه حتى يقف على اصله وقد روي في ذلك حديث مرفوع الا ان فيه ضعفا **وقوله**
صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه هذا مثل ضربه النبي صلى
الله عليه وسلم لمن وقع في المشتبهات وانه يقرب وقوعه في الحرام المحض وفي بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وسا
ضرب لكم مثلا ثم ذكر هذا الكلام فجعل النبي صلى الله عليه وسلم مثل المحرمات كالحمى الذي يحميه الملوك ويمنعون غيرهم من
٢ قربانه وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم حول مدينته اثني عشر ميلا حمى محرما لا يقطع شجره ولا يصاد صيده وحمى عمر وعثمان
اماكن ينبت فيها الكلا لاجل ابل الصدقة والله عز وجل حمى هذه المحرمات ومنع عباده من قربانها وسماها حدوده
فقال تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون وهذا فيه بيان انه حد لهم ما احل لهم وما حرم
عليهم فلا يقربوا الحرام ولا يتعدوا الحلال وكذلك قال في آية اخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك
هم الظالمون وجعل من يرعى حول الحمى وقريبا منه جديرا بان يدخل الحمى ويرتع فيه فكذلك من تعدى الحلال ووقع في الشبهات
فانه قد قارب الحرام غاية المقاربة فما اخلقه بان يخالط الحرام ويقع فيه وفي هذا اشارة الى انه ينبغي التباعد عن المحرمات وان
يجعل الانسان بينه وبينها حاجزا وقد خرج الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس وقال ابو الدرداء تمام التقوى ان يتقي الله العبد
حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما حجابا بينه وبين الحرام وقال الحسن ما زالت التقوى
بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام وقال الثوري انما سموا المتقين لانهم اتقوا ما لا يتقى وروي عن ابن عمر قال اني
لاحب ان ادع بيني وبين الحرام سترة من الحلال لا اخرقها وقال ميمون بن مهران لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين
الحرام حاجزا من الحلال وحتى يدع الاثم وما تشابه منه ويستدل بهذا الحديث من يذهب الى سد الذرائع الى المحرمات وتحريم
الوسائل اليها ويدل على ذلك ايضا من قواعد الشريعة تحريم قليل ما يسكر كثيره وتحريم الخلوة بالاجنبية وتحريم الصلاة
بعد الصبح وبعد العصر سدا لذريعة الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ومنع الصائم من المباشرة اذا كانت تحرك شهوته
ومنع كثير من العلماء مباشرة الحائض فيما بين سرتها وركبتها الا من وراء حائل كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يامر امراته اذا كانت حائضا
ان تتزر فيباشرها من فوق الازار ومن امثلة ذلك المثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم من سيب دابة ترعى بقرب زرع
غيره فانه ضامن لما افسدته من الزرع ولو كان ذلك نهارا وهذا هو الصحيح لانه مفرط بارسالها في هذه الحال وكذا الخلاف لو
ارسل كلب الصيد قريبا من الحرم فدخل الحرم فصاد فيه ففي ضمانه روايتان عن احمد وقيل يضمنه بكل حال **وقوله**
٢ صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب فيه اشارة الى ان
حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه فان كان قلبه سليما ليس فيه الا محبة الله
ومحبة ما يحبه وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات الجوارح كلها ونشا عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي
الشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات وان كان القلب فاسدا قد استولى عليه اتباع هواه وطلب ما يحبه ولو كرهه
الله فسدت حركات الجوارح كلها وانبعثت الى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب ولهذا يقال القلب ملك
الاعضاء وبقية الاعضاء جنوده وهم مع هذا جنود طائعون له منبعثون في طاعته وتنفيذ اوامره لا يخالفونه في شيء من ذلك

هو التنبيه

فان كان الملك صالحا صلحت جنوده كانت هذه الجنود صالحة وان كان فاسدا كانت جنوده فاسدة بهذه المثابة ولا ينفع
عند الله الا القلب السليم كما قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه
اللهم اني اسالك قلبا سليما فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله
وما يحبه الله وخشية الله وخشية ما يباعد منه وفي مسند الامام احمد عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستقيم ايمان
عبد حتى يستقيم قلبه والمراد باستقامة ايمانه استقامة اعمال جوارحه فان اعمال جوارحه لا تستقيم الا باستقامة
القلب ومعنى استقامة القلب ان يكون ممتليا من خشية الله ومحبة طاعته وكراهة معصيته قال الحسن لرجل داو قلبك
فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم يعني ان مراده منهم ومطلوبه صلاح قلوبهم فلا صلاح للقلوب حتى يستقر فيها
معرفة الله ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه وتمتلي من ذلك وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى لا اله الا
الله فلا صلاح للقلوب حتى يكون الهها الذي تالهه وتوقره وتخافه وترجوه هو الله وحده لا شريك له ولو كان في السماوات والارض
والارض اله يوله سوى الله لفسدت بذلك السماوات والارض كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فعلم بذلك انه لا صلاح
للعالم العلوي والسفلي حتى تكون حركات اهلهما كلها لله وحركات الجسد تابعة لحركات القلب وارادته فان كانت حركته
وارادته لغير الله فسد وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب وروى ليث عن مجاهد في قوله لا تشركوا به شيئا قال
لا تحبوا غيري وفي صحيح الحاكم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشرك اخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء
وادناه ان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من العدل وهل الدين الا الحب والبغض قال الله عز وجل قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله فهذا يدل على ان محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه الله متابعة للهوى والموالاة على ذلك والمعاداة
فيه من الشرك الخفي ويدل على ذلك قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل علامة الصدق في محبته اتباع رسوله
فدل على ان المحبة لا تتم بدون الطاعة والموافقة قال الحسن قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انا نحب ربنا حبا
شديدا فاحب الله ان يجعل لحبه علما فانزل الله هذه الآية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومن هنا قال الحسن اعلم انك
لن تحب الله حتى تحب طاعته وسئل ذو النون المصري متى احب ربي قال اذا كان ما يبغضه عندك امر من الصبر وقال بشر بن السري
ليس من اعلام الحب ان تحب ما يبغض حبيبك وقال ابو يعقوب النهرجوري كل من ادعى محبة الله عز وجل ولم يوافق الله في امره
فدعواه باطل وقال رويم المحبة الموافقة في جميع الاحوال وقال يحيى بن معاذ ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده
وعن بعض السلف قال قرات في بعض الكتب السالفة من احب الله لم يكن عنده شي آثر من مرضاته ومن احب الدنيا لم يكن عنده
شي آثر من هوى نفسه وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اعطى لله ومنع لله واحب لله وابغض لله فقد استكمل الايمان ومعنى
هذا ان حركات القلب والجوارح اذا كانت كلها لله فقد كمل ايمان العبد بذلك ظاهرا وباطنا ويلزم من صلاح حركات القلب
صلاح حركات الجوارح فاذا كان القلب صالحا ليس فيه الا ارادة الله وارادة ما يريده لم تنبعث الجوارح الا فيما يريد الله
فسارعت الى ما فيه رضاه وكفت عما يكرهه وعما يخشى ان يكون مما يكرهه وان لم يتيقن ذلك قال الحسن ما نظرت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي
ولا نهضت على قدمي حتى انظر على طاعة او على معصية فان كانت طاعة تقدمت وان كانت معصية تاخرت وقال محمد بن الفضل
البلخي ما خطوت منذ اربعين سنة خطوة لغير الله عز وجل وقيل لداود الطائي لو تنحيت من الظل الى الشمس فقال هذه خطا لا
ادري كيف تكتب فهولاء القوم لما صلحت قلوبهم لم يبق فيها ارادة لغير الله صلحت جوارحهم فلم تتحرك الا لله عز وجل وبما فيه رضاه والله اعلم

## الحديث السابع

عن تميم الداري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه
ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم هذا الحديث خرجه مسلم من رواية سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد الليثي عن تميم الداري
وقد روي عن سهيل وغيره عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وخرجه الترمذي من هذا الوجه ومن العلماء من صحح من
الطريقين جميعا ومنهم من قال ان الصحيح حديث تميم والاسناد الآخر وهم وقد روي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر وثوبان

وابن عباس



ورسوله ما على المحسنين من سبيل فسماهم محسنين لنصيحتهم لله بقلوبهم لما منعوا من الجهاد بانفسهم وقد ترتفع الاعمال كلها عن العبد
في بعض الحالات ولا يرتفع عنه النصح لله فلو كان من المرض بحال لا يمكنه العمل بشي من جوارحه بلسان ولا غيره غير ان عقله ثابت
لم يسقط عنه النصح لله بقلبه وهو ان يندم على ذنوبه وينوي ان صح ان يقوم بما افترض الله عليه ويجتنب ما نهاه عنه والا كان غير
ناصح لله بقلبه وكذا النصح لرسوله فيما اوجب على الناس عن امر ربه ومن النصح الواجب لله ان لا يرضى بمعصية العاصي ويحب طاعة من اطاع الله
ورسوله واما النصيحة التي هي نافلة لا فرض فبذل المجهود بايثار الله على كل محبوب بالقلب وسائر الجوارح حتى لا يكون
في الناصح فضلا عن غيره لان الناصح اذا اجتهد لم يوثر نفسه عليه وقام بكل ما كان في القيام به سروره ومحبته فكذلك الناصح لربه ومن
تنفل لله بدون الاجتهاد فهو ناصح على قدر عمله غير مستحق للنصح بكماله واما النصح لكتاب الله فشدة حبه وتعظيم قدره
اذ هو كلام الخالق وشدة الرغبة في فهمه وشدة العناية لتدبره والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما احب مولاه ان يفهم عنه ويقوم به
بعد ما يفهمه وكذلك الناصح من العباد يفهم وصية من ينصحه وان ورد عليه كتاب منه عني بفهمه ليقوم عليه بما كتب به فيه فكذلك الناصح
لكتاب ربه يعنى بفهمه ليقوم لله بما امر به كما يحب ويرضى ثم ينشر ما فهم في العباد ويديم دراسته بالمحبة له والتخلق باخلاقه والتادب
بآدابه واما النصح للرسول صلى الله عليه وسلم في حياته فبذل المجهود في طاعته ونصرته ومعاونته وبذل المال اذا اراده والمسارعة
الى محبته واما بعد وفاته فالعناية بطلب سنته والبحث عن اخلاقه وآدابه وتعظيم امره ولزوم القيام به وشدة الغضب
والاعراض عمن تدين بخلاف سنته والغضب على من ضيعها لاثرة دنيا وان كان متدينا بها وحب من كان منه بسبيل من
قرابة او صهر او هجرة او نصرة او صحبة ساعة من ليل او نهار على الاسلام والتشبه به في زيه ولباسه واما النصح للائمة
لائمة المسلمين فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الامة عليهم وكراهة افتراق الامة عليهم والتدين بطاعتهم في طاعة
الله عز وجل والبغض لمن راى الخروج عليهم وحب اعزازهم في طاعة الله عز وجل واما النصح للمسلمين فان يحب لهم
ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ويشفق عليهم ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم وان ضره ذلك في
دنياه كرخص اسعارهم وان كان في ذلك ربح ما يبيع من تجارته وكذلك جميع ما يضرهم عامة ويحب صلاحهم والفتهم ودوام النعم عليهم
ونصرهم على عدوهم ودفع كل اذى ومكروه عنهم وقال ابو عمرو بن الصلاح النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له
بوجوه الخير ارادة وفعلا فالنصيحة لله تعالى توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال وتنزيهه عما يضادها ويخالفها وتجنب معاصيه
والقيام بطاعته ومحابه بوصف الاخلاص والحب فيه والبغض فيه وجهاد من كفر به تعالى وما ضاهى ذلك والدعاء الى ذلك والحث عليه والنصيحة
لكتابه الايمان به وتعظيمه وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته والوقوف مع اوامره ونواهيه وتفهم علومه وامثاله وتدبر آياته والدعاء
اليه وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم الايمان به وبما جاء به وتوقيره وتبجيله والتمسك
بطاعته واحياء سنته واستثارة علومها ونشرها ومعاداة من عاداه وعاداها وموالاة من والاه ووالاها والتخلق باخلاقه والتادب بآدابه عاداه وعاداها
ومحبة آله وصحابته ونحو ذلك والنصيحة لائمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم به وتنبيههم في رفق ولطف و
مجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الاغيار على ذلك والنصيحة لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم وتعليمهم امور
دينهم ودنياهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم ونصرتهم على اعدائهم والذب عنهم ومجانبة الغش والحسد لهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره
لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك انتهى ما ذكره ومن انواع نصحهم بدفع الاذى والمكروه عنهم ايثار فقيرهم وتعليم جاهلهم ورد من
زاغ منهم عن الحق في قول او عمل بالتلطف في ردهم الى الحق والرفق بهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر محبة لازالة فسادهم
ولو بحصول ضرر له في دنياه كما قال بعض السلف وددت ان هذا الخلق اطاعوا الله وان لحمي قرض بالمقاريض وكان عمر بن عبد العزيز
يقول يا ليتني عملت فيكم بكتاب الله وعملتم به فكلما عملت فيكم بسنة وقع مني عضو حتى يكون آخر شي منها خروج نفسي ومن انواع
النصح لله وكتابه ورسوله وهو مما يختص به العلماء رد الاهواء المضلة بالكتاب والسنة وبيان دلالتهما على ما يخالف الاهواء كلها وكذلك رد
الاقوال الضعيفة من زلات العلماء وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها ومن ذلك بيان ما صح من حديث النبي صلى الله عليه وسلم وما لم يصح منه
بتبيين حال رواته ومن تقبل رواياته منهم ومن لا تقبل وبيان غلط من غلط من ثقاتهم الذين تقبل روايتهم ومن اعظم انواع
النصح ان ينصح لمن استشاره في امره كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استنصح احدكم اخاه فلينصح له وفي بعض الاحاديث ان من حق
المسلم على المسلم ان ينصح له اذا غاب ومعنى ذلك انه اذا ذكر في غيبه بالسوء ان ينصره ويرد عنه واذا راى من يريد اذاه في
غيبه كفه عن ذلك فان النصح في الغيب يدل على صدق الناصح فانه قد يظهر النصح في حضوره تملقا ويغشه في غيبه وقال الحسن انك لن تبلغ حق نصيحتك لاخيك حتى تامره

بما يعجز عنه

وابن عباس وغيرهم وقد ذكرنا في اول الكتاب عن ابي داود ان هذا الحديث احد الاحاديث التي يدور عليها الدين وقال الحافظ
ابو نعيم هذا الحديث له شان ذكر محمد بن اسلم الطوسي انه احد ارباع الدين وخرج الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من لا يهتم بامر المسلمين فليس منهم ومن لم يمس ويصبح ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولامامه ولعامة المسلمين فليس منهم
وخرج الامام احمد من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل احب ما تعبدني به عبدي الي النصح لي وقد ورد
في احاديث كثيرة النصح للمسلم عموما ففي الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة و
ايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حق المؤمن على المؤمن ست فذكر منها
واذا استنصحك فانصح له وروي هذا الحديث من وجوه اخر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي المسند عن حكيم بن ابي يزيد عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا استنصح احدكم اخاه فلينصح له واما النوع الثاني وهو النصح لولاة الامور ونصحهم لرعاياهم
ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان
تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولاه الله امركم وفي المسند وغيره عن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته
بالخيف من منى ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم اخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الامر ولزوم جماعة المسلمين وقد روى هذه الخطبة
عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ابو سعيد الخدري وقد روي عن ابي سعيد الخدري بلفظ اخر خرجه الدارقطني في الافراد باسناد
جيد ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين وفي الصحيحين
عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يسترعيه الله رعية ثم لم يحطها بنصيحة الا لم يرح رائحة الجنة وقد ذكر الله في كتابه عن الا
نبياء عليهم السلام انهم نصحوا الامم كما اخبر الله بذلك عن نوح وعن صالح وقال تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله يعني ان من تخلف عن الجهاد لعذر فلا حرج عليه بشرط ان يكون ناصحا لله ورسوله في تخلفه فان المنافقين
كانوا يظهرون الاعذار كاذبين ويتخلفون عن الجهاد من غير نصح لله ورسوله وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة فهذا يدل
على ان النصيحة تشتمل على خصال الاسلام والايمان والاحسان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام وسمى ذلك كله دينا فان النصح
لله يقتضي القيام باداء واجباته على اكمل وجوهها وهو مقام الاحسان فلا يكمل النصح لله بدون ذلك ولا يتاتى ذلك بدون كمال المحبة
الواجبة والمستحبة ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرب اليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه وترك المحرمات والمكروهات على هذا الوجه
ايضا وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارايتم لو كان لاحدكم عبدان فكان احدهما يطيعه اذا امره ويؤدي اليه اذا ائتمنه
وينصح له اذا غاب عنه وكان الاخر يعصيه اذا امره ويخونه اذا ائتمنه ويغشه اذا غاب عنه كانا سواء قالوا لا قال فكذلكم انتم عند الله
عز وجل خرجه ابن ابي الدنيا وخرج الامام احمد معناه من حديث ابي الاحوص عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الفضيل بن عياض
الحب افضل من الخوف الا ترى اذا كان لك عبدان احدهما يحبك والاخر يخافك فالذي يحبك منهما ينصحك شاهدا كنت او غائبا لحبه اياك
والذي يخافك عسى ان ينصحك اذا شهدت لما يخاف ولا يغشك اذا غبت ولا ينصحك قال عبد العزيز بن رفيع قال الحواريون لعيسى
عليه الصلاة والسلام ما الخالص من العمل قال الذي لا تحب ان يحمدك الناس عليه قالوا فما النصح لله قال ان تبدا بحق الله قبل حق الناس وان
عرض لك امران احدهما لله والاخر للدنيا بدات بحق الله تعالى وقال الخطابي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح له
قال واصل النصح في اللغة الخلوص يقال نصحت العسل اذا خلصته من الشمع فمعنى النصيحة لله سبحانه صحة الاعتقاد في وحدانيته
واخلاص النية في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به و
نهى عنه والنصيحة لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم انتهى وقد حكى الامام ابو عبد الله محمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم
قدر الصلاة عن بعض اهل العلم انه فسر هذا الحديث بما لا مزيد على حسنه ونحن نحكيه ها هنا بلفظه قال محمد بن نصر قال بعض
اهل العلم جماع تفسير النصيحة هو عناية القلب للمنصوح له من كان وهي على وجهين احدهما فرض والاخر نافلة والنصيحة المفترضة
لله هي شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله في اداء ما افترض ومجانبة ما حرم واما النصيحة التي هي نافلة فهي ايثار محبته
على محبة نفسه وذلك ان يعرض امران احدهما لنفسه والاخر لربه فيبدا بما كان لربه ويؤخر ما كان لنفسه فهذه جملة تفسير النصيحة لله
الفرض منه والنافلة وكذلك [illegible] وسنفسر بعضه ليفهم بالتفسير من لا يفهم الجملة فالفرض منها
مجانبة نهيه واقامة فرضه بجميع جوارحه ما كان مطيقا له فان عجز عن الاقامة بفرضه لآفة حلت به من مرض او حبس او غير ذلك عزم
على اداء ما افترض عليه متى زالت عنه العلة المانعة له قال الله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا

بما يكره عنه قال الحسن وقال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان شئتم لاقسمن لكم بالله ان احب عباد الله الى الله الذين
يحببون الله الى عباده ويحببون عباد الله الى الله ويسعون في الارض بالنصيحة وقال فرقد السبخي قرات في بعض
الكتب المحب لله عز وجل امير مؤمر على الامراء زمرته اول الزمر يوم القيامة ومجلسه اقرب المجالس فيما هنالك والمحبة
منتهى القربة والاجتهاد ولن يسام المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل يحبونه ويحبون ذكره ويحببونه
الى خلقه يمشون بين عباده بالنصائح ويخافون عليهم من اعمالهم يوم تبدو الفضائح اولئك اولياء الله واحباؤه
وصفوته اولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه وقال ابن علية في قول ابي بكر المزني ما فاق ابو بكر رضي الله عنه اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم بصوم ولا صلاة ولكن بشيء كان في قلبه قال الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل والنصيحة في خلقه وقال الفضيل
بن عياض ما ادرك عندنا من ادرك بكثرة الصلاة والصيام وانما ادرك عندنا بسخاء الانفس وسلامة الصدور
والنصح للامة وسئل ابن المبارك اي الاعمال افضل قال النصح لله وقال معمر كان يقال انصح الناس لك من خاف الله فيك وكان
بعض السلف اذا اراد ان ينصح احدا وعظه سرا حتى قال بعضهم من وعظ اخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن و
عظه على رؤوس الناس فانما وبخه وقال الفضيل المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير وقال عبد العزيز بن ابي رواد
كان من كان قبلكم اذا راى الرجل من اخيه شيئا يامره في رفق فيؤجر في امره ونهيه وان احد هؤلاء يخرق بصاحبه فيستغضب
اخاه ويهتك ستره وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن امر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال ان كنت فاعلا ولا بد ففيما
بينك وبينه قال الامام احمد ليس على المسلم نصح الذمي وعليه نصح المسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم والنصح لكل مسلم وان تنصح لجماعة المسلمين وعامتهم

## الحديث الثامن

عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله و
يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق
الاسلام وحسابهم على الله رواه البخاري ومسلم هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من رواية واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن ابيه
عن جده عبد الله بن عمر وقوله الا بحق الاسلام هذه اللفظة تفرد بها البخاري دون مسلم وقد روي معنى هذا الحديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم من وجوه متعددة ففي صحيح البخاري عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فاذا شهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا واكلوا
ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم واموالهم الا بحقها وخرج الامام احمد من حديث معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما
امرت ان اقاتل الناس حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويشهدوا ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فاذا فعلوا
ذلك فقد عصموا واعتصموا دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل وخرجه ابن ماجه مختصرا وخرج مسلم معناه من حديث ابي هريرة
ايضا ولكن المشهور من روايات ابي هريرة ليس فيها اقام الصلاة ولا ايتاء الزكاة ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل وفي رواية
لمسلم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به وخرجه ايضا من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ حديث ابي هريرة
الاول وزاد في اخره ثم قرا انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر وخرج ايضا من حديث ابي مالك الاشجعي عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله فقد حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل وقد روي عن سفيان بن عيينة انه قال
كان هذا في اول الاسلام قبل فرض الصلاة والصيام والزكاة والهجرة وهذا ضعيف جدا وفي صحته عن سفيان نظر فان رواة هذه
الاحاديث انما صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وبعضهم تاخر اسلامه ثم قوله عصموا مني دماءهم واموالهم يدل على انه كان مامورا بالقتال
وبقتال من ابى الاسلام وهذا كله بعد هجرته الى المدينة ومن المعلوم بالضرورة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل من كل من جاءه يريد
الدخول في الاسلام الشهادتين فقط ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلما وقد انكر على اسامة بن زيد قتله لمن قال لا اله الا الله لما رفع
عليه السيف واشتد نكيره عليه ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يشترط على من جاءه يريد الدخول في الاسلام ان يلتزم الصلاة والزكاة بل قد روي
انه قبل من قوم الاسلام واشترطوا ان لا يزكوا ففي مسند الامام احمد عن جابر رضي الله عنه قال اشترطت ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا صدقة عليهم ولا جهاد وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيتصدقون ويجاهدون وفيه ايضا عن نصر بن عاصم الليثي عن
رجل منهم انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم على ان لا يصلي الا صلاتين فقبل منه واخذ الامام احمد بهذه الاحاديث وقال يصح الاسلام على

الشرط الفاسد ثم يلتزم شرائع الإسلام كلها واستدل أيضا بأن حكيم بن حزام قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر إلا قائما
قال أحمد معناه أن يسجد من غير ركوع وخرج محمد بن نصر المروزي بإسناد ضعيف جدا عن أنس رضي الله عنه قال لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم يقبل من أجابه إلى الإسلام إلا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فكانتا فريضتين على من أقر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالإسلام يقبل صح
وذلك قول الله عز وجل فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وهذا لا يثبت وعلى تقدير ثبوته فالمراد
منه أنه لم يكن يقر أحدا دخل في الإسلام على ترك الصلاة والزكاة وهذا حق فإنه صلى الله عليه وسلم أمر معاذا لما بعثه إلى اليمن أن
يدعوهم أولا إلى الشهادتين وقال إن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم بالصلاة ثم بالزكاة ومراده أن من صار مسلما بدخوله في الإسلام
أمر بعد ذلك بإقام الصلاة ثم بإيتاء الزكاة وكان من سأله عن الإسلام يذكر له مع الشهادتين بقية أركان الإسلام كما قال جبريل
عليه السلام لما سأله عن الإسلام وكما قال للأعرابي الذي جاءه ثائر الرأس يسأله عن الإسلام وبهذا الذي قررناه يظهر
الجمع بين أحاديث هذا الباب ويتبين أن كلها حق فإن كلمتي الشهادتين بمجردها تعصم من أتى بهما ويصير بذلك مسلما فإذا
دخل في الإسلام فإن أقام الصلاة وآتى الزكاة وقام بشرائع الإسلام فله ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين فإن أخل بشيء من هذه
الأركان فإن كانوا جماعة لهم منعة قوتلوا وقد ظن بعضهم أن معنى هذا الحديث أن الكافر يقاتل حتى يأتي بالشهادتين ويقيم الصلاة
ويؤتي الزكاة وجعلوا ذلك حجة على خطاب الكفار بالفروع وفي هذا نظر وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في قتال الكفار تدل على خلاف
هذا وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليا يوم خيبر فأعطاه الراية وقال امش ولا تلتفت حتى
يفتح الله عليك فسار علي شيئا ثم وقف فصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس فقال قاتلهم على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل فجعل مجرد الإجابة إلى الشهادتين
عاصمة للنفوس والأموال إلا بحقها ومن حقها الامتناع عن الصلاة والزكاة بعد الدخول في الإسلام كما فهمه الصحابة ومما
يدل على قتال الجماعة الممتنعين من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من القرآن قوله تعالى فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة
فخلوا سبيلهم وقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله مع قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح
فإن سمع أذانا وإلا أغار عليهم مع احتمال أن يكونوا دخلوا في الإسلام وكان يوصي سراياه إن سمعتم مؤذنا أو رأيتم مسجدا
فلا تقتلوا أحدا وقد بعث عيينة بن حصن إلى قوم من بني العنبر فأغار عليهم ولم يسمع أذانا ثم ادعوا أنهم قد أسلموا وبعث أهل
ذلك وبعث النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه من محمد النبي إلى أهل عمان سلام عليكم أما بعد فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأني
رسول الله وأدوا الزكاة وخطوا المساجد وإلا غزوتكم خرجه البزار والطبراني وغيرهما فهذا كله يدل على أنه كان يعتبر
حال الداخلين في الإسلام فإن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وإلا لم يمتنع عن قتالهم وفي هذا وقع تناظر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب
قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد
عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق
المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت
الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق فأبو بكر رضي الله عنه أخذ قتالهم من قوله إلا بحقه فدل على أن قتال
من أتى بالشهادتين بحقه جائز ومن حقه أداء حق المال الواجب وعمر رضي الله عنه ظن أن مجرد الإتيان بالشهادتين
يعصم الدم في الدنيا تمسكا بعموم ألفاظ وردت وليس هذا الأمر على ذلك ثم إن عمر رجع إلى موافقة أبي بكر وقد خرج
النسائي قصة تناظر أبي بكر وعمر بزيادة وهي أن أبا بكر قال لعمر رضي الله عنهما إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل
الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وخرجه ابن خزيمة في صحيحه
ولكن هذه الرواية خطأ أخطأ فيها عمران القطان إسنادا ومتنا قاله أئمة الحفاظ منهم علي بن المديني وأبو زرعة وأبو حاتم

والترمذي



والترمذي والنسائي ولم يكن هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ عند أبي بكر ولا عمر وإنما قال أبو بكر والله لأقاتلن
من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال وهذا أخذه والله أعلم من قوله إلا بحقها وفي رواية إلا بحق
الإسلام فجعل من حق الإسلام إقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما أن من حقه ألا يرتكب الحدود وجعل كل ذلك مما استثني بقوله
إلا بحقها وقوله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال يدل على أن من ترك الصلاة فإنه يقاتل لأنها حق
البدن فكذلك من ترك الزكاة التي هي حق المال وفي هذا إشارة إلى أن قتال تارك الصلاة أمر مجمع عليه لأنه جعله أصلا مقيسا
عليه وليس هو مذكورا في الحديث الذي احتج به عمر وإنما أخذ من قوله إلا بحقها فكذلك الزكاة لأنها من حقها وكل ذلك من حقوق
الإسلام ويستدل أيضا على القتال على ترك الصلاة بما في صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يستعمل
عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع فقالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم قال لا ما
صلوا وحكم من ترك سائر أركان الإسلام أن يقاتلوا عليها كما يقاتلوا على ترك الصلاة والزكاة وروى ابن شهاب عن حنظلة بن
علي بن الأسقع أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه وأمره أن يقاتل الناس على خمس فمن ترك واحدة
منهن فقاتله عليها كما تقاتل على الخمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان
وقال سعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب لو أن الناس تركوا الحج لقاتلتهم عليه كما نقاتلهم على الصلاة والزكاة فهذا الكلام في
قتال الطائفة الممتنعة عن شيء من هذه الواجبات وأما قتل الواحد الممتنع عنها فأكثر العلماء على أنه يقتل الممتنع من الصلاة
وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم ويدل على ذلك ما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن خالد بن
الوليد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل رجل فقال لا لعله أن يكون يصلي فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال
إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم وفي مسند الإمام أحمد عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أن رجلا من الأنصار حدثه
أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في قتل رجل من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم أليس يشهد أن لا إله إلا الله قال بلى ولا شهادة له
قال أليس يصلي قال بلى ولا صلاة له قال أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وأما قتل الممتنع من أداء الزكاة ففيه قولان لمن قال يقتل
الممتنع من فعل الصلاة أحدهما يقتل أيضا وهو المشهور عن أحمد ويستدل له بحديث ابن عمر هذا والثاني لا يقتل وهو قول
مالك والشافعي في رواية وأما الصوم فقال مالك وأحمد في رواية عنه يقتل بتركه وقال الشافعي وأحمد في رواية لا يقتل بذلك
وأحمد صح
ويستدل له بحديث ابن عمر وغيره مما في معناه فإنه ليس في شيء منها ذكر الصوم ولهذا قال أحمد في رواية أبي طالب الصوم لم يجئ
فيه شيء **قلت** وقد روي عن ابن عباس مرفوعا وموقوفا أن من ترك الشهادتين أو الصلاة أو الصيام فهو كافر حلال
الدم بخلاف الزكاة والحج وقد سبق ذكره في حديث بني الإسلام على خمس وأما الحج فعن أحمد في القتل بتركه روايتان وحمل بعض
أصحابنا رواية قتله على من أخره عازما على تركه بالكلية أو أخره وغلب على ظنه الموت في عامه فأما من أخره معتقدا أنه على
التراخي كما يقوله كثير من العلماء فلا قتل بذلك **وقوله** صلى الله عليه وسلم إلا بحقها وفي رواية إلا بحق الإسلام قد سبق
ومن حقها صح
أن أبا بكر أدخل في هذا الحق فعل الصلاة والزكاة وأن من العلماء من أدخل فيه فعل الصيام والحج أيضا ومن حقها ارتكاب ما يبيح دم
المسلم من المحرمات وقد ورد تفسير حقها بذلك خرجه الطبراني وابن جرير الطبري من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن
أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل قيل وما حقها قال
زنا بعد إحصان وكفر بعد إيمان وقتل نفس فيقتل بها ولعل آخره من قول أنس وقد قيل إن الصواب وقفه كله على
أنس ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله
إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وسيأتي الكلام على هذا الحديث مستوفى عند ذكره
في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله **وقوله** صلى الله عليه وسلم وحسابهم على الله عز وجل يعني أن الشهادتين مع إقام
الصلاة وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا إلا أن يأتي بما يبيح دمه وأما في الآخرة فحسابه على الله عز وجل فإن كان
صادقا أدخله الله بذلك الجنة وإن كان كاذبا فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقد تقدم أن في بعض الروايات

في صحيح مسلم ثم تلا فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم
والمعنى انما عليك تذكيرهم بالله ودعوتهم اليه ولست مسلطا على ادخال الايمان في قلوبهم قهرا ولا مكلفا بذلك ثم اخبر ان مرجع
العباد كلهم اليه وحسابهم عليه وفي مسند البزار عن عياض الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لا اله الا الله كلمة
على الله كريمة لها عند الله مكان وهي كلمة من قالها صادقا ادخله الله بها الجنة ومن قالها كاذبا حقنت ماله ودمه
ولقي الله غدا فحاسبه وقد استدل بهذا من يرى قبول توبة الزنديق وهو المنافق اذا اظهر العود الى الاسلام ولم ير قتله
بمجرد ظهور نفاقه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل المنافقين ويجريهم على احكام المسلمين في الظاهر مع علمه بنفاق بعضهم
في الباطن وهذا قول الشافعي واحمد في رواية عنه وحكاه الخطابي عن اكثر العلماء

## الحديث التاسع

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فافعلوا
منه ما استطعتم فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم رواه البخاري ومسلم هذا الحديث بهذا
اللفظ خرجه مسلم من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب وابي سلمة كلاهما عن ابي هريرة وخرجاه من رواية ابي الزناد عن الاعرج
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوني ما تركتكم انما اهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وخرجه مسلم من طريقين اخرين عن ابي هريرة بمعناه وفي رواية
له ذكر سبب ذكر هذا الحديث من رواية محمد بن زياد عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض
الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت
ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما اهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء
فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وخرجه الدارقطني من وجه اخر مختصرا وقال فيه فنزل يا
ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم عفا الله عنها وقد روي من وجه اخر
ان هذه الاية نزلت لما سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحج وقالوا اكل عام وفي الصحيحين عن انس قال خطبنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رجل من ابي قال فلان فنزلت هذه الاية لا تسالوا عن اشياء وفيهما عن انس ايضا عن قتادة قال سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى احفوه بالمسالة فغضب فصعد المنبر فقال لا تسالوني اليوم عن شيء الا بينته فقال رجل كان اذا لاحى
الرجال دعي لغير ابيه فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة ثم انشا عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
رسولا نعوذ بالله من الفتن وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء
وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان قوم يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من ابي
ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء وخرج ابن جرير
الطبري في تفسيره من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمار وجهه
حتى جلس على المنبر فقام اليه رجل فقال اين انا قال في النار فقام اخر فقال من ابي قال ابوك حذافة فقام عمر فقال رضينا
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقران اماما انا يا رسول الله حديثوا عهد بجاهلية وشرك والله اعلم من اباؤنا
قال فسكن غضبه ونزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وروى من طريق العوفي
عن ابن عباس في قوله يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في الناس
فقال يا قوم كتب عليكم الحج فقام رجل فقال افي كل عام يا رسول الله فاغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فقال
والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم واذا لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فاذا امرتكم بشيء فافعلوا
واذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم نهاهم ان يسالوا مثل الذي
سالت النصارى في المائدة فاصبحوا بها كافرين فنهى الله عن ذلك ولكن انتظروا فاذا انزل الله القران فانكم لا تسالون عن
شيء الا وجدتم تبيانه فدلت هذه الاحاديث على النهي عن السؤال عما لا يحتاج اليه مما يسوء السائل جوابه مثل سؤال السائل
هل هو في النار او في الجنة وهل ابوه من ينسب اليه او غيره ودل على النهي عن السؤال على وجه التعنت والعبث والاستهزاء كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيرهم وقريب من ذلك سؤال الايات واقتراحها على وجه التعنت كما كان يفعله المشركون واهل الكتاب وقال عكرمة وغيره ان الاية نزلت في ذلك ويقرب من ذلك

السؤال عما

السؤال

عما اخفاه الله عن عباده ولم يطلعهم عليه كالسؤال عن وقت الساعة وعن الروح ودلت ايضا على نهي المسلمين عن السؤال عن كثير من
الحلال والحرام مما يخشى ان يكون السؤال سببا لنزول التشديد فيه كالسؤال عن الحج هل يجب كل عام وفي الصحيح عن سعد
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اعظم المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسالته ولما سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن اللعان كره المسائل وعابها حتى ابتلي السائل عنه قبل وقوعه بذلك في اهله وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن قيل وقال
وكثرة السؤال واضاعة المال ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرخص في المسائل الا للاعراب ونحوهم من الوفود القادمين
عليه يتالفهم بذلك فاما المهاجرون والانصار المقيمون بالمدينة الذين رسخ الايمان في قلوبهم فنهوا عن المسالة كما في صحيح مسلم عن
النواس بن سمعان قال اقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ما يمنعني من الهجرة الا المسالة كان احدنا اذا هاجر لم يسال النبي
صلى الله عليه وسلم وفيه ايضا عن انس رضي الله عنه قال نهينا ان نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء وكان يعجبنا ان يجيء الرجل من
اهل البادية العاقل فيساله ونحن نسمع وفي المسند عن ابي امامة رضي الله عنه قال كان الله قد انزل يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم
تسؤكم قال فكنا قد كرهنا كثيرا من مسالته واتقينا ذلك حين انزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قال فاتينا اعرابيا فرشوناه بردا
ثم قلنا له سل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا وفي مسند ابي يعلى عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال ان كان لياتي علي السنة اريد ان اسال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء فاتهيب منه وان كنا لنتمنى الاعراب وفي مسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما رايت قوما خيرا من اصحاب
محمد ما سالوه الا عن اثني عشر مسالة كلها في القران يسالونك عن الخمر والميسر يسالونك عن الشهر الحرام يسالونك عن اليتامى وذكر الحديث
وقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احيانا يسالونه عن حكم حوادث قبل وقوعها لكن للعمل بها عند وقوعها كما قالوا له انا
لاقوا العدو غدا وليس معنا مدى افنذبح بالقصب وسالوه عن الامراء الذين اخبر بهم بعده وعن طاعتهم وقتالهم وساله حذيفة
عن الفتن وما يصنع فيها فهذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما اهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم
على انبيائهم يدل على كراهة المسائل وذمها ولكن بعض الناس يزعم ان ذلك كان مختصا بزمان النبي صلى الله عليه وسلم لما يخشى
من تحريم ما لم يحرم او ايجاب ما يشق القيام به وهذا قد امن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولكن ليس هذا وحده هو سبب كراهة المسائل
بل له سبب اخر وهو الذي اشار اليه ابن عباس في كلامه الذي ذكرناه بقوله ولكن انتظروا فاذا نزل القران فانكم لا تسالون عن شيء
الا وجدتم تبيانه ومعنى هذا ان جميع ما يحتاج اليه المسلمون في دينهم لا بد ان يبينه الله في كتابه ويبلغ ذلك رسوله عنه فلا حاجة
بعد ذلك لاحد في السؤال فان الله تعالى اعلم بمصالح عباده منهم فما كان فيه هدايتهم ونفعهم فان الله لا بد ان يبينه لهم ابتداء من غير
سؤال كما قال سبحانه وتعالى يبين الله لكم ان تضلوا وحينئذ فلا حاجة الى السؤال عن شيء ولا سيما قبل وقوعه والحاجة اليه وانما
الحاجة المهمة الى فهم ما اخبر الله به ورسوله ثم اتباع ذلك والعمل به وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسال عن المسائل فيحيل على القران
كما ساله عمر عن الكلالة فقال يكفيك اية الصيف واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الى ان الاشتغال بامتثال امره واجتناب
نهيه شغل عن المسائل فقال اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم فالذي يتعين على المسلم الاعتناء
والاهتمام ان يبحث عما جاء عن الله ورسوله ثم يجتهد في فهم ذلك والوقوف على معانيه ثم يشتغل بالتصديق بذلك ان كان من الامور العلمية
بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الاوامر واجتناب ما ينهى عنه فتكون همته مصروفة بالكلية الى ذلك لا
الى غيره وهكذا كان حال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة فاما ان كانت همة السامع
مصروفة عند سماع الاوامر والنواهي الى فرض امور قد تقع وقد لا تقع فان هذا مما يدخل في النهي ويثبط عن الجد في متابعة الامر
وقد سال رجل ابن عمر عن استلام الحجر فقال له رايت النبي صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله فقال له الرجل
ارايت ان غلبت عليه ارايت ان زوحمت فقال له ابن عمر اجعل ارايت باليمن رايت النبي صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله خرجه
الترمذي ومراد ابن عمر ان لا يكون لك هم الا في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا حاجة الى فرض العجز عن ذلك او تعسره قبل وقوعه
فانه يفتر العزم على التصميم على المتابعة فان التفقه في الدين والسؤال عن العلم انما يحمد اذا كان للعمل لا للمراء والجدال وقد روي عن علي
رضي الله عنه انه ذكر فتنا تكون في اخر الزمان فقال له عمر متى ذلك يا علي قال اذا تفقه لغير الدين وتعلم لغير العمل والتمست الدنيا بعمل الاخرة

وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال كيف بكم اذا لبستكم فتنة يربوا فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وتتخذ سنة فان غيرت يوما قيل هذا منكر قالوا ومتى ذلك قال اذا قلت امناؤكم وكثرت امراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت قراؤكم وتفقه لغير الدين والتمست الدنيا بعمل الاخرة خرجهما عبد الرزاق في كتابه ولهذا المعنى كان كثير من الصحابة والتابعين يكرهون السوال عن الحوادث قبل وقوعها ولا يجيبون عن ذلك قال عمرو بن مرة خرج عمر على الناس فقال احرج عليكم ان تسالونا عن ما لم يكن فان لنا فيما كان شغلا وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لا تسالوا عما لم يكن فاني سمعت عمر لعن السائل عما لم يكن وكان زيد بن ثابت اذا سئل عن الشي يقول كان هذا فان قالوا لا قال دعوه حتى يكون وقال مسروق سالت ابي بن كعب عن شي فقال اكان بعد فقلت لا فقال اجمنا يعني ارحنا حتى يكون فاذا كان اجتهدنا لك راينا وقال الشعبي سئل عمار عن مسئلة فقال هل كان هذا بعد قالوا لا قال فدعونا حتى يكون فاذا كان تجشمناه لكم وعن الصلت بن راشد قال سالت طاوسا عن شي فانتهرني وقال اكان هذا قلت نعم قال آلله قلت آلله قال ان اصحابنا اخبرونا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال يا ايها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله فلم ينفك المسلمون ان يكون فيهم من اذا سيل سدد وقال وفق وقد خرج ابو داود في كتاب المراسيل مرفوعا من طريق ابن عجلان عن طاوس عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها فانكم ان لا تفعلوا لم ينفك المسلمون منهم من اذا قال سدد او وفق وانكم ان عجلتم تشتت بكم السبل ههنا وهاهنا ومعنى ارساله ان طاوسا لم يسمع من معاذ وخرجه ايضا من رواية يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وروى الحجاج بن منهال ثنا جرير بن حازم سمعت الزبير بن سعيد رجلا من بني هاشم قال سمعت اشياخنا يحدثون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال في امتي من اذا سيل سدد وارشد حتى يتساءلوا عما لم ينزل تبيينه فاذا فعلوا ذلك ذهب بهم ههنا وههنا وقد روى الصنابحي عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الاغلوطات خرجه الامام احمد وفسرها الاوزاعي قال هي شداد المسائل وقال عيسى بن يونس هي ما لا يحتاج اليه من كيف وكيف ويروى من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيكون قوم من امتي يغلطون فقهاءهم بعضل المسائل اولئك شرار امتي وقال الحسن شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله وقال الاوزاعي ان الله اذا اراد ان يحرم عبده بركة العلم القى على لسانه المغاليط فلقد رايتهم اقل الناس علما وقال ابن وهب عن مالك ادركت هذه البلدة وانهم ليكرهون الاكثار الذي فيه الناس اليوم يريد المسائل وقال ايضا رايت مالكا وهو يعيب كثرة الكلام وكثرة الفتيا ثم قال يتكلم كانه جمل مغتلم يقول هو كذا هو كذا يهدر في كلامه قال وسمعت مالكا يكره الجواب في كثرة المسائل وقال قال الله عز وجل يسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي فلم ياته في ذلك جواب وكان مالك يكره المجادلة عن السنن وقال الهيثم بن جميل قلت لمالك يا ابا عبد الله الرجل يكون عالما بالسنن يجادل عنها قال لا ولكن يخبر بالسنة فان قبلت منه والا سكت قال اسحاق بن عيسى كان مالك يقول المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل وقال ابن وهب سمعت مالكا يقول المراء في العلم يقسي القلوب ويورث الضغن وكان ابو شريح الاسكندراني يوما في مجلسه فكثرت المسائل فقال قد درنت قلوبكم منذ اليوم فقوموا الى ابي حميد خالد بن حميد اصقلوا قلوبكم وتعلموا هذه الرغائب فانها تجدد العبادة وتورث الزهادة وتجر الصداقة واقلوا المسائل الا ما نزل فانها تقسي القلب وتورث العداوة وقال الميموني سمعت ابا عبد الله يعني احمد يسال عن مسئلة فقال وقعت هذه المسئلة بليتم بها بعد وقد انقسم الناس في هذا الباب اقساما فمن اتباع اهل الحديث من سد باب المسائل حتى قل فهمه وعلمه بحدود ما انزل الله على رسوله وصار حامل فقه غير فقيه ومن فقهاء اهل الراي من توسع في توليد المسائل قبل وقوعها ما يقع في العادة منها وما لا يقع واشتغلوا بتكلف الجواب عن ذلك وكثرة الخصومات فيه والجدال عليه حتى يتولد من ذلك افتراق القلوب ويستقر فيها بسببه الاهواء والشحناء والعداوة والبغضاء ويقترن ذلك كثيرا بنية المغالبة وطلب العلو والمباهات وصرف وجوه الناس وهذا مما ذمه العلماء الربانيون ودلت السنة على قبحه وتحريمه واما فقهاء اهل الحديث العاملون به فان معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله وما يفسره من السنن الصحيحة وكلام الصحابة والتابعين لهم باحسان وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة صحيحها وسقيمها ثم التفقه فيها وتفهمها والوقوف على معانيها ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان في انواع العلوم من التفسير والحديث ومسائل

الحلال والحرام

الحلال والحرام واصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك وهذا هو طريقة الامام احمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانيين وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما احدث من الراي مما لا ينتفع به ولا يقع وانما يورث التجادل فيه الخصومات والجدال وكثرة القيل والقال وكان الامام احمد كثيرا اذا سيل عن شي من المسائل المتولدات التي لا تقع يقول دعونا من هذه المسائل المحدثة وما احسن ما قال يونس بن سليمان السقطي نظرت في الامر فاذا هو الحديث والراي فوجدت في الحديث ذكر الرب عز وجل وربوبيته وجلاله وعظمته وذكر العرش وصفة الجنة والنار وذكر النبيين والمرسلين والحلال والحرام والحث على صلة الارحام وجماع الخير فيه ونظرت في الراي فاذا فيه المكر والغدر والحيل وقطيعة الارحام وجماع الشر فيه وقال احمد بن شبويه من اراد علم القبر فعليه بالاثار ومن اراد علم الخبز فعليه بالراي ومن سلك طريقة طلب العلم على ما ذكرناه تمكن من فهم جواب الحوادث الواقعة غالبا لان اصولها توجد في تلك الاصول المشار اليها ولا بد ان يكون سلوك هذا الطريق خلف ائمة اهله المجمع على هدايتهم ودرايتهم كالشافعي واحمد واسحق وابو عبيد ومن سلك مسلكهم فان من ادعى سلوك هذا الطريق على غير طريقهم وقع في مفاوز ومهالك واخذ بما لا يجوز الاخذ به وترك ما يجب العمل به وملاك الامر كله ان يقصد بذلك وجه الله والتقرب اليه بمعرفة ما انزل على رسوله وسلوك طريقه والعمل بذلك ودعا الخلق اليه ومن كان كذلك وفقه الله وسدده والهمه رشده وعلمه ما لم يكن يعلم وكان من العلماء الممدوحين في الكتاب في قوله انما يخشى الله من عباده العلماء ومن الراسخين في العلم وقد خرج ابن ابي حاتم في تفسيره من حديث ابي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الراسخين في العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم وقال نافع بن يزيد يقال الراسخون في العلم المتواضعون لله المتذللون لله في مرضاته لا يتعاظمون على من فوقهم ولا يحقرون من دونهم ويشهد لهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وهذا اشارة الى ابي موسى الاشعري ومن كان على طريقه من علماء اهل اليمن ثم الى مثل ابي مسلم الخولاني واويس القرني وطاوس ووهب بن منبه وغيرهم من علماء اهل اليمن وكل هولاء من العلماء الربانيين الخائفين لله فكلهم علماء بالله يخشونه ويخافونه وبعضهم اوسع علما باحكام الله وشرايع دينه من بعض ولم يكن تميزهم عن الناس بكثرة قيل ولا قال ولا بحث ولا جدال وكذلك معاذ بن جبل اعلم الناس بالحلال والحرام وهو الذي يحشر يوم القيامة امام العلماء برتوة بحجر ولم يكن علمه بتوسعة المسائل وتكثيرها بل قد سبق عنه كراهة الكلام فيما لا يقع وانما كان عالما بالله وعالما باصول دينه رضي الله عنه وقد قيل للامام احمد من نسال بعدك قال عبد الوهاب الوراق قيل له انه ليس له اتساع في العلم قال انه رجل صالح مثله يوفق لاصابة الحق وسيل عن معروف الكرخي فقال كان معه اصل العلم خشية الله وهذا يرجع الى قول بعض السلف كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وهذا باب واسع يطول استقصاؤه

ولنرجع الى شرح حديث ابي هريرة رضي الله عنه فنقول من لم يشتغل بكثرة المسائل التي لا يوجد مثلها في كتاب ولا سنة بل اشتغل بفهم كلام الله ورسوله وقصد بذلك امتثال الاوامر واجتناب النواهي فهو ممن امتثل امر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وعمل بمقتضاه ومن لم يكن اهتمامه بفهم ما انزل الله على رسوله واشتغل بكثرة توليد مسائل قد تقع وقد لا تقع وتكلف اجوبتها بمجرد الراي خشي عليه ان يكون مخالفا لهذا الحديث مرتكبا لنهيه تاركا لامره واعلم ان كثرة وقوع الحوادث التي لا اصل لها في الكتاب والسنة انما هو من ترك الاشتغال بامتثال اوامر الله ورسوله واجتناب نواهي الله ورسوله فلو ان من اراد ان يعمل عملا سال عما شرع الله في ذلك فامتثله وعما نهى عنه فاجتنبه وقعت الحوادث مقيدة بالكتاب والسنة وانما يعمل العامل بمقتضى رايه وهواه فتقع الحوادث عامتها مخالفة لما شرعه الله وربما عسر ردها الى الاحكام المذكورة في الكتاب والسنة لبعدها عنها وفي الجملة من امتثل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وانتهى عما نهى عنه كان مشتغلا بذلك عن غيره حصل له النجاة في الدنيا والاخرة ومن خالف ذلك واشتغل بخواطره وما يستحسنه وقع فيما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم من حال اهل الكتاب الذين هلكوا من كثرة مسايلهم واختلافهم على انبيائهم وعدم انقيادهم وطاعتهم لرسلهم

وقوله صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم قال بعض العلماء هذا يوخذ منه ان النهي اشد من الامر لان النهي لم يرخص في ارتكاب شي منه والامر قيد بحسب الاستطاعة وروي هذا عن الامام احمد ويشبه هذا قول بعضهم اعمال البر يعملها

البر والفاجر واما المعاصي فلا يتركها الا صديق وروي عن ابي هريرة انه قال النبي صلى الله عليه وسلم قال له اتق المحارم تكن اعبد الناس وقالت
عايشة رضي الله عنها من سره ان يسبق الدايب المجتهد فليكف عن الذنوب وروي عنها مرفوعا وقال الحسن ما عبد العابدون بشي افضل
من ترك ما نهاهم الله عنه والظاهر ان ما ورد من تفضيل ترك المحرمات على فعل الطاعات انما اريد به على نوافل الطاعات والا فجنس
الاعمال الواجبات افضل من ترك جنس المحرمات لان الاعمال مقصودة لذاتها والمحارم المطلوب عدمها ولذلك لا تحتاج الى نية
بخلاف الاعمال ولذلك كان جنس ترك الاعمال قد يكون كفرا كترك التوحيد وكترك اركان الاسلام او بعضها على ما سبق بخلاف المنهيات فانه
لا يقتضي الكفر بنفسه ويشهد لذلك قول ابن عمر رضي الله عنهما لرد دانق من حرام افضل من مائة الف تنفق في سبيل الله وعن بعض السلف
قال ترك دانق مما يكره الله احب الي من خمسمائة حجة وقال ميمون بن مهران ذكر الله باللسان حسن وافضل منه ان يذكر الله العبد
عند المعصية فيمسك عنها وقال ابن المبارك لان ارد درهما من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة الف ومائة الف حتى بلغ ستمائة الف
وقال عمر بن عبد العزيز ليست التقوى قيام الليل وصيام النهار والتخليط فيما بين ذلك ولكن التقوى اداء ما افترض الله وترك ما حرم الله فان كان
مع ذلك عمل فهو خير الى خير او كما قال وقال ايضا وددت اني لا اصلي غير الصلوات الخمس سوى الوتر وان اودي الزكاة ولا اتصدق بعدها بدرهم
وان اصوم رمضان ولا اصوم بعده يوما ابدا وان احج حجة الاسلام ثم لا احج بعدها ابدا ثم اعمد الى فضل قوتي فاجعله فيما حرم الله علي
فامسك عنه وحاصل كلامهم يدل على ان اجتناب المحرمات وان قلت فهي افضل من الاكثار من نوافل الطاعات فان ذلك فرض وهذا نفل وقالت
طايفة من المتاخرين انما قال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم لان امتثال الامر
لا يحصل الا بعمل يتوقف وجوده على شروط واسباب وبعضها قد لا يستطاع فلذلك قيده بالاستطاعة كما قيد الله الامر بالتقوى
بالاستطاعة قال الله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم وقال في الحج ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا واما النهي فالمطلوب
عدمه وذلك هو الاصل فالمقصود استمرار الاصل وذلك ممكن وليس فيه ما لا يستطاع وهذا ايضا فيه نظر فان الداعي الى فعل المعاصي
قد يكون قويا لا صبر معه للعبد على الامتناع من فعل المعصية مع القدرة عليها فيحتاج الكف عنها الى مجاهدة شديدة ربما كانت اشق
على النفوس من مجرد مجاهدة النفس على فعل الطاعات ولهذا يوجد كثيرا من يجتهد في فعل الطاعات ولا يقوى على
ترك المحرمات وقد سيل عمر عن قوم يشتهون المعصية ولا يعملون بها فقال اولئك قوم امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم
وقال يزيد بن ميسرة يقول الله في بعض الكتب ايها الشاب التارك شهوته المبتذل شبابه من اجلي انت عندي كبعض ملايكتي وقال ما
اشد الشهوة في الجسد انها مثل حريق النار وكيف ينجو منها الحصوريون والتحقيق في هذا ان الله لا يكلف العباد من الاعمال
ما لا طاقة لهم به وقد اسقط عنهم كثيرا من الاعمال بمجرد المشقة رخصة عليهم ورحمة لهم واما المناهي فلم يعذر احد في ارتكابها
بقوة الداعي والشهوات بل كلفهم تركها على كل حال وانما اباح ان يتناول من المطاعم المحرمة عند الضرورة ما تبقى معه الحياة لا لاجل
التلذذ والشهوة ومن هنا يعلم صحة ما قاله الامام احمد ان النهي اشد من الامر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ثوبان
وغيره انه قال استقيموا ولن تحصوا يعني لن تقدروا على الاستقامة وروى الحكم بن حزن الكلفي قال وفدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشهدت معه الجمعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على عصا او قوس فحمد الله واثنى عليه بكلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال
ايها الناس انكم لن تطيقوا او لن تفعلوا كلما امرتكم به ولكن سددوا وابشروا خرجه الامام احمد وابو داود وفي قوله صلى الله عليه وسلم اذا
امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم دليل على ان من عجز عن فعل المامور به وقدر على بعضه فانه ياتي بما امكنه منه وهذا
مستطرد في مسايل منها الطهارة فاذا قدر على بعضها وعجز عن الباقي اما لعدم الماء او لمرض في بعض اعضايه دون بعض
فانه ياتي من ذلك بما قدر عليه ويتيمم للباقي وسواء في ذلك الوضوء والغسل على المشهور ومنها الصلاة فمن عجز عن فعل
الفريضة قايما صلى قاعدا فان عجز صلى مضطجعا وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صل قايما فان لم تستطع
فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب ولو عجز عن ذلك كله اوما بطرفه وصلى بنيته ولم تسقط عنه الصلاة على المشهور ومنها زكاة
الفطر فاذا قدر على اخراج بعض صاع لزمه ذلك على الصحيح فاما من قدر على صيام بعض النهار دون تكملته فلا يلزمه

ذلك



ذلك بغير خلاف لان صيام بعض اليوم ليس بقربة في نفسه وكذا لو قدر على عتق بعض رقبة في الكفارة لم يلزمه لان تبعيض
العتق غير محبوب للشارع بل يامر بتكميله بكل طريق واما من فاته الوقوف بعرفة في الحج فهل ياتي بما بقي منه من المبيت
بمزدلفة ورمي الجمار ام لا بل يقتصر على الطواف والسعي ويتحلل بعمرة على روايتين عن احمد اشهرهما انه يقتصر على الطواف
والسعي لان المبيت والرمي من لواحق الوقوف بعرفة وتوابعه وانما امر الله بذكره عند المشعر الحرام وبذكره في الايام
المعدودات لمن افاض من عرفات فلا يومر به من لم يقف بعرفة كما لا يومر به المعتمر والله اعلم

## الحديث العاشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما
امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك
رواه مسلم هذا الحديث خرجه مسلم من رواية فضيل بن مرزوق ثقة وسط خرج له مسلم دون البخاري فقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله طيب هذا قد جاء ايضا من حديث سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله طيب يحب الطيب نظيف يحب
النظافة جواد يحب الجود خرجه الترمذي وفي اسناده مقال والطيب هنا معناه الطاهر والمعنى انه سبحانه وتعالى مقدس
منزه عن النقايص والعيوب كلها وهذا كما في قوله والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤون مما يقولون
والمراد المنزهون من ادناس الفواحش واوضارها وقوله لا يقبل الا طيبا قد ورد معناه في حديث الصدقة
ولفظه لا يتصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا والمراد انه تعالى لا يقبل من الصدقات الا ما كان طيبا
حلالا وقد قيل ان المراد في هذا الحديث الذي نتكلم فيه الان بقوله لا يقبل الا طيبا اعم من ذلك وهو انه لا يقبل من الاعمال
الا ما كان طيبا طاهرا من المفسدات كلها كالرياء والعجب ولا من الاموال الا ما كان طيبا حلالا فان الطيب توصف به
الاعمال والاقوال والاعتقادات فكل هذا ينقسم الى طيب وخبيث وقد قيل انه يدخل في قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث
والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث هذا كله وقد قسم الله تعالى الكلام الى طيب وخبيث فقال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
وضرب الله مثلا كلمة خبيثة كشجرة خبيثة وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم بانه يحل الطيبات
ويحرم الخبايث وقد قيل انه يدخل في ذلك الاعمال والاقوال والاعتقادات ايضا ووصف الله تعالى المومنين بالطيب بقوله تعالى
الذين تتوفاهم الملايكة طيبين وان الملايكة تقول عند الموت اخرجي ايتها النفس الطيبة في الجسد الطيب وان الملايكة تسلم عليهم
عند دخولهم الجنة ويقولون لهم طبتم وقد ورد في حديث ان المومن اذا زار اخاه في الله تقول الملايكة طبت وطاب ممشاك
وتبوات من الجنة منزلا فالمومن كله طيب قلبه ولسانه وجسده بما سكن في قلبه من الايمان وظهر
على لسانه من الذكر وعلى جوارحه من الاعمال الصالحة التي هي ثمرة الايمان وداخلة في اسمه فهذه الطيبات كلها يقبلها الله عز وجل
ومن اعظم ما يحصل به طيبة الاعمال للمومن طيب مطعمه وان يكون من حلال فبذلك يزكو عمله وفي هذا الحديث اشارة الى انه لا
يقبل العمل ولا يزكو الا باكل الحلال وان اكل الحرام يفسد العمل ويمنع قبوله فانه قال بعد تقريره ان الله لا يقبل الا طيبا
وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من
طيبات ما رزقناكم والمراد بهذا ان الرسل واممهم مامورون بالاكل من الطيبات التي هي الحلال وبالعمل الصالح
فما دام الاكل حلالا فالعمل الصالح مقبول فاذا كان الاكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولا وما ذكره بعد ذلك من
الدعا وانه كيف يتقبل مع الحرام فهو مثال لاستبعاد قبول الاعمال مع التغذية بالحرام وقد خرج الطبراني باسناد فيه
نظر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تليت هذه الاية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا
طيبا فقام سعد بن ابي وقاص فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا سعد
اطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل اربعين
يوما وايما عبد نبت لحمه من سحت فالنار اولى به وفي مسند الامام احمد باسناد فيه نظر ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما كان عليه ثم ادخل اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم

سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى من حديث علي مرفوعا معناه ايضا خرجه البزار وغيره باسناد ضعيف جدا
وخرج الطبراني باسناد فيه ضعف من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا خرج الرجل حاجا
بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السما لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال
وحجك مبرور غير مازور واذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السما لا لبيك
ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك غير مبرور ويروى من حديث عمر بنحوه باسناد ضعيف ايضا وروى ابو يحيى القتات
عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقد اختلف العلما في حج من حج بمال حرام
او من صلى في ثوب حرام هل يسقط عنه فرض الصلاة والحج بذلك وفيه عن الامام احمد روايتان وهذه الاحاديث المذكورة
تدل على انه لا يتقبل العمل مع مباشرة الحرام لكن القبول قد يراد به الرضى بالعمل ومدح فاعله والثنا عليه بين الملائكة والمباهاة به
وقد يراد به حصول الثواب والاجر عليه وقد يراد به سقوط الفرض به من الذمة كما ورد انه لا تقبل صلاة الابق ولا المراة التي زوجها
عليها ساخط ولا من اتى كاهنا ولا من شرب الخمر اربعين يوما والمراد والله اعلم نفي القبول بالمعنى الاول او الثاني وهو المراد
والله اعلم من قوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين ولهذا كانت هذه الاية يشتد منها خوف السلف على نفوسهم فخافوا الا
يكونوا من المتقين الذين يتقبل الله منهم وسئل الامام احمد عن المتقين فيها فقال يتقي الاشيا فلا يقع فيما لا يحل له وقال ابو عبد الله الناجي
الزاهد رحمه الله خمس خصال بها تمام العمل الايمان بمعرفة الله عز وجل ومعرفة الحق واخلاص العمل لله والعمل على السنة واكل الحلال فان
فقدت واحدة لم يرتفع العمل وذلك انك اذا عرفت الله عز وجل ولم تعرف الحق لم تنتفع واذا عرفت الحق ولم تعرف الله لم تنتفع وان
عرفت الله وعرفت الحق واخلصت العمل ولم تكن على السنة لم تنتفع وان تمت الاربع ولم يكن الاكل من الحلال لم تنتفع وقال وهيب بن
الورد لو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شي حتى تنظر ما يدخل بطنك حلال او حرام واما الصدقة بالمال الحرام فغير مقبولة كما
في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تصدق عبد بصدقة من طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه
وذكر الحديث وفي مسند الامام احمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يكتسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك فيه
ولا يتصدق به فيتقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ان
الخبيث لا يمحو الخبيث ويروى من حديث دراج عن ابن حجيرة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كسب مالا حراما فتصدق به
لم يكن فيه اجر وكان اصره عليه خرجه ابن حبان في صحيحه ورواه بعضهم موقوفا على ابي هريرة وفي مراسيل القاسم بن مخيمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصاب مالا من ماثم فوصل به رحمه وتصدق به او انفقه في سبيل الله جمع ذلك جميعا ثم قذف به
في نار جهنم وروي عن ابي الدرداء او يزيد بن ميسرة انهما جعلا مثل من اصاب مالا من غير حله فتصدق به مثل من اخذ مال يتيم وكسى
به ارملة وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عمن كان على عمل فكان يظلم وياخذ الحرام ثم تاب فهو يحج ويعتق ويتصدق منه فقال ان
الخبيث لا يكفر الخبيث وكذا قال ابن مسعود ان الخبيث لا يكفر الخبيث ولكن الطيب يكفر الخبيث وقال الحسن ايها المتصدق على
المسكين ترحمه ارحم من قد ظلمت واعلم ان الصدقة بالمال الحرام تقع على وجهين احدهما ان يتصدق به الخاين او
الغاصب ونحوهما عن نفسه فهذا هو المراد من هذه الاحاديث انه لا يتقبل منه بمعنى انه لا يوجر عليه بل ياثم بتصرفه في مال غيره
بغير اذنه ولا يحصل للمالك بذلك اجر لعدم قصده ونيته كذا قاله جماعة من العلما منهم ابن عقيل من اصحابنا وفي كتاب عبد الرزاق
من رواية زيد بن الاخنس الخزاعي انه سال سعيد بن المسيب قال وجدت لقطة افاتصدق بها قال لا توجر انت ولا صاحبها ولعل
مراده اذا تصدق بها قبل تعريفها الواجب ولو اخذ السلطان او بعض نوابه من بيت المال ما لا يستحقه فتصدق به او اعتق
او بنى به مسجدا او غيرهما مما ينتفع به الناس فالمنقول عن ابن عمر انه كالغاصب اذا تصدق بما غصبه كذلك قال لعبد الله بن عامر
امير البصرة وكان الناس قد اجتمعوا عنده في حال موته وهم يثنون عليه ببره واحسانه وابن عمر ساكت فطلب منه ان يتكلم
فروى له حديث لا يقبل الله صدقة من غلول ثم قال له وكنت اميرا على البصرة وقال اسد بن موسى في كتاب الورع ثنا الفضيل
بن عياض عن منصور عن تميم بن سلمة قال قال ابن عامر لعبد الله بن عمر ارايت هذه العقاب التي نسهلها والعيون التي نفجرها الا لنا فيها اجر فقال ابن عمر اما علمت ان خبيثا لا يكفر خبيثا قط ثنا عبد الرحمن بن زياد عن ابي المليح عن ميمون

بن مهران



بن مهران قال قال عبد الله بن عامر لابن عمر وقد ساله عن العتق فقال مثلك مثل رجل سرق ابل حاج ثم تصدق بها في سبيل الله فانظر هل يقبل منه
وقد كان طايفة من اهل التشديد في الورع كطاوس ووهيب بن الورد يتوقون الانتفاع بما احدثه هولاء الملوك واما الامام
احمد فانه رخص فيما فعلوه من المنافع العامة كالمساجد والقناطر والمصانع فان هذه ينفق عليها من مال الفي اللهم الا ان
يتيقن انهم فعلوا شيا من ذلك بمال حرام كالمكوس والغصوب ونحوها فحينئذ يتوقى الانتفاع بما عمل بالمال الحرام
ولعل ابن عمر انما انكر عليهم اخذهم لاموال بيت المال لانفسهم ودعواهم انما يفعلونه منها بعد ذلك فهو صدقة منهم فان هذا شبيه
بالمغصوب وعلى مثل هذا يحمل انكار من انكر من العلما على الملوك بنيان المساجد قال ابو الفرج بن الجوزي رايت بعض
المتقدمين سيل عمن كسب حلالا وحراما من السلاطين والامرا ثم بنى الاربطة والمساجد هل له ثواب فافتى بما يوجب
طيب قلب المنفق وان له في انفاق ما لا يملكه نوع سمسرة لانه لا يعرف اعيان المغصوبين فيرد عليهم قال فقلت واعجبا
للمتصدرين للفتوى لا يعرفون اصول الشريعة ينبغي ان ينظر في حال هذا المنفق اولا فان كان سلطانا فما يخرج
من بيت المال قد عرفت وجوه مصارفه فكيف يمنع مستحقيه ويشغله بما لا يفيد من بنا مدرسة او رباط فان كان من
الامرا او نواب السلاطين فيجب ان يرد ما يجب رده الى بيت المال وان كان حراما او غصبا فكل تصرف فيه حرام والواجب
رده الى من اخذ منه او ورثته فان لم يعرف رد الى بيت المال يصرف في المصالح او في الصدقة ولم يحظ اخذه بغير الاثم انتهى وانما
كلامه في السلاطين الذين عهدهم في وقته الذين يمنعون المستحقين من الفي حقوقهم ويتصرفون فيه لانفسهم تصرف
الملاك ويبنون ما ينسبونه اليهم من مدارس واربطة ونحوها مما قد لا يحتاج اليه ويخص به قوم دون قوم فاما لو فرض امام
عادل يعطي الناس حقوقهم من الفي ثم يبني لهم منه ما يحتاجون اليه من مسجد او مدرسة او مارستان ونحو ذلك كان ذلك جايزا
ولو كان بعض من لا حق له في المال قد اخذ منه شيا فبنى بما اخذه منه بنا محتاجا اليه في حال الحاجة اليه ونسبه
الى نفسه فقد يتخرج على الخلاف في الغاصب اذا رد المال على المغصوب منه على وجه الصدقة والهبة هل يبرا بذلك ام لا وهذا
كله اذا بنى على قدر الحاجة من غير سرف ولا زخرفة وقد امر عمر بن عبد العزيز بتتميم مسجد البصرة من بيت المال
ونهاهم ان يتجاوزوا ما تصدع منه وقال اني لم اجد للبنيان في مال الله حقا وروي عنه انه قال لا حاجة للمسلمين فيما اضر ببيت
مالهم واعلم ان من العلما من جعل تصرف الغاصب ونحوه في غير ماله موقوفا على اجازة المالك فان اجاز تصرفه فيه
جاز وقد حكى بعض اصحابنا رواية عن احمد ان من اخرج زكاته من مال مغصوب ثم اجازه المالك جاز وسقطت عنه الزكاة
وكذلك خرج ابن ابي موسى رواية عن احمد انه اذا اعتق عبد غيره عن نفسه ملتزما ضمانه في ماله ثم اجازه المالك جاز ونفذ
عتقه وهو خلاف نص احمد وحكي عن الحنفية انه لو غصب شاة فذبحها لمتعته وقرانه ثم اجازها المالك جاز واجزات عنه

الوجه الثاني من تصرفات الغاصب في المال المغصوب ان يتصدق به عن صاحبه اذا عجز عن رده اليه والى ورثته
فهذا جايز عند اكثر العلما منهم مالك وابو حنيفة واحمد وغيرهم قال ابن عبد البر ذهب الزهري ومالك والثوري والاوزاعي والليث الى ان الغال
اذا تفرق اهل العسكر ولم يصل اليهم انه يدفع الى الامام خمسه ويتصدق بالباقي روي ذلك عن عبادة بن الصامت ومعاوية
والحسن البصري وهو يشبه مذهب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم لانهما كانا يريان ان يتصدق بالمال الذي لا يعرف صاحبه
قال وقد اجمعوا في اللقطة على جواز الصدقة بها بعد التعريف وانقطاع صاحبها وجعلوه اذا جا مخيرا بين الاجر والضمان
وكذلك المغصوب انتهى وروي عن مالك بن دينار قال سالت عطا بن ابي رباح عمن عنده مال حرام ولا يعرف اربابه ويريد الخروج
منه قال يتصدق به ولا اقول ان ذلك يجزي عنه قال مالك كان هذا القول من عطا احب الي من وزنه ذهبا وقال سفيان فيمن اشترى من
قوم شيا مغصوبا يرده اليهم فان لم يقدر عليهم تصدق به كله ولا ياخذ راس ماله وكذا قال فيمن باع شيا ممن تكره معاملته لشبهة
ماله قال يتصدق بالثمن وخالفه ابن المبارك وقال يتصدق بالربح خاصة وقال احمد يتصدق بالربح وكذا قال فيمن ورث مالا فيه شبهة
وكان ابوه يبيع ممن تكره معاملته انه يتصدق منه بمقدار الربح وياخذ الباقي وقد روي عن طايفة من الصحابة نحو ذلك منهم عمر بن الخطاب
وعبد الله بن يزيد الانصاري والمشهور عن الشافعي في الاموال الحرام انها تحفظ ولا يتصدق بها حتى يظهر مستحقها وكان الفضيل بن
عياض يرى ان من عنده مال حرام لا يعرف اربابه انه يتلفه ويلقيه في البحر ولا يتصدق به وقال لا يتقرب الى الله الا بالطيب والصحيح الصدقة به لان

اتلاف المال واضاعته منهي عنه وارصاده منهي عنه الا تعريضه للاتلاف واستيلاء الظلمة عليه والصدقة به ليست من مكسبه حتى يكون
تقربا منه بالخبيث وانما هي صدقة عن مالكه ليكون نفعه لمالكه في الآخرة حيث تعذر عليه الانتفاع في الدنيا **وقوله** صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الرجل
يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك هذا الكلام
اشار فيه النبي صلى الله عليه وسلم الى آداب الدعاء والى الاسباب التي تقتضي اجابته والى ما يمنع من اجابته فذكر من الاسباب التي تقتضي اجابة الدعاء
اربعة احدها اطالة السفر والسفر بمجرده يقتضي اجابة الدعاء كما في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث
دعوات مستجاب لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد لولده خرجه ابو داود وابن ماجه والترمذي وعنده
دعوة الوالد على ولده وروي مثله عن ابن مسعود من قوله ومتى طال السفر كان اقرب الى اجابة الدعاء لانه مظنة حصول انكسار النفس
بطول الغربة عن الاوطان وتحمل المشاق والانكسار من اعظم اسباب اجابة الدعاء والثاني حصول التبذل في اللباس
والهيئة بالشعث والاغبرار وهو ايضا من المقتضيات لاجابة الدعاء كما في الحديث رب اشعث اغبر ذي طمرين مدفوع بالابواب
لو اقسم على الله لابره ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم للاستسقاء خرج متبذلا متواضعا متضرعا وكان مطرف بن عبد الله قد
حبس له ابن اخ فلبس خلقان ثيابه واخذ عكازا بيده فقيل له ما هذا قال استكين لربي لعله ان يشفعني في ابن اخي **الثالث**
مد يديه الى السماء وهو من آداب الدعاء التي يرجى بسببها اجابته وفي حديث سلمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى
حيي كريم يستحيي اذا رفع الرجل اليه يديه ان يردهما صفرا خائبتين خرجه الامام احمد والترمذي وابو داود وابن ماجه وروي نحوه من
حديث انس وجابر وغيرهما وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه ورفع يديه يوم بدر يستنصر
على المشركين حتى سقط رداؤه عن منكبيه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة رفع يديه الى السماء انواع متعددة فمنها انه كان
يشير باصبعه السبابة فقط وروي عنه انه كان يفعل ذلك على المنبر وفعله لما ركب راحلته وذهب جماعة من العلماء الى ان
دعاء القنوت في الصلاة يشير فيه باصبعه منهم الاوزاعي وسعيد بن عبد العزيز واسحق بن راهويه وقال ابن عباس وغيره هذا هو الاخلاص
في الدعاء وعن ابن سيرين اذا اثنيت على الله فاشر باصبع واحدة ومنها انه رفع يديه وجعل ظهورهما الى جهة القبلة وهو مستقبلها
وجعل بطونهما مما يلي وجهه وقد روي هذه الصفة عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستسقاء ايضا واستحب بعضهم الرفع في الاستسقاء
على هذه الصفة منهم الجوزجاني وقال بعض السلف الرفع على هذا الوجه تضرع ومنها عكس ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا
في الاستسقاء وروي عن جماعة من السلف انهم كانوا يدعون كذلك وقال بعضهم الرفع على هذا الوجه استجارة بالله واستعاذة
به منهم ابن عمر وابن عباس وابو هريرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا استعاذ رفع يديه على هذا الوجه ومنها رفع
يديه وجعل كفيه الى السماء وظهورهما الى الارض وقد ورد الامر بذلك في سؤال الله عز وجل في غير حديث وعن ابن عمر وابي هريرة وابن سيرين
ان هذا هو الدعاء والسؤال لله عز وجل ومنها عكس ذلك وهو قلب كفيه وجعل ظهورهما الى السماء وبطونهما مما يلي الارض وفي صحيح مسلم
عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فاشار بظهر كفيه الى السماء وخرجه الامام احمد ولفظه فبسط كفيه وجعل
ظاهرهما مما يلي السماء وخرجه ابو داود ولفظه استسقى هكذا يعني مد يديه وجعل بطونهما مما يلي الارض وخرج الامام احمد
من حديث ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة يدعو هكذا ورفع يديه حيال ثندوته وجعل بطون كفيه مما
يلي الارض وهكذا وصف حماد بن سلمة رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه بعرفة وروي عن ابن سيرين ان هذا هو الاستجارة وقال الحميدي هذا هو
الابتهال **والرابع** الالحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته وهو من اعظم ما يطلب به اجابة الدعاء وخرج البزار من حديث
عائشة رضي الله عنها مرفوعا اذا قال العبد يا رب اربعا قال الله لبيك عبدي سل تعطه وخرج الطبراني وغيره من حديث سعد بن خارجة
ان قوما شكوا الى النبي صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فقال اجثوا على الركب وقولوا يا رب يا رب ورفع السبابة الى السماء فسقوا حتى احبوا
ان يكشف عنهم وفي المسند وغيره عن الفضل بن عباس مرفوعا قال الصلاة مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وتضرع وتخشع وتمسكن و
تقنع يديك يقول ترفعهما الى ربك مستقبلا بهما وجهك وتقول يا رب يا رب فمن لم يفعل ذلك فهي خداج وقال يزيد الرقاشي عن انس
ما من عبد يقول يا رب يا رب الا قال له ربه لبيك
لبيك وروي عن ابي الدرداء وابن عباس انهما كانا يقولان اسم الله الاكبر رب رب وعن عطاء قال ما قال عبد يا رب يا رب ثلاث مرات الا نظر الله اليه فذكر ذلك للحسن فقال اما تقرؤون القرآن ثم تلا الذين يذكرون الله قياما
وقعودا

12

وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
وتوفنا مع الابرار ربنا ~~انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار~~ وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك
لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم ومن تامل الادعية المذكورة في القرآن وجدها غالبا تفتتح باسم الرب كقوله تعالى ربنا آتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ومثل هذا في القرآن كثير وسئل مالك وسفيان
عمن يقول في الدعاء يا سيدي فقالا لا يقول يا رب زاد مالك كما قالت الانبياء في دعائهم **واما** ما يمنع اجابة الدعاء فقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم
الى انه التوسع في الحرام اكلا وشربا ولبسا وتغذية وقد سبق حديث ابن عباس في هذا المعنى ايضا وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد اطب
مطعمك تكن مستجاب الدعوة فاكل الحلال وشربه ولبسه والتغذي به سبب موجب لاجابة الدعاء وروى عكرمة بن عمار حدثنا الاصفر قال قيل
لسعد بن ابي وقاص تستجاب دعوتك من بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما رفعت الى فمي لقمة الا وانا عالم من اين مجيئها ومن اين خرجت وعن وهب بن منبه
قال من سره ان يستجيب الله دعوته فليطيب طعمته وعن سهل بن عبد الله قال من اكل الحلال اربعين صباحا اجيبت دعوته وعن يوسف بن اسباط قال بلغنا
ان دعاء العبد يحبس عن السموات بسوء المطعم **وقوله** صلى الله عليه وسلم فانى يستجاب لذلك معناه كيف يستجاب له فهو استفهام وقع على
وجه التعجب والاستبعاد وليس صريحا في استحالة الاجابة ومنعها بالكلية فيؤخذ من هذا ان التوسع في الحرام والتغذي به من جملة موانع الاجابة
وقد يوجد ما يمنع هذا المانع من منعه وقد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعا من الاجابة ايضا وكذلك ترك الواجبات كما في الحديث ان
ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يمنع استجابة دعاء الاخيار وفعل الطاعات يكون موجبا لاستجابة الدعاء ولهذا لما توسل الذين
دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة باعمالهم الصالحة التي اخلصوا فيها لله ودعوا بها اجيبت دعوتهم وقال وهب بن منبه مثل الذي يدعو
بغير عمل مثل الذي يرمي بغير وتر وعنه **قال** العمل الصالح يبلغ الدعاء ثم تلا قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن عمر رضي الله عنه
قال بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح وعن ابي ذر رضي الله عنه قال يكفي مع البر من الدعاء ما يكفي الطعام من الملح وقال محمد بن واسع يكفي من الدعاء
مع الورع اليسير وقيل لسفيان لو دعوت الله قال ان ترك الذنوب هو الدعاء وقال الليث راى موسى عليه السلام رجلا رافعا يديه وهو يسال الله مجتهدا
فقال موسى عليه السلام اي رب عبدك دعاك حتى رحمته وانت ارحم الراحمين فما صنعت في حاجته فقال يا موسى لو رفع يديه حتى ينقطع ما نظرت في حاجته
حتى ينظر في حقي **وخرج** الطبراني باسناد ضعيف عن ابن عباس مرفوعا معناه وقال مالك بن دينار اصاب بني اسرائيل
بلاء فخرجوا مخرجا فاوحى الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الى الصعيد بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء وملاتم
بيوتكم من الحرام الآن اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال بعض السلف لا تستبطئ الاجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي واخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال
نحن ندعو الاله في كل كرب ∴ وننساه عند كشف الكروب ∴ كيف نرجو اجابة لدعاء ∴ وقد سددنا طريقها بالذنوب ∴

## الحديث الحادي عشر

عن الحسن بن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك
الى ما لا يريبك رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح هذا الحديث خرجه الامام احمد والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه
والحاكم من حديث بريد بن ابي مريم عن ابي الحوراء السعدي قال الاكثرون اسمه ربيعة بن شيبان ووثقه النسائي وابن حبان وتوقف احمد في ان ابا الحوراء
اسمه ربيعة بن شيبان ومال الى التفرقة بينهما وقال الجوزجاني ابو الحوراء مجهول لا يعرف وهذا الحديث قطعة من حديث طويل فيه ذكر قنوت
الوتر وعند الترمذي وغيره زيادة في هذا الحديث وهي فان الصدق طمانينة والكذب ريبة ولفظ ابن حبان فان الخير طمانينة وان الشر ريبة
وقد خرجه الامام احمد باسناد فيه جهالة عن انس وخرجه الطبراني في رواية مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعا قال الدارقطني وانما يروى
هذا من قول ابن عمر ويروى عن مالك من قوله انتهى ويروى باسناد ضعيف عن عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف عن ابيه عن الحسن
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل دع ما يريبك الى ما لا يريبك قال وكيف لي بالعلم بذلك قال اذا اردت امرا فضع يدك
على صدرك فان القلب يضطرب للحرام ويسكن للحلال وان المسلم الورع يدع الصغيرة مخافة الكبيرة وقد روي عن عطاء الخراساني
مرسلا **وخرج** الطبراني نحوه باسناد ضعيف عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وزاد فيه قيل له فمن الورع قال الذي يقف

عند التشبه وقد روي هذا الكلام موقوفا على جماعة من الصحابة منهم عمر وابن عمر وابو الدرداء وعن ابن مسعود قال ما تريد الى ما يريبك وحولك
اربعة الاف لا تريبك وقال عمر دعوا الربا والريبة يعني ما ارتبتم فيه وان لم تتحققوا انه ربا ومعنى هذا الحديث يرجع الى الشبهات واتقائها
فان الحلال المحض لا يحصل للمؤمن في قلبه منه ريب والريب بمعنى القلق والاضطراب الموجب للشك وقال ابو عبد الرحمن العمري الزاهد
اذا كان العبد ورعا ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقال الفضيل يزعم الناس ان الورع شديد وما ورد علي امران الا اخذت باشدهما
فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال حسان بن ابي سنان ما شيء اهون من الورع اذا رابك شيء فدعه وهذا انما يسهل على مثل حسان رحمه الله
قال ابن المبارك كتب غلام لحسان بن ابي سنان اليه من الاهواز ان قصب السكر اصابته آفة فاشتر السكر فيما قبلك فاشتراه من رجل فلم يات
عليه الا قليل فاذا فيما اشتراه ربح ثلاثين الفا قال فاتى صاحب السكر فقال يا هذا ان غلامي كان قد كتب الي فلم اعلمك فاقلني فيما اشتريت منك
فقال الاخر قد اعلمتني الان وقد طيبته لك قال فرجع فلم يحتمل قلبه فاتاه فقال يا هذا اني لم آت هذا الامر من قبل وجهه فاحب ان تسترد
هذا البيع قال فما زال به حتى رده عليه وكان يونس بن عبيد اذا طلب المتاع ونفق وارسل يشتريه يقول لمن يشتري له اعلم من تشتري منه
ان المتاع قد طلب وقال هشام بن حسان ترك محمد بن سيرين اربعين الفا فيما لا ترون به اليوم باسا وكان الحجاج بن دينار قد بعث
طعاما الى البصرة مع رجل وامره ان يبيعه يوم يدخل بسعر يومه فاتاه كتابه اني قدمت البصرة فوجدت الطعام منقصا فحبسته فزاد الطعام فازددت
فيه كذا وكذا فكتب اليه الحجاج انك قد خنتنا وعملت بخلاف ما امرناك به فاذا اتاك كتابي فتصدق بجميع ثمن ذلك الطعام على فقراء البصرة
فليتني اسلم اذا فعلت ذلك وتنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة الف من ميراث ابيه فلم يأخذه وكان ابوه يلي الاعمال للسلاطين وكان
يزيد يعمل الخوص ويتقوت منه الى ان مات وكان المسور بن مخرمة قد احتكر طعاما كثيرا فرأى سحابا في الخريف فكرهه فقال
الا اراني قد كرهت ما ينفع المسلمين فآلى ان لا يربح فيه شيئا فاخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر جزاك الله خيرا وفي هذا ان المحتكر
ينبغي له التنزه عن ربح ما احتكره احتكارا منهيا عنه وقد نص الامام احمد على التنزه عن ربح ما لم يدخل في ضمانه لدخوله في ربح ما لم
يضمن وقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال احمد في رواية عنه في اجرة ما استاجره يربح انه يتصدق بالربح وقال في رواية عنه في ربح مال
المضاربة اذا خالف فيه المضارب انه يتصدق به وقال في رواية عنه فيما اذا اشترى ثمرة قبل بدو صلاحها بشرط القطع ثم تركها
حتى بدا صلاحها انه يتصدق بالزيادة وحمله طائفة من اصحابنا على الاستحباب لان الصدقة بالشبهات مستحبة وروي عن عائشة
رضي الله عنها انها سئلت عن اكل الصيد للمحرم فقالت انما هي ايام قلائل فما رابك فدعه يعني ما اشتبه عليك هل هو حلال ام
حرام فاتركه فان الناس اختلفوا في اباحة اكل الصيد للمحرم اذا لم يصده هو وقد يستدل بهذا على ان الخروج من اختلاف العلماء
افضل لانه ابعد عن الشبه ولكن المحققون من العلماء من اصحابنا وغيرهم على ان هذا ليس هو على اطلاقه فان من مسائل الاختلاف
ما ثبت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم رخصة ليس لها معارض فاتباع تلك الرخصة اولى من اجتنابها وان لم تكن تلك الرخصة بلغت بعض
العلماء فامتنع منها لذلك وهذا كمن تيقن الطهارة وشك في الحدث فانه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينصرف حتى يسمع صوتا او يجد
ريحا ولا سيما ان كان شكه في الصلاة فانه لا يجوز له قطعها لصحة النهي عنه وان كان بعض العلماء يوجب ذلك وان كان للرخصة معارض اما
من سنة اخرى او من عمل الامة بخلافها فالاولى ترك العمل بها وكذا لو كان قد عمل بها شذوذ من الناس واشتهر في الامة العمل
بخلافها في امصار المسلمين من عهد الصحابة رضي الله عنهم فان الاخذ بما عليه عمل المسلمين هو المتعين فان هذه الامة قد
اجارها الله ان يظهر باطلها على اهل حقها فما ظهر العمل به في القرون الثلاثة المفضلة فهو الحق وما عداه فهو باطل وههنا
امر ينبغي التفطن له وهو ان التدقيق في التوقف عن الشبهات انما يصلح لمن استقامت احواله كلها وتشابهت اعماله في التقوى والورع
واما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة ثم يريد ان يتورع عن شيء من دقائق الشبه فانه لا يحتمل له ذلك بل ينكر عليه كما قال
ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض من اهل العراق يسالوني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول هما
ريحانتاي من الدنيا وسأل رجل بشر بن الحارث عن رجل له زوجة وامه تامره بطلاقها فقال ان كان بر امه في كل شيء ولم
يبق من برها الا طلاق زوجته فليفعل وان كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك الى امه فيضربها فلا يفعل وسئل الامام احمد عن رجل يشتري بقلا ويشترط الخوصة يعني التي تربط بها جرزة البقل فقال احمد ايش هذه المسائل قال

ابراهيم بن ابي نعيم



احمد ابراهيم بن ابي نعيم فنعم هذا يشبه ذلك وانما انكر هذه المسائل ممن لا يشبه حاله واما اهل التدقيق في الورع فيشبه حالهم
وقد كان احمد يستعمل في نفسه هذا الورع فانه امر من يشتري له سمنا فجاء به على ورقة فامر برد الورقة الى البائع وكان احمد لا
يستمد من محابر اصحابه وانما يخرج معه محبرة يستمد منها واستاذنه رجل ان يكتب من محبرته فقال له اكتب فهذا ورع
مظلم واستاذنه اخر في ذلك فتبسم وقال لم يبلغ ورعي ولا ورعك هذا وهذا قاله على وجه التواضع والا فهو كان في
نفسه يستعمل هذا الورع وكان ينكره على من لم يصل الى هذا المقام بل يتسامح في المكروهات الظاهرة ويقدم على الشبهات
من غير توقف وقوله صلى الله عليه وسلم فان الخير طمانينة والشر ريبة يعني ان الخير تطمئن به القلوب والشر ترتاب به ولا
تطمئن اليه وفي هذا اشارة الى الرجوع الى القلوب عند الاشتباه وسياتي مزيد لهذا في الكلام على حديث النواس بن سمعان
ان شاء الله تعالى وخرج ابن جرير باسناده عن قتادة عن بشير بن كعب انه قرا هذه الاية فامشوا في مناكبها فقال لجارية
له ان دريت ما مناكبها فانت حرة لوجه الله قالت مناكبها جبالها فكانما سفع في وجهه ورغب في جاريته فسالهم فمنهم
من امره ومنهم من نهاه فسال ابا الدرداء فقال الخير طمانينة والشر ريبة فذر ما يريبك الى ما لا يريبك وقوله في الرواية
الاخرى ان الصدق طمانينة وان الكذب ريبة يشير الى انه لا ينبغي الاعتماد على قول كل قائل كما قال في حديث وابصة وان افتوك
الناس وافتوك وانما يعتمد على قول من يقول الصدق وعلامة الصدق انه تطمئن به القلوب وعلامة الكذب انه تحصل به الريبة فلا تسكن القلوب
اليه بل تنفر منه ومن هنا كان العقلاء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعوا كلامه وما يدعو اليه عرفوا انه صادق وانه
جاء بالحق واذا سمعوا كلام مسيلمة عرفوا انه كاذب وانه جاء بالباطل وقد روي ان عمرو بن العاص رضي الله عنه سمعه قبل اسلامه يدعي
انه انزل عليه يا وبر يا وبر لك اذنان وصدر وانك لتعلم يا عمرو فقال والله اني لاعلم انك تكذب وقال بعض المتقدمين صور
ما شئت في قلبك وتفكر فيه ثم قسه الى ضده فانك اذا ميزت بينهما عرفت الحق من الباطل والصدق من الكذب قال كانك تصور
محمدا صلى الله عليه وسلم ثم تتفكر فيما اتى به من القران فتقرا ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس الاية ثم تصور ضد محمد صلى الله عليه وسلم فتجده مسيلمة ثم تتفكر فيما جاء به فتقرا الا ايتها الضفدع قد هيي
لك المضجع يعني قوله لسجاح حين تزوج بها قال فترى هذا يعني القران رصينا عجيبا يلوط بالقلب ويحسن في السمع
وترى ذا يعني قول مسيلمة باردا غثا فاحشا فتعلم ان محمدا حق اتى بالوحي وان مسيلمة كذاب اتى بالباطل

## الحديث الثاني عشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه حديث حسن رواه الترمذي وغيره هكذا
الحديث خرجه الترمذي وابن ماجه من رواية الاوزاعي عن قرة بن عبد الرحمن عن الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال الترمذي
غريب وقد حسنه المصنف رحمه الله لان رجال اسناده ثقات وقرة بن عبد الرحمن بن حيويل وثقه قوم وضعفه اخرون وقال ابن
عبد البر هذا الحديث محفوظ عن الزهري بهذا الاسناد من رواية الثقات وهذا موافق لتحسين الشيخ رحمه الله له واما اكثر
الائمة فقالوا ليس هو محفوظا بهذا الاسناد وانما هو محفوظ عن الزهري منهم مالك في الموطا ويونس ومعمر وابراهيم بن سعد
الا انه قال من ايمان المرء تركه ما لا يعنيه وممن قال انه لا يصح الا عن علي بن الحسين مرسلا الامام احمد ويحيى بن معين والبخاري والدار
قطني وقد خلط الضعفاء في اسناده على الزهري تخليطا فاحشا والصحيح فيه المرسل ورواه عبد الله بن عمر العمري عن الزهري
عن علي بن الحسين عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ووصله بهذا البخاري في تاريخه من هذا الوجه ايضا وقال لا يصح الا عن علي بن الحسين
مرسلا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه اخر وكلها ضعيفة وهذا الحديث اصل عظيم من اصول الادب وقد حكى
الامام ابو عمرو بن الصلاح عن ابي محمد بن ابي زيد امام المالكية في زمانه انه قال جماع ادب الخير وازمته تتفرع من اربعة احاديث
قول النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا
يعنيه وقوله للذي اختصر له في الوصية لا تغضب وقوله المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه ومعنى هذا الحديث ان من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه من قول وفعل واقتصر على ما يعنيه من الاقوال والافعال ومعنى يعنيه ان تتعلق عنايته به ويكون من مقصده ومطلوبه
والعناية شدة الاهتمام بالشيء يقال عناه يعنيه اذا اهتم به وطلبه وليس المراد انه يترك ما لا عناية له ولا ارادة بحكم الهوى وطلب

النفس بل بحكم الشرع والاسلام ولهذا جعله من حسن الاسلام فاذا حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه في الاسلام من الاقوال
والافعال فان الاسلام يقتضي فعل الواجبات كما سبق ذكره في شرح حديث جبريل عليه السلام وان الاسلام الكامل الممدوح
يدخل فيه ترك المحرمات كما قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده واذا حسن الاسلام اقتضى ترك ما لا يعني
كله من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج اليها فان هذا كله لا يعني
المسلم اذا كمل اسلامه وبلغ الى درجة الاحسان وهو ان يعبد الله كانه يراه فان لم يكن يراه فان الله يراه فمن عبد الله على استحضار
قربه ومشاهدته بقلبه او على استحضار قرب الله منه واطلاعه عليه فقد حسن اسلامه ولزم من ذلك ان يترك كل ما لا يعنيه في الاسلام
ويشتغل بما يعنيه فيه فانه يتولد من هذين المقامين الاستحياء من الله وترك كل ما يستحيى منه كما وصى صلى الله عليه وسلم رجلا ان
يستحيي من الله كما يستحيي من رجل من صالح عشيرته لا يفارقه وفي المسند والترمذي عن ابن مسعود مرفوعا الاستحياء من
الله ان تحفظ الراس وما حوى وتحفظ البطن وما وعى ولتذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء قال بعضهم
استحي من الله على قدر قربه منك وخف الله على قدر قدرته عليك وقال بعض العارفين اذا تكلمت فاذكر سمع الله لك واذا سكت فاذكر
نظره اليك وقد وقعت الاشارة في القرآن العظيم الى هذا المعنى في مواضع كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به
نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله
وما تكون في شان وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا
في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين وقوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون واكثر ما يراد
بترك ما لا يعني حفظ اللسان من لغو الكلام كما اشير الى ذلك في الآيات الاولى التي في سورة ق وفي المسند من حديث الحسين رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من حسن اسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه وخرج الخرائطي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه
قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اني مطاع في قومي فما آمرهم فقال آمرهم بافشاء السلام وقلة الكلام الا
فيما يعنيهم وفي صحيح ابن حبان عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في صحف ابراهيم عليه السلام وعلى العاقل ما لم يكن
مغلوبا على عقله ان يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله و
ساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا لثلاث تزود لمعاد او مرمة
لمعاش او لذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل
كلامه فيما لا يعنيه وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وهو كما قال فان كثيرا من الناس
لا يعد كلامه من عمله فيجازف فيه ولا يتحرى وقد خفي هذا على معاذ بن جبل رضي الله عنه حتى سال عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال
انؤاخذ بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم وقد نفى
الخير عن كثير مما يتناجى به الناس بينهم فقال لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
وخرج الترمذي وابن ماجه من حديث ام حبيبة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كلام ابن آدم عليه لا له الا الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله عز وجل وقد تعجب قوم من هذا الحديث عند سفيان الثوري فقال سفيان وما تعجبكم
من هذا اليس الله قد قال لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس اليس قد قال تعالى يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وخرج الترمذي من حديث انس رضي الله عنه قال توفي رجل
من اصحابه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ابشر بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او لا تدري لعله تكلم فيما لا يعنيه او بخل
بما لا يغنيه وقد روي هذا الحديث من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها انه قتل شهيدا وخرج
ابو القاسم البغوي في معجمه من حديث ابن شهاب بن مالك وكان قد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم و
قالت له امراة يا رسول الله الا تسلم علينا فقال انكن من قبيل يقللن الكثير ويمنعن ما لا يعنيهن ويسالن عما لا يعنيهن وخرج
العقيلي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا اكثر الناس ذنوبا اكثرهم كلاما فيما لا يعنيه قال عمرو بن قيس الملائي مر رجل
بلقمان والناس عنده فقال الست عبد بني فلان قال بلى قال الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال
صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني وقال وهب بن منبه كان في بني اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما ان [illegible]

الحمد لله
الحمد لله
الحمد لله لله ... المعصوم

وقف جع
رجل صح

١٥

على الماء فبينما هما يمشيان في البحر اذا هما برجل يمشي على الهواء فقالا له يا عبد الله باي شيء ادركت هذه المنزلة فقال بيسير من الدنيا
فطمت نفسي عن الشهوات وكففت لساني عما لا يعنيني ورغبت فيما دعاني اليه ولزمت الصمت فان اقسمت على الله ابر قسمي
وان سالته اعطاني ودخلوا على بعض الصحابة في مرضه ووجهه يتهلل فسالوه عن سبب تهلل وجهه فقال ما من عمل اوثق عندي من
خصلتين كنت لا اتكلم فيما لا يعنيني وكان قلبي سليما للمسلمين وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ كذا وكذا سنة لم اقدر عليه ولست
بتارك طلبه ابدا قالوا وما هو قال الكف عما لا يعنيني رواه ابن ابي الدنيا وروى اسد بن موسى ثنا ابو معشر عن محمد بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل عليكم رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس فاخبروه وقالوا اخبرنا باوثق عملك
في نفسك قال ان عملي لضعيف واوثق ما ارجو به سلامة الصدر وتركي ما لا يعنيني وروى ابو عبيدة عن الحسن قال من علامة اعراض
الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه خذلانا من الله عز وجل وهذا الحديث يدل على ان ترك ما لا يعني المرء من حسن اسلامه فاذا
ترك ما لا يعنيه وفعل ما يعنيه كله فقد كمل حسن اسلامه وقد جاءت الاحاديث بفضل حسن الاسلام وانه تضاعف حسناته وتكفر
سيئاته والظاهر ان كثرة المضاعفة تكون بحسب حسن الاسلام ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا احسن
احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله عز وجل فالمضاعفة
للحسنة بعشر امثالها لا بد منه والزيادة على ذلك بحسب احسان الاسلام واخلاص النية والحاجة الى ذلك العمل وفضله كالنفقة في
الجهاد وفي الحج وفي الاقارب وفي اليتامى والمساكين واوقات الحاجة الى النفقة ويشهد لذلك ما روي عن عطية عن ابن عمر قال نزلت من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها في الاعراب قيل له فما للمهاجرين قال ما هو اكثر ثم تلا قوله وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما
وخرج النسائي من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اسلم العبد فحسن اسلامه كتب الله له كل حسنة كان از
لفها ثم كان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها الا ان يتجاوز الله وفي رواية اخرى وقيل له
استانف العمل والمراد بالحسنات والسيئات التي كان ازلفها ما سبق منه قبل الاسلام وهذا يدل على انه يثاب بحسناته في الكفر اذا اسلم
وتمحى عنه سيئاته اذا اسلم لكن بشرط ان يحسن اسلامه ويتقي تلك السيئات في حال اسلامه وقد نص على ذلك الامام احمد ويدل على ذلك ما
في الصحيحين عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول الله انؤاخذ بما عملنا في الجاهلية قال اما من احسن منكم في الاسلام فلا يؤاخذ بها
ومن اساء اخذ بعمله في الجاهلية والاسلام وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم لما اسلم اريد ان
اشترط قال تشترط ماذا قلت ان يغفر لي قال اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وخرجه الامام احمد ولفظه ان الاسلام يجب ما كان
قبله من الذنوب وهذا محمول على الاسلام الكامل الحسن جمعا بينه وبين حديث ابن مسعود الذي قبله وفي صحيح مسلم ايضا عن حكيم بن حزام
قال قلت يا رسول الله ارايت امورا كنت اتحنث بها في الجاهلية من صدقة او عتاقة او صلة رحم افيها اجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلمت على ما اسلفت من خير وفي رواية له قال فقلت والله لا ادع شيئا صنعته في الجاهلية الا صنعت في الاسلام مثله وهذا يدل على ان
حسنات الكافر اذا اسلم يثاب عليها كما دل عليه حديث ابي سعيد المتقدم وقد قيل ان سيئاته في الشرك تبدل حسنات ويثاب عليها
اخذا من قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك الى قوله فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات وقد اختلف المفسرون في هذا التبديل على قولين فمنهم من قال هو في الدنيا بمعنى ان الله يبدل من اسلم وتاب بدل ما كان
عليه من الكفر والمعاصي بالايمان والاعمال الصالحة وحكى هذا القول ابراهيم الحربي في غريب الحديث عن اكثر المفسرين وسمى منهم ابن عباس و
عطاء وقتادة والسدي وعكرمة وهو المشهور عن الحسن قال وقال الحسن وابو مالك وغيرهما هي في اهل الشرك خاصة ليس هي في اهل
الاسلام قلت انما يصح هذا القول على ان يكون التبديل في الآخرة كما سياتي واما ان قيل انه في الدنيا فالكافر اذا اسلم والمسلم
اذا تاب في ذلك سواء بل المسلم اذا تاب فهو احسن من الكافر اذا اسلم قال وقال آخرون التبديل في الآخرة جعلت لهم مكان
كل سيئة حسنة منهم عمرو بن ميمون ومكحول وابن المسيب وعلي بن الحسين قال وانكره ابو العالية ومجاهد وخالد سبلان وفيه موضع
انكار ثم ذكر ما حاصله انه يلزم من ذلك ان يكون من كثرت سيئاته احسن حالا ممن قلت سيئاته حيث يعطى مكان كل سيئة
حسنة ثم قال ولو قال قائل انما ذكر الله ان تبدل السيئات حسنات ولم يذكر العدد كيف تبدل فيجوز ان تبدل بان من عمل سيئة واحدة وتاب

منها تبدلا بالفحش الحسنة ومن عمل الفاحشة تبدل الحسنة فيكون حينئذ من قلت سيئاته احسن حالا فلهذا القول وهو التبديل في الاخرة قد انكره ابو العالية وتلا قوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ورده بعضهم بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولكن قد اجيب عن هذا بان التائب يوقف على سيئاته ثم تبدل حسنات قال ابو عثمان النهدي ان المؤمن يؤتى كتابه في ستر من الله فيقرا سيئاته فاذا قراها تغير لها لونه حتى يمر بحسناته فيقراها فيرجع اليه لونه فينظر فاذا سيئاته قد بدلت حسنات فعند ذلك يقول هاؤم اقرؤوا كتابيه ورواه بعضهم عن ابي عثمان عن ابن مسعود وقال بعضهم عن ابي عثمان عن سلمان وفي صحيح مسلم من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لاعلم اخر اهل الجنة دخولا الجنة واخر اهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت اشياء لا اراها هاهنا قال فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فاذا بدلت السيئات بالحسنات في حق من عوقب على ذنوبه بالنار ففي حق من محى سيئاته بالاسلام والتوبة النصوح اولى لان محوها بذلك احب الى الله من محوها بالعقاب وخرج الحاكم من طريق الفضل بن موسى عن ابي العنبس عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتمنين اقوام انهم اكثروا من السيئات قالوا من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات وخرجه ابن ابي حاتم من طريق سليمان بن داود الزهري عن ابي العنبس عن ابي هريرة رضي الله عنه موقوفا وهو اشبه من المرفوع وروي مثل هذا عن الحسن البصري ايضا وهو يخالف قوله المشهور ان التبديل في الدنيا واما ما ذكره الحربي في التبديل وان من قلت سيئاته يزاد في حسناته ومن كثرت سيئاته يقل من حسناته فحديث ابي ذر صريح يرد هذا وانه يعطى مكان كل سيئة حسنة واما قوله يلزم من ذلك ان يكون من كثرت سيئاته احسن حالا ممن قلت سيئاته فيقال انما التبديل في حق من ندم على سيئاته وجعلها نصب عينيه فكلما ذكرها ازداد خوفا ووجلا وحياء من الله تعالى ومسارعة الى الاعمال الصالحة المكفرة كما قال تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا وما ذكرناه كله داخل في العمل الصالح ومن كانت هذه حاله فانه يتجرع من مرارة الندم والاسف على ذنوبه اضعاف ما ذاق من حلاوتها عند فعلها ويصير كل ذنب من ذنوبه سببا لاعمال صالحة ماحية له فلا يستنكر بعد هذا تبديل هذه الذنوب حسنات وقد وردت احاديث صريحة في ان الكافر اذا اسلم وحسن اسلامه تبدلت سيئاته في الشرك حسنات فخرج الطبراني من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابي فروة شطب انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارايت رجلا عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا داجة فهل له من توبة فقال اسلمت قال نعم قال فافعل الخيرات واترك السيئات فيجعلها الله لك حسنات كلها قال وغدراتي وفجراتي قال نعم قال الله اكبر فما زال يكبر حتى توارى وخرجه من وجه اخر باسناد ضعيف عن سلمة بن نفيل عن النبي صلى الله عليه وسلم وخرج ابن ابي حاتم نحوه من حديث مكحول مرسلا وخرج البزار الحديث الاول وعنده عن ابي طويل شطب الممدود انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بمعناه وكذا خرجه ابو القاسم البغوي في معجمه وذكر ان الصواب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير مرسلا ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم طويلا شطبا والشطب في اللغة الممدود فصحفه بعض الرواة وظنه اسم رجل

## الحديث الثالث عشر

عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه البخاري ومسلم هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من حديث قتادة عن انس ولفظ مسلم حتى يحب لجاره او لاخيه على الشك وخرجه الامام احمد ولفظه لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير وهذه الرواية تبين معنى الرواية المخرجة في الصحيحين وان المراد بنفي الايمان نفي بلوغ حقيقته ونهايته فان الايمان كثيرا ما ينفى لانتفاء بعض اركانه وواجباته كقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وقوله لا يؤمن من لا يامن جاره بوائقه وقد اختلف العلماء في مرتكب الكبائر هل يسمى مؤمنا ناقص الايمان ام لا يسمى مؤمنا وانما يقال هو مسلم وليس بمؤمن على قولين وهما روايتان عن احمد واما من ارتكب الصغائر فلا يزول اسم الايمان عنه بالكلية بل هو مؤمن ناقص الايمان ينقص من ايمانه بحسب ما ارتكب من ذلك والقول بان من ارتكب الكبائر يقال له مؤمن ناقص الايمان مروي عن جابر بن عبد الله وهو قول ابن المبارك واسحق وابي عبيد وغيرهم والقول بانه مسلم ليس بمؤمن مروي عن ابي جعفر محمد بن علي وذكر بعضهم انه المختار عند اهل السنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما الزاني ينزع منه نور الايمان وقال ابو هريرة رضي الله عنه ينزع منه الايمان فيكون فوقه كالظلة فاذا تاب عاد اليه وقال عبد الله بن رواحة وابو الدرداء الايمان





يلبسه الانسان تارة ويخلعه اخرى وكذا قال الامام احمد وغيره والمعنى انه اذا كمل خصال الايمان لبسه فاذا نقص منها شيئا نزعه وكل هذا اشارة الى الايمان الكامل التام الذي لا ينقص من واجباته شيء والمقصود ان من جملة خصال الايمان الواجبة ان يحب المرء لاخيه المؤمن ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه فاذا زال ذلك عنه فقد نقص ايمانه بذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي هريرة رضي الله عنه احب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما خرجه الترمذي وابن ماجه وخرج الامام احمد من حديث معاذ رضي الله عنه انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن افضل الايمان قال افضل الايمان ان تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله قال وماذا يا رسول الله قال ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وان تقول خيرا او تصمت وقد رتب النبي صلى الله عليه وسلم دخول الجنة على هذه الخصلة ففي مسند الامام احمد عن يزيد بن اسد القسري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحب الجنة قلت نعم قال فاحب لاخيك ما تحب لنفسك وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فمن احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر وياتي الى الناس الذي يحب ان يؤتى اليه وفيه ايضا عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اني اراك ضعيفا واني احب لك ما احب لنفسي لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وانما نهاه عن ذلك لما راى من ضعفه وهو صلى الله عليه وسلم يحب هذا لكل ضعيف وانما كان يتولى امور الناس لان الله قواه على ذلك وامره بدعاء الخلق كلهم الى طاعته وان يتولى سياسة دينهم ودنياهم وقد روي عن علي رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارضى لك ما ارضى لنفسي واكره لك ما اكره لنفسي لا تقرا القران وانت جنب ولا وانت راكع ولا ساجد وكان محمد بن واسع رحمه الله يبيع حمارا فقال له رجل اترضاه لي قال لو رضيته لم ابعه وهذه اشارة منه الى انه لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه وهذا كله من جملة النصيحة لعامة المسلمين التي هي من جملة الدين كما سبق تفسير ذلك في موضعه وذكرنا فيما تقدم في موضع حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر خرجاه في الصحيحين وهذا يدل على ان المؤمن يسوؤه ما يسوء اخاه المؤمن ويحزنه ما يحزنه وحديث انس يدل على ان المؤمن يسره ما يسر اخاه المؤمن ويريد لاخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير وهذا كله انما ياتي من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد فان الحسد يقتضي ان يكره الحاسد ان يفوقه احد في خير او يساويه فيه لانه يحب ان يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم والايمان يقتضي خلاف ذلك وهو ان يشركه المؤمنون كلهم فيما اعطاه الله من الخير من غير ان ينقص عليه منه شيء وقد مدح الله في كتابه من لا يريد العلو في الارض ولا الفساد فقال تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وروى ابن جرير باسناد فيه نظر عن علي رضي الله عنه قال ان الرجل ليعجبه من شراك نعله ان يكون اجود من شراك صاحبه فيدخل في قوله تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وكذا روي عن الفضيل بن عياض في هذه الاية قال لا يحب ان يكون نعله اجود من نعل غيره وقد قيل ان هذا محمول على انه اذا اراد الفخر على غيره لا مجرد التجمل قال عكرمة وغيره من المفسرين في هذه الاية العلو في الارض التكبر وطلب الشرف والمنزلة عند ذي سلطانها والفساد العمل بالمعاصي وقد ورد ما يدل على انه لا ياثم من كره ان يفوقه احد من الناس في الجمال فخرج الامام احمد والحاكم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعنده مالك بن مرارة الرهاوي فادركته وهو يقول يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما احب ان احدا من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما اليس ذلك هو البغي قال لا ليس ذلك بالبغي ولكن البغي من بطر او قال سفه الحق وغمط الناس وخرج ابو داود معناه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه الكبر بدل البغي فنفى ان يكون كراهته لان يفوقه احد في الجمال بغيا او كبرا وفسر البغي والكبر ببطر الحق وهو التكبر عليه والامتناع من قبوله كبرا اذا خالف هواه ومن هنا قال بعض السلف التواضع ان تقبل الحق من كل من جاء به وان كان صغيرا فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان كبيرا او صغيرا وسواء كان يحبه او لا يحبه فهو متواضع ومن ابى قبول الحق تعاظما عليه فهو متكبر وغمط الناس هو احتقارهم وازدراؤهم وذلك يحصل من النظر الى النفس بعين الكمال والى غيره بعين النقص وفي الجملة فينبغي للمؤمن ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه فان راى في اخيه المسلم نقصا في دينه اجتهد في اصلاحه وقال بعض الصالحين من السلف اهل المحبة لله نظروا بنور الله وعطفوا على اهل معاصي الله مقتوا اعمالهم وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن افعالهم واشفقوا على ابدانهم من النار لا يكون المؤمن مؤمنا حقا حتى يرضى للناس

ما يرضاه لنفسه فان راى في غيره فضيلة فاق بها عليه فتمنى لنفسه مثلها فان كانت تلك الفضيلة دينية كان حسنا وقد تمنى النبي صلى الله عليه وسلم
لنفسه منزلة الشهادة وقال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فهو ينفقه اناء الليل واناء النهار ورجل اتاه الله القرآن فهو
يقوم به اناء الليل واناء النهار وقال في الذي راى من ينفق ماله في طاعة الله فقال لو ان لي مالا لفعلت فيه كما فعل فهما في الاجر سواء وان
كانت دنيوية فلا خير في تمنيها كما قال تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ
عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا واما قول الله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فقد فسر ذلك
بالحسد وهو تمني الرجل نفس ما اعطي اخوه من اهل ومال وان ينتقل ذلك اليه وفسر ايضا بتمني ما هو ممتنع شرعا او قدرا كتمني النساء ان يكن
رجالا او ان يكون لهن مثل ما للرجال من الفضائل الدينية كالجهاد والدنيوية كالميراث والعقل والشهادة ونحو ذلك وقيل ان الآية
تشمل ذلك كله ومع هذا كله فينبغي للمؤمن ان يحزن لفوات الفضائل الدينية ولهذا امر ان ينظر في الدين الى من فوقه وان ينافس في
طلب ذلك جهده وطاقته كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ولا يكره ان احدا يشاركه في ذلك بل يحب للناس كلهم المنافسة
فيه ويحثهم على ذلك وهو من تمام اداء النصيحة للاخوان قال الفضيل ان كنت تحب ان يكون الناس مثلك فما اديت النصيحة لاخيك كيف وانت
تحب ان يكونوا دونك يشير الى ان اداء النصيحة لهم ان يحب ان يكونوا فوقه وهذه منزلة عالية ودرجة رفيعة في النصح وليس ذلك بواجب وانما
المامور به في الشرع ان يحب ان يكونوا مثله ومع هذا فاذا فاقه احد في فضيلة دينية اجتهد في لحاقه وحزن على تقصير نفسه وتخلفه
عن لحاق السابقين لا حسدا لهم على ما اتاهم الله بل منافسة لهم وغبطة وحزنا على النفس بتقصيرها وتخلفها عن درجات السابقين
وينبغي للمؤمن ان لا يزال يرى نفسه مقصرا عن الدرجات العالية فيستفيد بذلك امرين نفيسين الاجتهاد في طلب الفضائل
والازدياد منها والنظر الى نفسه بعين النقص وينشا من هذا ان يحب للمؤمنين ان يكونوا خيرا منه لانه لا يرضى لهم ان يكونوا على
مثل حاله كما انه لا يرضى لنفسه بما هي عليه بل هو مجتهد في اصلاحها وقد قال محمد بن واسع لابنه اما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله
فمن كان لا يرضى عن نفسه فكيف يحب للمسلمين ان يكونوا مثله مع نصحه لهم بل يحب للمسلمين ان يكونوا خيرا منه وان علم المرء ان الله قد خصه على
غيره بفضل فاخبر به لمصلحة دينية وكان اخباره على وجه التحدث بالنعم ويرى نفسه مقصرا بالشكر كان جائزا فقد قال ابن مسعود رضي
الله عنه ما اعلم احدا اعلم بكتاب الله مني ولا يمنع هذا ان يحب للناس ان يشاركوه فيما خصه الله به فقد قال ابن عباس رضي الله عنه اني لامر
على الآية من كتاب الله فاود ان الناس كلهم يعلمون منها ما اعلم وقال الشافعي رحمه الله وددت ان الناس تعلموا هذا العلم ولم
ينسبوا الي منه شيء وكان عتبة الغلام اذا اراد ان يفطر يقول لبعض اخوانه المطلعين على اعماله اخرج الي ماء او تمرات افطر عليها ليكون لك
مثل اجري

## الحديث الرابع عشر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة رواه البخاري ومسلم هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من رواية الاعمش
عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه وفي رواية لمسلم التارك للاسلام بدل قوله لدينه وفي هذا المعنى احاديث متعددة فخرج
مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل حديث ابن مسعود وخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عثمان
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بعد اسلامه او زنى بعد احصانه او قتل نفسا بغير نفس
وفي رواية النسائي رجل زنى بعد احصانه فعليه الرجم او قتل عمدا فعليه القود او ارتد بعد اسلامه فعليه القتل وقد روي هذا المعنى عن النبي
صلى الله عليه وسلم من رواية ابن عباس وابي هريرة وانس وغيرهم رضي الله عنهم وقد ذكرنا حديث انس فيما تقدم وفيه تفسير الخصال الثلاث بخصال
حق الاسلام التي يستباح بها دم من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والقتل بكل واحدة من هذه الخصال الثلاث متفق عليه
بين المسلمين اما زنا الثيب فاجمع المسلمون على ان حده الرجم حتى يموت وقد رجم النبي صلى الله عليه وسلم ماعزا والغامدية
وكان في القرآن الذي نسخ لفظه والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وقد استنبط ابن عباس الرجم من القرآن
من قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قال فمن كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن
من حيث لا يحتسب ثم تلا هذه الآية وقال كان الرجم مما اخفوا خرجه النسائي والحاكم وقال صحيح الاسناد ويستنبط ايضا من قوله





تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا قال الزهري بلغنا انها نزلت
في اليهوديين اللذين رجمهما النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني احكم بما في التوراة وامر بهما فرجما وخرج مسلم في صحيحه من حديث البراء
بن عازب قصة رجم اليهوديين وقال في حديثه فانزل الله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون في الكفار كلها وخرجه الامام احمد وعنده فانزل الله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقولون
ان افتاكم بالتحميم والجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا الى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال في اليهود وروي من حديث
جابر قصة رجم اليهوديين وفي حديثه قال فانزل الله فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم الى قوله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
وكان الله تعالى قد امر اولا بحبس النساء الزواني الى ان يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا ثم جعل الله لهن السبيل ففي صحيح مسلم عن
عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب
بالثيب جلد مائة والرجم وقد اخذ بظاهر هذا الحديث جماعة من العلماء واوجبوا جلد الثيب مائة ثم رجمه كما فعل علي بشراحة الهمدانية
وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير الى ان كتاب الله فيه جلد الزانيين من غير تفصيل بين ثيب وبكر
وجاءت السنة برجم الثيب خاصة مع استنباطه من القرآن ايضا وهذا القول هو المشهور عن الامام احمد رحمه الله واسحق وهو قول
الحسن وطائفة من السلف وقالت طائفة منهم ان كان الثيبان شيخين رجما وجلدا وان كانا شابين رجما بغير جلد لان ذنب
الشيخ اقبح لاسيما بالزنا وهذا قول ابي بن كعب وروي عنه مرفوعا ولا يصح رفعه وهو رواية عن احمد واسحق ايضا واما
النفس بالنفس فمعناه ان المكلف اذا قتل نفسا بغير نفس عمدا فانه يقتل بها وقد دل القرآن على ذلك بقوله تعالى وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى
ويستثنى من عموم قوله تعالى النفس بالنفس صور منها ان يقتل الوالد ولده فالجمهور انه لا يقتل به وصح ذلك عن عمر رضي الله عنه
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة وقد تكلم في اسانيدها وقال مالك ان تعمد قتله تعمدا لا يشك فيه مثل ان يذبحه
فانه يقتل به وان حذفه بسيف او عصا لم يقتل وقال الليث يقتل به بجميع وجوه العمد للعمومات ومنها ان يقتل الحر عبدا
فالاكثرون على انه لا يقتل به وقد وردت بذلك احاديث في اسانيدها مقال وقيل يقتل بعبد غيره دون عبده وهو قول ابي حنيفة
واصحابه وقيل يقتل بعبده وعبد غيره وهو رواية عن الثوري وقول طائفة من اهل الحديث لحديث سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه وقد طعن فيه الامام احمد وغيره وقد اجمعوا على انه لا قصاص بين العبيد والاحرار
في الاطراف وهذا يدل على ان هذا الحديث مطرح لا يعمل به وهذا مما يستدل به على ان المراد بقوله تعالى النفس بالنفس الاحرار لانه
ذكر بعده القصاص في الاطراف وهو يختص بالاحرار ومنها ان يقتل المسلم كافرا فان كان حربيا لم يقتل به بلا خلاف
لان قتل الحربي مباح بلا ريب وان كان ذميا او معاهدا فالجمهور انه لا يقتل به ايضا وفي صحيح البخاري عن علي عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر وقال ابو حنيفة وجماعة من فقهاء الكوفيين يقتل به وقد روى ربيعة عن ابن البيلماني
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قتل رجلا من اهل القبلة برجل من اهل الذمة وقال انا احق من وفى بذمته وهذا مرسل ضعيف
قد ضعفه الامام احمد وابو عبيد وابراهيم الحربي والجوزجاني وابن المنذر والدارقطني وقال ابن البيلماني ضعيف لا تقوم به حجة
اذا وصل الحديث فكيف اذا ارسل وقال الجوزجاني انما اخذه ربيعة عن ابراهيم بن ابي يحيى عن ابن المنكدر عن ابن البيلماني
وابن ابي يحيى متروك الحديث وفي مراسيل ابي داود حديث يقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر قتل مسلما بكافر قتله غيلة
وقال هذا لا تشترط فيه المكافاة فيقتل فيه المسلم بالكافر وعلى هذا حمل حديث ابن البيلماني على تقدير صحته ومنها ان يقتل
الرجل امراة فيقتل بها بغير خلاف وفي كتاب عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل يقتل بالمراة وصح عنه صلى الله عليه وسلم
انه قتل يهوديا قتل جارية واكثر العلماء على انه لا يدفع الى اولياء الرجل شيء وروي عن علي رضي الله عنه انه يدفع اليهم نصف الدية لان دية المراة

وضعف دية الرجل وهو قول طايفة من السلف واحمد في رواية عنه واما التارك لدينه المفارق للجماعة فالمراد به من ترك
الاسلام وارتد عنه وفارق جماعة المسلمين كما جا التصريح بذلك في حديث عثمان وانما استثناه مع من يحل دمه من اهل الشهادتين
باعتبار ما كان عليه قبل الردة وحكم الاسلام لازم له بعدها ولهذا يستتاب منه ويطلب منه العود الى الاسلام وفي الزامه بقضا ما فاته
في زمن الردة من العبادات اختلاف مشهور بين العلما وايضا فقد يترك دينه ويفارق الجماعة وهو مقر بالشهادتين ويدعي الاسلام
كما اذا جحد شيا من اركان الاسلام او سب الله ورسوله او كفر ببعض الملايكة او النبيين او الكتب المذكورة في القران مع العلم بذلك
وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بدل دينه فاقتلوه ولا فرق في هذا بين الرجل والمراة عند اكثر العلما
ومنهم من قال لا تقتل المراة اذا ارتدت كما لا تقتل نسا اهل الحرب في الحرب وانما تقتل رجالهم وهذا قول ابي حنيفة واصحابه وجعلوا
الكفر الطاري كالاصلي والجمهور فرقوا بينهما وجعلوا الطاري اغلظ لما سبقه من الاسلام ولهذا يقتل بالردة عنه من
لا يقتل من اهل الحرب كالشيخ الفاني والزمن والاعمى ولا يقتلون في الحرب وقوله صلى الله عليه وسلم التارك لدينه المفارق
للجماعة يدل على انه لو تاب ورجع الى الاسلام لم يقتل لانه ليس بتارك لدينه بعد رجوعه ولا مفارق للجماعة فان قيل بل استثنى
هذا ممن يعصم دمه من اهل الشهادتين باعتبار ما كان ولو كان تايبا من الشهادتين كما يقتل الزاني المحصن وقاتل النفس وهذا
يدل على ان المرتد لا تقبل توبته وانما تقبل توبة من كان كافرا ثم اسلم ثم ارتد على قول طايفة من العلما منهم الليث بن سعد و
احمد في رواية عنه واسحق قيل انما استثناه من المسلمين باعتبار ما كان عليه قبل مفارقة دينه كما سبق تقريره وليس هذا كالثيب
الزاني وقاتل النفس لان قتلهما وجب عقوبة لجريمتهما الماضية ولا يمكن تلافي ذلك واما المرتد فانما قتل لوصف قايم به
في الحال وهو ترك دينه ومفارقة الجماعة فاذا عاد الى دينه والى موافقة الجماعة فالوصف الذي ابيح به دمه قد انتفى فتزول
اباحة دمه فان قيل فقد خرج النساي من حديث عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امري مسلم الا
باحدى ثلاث خصال زان محصن يرجم ورجل قتل متعمدا فيقتل ورجل خرج عن الاسلام فحارب الله ورسوله فيقتل او يصلب
او ينفى من الارض وهذا يدل على ان المراد من جمع بين الردة والمحاربة قيل قد خرج ابو داود حديث عايشة بلفظ اخر
وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امري مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الا باحدى ثلاث زنا بعد احصان
فانه يرجم ورجل خرج محاربا لله ورسوله فانه يقتل او يصلب او ينفى من الارض او يقتل نفسا فيقتل بها وهذا يدل على انه
من وجد منه الحرب من المسلمين خير الامام فيه مطلقا كما يقول علما اهل المدينة مالك وغيره والرواية الاولى قد تحمل على ان المراد
بخروجه عن الاسلام خروجه عن احكام الاسلام وقد تحمل على ظاهرها ويستدل بذلك من يقول ان اية المحاربة تختص بالمرتدين
فمن ارتد وحارب فعل به ما في الاية ومن حارب من غير ردة اقيمت عليه احكام المسلمين من القصاص والقطع في السرقة لكنها رواية
عن احمد غير مشهورة عنه وكذا قالت طايفة من السلف ان اية المحاربة تختص بالمرتدين منهم ابو قلابة وغيره وبكل حال فحديث
عايشة الفاظه مختلفة وقد روي عنها مرفوعا وروي عنها موقوفا وحديث ابن مسعود لفظه لا اختلاف فيه وهو ثابت متفق على صحته
ولكن يقال حينئذ قد ورد قتل المسلم بغير احدى هذه الخصال الثلاث فمنها في اللواط وقد جاء من حديث ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوا الفاعل والمفعول به واخذ به كثير من العلما كمالك واحمد وقالوا انه يوجب القتل
بكل حال محصنا كان او غير محصن وقد روي عن عثمان رضي الله عنه انه قال لا يحل دم امري مسلم الا باربع فذكر الثلاث المتقدم
وزاد هو رجل عمل عمل قوم لوط ومنها من اتى ذات محرم وقد ورد الامر بقتله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل من تزوج
بامراة ابيه واخذ بذلك طايفة من العلما واوجبوا القتل مطلقا محصنا كان او غير محصن ومنها الساحر وفي
الترمذي من حديث جندب حد الساحر ضربه بالسيف وذكر ان الصحيح وقفه على جندب وهو مذهب جماعة من العلما
منهم عمر بن عبد العزيز ومالك واحمد واسحق ولكن هولا يقولون انه يكفر بسحره فيكون حكمه حكم المرتدين ومنها
قتل من وقع على بهيمة وقد ورد فيه حديث مرفوع وقال به طايفة من العلما ومنها من ترك الصلاة فانه يقتل عند كثير

من العلما



من العلما مع قولهم انه ليس بكافر وقد سبق ذكر ذلك مستوفى ومنها قتل شارب الخمر في المرة الرابعة وقد ورد الامر به
عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة واخذ بذلك عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره واكثر العلما على ان القتل انتسخ
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي به في المرة الرابعة فلم يقتله وفي صحيح البخاري ان رجلا كان يوتى به النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر
فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يوتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ولم يقتله بذلك وقد روي قتل
السارق في المرة الخامسة وقيل ان بعض الفقها ذهب اليه ومنها ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا بويع لخليفتين
فاقتلوا الاخر منهما خرجه مسلم من حديث ابي سعيد وقد ضعف العقيلي احاديث هذا الباب كلها ومنها قوله صلى الله
عليه وسلم من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد فاراد ان يشق عصاكم او يفرق جماعتكم فاقتلوه وفي رواية فاضربوا راسه
بالسيف كاينا من كان وقد خرجه مسلم ايضا من رواية عرفجة ومنها من شهر السلاح ثم وضعه فدمه هدر وقد روي
وقد روي عن ابن الزبير مرفوعا وموقوفا وقال البخاري انما هو موقوف وسيل احمد عن معنى هذا الحديث فقال ما ادري ما هذا وقال
اسحق بن راهويه انما يريد من شهر سلاحه ثم وضعه في الناس حتى استعرض الناس فقد حل قتله وهو مذهب الحرورية يستعرضون
الرجال والنسا والذرية وقد روي عن عايشة رضي الله عنها ما يخالف تفسير اسحق فخرج الحاكم من رواية علقمة بن ابي علقمة عن امه ان غلاما
شهر السيف على مولاه في امارة سعيد بن العاص وتفلت به عليه فامسكه الناس عنه فدخل المولى على عايشة رضي الله عنها فقالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من اشار بحديدة الى احد من المسلمين يريد قتله فقد وجب دمه فاخذه مولاه فقتله وقال صحيح على شرط الشيخين
وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قتل دون ماله فهو شهيد وفي رواية من قتل دون دمه فهو شهيد فاذا اريد مال المرء او دمه دافع
عنه بالاسهل هذا مذهب الشافعي واحمد وهل يجب عليه ان يبتدي الاسهل بل يقتله ام لا فيه روايتان عن احمد وقد ذهب طايفة الى ان
من اراد ماله او دمه ابيح له قتله ابتدا ودخل على ابن عمر رضي الله عنهما لص فقام اليه بالسيف صلتا فلولا انهم حالوا بينه وبينه لقتله وسيل
الحسن عن لص دخل بيت رجل ومعه حديدة فقال اقتله باي قتلة قدرت عليه وهولا اباحوا قتله وان ولى هاربا من غير جناية منهم ابو
السختياني وخرج الامام احمد من حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدار حرم فمن دخل عليك حرمك فاقتله ولكن في اسناده
ضعف ومنها قتل الجاسوس المسلم اذا تجسس للكفار على المسلمين وقد توقف فيه احمد واباح قتله طايفة من اصحاب مالك وابن عقيل
من اصحابنا ومن المالكية من قال ان تكرر ذلك منه ابيح قتله بقول النبي صلى الله عليه وسلم في حق حاطب بن ابي بلتعة لما كتب الكتاب الى اهل مكة
يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ويامرهم باخذ حذرهم فاستاذن عمر في قتله فقال انه شهد بدرا فلم يقل انه لم يات ما يبيح دمه وانما
علل بوجود مانع من قتله وهو شهوده بدرا ومغفرة الله لاهل بدر وهذا المانع منتف في حق من بعده ومنها ما خرجه
ابو داود في المراسيل من رواية ابن المسيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ضرب اباه فاقتلوه وروي بسند من وجوه اخر لا تصح والله اعلم
ان من الاحاديث المذكورة ما لا يصح ولا يعرف به قايل معتبر كحديث من ضرب اباه فاقتلوه وحديث قتل السارق في المرة الخامسة
وباقي النصوص كلها يمكن ردها الى حديث ابن مسعود وذلك ان حديث ابن مسعود يتضمن انه لا يستباح دم المسلم الا باحدى ثلاث
خصال اما ان يترك دينه ويفارق جماعة المسلمين واما ان يزني وهو محصن واما ان يقتل نفسا بغير حق فيوخذ منه ان قتل المسلم لا يستباح
الا باحدى ثلاثة انواع ترك الدين واراقة الدم الحرام وانتهاك الفرج الحرام فهذه الانواع الثلاثة هي التي تبيح دم المسلم دون غيرها فاما
انتهاك الفرج الحرام فقد ذكر في الحديث انه الزنا بعد الاحصان وهذا والله اعلم على وجه المثال فان المحصن قد تمت عليه النعمة بنيل
هذه الشهوة بالنكاح فاذا اتاها بعد ذلك من فرج محرم عليه ابيح دمه وقد ينتفي شرط الاحصان فيخلفه شرط اخر وهو
كون الفرج لا يستباح بحال اما مطلقا كاللواط او في حق الواطي كمن وطي ذات محرم بعقد او غيره فهذا الوصف هل يكون
قايما مقام الاحصان وخلفا عنه هذا محل النزاع بين العلما والاحاديث دالة على انه يكون خلفا ويكتفى به في

اباحة الدم واما سفك الدم الحرام فهل يقوم مقام اثارة الفتن المودية الى سفك الدما كتفريق جماعة المسلمين وشق العصا
والمبايعة لامام ثان ودلالة الكفار على عورات المسلمين هذا هو محل النزاع وقد روي عن عمر رضي الله عنه ما يدل على اباحة القتل
بمثل هذا وكذلك شهر السلاح لطلب القتل هل يقوم مقام القتل في اباحة الدم ام لا فابن الزبير وعايشة راياه قايما مقام القتل الحقيقي
في ذلك وكذلك قطع الطريق بمجرده هل يبيح القتل ام لا لانه مظنة لسفك الدما المحرم وقول الله عز وجل من قتل نفسا بغير نفس او فساد
في الارض فكانما قتل الناس جميعا يدل على انه انما يباح قتل النفس بشيين احدهما بالنفس والثاني بالفساد في الارض ويدخل في
الفساد في الارض الحراب والردة والزنا فان ذلك كله فساد في الارض وكذلك تكرر شرب الخمر والاصرار عليه هو مظنة سفك الدما المحرمة
وقد اجتمع الصحابة في عهد عمر على حده ثمانين وجعلوا السكر مظنة الافترا والقذف الموجب لجلد الثمانين ولما قدم وفد عبد القيس
على النبي صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن الاشربة والانتباذ في الظروف قال ان احدكم ليقوم الى ابن عمه يعني اذا شرب فيضربه بالسيف وكان فيهم رجل
قد اصابته جراحة من ذلك فكان يخباها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا كله يرجع الى اباحة الدم بالقتل اقامة لمظان
القتل مقام حقيقته لكن هل نسخ من ذلك ام حكمه باق هذا هو محل النزاع واما ترك الدين ومفارقة الجماعة فمعناه الارتداد عن
دين المسلمين ولو اتى بالشهادتين فلو سب الله ورسوله وهو مقر بالشهادتين ابيح دمه لانه قد ترك بذلك دينه وكذلك لو استهان بالمصحف
والقاه في القاذورات او جحد ما يعلم من الدين بالضرورة كالصلاة وما اشبه ذلك مما يخرج من الدين وهل يقوم مقام ذلك ترك شي
من اركان الاسلام الخمس هذا ينبني على انه هل يخرج من الدين بالكلية بذلك ام لا فمن راه خروجا عن الدين كان عنده كترك الشهادتين
وانكارهما ومن لم يره خروجا عن الدين فاختلفوا هل يلحق بتارك الدين في القتل لكونه ترك احد مباني الاسلام ام لا لكونه لم
يخرج عن الدين ومن هذا الباب ما قاله كثير من العلما في قتل الداعية الى البدع فانهم نظروا الى ان ذلك شبيه بالخروج عن الدين وهو
ذريعة ووسيلة اليه فان استخفى بذلك ولم يدع غيره كان حكمه حكم المنافقين اذا استخفوا واذا دعا الى ذلك تغلظ جرمه لافساد
دين الامة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بقتال الخوارج وقتلهم وقد اختلف العلما رضي الله عنهم في حكمهم فمنهم من قال هم كفار
فيكون قتلهم لكفرهم ومنهم من قال انما يقتلون لفسادهم بسفك دما المسلمين وتكفيرهم وهو قول مالك وطايفة من اصحابنا
واجازوا الابتدا بقتالهم والاجهاز على جريحهم ومنهم من قال ان دعوا الى ما هم عليه قوتلوا وان اظهروه ولم يدعوا اليه لم يقاتلوا
وهو نص احمد واسحق وهو يرجع الى قتال من دعا الى بدعة مغلظة ومنهم من لم ير البداءة بقتالهم حتى يبدءوا بقتال او ما
يبيح قتالهم من سفك دم ونحوه كما روي عن علي وهو قول الشافعي وكثير من اصحابنا وقد روي من وجوه متعددة ان النبي صلى
الله عليه وسلم امر بقتل رجل يصلي وقال لو قتل لكان اول فتنة واخرها وفي رواية لو قتل لم يختلف رجلان من امتي حتى يخرج الدجال
خرجه الامام احمد وغيره فيستدل بهذا على قتل المبتدع اذا كان قتله يكف شره عن المسلمين ويحسم مادة الفتن وقد حكى ابن
عبد البر وغيره عن مذهب مالك جواز قتل الداعي الى البدع فرجعت نصوص القتل كلها الى ما في حديث ابن مسعود بهذا التقرير
وبعد ولله الحمد وكثير من العلما يقول في كثير من هذه النصوص التي ذكرنا انها منسوخة بحديث ابن مسعود وفي هذا نظر من وجهين
احدهما انه لا يعلم ان حديث ابن مسعود كان متاخرا عن تلك النصوص كلها لا سيما وابن مسعود من قدما المهاجرين وكثير
من تلك النصوص يرويها من تاخر اسلامه كابي هريرة وجرير بن عبد الله ومعاوية فان هولا كلهم رووا قتل شارب الخمر
في المرة الرابعة والثاني ان الخاص لا ينسخ بالعام ولو كان العام متاخرا عنه في الصحيح الذي عليه جمهور العلما لان دلالة
الخاص على معناه بالنص ودلالة العام عليه بالظاهر عند الاكثرين فلا يبطل الظاهر حكم النص وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بقتل رجل كذب عليه في حياته وقال للحي من العرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان احكم في اموالكم ودمايكم وهذا روي من
وجوه متعددة كلها ضعيفة وفي بعضها ان هذا الرجل كان خطب امراة منهم في الجاهلية فابوا ان يزوجوه [illegible]

وهذا كزاده



وهذا كرز ورده عن الدين وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم امر عليا بقتل القبطي الذي كان يدخل على ام ولده
مارية وكان الناس يتحدثون بذلك فلما وجده علي مجبوبا تركه وقد حمله بعضهم على ان القبطي لم يكن اسلم بعد وان
المعاهد اذا فعل ما يوذي المسلمين انتقض عهده فكيف اذا اذى النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل كان مسلما
ولكنه نهي عن ذلك فلم ينته حتى تكلم الناس بسببه في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم واذى النبي صلى الله عليه وسلم مبيح للدم لكن لما
ظهرت براءته بالعيان تبين للناس براءة مارية فزال السبب المبيح للقتل وقد روي عن الامام احمد ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان له بغير هذه الاسباب الثلاثة التي في حديث ابن مسعود وغيره ليس له ذلك كانه يشير الى انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يعزر بالقتل ان يقتل
اذا راى ذلك مصلحة لانه صلى الله عليه وسلم معصوم من التعدي والحيف واما غيره فليس له ذلك لانه غير مامون عليه
التعدي بالهوى وقد قال ابو داود سمعت احمد سيل عن حديث ابي بكر رضي الله عنه ما كانت لاحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم
قال لم يكن لابي بكر ان يقتل رجلا الا باحدى ثلاث والنبي صلى الله عليه وسلم كان له ان يقتل وحديث ابي بكر المشار اليه
هو ان رجلا كلم ابا بكر فاغلظ له فقال له ابو برزة الا اقتله يا خليفة رسول الله فقال ابو بكر ما كانت لاحد بعد النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى هذا يتخرج حديث الامر بقتل هذا القبطي ويتخرج عليه ايضا حديث الامر بقتل السارق ان كان صحيحا
فان فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتله اول مرة فراجعوه فيه فقطعه ثم فعل ذلك اربع مرات وهو يامر بقتله فيراجع
15 فيه فيقطع حتى قطعت اطرافه الاربع ثم قتل في الخامسة والله اعلم

## الحديث الخامس عشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره
ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه رواه البخاري ومسلم هذا الحديث خرجاه من طرق عن ابي هريرة وفي بعض
الفاظها فلا يوذي جاره وفي بعضها فليحسن قرى ضيفه وفي بعضها فليصل رحمه بدل ذكر الجار وخرجاه ايضا بمعناه
من حديث ابي شريح الخزاعي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عايشة وابن مسعود وعبد الله
بن عمرو وابي ايوب الانصاري وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فقوله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله
واليوم الاخر فليفعل كذا وكذا يدل على ان هذه الخصال من خصال الايمان وقد سبق ان الاعمال تدخل في الايمان وقد فسر النبي صلى
الله عليه وسلم الايمان بالصبر والسماحة قال الحسن المراد بالصبر عن المعاصي والسماحة بالطاعة واعمال الايمان تارة
تتعلق بحقوق الله كادا الواجبات وترك المحرمات ومن ذلك قول الخير والصمت عن غيره وتارة تتعلق بحقوق عباده
كاكرام الضيف واكرام الجار والكف عن اذاه فهذه ثلاثة اشيا يومر بها المومن احدها قول الخير والصمت عما سواه وقد
روى الطبراني من حديث اسود بن اصرم المحاربي قال قلت يا رسول الله اوصني قال هل تملك لسانك قلت ما املك اذا لم املك لساني
قال فهل تملك يدك قلت فما املك اذا لم املك يدي قال فلا تقل بلسانك الا معروفا ولا تبسط يدك الا الى خير وقد ورد ان استقامة
اللسان من خصال الايمان كما في المسند عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه
حتى يستقيم لسانه وخرج الطبراني من حديث معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يخزن
من لسانه وخرج الطبراني حديث معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم انك لن تزال سالما ما سكت فاذا تكلمت كتب لك او عليك وفي
مسند الامام احمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صمت نجا وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب وخرج الامام احمد من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم
بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وخرج الامام احمد من حديث بلال بن الحارث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل

ليبدو أن الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيتكلم بالكلمة فيتباعد بها أبعد من صنعاء وخرج الإمام أحمد والترمذي
والنسائي من حديث بلال بن الحارث قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ
ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له
بها سخطه إلى يوم يلقاه وقد ذكرنا فيما سبق حديث أم حبيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كلام ابن آدم عليه لا له إلا الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر وذكر الله عز وجل فقوله صلى الله عليه وسلم فليقل خيرا أو ليصمت أمر بقول الخير وبالصمت عما عداه وهذا يدل على أنه ليس هناك
كلام يستوي قوله والصمت عنه بل إما أن يكون خيرا فيكون مأمورا بقوله وإما أن يكون غير خير فيكون مأمورا بالصمت عنه وحديث معاذ وأم حبيبة يدلان
على هذا وخرج ابن أبي الدنيا من حديث معاذ بن جبل ولفظه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ ثكلتك أمك وهل تقول شيئا إلا وهو لك
أو عليك وقال الله عز وجل إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقد أجمع السلف
الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات وقد روي ذلك مرفوعا من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان أحدكم يصلي فإنه يناجي ربه والملك عن يمينه وروي من حديث حذيفة مرفوعا أن عن يمينه
كاتب الحسنات واختلفوا هل يكتب كل ما يتكلم به أو لا يكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب على قولين مشهورين وقال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر [illegible] يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وعن يحيى
بن أبي كثير قال ركب رجل حمارا فعثر به فقال تعس الحمار فقال صاحب اليمين ما هي حسنة أكتبها وقال صاحب الشمال ما هي سيئة فأكتبها
فأوحى الله إلى صاحب الشمال ما ترك صاحب اليمين من شيء فاكتبه فأثبت في السيئات تعس الحمار وظاهر هذا أن ما ليس بحسنة
فهو سيئة وإن كان لا يعاقب عليها فإن بعض السيئات قد لا يعاقب عليها وقد تقع مكفرة باجتناب الكبائر ولكن زمانها
قد خسره صاحبها حيث ذهب باطلا فيحصل له بذلك حسرة في القيامة وأسف عليه وهو نوع عقوبة وخرج الإمام
أحمد وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه
إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة وخرجه الترمذي ولفظه ما جلس قوم مجلسا لا يذكرون الله فيه ولم يصلوا
على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وفي رواية لأبي داود والنسائي من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت
عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة زاد النسائي ومن قام مقاما لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله
ترة وخرج البيهقي من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يجلسون مجلسا لا يذكرون الله فيه إلا كان عليهم
حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة وقال مجاهد ما جلس قوم مجلسا فتفرقوا قبل أن يذكروا الله فيه إلا تفرقوا عن أنتن من
ريح الجيفة وكان مجلسهم يشهد عليهم بغفلتهم وما جلس قوم مجلسا فذكروا الله قبل أن يتفرقوا إلا تفرقوا عن أطيب من
ريح المسك وكان مجلسهم يشهد لهم بذكرهم وقال بعض السلف يعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعات عمره فكل ساعة لم يذكر الله
فيها تتقطع نفسه عليها حسرات وخرج الطبراني من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها
إلا حسر عليها يوم القيامة فمن هنا يعلم أن ما ليس بخير من الكلام فالسكوت عنه أفضل من التكلم به اللهم إلا ما تدعو إليه الحاجة مما لا بد منه
وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إياكم وفضول الكلام حسب امرئ ما بلغ حاجته وعن النخعي رحمه الله قال يهلك الناس في
فضول المال والكلام وأيضا فإن الإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه يوجب قساوة القلب كما في الترمذي من حديث ابن عمر مرفوعا
لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلب وإن أبعد القلوب من الله القلب القاسي وقال عمر
من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به وخرجه العقيلي من حديث ابن عمر مرفوعا
بإسناد ضعيف وقال محمد بن عجلان إنما الكلام أربعة أن تذكر الله وتقرأ القرآن وتسأل عن علم فتخبر به أو تكلم فيما يعنيك من
أمر دنياك وقال رجل لسلمان أوصني قال لا تكلم قال ما يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم قال فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت

وكان ابو بكر



وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأخذ بلسانه ويقول هذا أوردني الموارد وقال ابن مسعود رضي الله عنه والذي لا إله
إلا هو ما على وجه الأرض أحق بطول السجن من اللسان وقال وهب بن منبه أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت وقال
شميط بن عجلان يا ابن آدم إنك ما سكت فأنت سالم فإذا تكلمت فخذ حذرك إما لك وإما عليك وهذا باب يطول استقصاؤه
والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالكلام بالخير والسكوت عما ليس بخير وخرج الإمام أحمد وابن حبان من
حديث البراء بن عازب أن رجلا قال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة فذكر الحديث وفيه قال فأطعم الجائع واسق
الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير فليس الكلام مأمورا به على الإطلاق ولا السكوت
كذلك بل لا بد من الكلام بالخير والسكوت عن الشر وكان كثيرا ما يمدحون الصمت عن الشر وعما لا يعني لشدته على النفس ولذلك
يقع الناس فيه كثيرا فكانوا يعالجون أنفسهم ويجاهدونها على السكوت عما لا يعنيهم وقال الفضيل بن عياض ما حج ولا رباط
ولا جهاد أشد من حبس اللسان ولو أصبحت يهمك لسانك أصبحت في غم شديد قال سجن اللسان سجن المؤمن وقيل لابن المبارك
عن قول لقمان لابنه إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب قال معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة كان الصمت
عن معصيته من ذهب وهذا يرجع إلى أن الكف عن المعاصي أفضل من عمل الطاعات وقد سبق القول في هذا مستوفى وتذا
كروا عند الأحنف بن قيس أيما أفضل الصمت أم المنطق فقال قوم الصمت أفضل فقال الأحنف النطق أفضل لأن
فضل الصمت لا يعدو صاحبه والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه وقال رجل من العلماء عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله
الصامت على علم كالمتكلم على علم فقال عمر إني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالا وذلك أن منفعته
للناس وهذا صمته لنفسه فقال يا أمير المؤمنين فكيف بفتنة المنطق فبكى عمر بكاء شديدا ولقد خطب عمر بن عبد العزيز
يوما فرق الناس وبكوا فقطع خطبته فقيل له لو أتممت كلامك رجونا أن ينفع الله به فقال عمر إن القول فتنة والفعل
أولى بالمؤمن من القول وكنت في مدة طويلة قد رأيت أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في المنام وسمعته يتكلم في هذه
المسألة وظني أني فاوضته فيها وفهمت من كلامه أن التكلم بالخير أفضل من السكوت وأظن أنه وقع في أثناء الكلام
ذكر سليمان بن عبد الملك وأن عمر قال ذلك له وقد روي عن سليمان بن عبد الملك أنه قال الصمت منام العقل والنطق يقظته
ولا يتم حال إلا بحال يعني لا بد من الصمت والكلام وما أحسن ما قال عبيد الله بن أبي جعفر فقيه أهل مصر في وقته وكان
أحد الحكماء إذا كان المرء يحدث في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإذا كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتحدث وهذا حسن
فإن من كان كذلك كان سكوته وحديثه بخلاف هواه وإعجابه بنفسه ومن كان كذلك كان جديرا بتوفيق الله إياه و
تسديده في نطقه وسكوته لأن كلامه وسكوته يكون لله عز وجل وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل
قال علامة الطهر أن يكون قلب العبد معلقا عندي فإذا كان كذلك لم ينسني على حال وإذا كان كذلك مننت عليه بالاشتغال بي
كي لا ينساني فإذا نسيني حركت قلبه فإذا تكلم تكلم لي وإذا سكت سكت لي فذلك الذي تأتيه المعونة من عندي خرجه إبراهيم
بن الجنيد وبكل حال فالتزام الصمت مطلقا واعتقاده قربة إما مطلقا أو في بعض العبادات كالحج والاعتكاف
والصيام منهي عنه وروي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صيام الصمت وخرج الإسماعيلي
من حديث علي قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصمت في العكوف وفي سنن أبي داود من حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا صمات يوم إلى الليل وقال أبو بكر رضي الله عنه لامرأة حجت مصمتة إن هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية وروي عن علي بن
الحسين زين العابدين أنه قال صوم الصمت حرام ثم إن [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث المؤمن بإكرام الجار وفي
بعض الروايات النهي عن أذى الجار فأما أذى الجار فمحرم فإن الأذى بغير حق محرم لكل أحد ولكن في حق الجار هو أشد تحريما
وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك

قيل ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قيل ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك وفي مسند الامام احمد عن المقداد بن الاسود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تقولون في الزنا قالوا حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يزني
الرجل بعشر نسوة ايسر عليه من ان يزني بامراة جاره قال ما تقولون في السرقة قالوا حرام حرمها الله ورسوله فهي حرام قال لان
يسرق الرجل من عشرة ابيات ايسر عليه من ان يسرق من جاره وفي صحيح البخاري عن ابي شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن
والله لا يؤمن من لا يامن جاره بوايقه وخرجه الامام احمد وغيره من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوايقه وخرج الامام احمد والحاكم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله
ان فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وفي لسانها شي تؤذي جيرانها سليطة قال لا خير فيها هي في النار وقيل له ان فلانة تصلي المكتوبة وتصوم
رمضان وتتصدق بالاثوار وليس لها شي غيره ولا تؤذي احدا قال هي في الجنة ولفظ الامام احمد ولا تؤذي بلسانها جيرانها وخرج الحاكم من حديث
ابي جحيفة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال له اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمرون به فيلعنونه فجاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لقيت من الناس قال وما لقيت منهم قال يلعنوني قال فقد لعنك الله قبل الناس فقال يا رسول الله
فاني لا اعود وخرجه ابو داود بمعناه من حديث ابي هريرة ولم يذكر فيه فقد لعنك الله قبل الناس وخرج الخرايطي من حديث ام
سلمة قالت دخلت شاة لجارنا فاخذت قرصا لنا فقمت اليها فاجتذبته من بين لحييها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا قليل من اذى
الجار فاما اكرام الجار والاحسان اليه فمامور به وقد قال الله عز وجل واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وبالوالدين احسانا وبذي
القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا
فخورا فجمع الله في هذه الاية بين ذكر حقه على العبد وحقوق العباد على العبد ايضا وجعل العباد الذين امر بالاحسان اليهم
خمسة انواع احدها من بينه وبين الانسان قرابة وخص منهم الوالدين بالذكر لامتيازهما عن سائر الاقارب بما لا يشركونهما
فيه فانهما كانا السبب في وجود الولد ولهما حق التربية والتاديب وغير ذلك الثاني من هو ضعيف محتاج الى الاحسان
وهو نوعان من هو محتاج لضعف بدنه وهو اليتيم ومن هو محتاج لقلة ماله وهو المسكين والثالث من له حق القرب
والمخالطة وجعلهم ثلاثة انواع جار ذو قربى وجار جنب وصاحب بالجنب وقد اختلف المفسرون في تاويل ذلك
فمنهم من قال الجار ذو القربى الجار الذي له قرابة والجار الجنب الاجنبي ومنهم من قال المراة في الجار ذي القربى ومنهم من ادخلها
في الجار الجنب ومنهم من ادخل الرفيق في السفر في الجار الجنب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في دعايه اعوذ بك
من جار السوء في دار الاقامة فان جار البادية يتحول ومنهم من قال الجار ذو القربى الجار المسلم والجار الجنب الكافر وفي مسند البزار
من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو افضل الجيران حقا
فاما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار واما الذي له حقان فجار مسلم له حق الاسلام وحق الجوار واما الذي له ثلاثة
حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وقد روي هذا الحديث من اوجه متصلة ومرسلة ولا تخلو كلها من مقال
وقيل الجار ذو القربى هو القريب الجوار الملاصق والجار الجنب هو البعيد الجوار وفي صحيح البخاري عن عايشة رضي الله عنها قالت قلت
يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا وقالت طايفة من السلف حد الجوار اربعون دارا وقيل مستدار
اربعين دارا من كل جانب وفي مراسيل الزهري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جارا له فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي
الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا يعني بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن
شماله وسيل الامام احمد عمن يطبخ قدرا وهو في دار السبيل ومعه في الدار نحو ثلاثين او اربعين نفسا يعني انهم سكان معه في الدار
فقال يبدا بنفسه وبمن يعول فان فضل فضل اعطى الاقرب اليه وكيف يمكنه ان يعطيهم كلهم قيل له لعل الذي هو جاره يتهاون بذلك

القدر ليس له



القدر ليس له قدر اي انه لا يبعث اليه **واما الصاحب** بالجنب ففسره طايفة بالزوجة وفسره طايفة
منهم ابن عباس رضي الله عنهما بالرفيق في السفر ولم يريدوا اخراج الصاحب الملازم في الحضر انما ارادوا ان صحبة السفر تكفي في
الصحبة الدايمة في الحضر اولى ولهذا قال سعيد بن جبير هو الرفيق الصالح وقال زيد بن اسلم هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر
وقال ابن زيد هو الرجل يعتريك ويلم بك لتنفعه وفي المسند والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره **الرابع** من هو وارد على الانسان غير مقيم عنده
وهو ابن السبيل يعني المسافر اذا ورد الى بلد اخر وفسره بعضهم بالضيف يعني به ابن السبيل اذا نزل ضيفا على احد **الخامس**
ملك اليمين وقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم بهم كثيرا وامر بالاحسان اليهم وروي ان اخر ما وصى به عند موته الصلاة وما ملكت
ايمانكم وادخل بعض السلف في هذه الاية ما يملكه الانسان من الحيوانات والبهايم **ولنرجع** الى شرح حديث ابي هريرة رضي
الله عنه في اكرام الجار وفي الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل يوصيني
بالجار حتى ظننت انه سيورثه فمن انواع الاحسان الى الجار مواساته عند حاجته وفي المسند عن عمر رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يشبع المومن دون جاره وخرج الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ليس المومن الذي يشبع وجاره جايع وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما امن بي من بات
شبعانا وجاره طاويا وفي المسند عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول خصمين يوم القيمة جاران
وفي كتاب الادب للبخاري رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كم من جار متعلق بجاره يوم القيمة
فيقول يا رب هذا اغلق بابه دوني فمنع معروفه وخرج الخرايطي وغيره باسناد ضعيف حديث عطا الخراساني
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه دون جاره مخافة على اهله وماله فليس ذلك بمومن
وليس بمومن من لا يامن جاره بوايقه اتدري ما حق الجار اذا استعانك اعنته واذا استقرضك اقرضته واذا افتقر عدت
اليه واذا مرض عدته واذا اصابه خير هنيته واذا اصابته مصيبة عزيته واذا مات اتبعت جنازته ولا تستطل عليه
بالبنا فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا توذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها فاذا اشتريت فاكهة فاهد له فان لم
تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ورفع هذا الكلام منكر ولعله من تفسير عطا الخراساني
وقد روي ايضا عن عطا الخراساني عن الحسن عن جابر مرفوعا ادنى حقوق الجوار ان لا توذي جارك بقتار قدرك الا
ان تغرف له منها وفي صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه قال اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه
ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها
وتعاهد جيرانك وفي المسند والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه ذبح شاة فقال اهديتم منها
لجارنا اليهودي ثلاث مرات ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه
وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يمنع احدكم جاره ان يغرز خشبة في جداره ثم يقول ابو هريرة
ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم ومذهب الامام احمد ان الجار يلزمه ان يمكن جاره من وضع خشبه
على جداره اذا احتاج الجار الى ذلك ولم يضر بجداره لهذا الحديث الصحيح وظاهر كلام احمد انه يجب عليه ان يواسيه بفضل
ما عنده بالاجرة اذا علم حاجته قال المروذي قلت لابي عبد الله اني اسمع السايل في الطريق يقول اني جايع فقال قد
يصدق وقد يكذب قلت فاذا كان لي جار اعلم انه يجوع قال تواسيه قلت اذا كان قوتي رغيفين قال تطعمه شيا ثم قال الذي
جاء في الحديث انما هو
الجار وقال المروذي قلت
لابي عبد الله الاغنيا
يجب عليهم المواساة
قال اذا كان قوم
يضعون شيا على شي كيف لا يجب عليهم
اذا كان للرجل
قبضة او فضلة جبتان يجمعهم
المواساة قال
اذا كان قوم يضعون شيا على شي كيف

لا يجب عليهم قلت اذا كان للرجل قميصان او ... قلت يحسا لا يجب عليه المواساة قال اذا كان يحتاج ان يكون فضلا وهذا
نص منه في وجوب المواساة مع الفضل لمن لم يخصه بالجار ونص بما يقتضي اختصاصه بالجار وفي رواية هاني في السوال يكذب لولا
احبابنا لو صدقوا ما وسعهم ان لا يواسيهم وهذا يدل على وجوب مواساة الجايع من الجيران وغيرهم وفي الصحيح عن ابي
موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطعموا الجايع وعودوا المريض وفكوا العاني وفي المسند وصحيح الحاكم عن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ايما اهل عرصة اصبح فيهم امرؤ جايعا فقد برئت منهم ذمة الله عز وجل ومذهب احمد ومالك انه يمنع ان
يتصرف في خاص ملكه بما يضر بجاره فيجب عندهما كف الاذى عن الجار بمنع احداث الانتفاع المضر به ولو كان المنتفع
انما ينتفع بخاص ملكه ويجب عند احمد ان يبذل للجار ما يحتاج اليه ولا ضرر عليه في بذله واعلى من هذا ان يصبر على اذى جاره
ولا يقابله بالاذى قال الحسن ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن احسن الجوار احتمال الاذى ويروى من حديث ابي ذر رفعه
ان الله يحب الرجل يكون له الجار يوذيه جواره فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن خرجه الامام احمد
وفي مراسيل ابي عبد الرحمن الحبلي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو اليه جاره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كف اذاك
عنه واصبر على اذاه فكفى بالموت مفرقا خرجه ابن ابي الدنيا **الثالث** مما امر به النبي صلى الله عليه وسلم المومنين اكرام
الضيف والمراد احسان ضيافته وفي الصحيحين من حديث ابي شريح قال ابصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته
اذناي حين تكلم به قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته قال يوم وليلة
قال والضيافة ثلاثة ايام وما كان بعد ذلك فهو صدقة **وخرج** مسلم من حديث ابي شريح ايضا رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الضيافة ثلاثة ايام وجائزته يوم وليلة وما انفق عليه بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له ان يثوي عنده
حتى يوثمه قالوا يا رسول الله وكيف يوثمه قال يقيم عنده ولا شيء عنده يقريه به وخرج الامام احمد من حديث ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه قالها ثلاثا
قالوا وما اكرام الضيف يا رسول الله قال ثلاثة ايام فما جلس بعد ذلك فهو صدقة ففي هذه الاحاديث ان جائزة الضيف
يوم وليلة وان الضيافة ثلاثة ايام ففرق بين الجائزة والضيافة واكد الجائزة وقد ورد في تاكيدها احاديث اخر
فخرج ابو داود من حديث المقداد بن معدي كرب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة الضيف حق على كل مسلم
فمن اصبح بفنائه فهو دين ان شاء اقتضى وان شاء ترك وخرج ابن ماجه ولفظه ليلة الضيف حق على كل مسلم فان
اصبح ... وخرج الامام احمد من حديث المقدام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل اضاف قوما فاصبح الضيف محروما
فان نصره حق على كل مسلم حتى ياخذ بقرى ليلته من زرعه وماله وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله
انك تبعثنا فننزل بقوم لا يقرونا فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزلتم بقوم فامروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا فان لم
يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم وخرج الامام احمد والحاكم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ايما ضيف نزل بقوم فاصبح الضيف محروما فله ان ياخذ بقدر قراه ولا حرج عليه وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما من
لم يضف فليس من محمد ولا من ابراهيم وقال عبد الله بن الحارث بن جزء من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ولا من ابراهيم وقال ابو هريرة
لقوم نزل بهم فاستضافهم فلم يضيفوه فتنحى فنزل فدعاهم الى الطعام فلم يجيبوه فقال لهم لا تنزلون الضيف ولا تجيبون
الدعوة ما انتم من الاسلام على شيء فعرفه رجل منهم فقال له انزل عافاك الله قال هذا شر وشر لا تنزلون الا من تعرفون
وروي عن ابي الدرداء نحو من هذه القصة الا انه قال لهم ما انتم من الدين الا كما بين هذه واشار الى الهدبة في ثوبه وهذه النصوص تدل
على وجوب الضيافة يوما وليلة وهو قول الليث واحمد وقال احمد يطالب به اذا منعه لانه حق له واجب وهل ياخذ بيده من ماله اذا

اعني حنبل

البخاري

يوم

وابو داود

له المطالبة

ومنعه او رفعه



او يرفعه الى الحاكم على روايتين منصوصتين وقال حميد بن زنجويه ليلة الضيف واجبة وليس له ان ياخذ قراه قهرا الا
ان يكون مسافرا في مصالح المسلمين العامة دون مصلحة نفسه وقال الليث بن سعد لو نزل الضيف بالعبد اضافه
من المال الذي بيده وللضيف ان ياكل وان لم يعلم ان سيده اذن له لان الضيافة واجبة وهو قياس قول احمد
لانه نص على انه يجوز اجابة دعوة العبد الماذون له في التجارة وقد روي عن جماعة من الصحابة انهم اجابوا دعوة
المملوك وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا فاذا جاز له ان يدعو الناس الى طعامه ابتداء وجاز لهم ان
يجيبوا دعوته فاضافته لمن نزل به اولى ومنع مالك والشافعي وغيرهما من دعوة العبد الماذون له بدون اذن
سيده ونقل علي بن سعيد عن احمد ما يدل على وجوب الضيافة للغزاة خاصة اذا مروا بهم ثلاثة ايام والمشهور
عنه الاول وهو وجوبها لكل ضيف نزل بقوم واختلف قوله هل يجب على اهل الامصار والقرى ام يختص با
هل القرى ومن كان على طريق يمر بها المسافرون على روايتين منصوصتين عنه والمنصوص عنه انها تجب للمسلم
والكافر وخص كثير من اصحابه الوجوب للمسلم كما لا تجب نفقة الاقارب مع اختلاف الدين على احدى الروايتين
عنه واما اليومان الاخران وهما الثاني والثالث فهما تمام الضيافة والمنصوص عن احمد انه لا تجب الا الجائزة
الاولى وقال قد فرق بين الجائزة والضيافة والجائزة اوكد ومن اصحابنا من اوجب الضيافة ثلاثة ايام منها اليوم والليلة
الاولى وردة احمد بقوله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاثة ايام فما زاد فهو صدقة ولو كان كما ظن لكانت اربعة قلت
ونظير هذا قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض ... وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام و
المراد في تمام الاربعة وهذا الحديث الذي احتج به احمد من حديث ابي شريح وخرجه البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليحسن قرى ضيفه قيل يا رسول الله فما قرى الضيف قال
ثلاثة فما كان بعد فهو صدقة وقال حميد بن زنجويه عليه ان يتكلف له في اليوم والليلة من الطعام اطيب ما يا
كله هو وعياله وفي تمام الثلاث يطعمه من طعامه وفي هذا نظر وسنذكر حديث سلمان بالنهي عن التكلف للضيف
ونقل اشهب عن مالك قال جائزته يوم وليلة يكرمه ويتحفه ويخصه يوم وليلة وثلاثة ايام ضيافة وكان ابن عمر رضي الله عنهما
يمتنع من الاكل من مال من نزل عليه فوق ثلاثة ايام ويامر ان ينفق عليه من ماله ولصاحب المنزل ان يامر الضيف بالتحول
عنه بعد الثلاث لانه قضى ما عليه وفعل ذلك الامام احمد **وقوله** صلى الله عليه وسلم لا يحل له ان يثوي عنده حتى
يحرجه يعني يقيم عنده حتى يضيق عليه لكن هل هذا في الايام الثلاثة ام فيما زاد عليها فاما الثلاث فلا شك في تحريمه و
اما فيما هو واجب وهو اليوم والليلة فيبنى على انه هل تجب الضيافة على من لم يجد شيئا ام لا تجب الا على من وجد ما يضيف به وهو قول
طائفة من اهل الحديث منهم حميد بن زنجويه لم يحل للضيف ان يستضيف من هو عاجز عن ضيافته وقد روي من حديث سلمان رضي الله عنه
قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتكلف ما ليس عندنا فاذا نهي الضيف ان يتكلف للضيف ما ليس عنده دل على انه لا يجب
عليه المواساة للضيف الا مما عنده فاذا لم يكن عنده فضل لم يلزمه شيء واما اذا اثر على نفسه كما فعل الانصاري الذي
نزل فيه ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فذلك مقام فضل واحسان وليس بواجب ولو علم الضيف انهم لا يضيفونه
الا بقوتهم وقوت صبيانهم وان الصبية يتاذون بذلك لم يجز له استضافتهم حينئذ عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ولا يحل له ان يقيم
عنده حتى يحرجه وايضا فالضيافة نفقة واجبة فلا تجب الا على من عنده فضل عن قوته وقوت عياله كنفقة الاقارب و
زكاة الفطر وقد انكر الخطابي تفسير تاثيمه بان يقيم عنده ولا شيء له يقريه وقال اراه غلطا وكيف ياثم في ذلك وهو لا يتسع لقراه

ولا يجد سبيلا اليه وانما يكلف على قدر الطاقة قال وربما وجه الحديث انه كره له المقام عنده بعد ثلاث لئلا يضيق صدره بمكانه فتكون الصدقة على وجه المن والاذى فيبطل اجره وهذا الذي قاله فيه نظر فانه قد صح تصريحه في الحديث بما انكره وانما وجهه اذا اقام عنده ولا شي له يقريه به فربما دعاه ضيق صدره به وحرجه الى المأثم به في قول او فعل وليس المراد انه يأثم بتركه قراه مع عجزه عنه والله اعلم

## الحديث السادس عشر

عن ابي هريرة ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب رواه البخاري هذا الحديث خرجه البخاري من طريق ابي حصين الازدي عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه ولم يخرجه مسلم لان الاعمش رواه عن ابي صالح واختلف عليه في اسناده فقيل عنه عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه كقول ابي حصين وقيل عنه عن ابي صالح عن ابي سعيد الخدري وعند يحيى بن معين ان هذا هو الصحيح وقيل عنه عن ابي صالح عن ابي هريرة او جابر وقيل عنه عن ابي صالح عن رجل من الصحابة غير مسمى وخرج الترمذي هذا الحديث من طريق ابي حصين ايضا ولفظه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني شيئا ولا تكثر علي لعلي اعيه قال لا تغضب فردد ذلك مرارا كل ذلك يقول لا تغضب وفي رواية اخرى لغير الترمذي قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ولا تكثر علي قال لا تغضب فهذا الرجل طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يوصيه وصية وجيزة جامعة لخصال الخير ليحفظها عنه خشية ان لا يحفظها لكثرتها فوصاه النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يغضب ثم ردد هذه المسئلة عليه مرارا والنبي صلى الله عليه وسلم يردد عليه هذا الجواب فهذا يدل على ان الغضب جماع الشر وان التحرز منه جماع الخير ولعل هذا الرجل الذي سال النبي صلى الله عليه وسلم هو ابو الدرداء فقد خرج الطبراني من حديث ابي الدرداء رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة وقد روى الاحنف بن قيس عن عمه جارية بن قدامة ان رجلا قال يا رسول الله قل لي قولا واقلل علي لعلي اعقله قال لا تغضب فاعاد عليه مرارا كل ذلك يقول لا تغضب خرجه الامام احمد وفي رواية له ان جارية بن قدامة قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم فذكره فهذا يغلب على الظن ان السائل هو جارية بن قدامة ولكن ذكر الامام احمد عن يحيى القطان انه قال هكذا قال هشام يعني ان هشاما ذكر في الحديث ان جارية سال النبي صلى الله عليه وسلم قال يحيى وهم يقولون لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم وكذا قال العجلي وغيره انه تابعي ليس بصحابي وخرج الامام احمد من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله اوصني قال لا تغضب قال الرجل ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فاذا الغضب يجمع الشر كله رواه مالك في الموطا عن الزهري عن حميد مرسلا وخرج الامام احمد من حديث ابن عمرو انه سال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يباعدني من غضب الله عز وجل قال لا تغضب وقول الصحابي فكرت فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الغضب يجمع الشر كله يشهد لما ذكرنا ان الغضب جماع الشر قال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقيل لابن المبارك اجمع لنا حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب وكذا فسر الامام احمد واسحق بن راهويه حسن الخلق بترك الغضب وقد روي ذلك مرفوعا خرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من حديث ابي العلاء بن الشخير ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقال يا رسول الله اي العمل افضل قال حسن الخلق ثم اتاه عن يمينه فقال اي العمل افضل قال حسن الخلق ثم اتاه عن شماله فقال يا رسول الله اي العمل افضل قال حسن الخلق ثم اتاه من بعده يعني من خلفه فقال يا رسول الله اي العمل افضل فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك لا تفقه حسن الخلق هو ان لا تغضب ان استطعت وهذا مرسل فقوله صلى الله عليه وسلم لمن استوصاه لا تغضب يحتمل امرين احدهما ان يكون مراده الامر بالاسباب التي توجب حسن الخلق من الكرم والسخاء والحلم والحياء والتواضع والاحتمال وكف الاذى والصفح والعفو وكظم الغيظ والطلاقة والبشر ونحو ذلك من الاخلاق الجميلة فان النفس اذا تخلقت بهذه الاخلاق وصارت لها عادة اوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول اسبابه والثاني ان يكون المراد لا تعمل بمقتضى الغضب

اذا حصل لك

اذا حصل لك بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يامر به فان الغضب اذا ملك ابن ادم كان الآمر والناهي له ولهذا المعنى قال الله عز وجل ولما سكت عن موسى الغضب فاذا لم يمتثل الانسان ما يامره به غضبه وجاهد نفسه على ذلك اندفع عنه شر الغضب وربما سكن غضبه وذهب عاجلا فكانه حينئذ لم يغضب والى هذا المعنى وقعت الاشارة في القران بقوله عز وجل واذا ما غضبوا هم يغفرون وبقوله عز وجل والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يامر من غضب بتعاطي اسباب تدفع عنه الغضب وتسكنه ويمدح من ملك نفسه عند غضبه ففي الصحيحين عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس واحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل الا تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لست بمجنون وخرج الامام احمد والترمذي من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم افلا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن احس بشيء من ذلك فليلزق بالارض وخرج الامام احمد وابو داود من حديث ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع وقيل ان المعنى في هذا ان القائم متهيئ للانتقام والجالس دونه في ذلك والمضطجع ابعد عنه فامره بالتباعد عن حالة الانتقام ويشهد لذلك انه روي من حديث سنان بن سعد عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الغضب جمرة في قلب الانسان توقد الا ترى الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فاذا احس احدكم بشيء من ذلك فليجلس ولا يعدونه الغضب والمراد انه يحبسه في نفسه ولا يعديه الى غيره بالاذى بالفعل ولهذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم في الفتن ان المضطجع فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي وان كان هذا على وجه ضرب المثال في الاسراع في الفتن الا ان المعنى ان من كان اقرب الى الاسراع فيها فهو شر ممن كان ابعد من ذلك وخرج الامام احمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا غضب احدكم فليسكت قالها ثلاثا وهذا ايضا دواء عظيم للغضب لان الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال الغضب كثيرا من السباب وغيره مما يعظم ضرره فاذا سكت زال هذا الشر كله عنه وما احسن قول مورق العجلي رحمه الله ما امتلأت غيظا قط ولا تكلمت في غضب قط بما اندم عليه اذا رضيت وغضب يوما عمر بن عبد العزيز فقال له ابنه عبد الملك رحمهما الله انت يا امير المؤمنين مع ما اعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب فقال له او ما تغضب يا عبد الملك فقال عبد الملك وما يغني عني سعة جوفي اذا لم اردد فيه الغضب حتى لا يظهر فهؤلاء قوم ملكوا انفسهم عند الغضب رضي الله عنهم وخرج الامام احمد وابو داود من حديث عروة بن محمد السعدي انه كلمه رجل فاغضبه فقام فتوضأ ثم قال حدثني ابي عن جدي عطية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وروى ابو نعيم باسناده عن ابي مسلم الخولاني انه كلم معاوية بشيء وهو على المنبر فغضب ثم نزل فاغتسل ثم عاد الى المنبر ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الغضب من الشيطان والشيطان من النار والماء يطفئ النار فاذا غضب احدكم فليغتسل وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذاك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب وخرج الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث معاذ بن انس الجهني رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وخرج الامام احمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تجرع عبد جرعة افضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى وحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من جرعة احب الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد لله الا ملأ الله

حوته ايمانا. وخرج ابو داود معناه من رواية بعض ابناء الصحابة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ملاه الله امنا وايمانا. وقال
ميمون بن مهران جاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال امرتني ان لا اغضب وانه ليغشاني ما لا املك
قال فان غضبت فاملك لسانك ويدك. خرجه ابن ابي الدنيا. وملك لسانه ويده هو الذي اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بامره لمن غضب
ان يجلس او يضطجع وبامره له ان يسكت. قال عمر بن عبد العزيز قد افلح من عصم من الهوى والغضب والطمع. وقال الحسن اربع
من كن فيه عصمه الله من الشيطان وحرمه على النار من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب. فهذه الاربع التي
ذكرها الحسن مبدا الشر كله فان الرغبة في الشي هو ميل النفس اليه لاعتقاد نفعه فمن حصل له رغبة في شي حملته تلك الرغبة على
طلب ذلك الشي من كل وجه يظنه موصلا اليه وقد يكون كثير منها محرما وقد يكون ذلك الشي المرغوب فيه محرما والرهبة هي الخوف
من الشي واذا خاف الانسان من شي تسبب في دفعه عنه بكل طريق يظنه دافعا له وقد يكون كثير منها محرما والشهوة
هي ميل النفس الى ما يلائمها وتلتذ به وقد تميل كثيرا الى ما هو محرم كالزنا والسرقة وشرب الخمر بل والى الكفر والسحر والنفاق
والبدع. والغضب هو غليان دم القلب طلبا لدفع المؤذي عند خشية وقوعه وطلبا للانتقام ممن حصل له منه
الاذى بعد وقوعه وينشا من ذلك كثير من الافعال المحرمة كالقتل والضرب وانواع الظلم والعدوان وكثير من الاقوال
المحرمة كالقذف والسب والفحش وربما ارتقى الى درجة الكفر كما جرى لجبلة بن الايهم وكالايمان التي لا يجوز التزامها شرعا وكطلاق
الزوجة الذي يعقب الندم. والواجب على المؤمن ان تكون شهوته مقصورة على طلب ما اباحه الله وربما تناولها
بنية صالحة فاثيب عليها وان يكون غضبه دفعا للاذى في الدين له او لغيره وانتقاما ممن عصى الله ورسوله كما قال تعالى قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم وهذه كانت حال النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان
لا ينتقم لنفسه ولكن اذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شي ولم يضرب بيده خادما ولا امراة الا ان يجاهد في سبيل الله و
خدم انس النبي عشر سنين فما قال له اف قط ولا قال له لشي فعله لم فعلت كذا ولا لشي لم يفعله الا فعلت كذا وفي رواية انه كان اذا
لامه بعض اهله قال صلى الله عليه وسلم دعوه فلو قضي شي كان. وفي رواية للطبراني قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما دريت شي قط وافقه ولا شي قط خالفه رضي به من الله تعالى بما كان. وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران يعني انه كان يتادب بادابه ويتخلق باخلاقه فما مدحه القران كان فيه رضاه
وما ذمه القران كان فيه سخطه وجاء في رواية عنها قالت كان خلقه القران يرضى لرضاه ويسخط لسخطه وكان صلى
الله عليه وسلم لشدة حيائه لا يواجه احدا بما يكره بل تعرف الكراهية في وجهه كما في الصحيح عن ابي سعيد رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها فاذا راى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه ولما بلغه ابن مسعود
رضي الله عنه قول القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله شق عليه صلى الله عليه وسلم وتغير وجهه وغضب ولم يزد على ان
قال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر. وكان صلى الله عليه وسلم اذا راى او سمع ما يكرهه غضب لذلك وقال فيه ولم يسكت
وقد دخل بيت عائشة فراى فيه سترا فيه تصاوير فتلون وجهه وهتكه وقال ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة
الذين يصورون هذه الصور. ولما شكي اليه الامام الذي يطيل بالناس صلاته حتى يتاخر بعضهم عن الصلاة معه
غضب واشتد غضبه ووعظ الناس وامر بالتخفيف ولما راى النخامة في قبلة المسجد تغيظ وحكها وقال ان احدكم
اذا كان في الصلاة فان الله حيال وجهه فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اسالك كلمة
الحق في الغضب والرضا وهذا عزيز جدا وهو ان الانسان لا يقول سوى الحق سواء غضب او رضي فان اكثر الناس اذا غضب
لا يتوقف فيما يقول. وخرج الطبراني من حديث انس مرفوعا ثلاث من اخلاق الايمان من اذا غضب لم يدخله غضبه في باطل
ومن اذا رضي لم يخرجه رضاه من حق ومن اذا قدر لم يتعاط ما ليس له وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخبر عن رجلين ممن
كان قبلنا كان احدهما عابدا والاخر مسرفا على نفسه فكان العابد يعظه فلا ينتهي فراه يوما على ذنب استعظمه فقال والله

لا يغفر الله لك



لا يغفر الله لك فغفر الله للمذنب واحبط عمل العابد وقال ابو هريرة رضي الله عنه لقد تكلم بكلمة اوبقت دنياه واخرته
فكان ابو هريرة يحذر الناس ان يقولوا مثل هذه في غضب. وقد خرجه الامام احمد وابو داود فهذا غضب
لله ثم تكلم في حال غضبه لله بما لا يجوز وحتم على الله بما لم يعلم فاحبط الله عمله فكيف بمن تكلم في غضبه لنفسه ومتابعة
هواه بما لا يجوز. وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وامراة من الانصار
على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال خذوا ما عليها ودعوها وفيه ايضا عن جابر قال سرنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ورجل من الانصار على ناضح له فتلدن عليه بعض التلدن فقال شا لعنك الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل عنه فلا تصحبنا بملعون لا تدعوا على انفسكم ولا تدعوا على اولادكم ولا تدعوا على اموالكم لا
توافقوا من الله ساعة يسال فيها عطاء فيستجيب لكم. فهذا كله يدل على ان دعاء الغضبان قد يجاب اذا صادف ساعة
اجابة وانه ينهى عن الدعاء على نفسه واهله وماله في الغضب. واما ما قال مجاهد في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم قال هو الواصل لاهله وولده وماله اذا غضب عليه يقول اللهم لا تبارك فيه اللهم العنه يقول لو عجل
له ذلك لاهلك من دعا عليه فاماته فهذا يدل على انه لا يستجاب جميع ما يدعو به الغضبان على
نفسه واهله وماله والحديث دل على انه قد يستجاب لمصادفته ساعة اجابة. واما ما روي عن الفضيل بن عياض قال ثلاثة
لا يلامون على غضب الصائم والمريض والمسافر وعن الاحنف بن قيس قال يوحي الله الى الحافظين الذين مع ابن ادم لا تكتبا
على عبدي في ضجره شيئا وعن ابي عمران الجوني ان المريض اذا جزع فاذنب قال الملك الذي على اليمين للملك الذي على الشمال
لا تكتب. خرجه ابن ابي الدنيا فهذا كله لا يعرف له اصل صحيح من الشرع يدل عليه والاحاديث التي ذكرناها من قبل تدل على خلافه وقول
النبي صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت يدل على ان الغضبان مكلف في حال غضبه بالسكوت فيكون حينئذ مؤاخذا بالكلام
وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه امر من غضب ان يتلافى غضبه بما يسكنه من اقوال وافعال وهذا هو عين التكليف له بقطع
الغضب فكيف يقال انه غير مكلف في حال غضبه بما يصدر منه. وقال ابن ابي رباح ما ابكى العلماء بكاء اخر العمر من غضبة يغضبها
احدهم فتهدم عمل خمسين سنة او ستين سنة او سبعين سنة ورب غضبة قد اقحمت صاحبها مقحما ما استقاله. خرجه ابن ابي الدنيا ثم
ان من قال من السلف ان الغضبان اذا كان سبب غضبه مباحا كالمرض او السفر او طاعة كالصوم لا يلام عليه انما مراده انه لا اثم
عليه اذا كان مما يقع منه في حال الغضب كثيرا من كلام يوجب تضجرا او سبا ونحوه كما قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر ارضى
كما يرضى البشر واغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او جلدته فاجعلها له كفارة. فاما ما كان من كفر او ردة او قتل
نفس او اخذ مال بغير حق ونحو ذلك فهذا لا يشك مسلم انهم لم يريدوا ان الغضبان لا يؤاخذ به وكذلك ما يقع من الغضبان من طلاق وعتق
او يمين فانه يؤاخذ بذلك كله بغير خلاف. وفي مسند الامام احمد عن خويلة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت انها راجعت
زوجها فغضب فظاهر منها وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وضجر وانها جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت تشكو اليه ما
تلقى من سوء خلقه فانزل الله اية الظهار وامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفارة الظهار في قصة طويلة وخرجه ابن ابي حاتم من
وجه اخر عن ابي العالية ان خويلة غضب زوجها فظاهر منها فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقالت انه لم يرد
الطلاق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه وذكر القصة بطولها وفي اخرها فحول الله الطلاق
فجعله ظهارا. فهذا الرجل ظاهر في حال غضبه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى حينئذ ان الظهار طلاق وقد قال انها حرمت
عليه بذلك يعني لزمه الطلاق فلما جعله الله ظهارا مكفرا الزمه بالكفارة ولم يلغه. وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا
قال له اني طلقت امراتي ثلاثا وانا غضبان فقال ابن عباس لا استطيع ان احل لك ما حرم الله عليك عصيت ربك وحرمت عليك امراتك
خرجه الجوزجاني والدارقطني باسناد على شرط مسلم. وخرج القاضي اسمعيل بن اسحق في كتاب احكام القران باسناد صحيح

عن عائشة رضي الله عنها قالت اللغو في اليمين ما كان في المراء والهزل والمزاحة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب وايمان
الكفارة على كل يمين حلفت عليها على جد من الامر في غضب او غيره لتفعلن او لتتركن فذلك عقد الايمان فيها الكفارة
وكذا رواه ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها وهذا من اصح الاسانيد وهذا يدل على ان
الحديث المروي عنها مرفوعا لا طلاق ولا عتاق في اغلاق اما انه غير صحيح او ان تفسيره بالغضب غير صحيح وقد صح عن جماعة
من الصحابة انهم افتوا ان يمين الغضبان منعقدة وفيها الكفارة وما روي عن ابن عباس مما يخالف ذلك فلا يصح اسناده
وقال الحسن طلاق السنة ان يطلقها واحدة طاهرا من غير جماع وهو بالخيار ما بينه وبين ان تحيض ثلاث حيض
فان بدا له ان يراجعها كان املك بذلك وان كان غضبان ففي ثلاث حيض او في ثلاثة اشهر ان كانت لا تحيض ما
يذهب غضبه وقال الحسن لقد بين الله لئلا يندم احد في طلاق كما امره الله خرجه القاضي اسماعيل وقد جعل كثير من العلماء الكنايات
مع الغضب كالصريح في انه يقع بها الطلاق ظاهرا ولا يقبل تفسيرها مع الغضب بغير الطلاق ومنهم من جعل
الغضب مع الكنايات كالنية فاوقع بذلك الطلاق في الباطن فكيف يجعل الغضب مانعا من وقوع صريح الطلاق

**الحديث السابع عشر** عن شداد بن اوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب الاحسان
على كل شيء فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته رواه
مسلم هذا الحديث خرجه مسلم دون البخاري من رواية ابي قلابة عن ابي الاشعث عن شداد بن اوس وتركه البخاري لانه لم
يخرج في صحيحه لابي الاشعث شيئا وهو شامي ثقة وقد روي نحوه من حديث سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله عز وجل محسن فاحسنوا فاذا قتل احدكم فليكرم مقتوله واذا ذبح فليحد شفرته وليرح ذبيحته خرجه ابن
عدي وخرج الطبراني من حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حكمتم فاعدلوا واذا قتلتم فاحسنوا
فان الله محسن يحب المحسنين **فقوله** صلى الله عليه وسلم ان الله كتب الاحسان على كل شيء وفي رواية لابي اسحق الفزاري في كتاب
السير عن خالد عن ابي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب الاحسان على كل شيء او قال على كل خلق هكذا خرجه على
الشك في كل شيء او كل خلق وظاهره يقتضي انه كتب على كل مخلوق الاحسان وقيل ان المعنى ان الله كتب الاحسان
الى كل شيء او في كل شيء او كتب الاحسان في الولاية على كل شيء فيكون المكتوب عليه غير مذكور وانما المذكور المحسن اليه و
لفظ الكتابة يقتضي الوجوب عند اكثر الفقهاء والاصوليين خلافا لبعضهم وانما يعرف استعمال لفظ الكتابة في القران
فيما هو واجب حتم اما شرعا كقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القتال
او فيما هو واقع قدرا لا محالة كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي
الصالحون وقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقال النبي صلى الله عليه وسلم في قيام شهر رمضان اني خشيت ان يكتب عليكم وقال
امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي وقال كتب على ابن ادم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة وحينئذ فهذا الحديث نص
في وجوب الاحسان وقد امر الله به فقال ان الله يامر بالعدل والاحسان والاحسان تارة يكون للوجوب كالاحسان الى الوالدين والارحام
بمقدار ما يحصل به البر والصلة والاحسان الى الضيف بقدر ما يحصل به قراه على ما سبق ذكره وتارة يكون للندب
كصدقة التطوع ونحوها وهذا الحديث يدل على وجوب الاحسان في كل شيء من الاعمال لكن احسان كل شيء بحسبه والاحسان
في الاتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة الاتيان بها على وجه كمال واجباتها فهذا القدر من الاحسان فيها واجب واما
الاحسان فيها باكمال مستحباتها فليس بواجب والاحسان في ترك المحرمات الانتهاء عنها وترك ظاهرها وباطنها كما قال تعالى
وذروا ظاهر الاثم وباطنه فهذا القدر من الاحسان فيها واجب واما الاحسان في الصبر على المقدورات فان ياتي بالصبر عليها على وجهه من غير تسخط ولا جزع والاحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم القيام بما اوجب الله من حقوق ذلك كله والاحسان الواجب في ولاية الخلق وسياستهم

القيام بواجبات



القيام بواجبات الولاية كلها والقدر الزائد على الواجب في ذلك كله احسان ليس بواجب والاحسان في قتل ما يجوز قتله
من الناس والدواب ازهاق نفسه على اسرع الوجوه واسهلها واوحاها من غير زيادة في التعذيب فانه ايلام لا
حاجة اليه وهذا النوع هو الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ولعله ذكره على سبيل المثال او لحاجته في
بيانه في تلك الحال فقال اذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة والقتلة والذبحة بالكسر اي الهيئة والمعنى
احسنوا هيئة الذبح وهيئة القتل وهذا يدل على وجوب الاسراع في ازهاق النفوس التي يباح ازهاقها
على اسهل الوجوه وقد حكى ابن حزم الاجماع على وجوب الاحسان في الذبيحة واسهل وجوه قتل الادمي ضربه بالسيف على
العنق كما قال تعالى في حق الكفار فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب وقال تعالى سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب
فاضربوا فوق الاعناق وقد قيل انه عين الموضع الذي يكون الضرب فيه اسهل على المقتول وهو فوق العظام
ودون الدماغ ووصى دريد بن الصمة قاتله ان يقتله كذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية تغزو في سبيل الله
قال لهم لا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وخرج ابو داود وابن ماجه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اعف الناس قتلة اهل الايمان وخرج احمد وابو داود من حديث عمران بن حصين وسمرة بن جندب ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن المثلة وخرج الامام احمد من حديث يعلى بن مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج
ايضا من حديث رجل من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مثل بذي روح ثم لم يتب مثل الله به يوم القيمة
واعلم ان القتل المباح يقع على وجهين احدهما ان يكون قصاصا فلا يجوز التمثيل فيه بالمقتص منه بل يقتل
كما قتل فان كان قد مثل بالمقتول فهل يمثل به كما فعل ام لا يقتل الا بالسيف فيه قولان مشهوران للعلماء احدهما انه يفعل به
كما فعل وهو قول مالك والشافعي واحمد في المشهور عنه وفي الصحيحين عن انس رضي الله عنه قال خرجت جارية
عليها اوضاح بالمدينة فرماها يهودي بحجر فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها رمق فقال لها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلان قتلك فرفعت راسها فقال لها في الثالثة فلان قتلك فخفضت راسها فدعا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرضخ راسه بين الحجرين وفي رواية لهما فاخذ فاعترف وفي رواية لمسلم ان رجلا من اليهود قتل جارية
من الانصار على حلي لها ثم القاها في القليب ورضخ راسها بالحجارة فاخذ فاتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم فامر به
ان يرجم حتى يموت فرجم حتى مات **والقول** الثاني لا قود الا بالسيف وهو قول الثوري وابي حنيفة
ورواية عن احمد وعن احمد رواية ثالثة يفعل به كما فعل الا ان يكون حرقه بالنار او مثل به فيقتل بالسيف للنهي
عن المثلة وعن التحريق بالنار نقلها عنه الاثرم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا قود الا بالسيف خرجه ابن
ماجه واسناده ضعيف قال احمد يروى لا قود الا بالسيف وليس اسناده بجيد وحديث انس يعني في قتل اليهودي
بالحجارة اسند منه واجود ولو مثل به ثم قتله مثل ان قطع اطرافه ثم قتله فهل يكتفى بقتله او يصنع به كما صنع
فتقطع اطرافه ثم يقتل على قولين احدهما يفعل به كما فعل سواء وهو قول ابي حنيفة والشافعي واحمد في رواية
عنه واسحق وغيرهم **والثاني** يكتفى بقتله وهو قول الثوري واحمد في رواية وابي يوسف ومحمد وقال
مالك ان فعل ذلك به على سبيل التمثيل والتعذيب فعل به كما فعل وان لم يكن على هذا الوجه اكتفي بقتله الوجه
الثاني ان يكون القتل للكفر اما لكفر اصلي او لردة عن الاسلام فاكثر العلماء على كراهة المثلة فيه ايضا وانه يقتل فيه بالسيف
وقد روي عن طائفة من السلف جواز التمثيل فيه بالتحريق بالنار وغير ذلك كما فعله خالد بن الوليد وغيره وروي عن
ابي بكر رضي الله عنه انه حرق الفجاءة بالنار وروي ان ام قرفة الفزارية ارتدت في عهد ابي بكر رضي الله عنه فامر بها
فشدت ذوائبها في اذناب قلوصين او فرسين ثم صاح بهما فتقطعت المراة واسانيد هذه القصة منقطعة وقد
ذكر ابن سعد في طبقاته بغير اسناد ان زيد بن حارثة قتلها هذه القتلة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك

والمثلة [illegible]

وروي عن علي رضي الله عنه انه حرق المرتدين وانكر ابن عباس رضي الله عنه ذلك عليه وقال انه لم يحرقهم وانما دخن عليهم حتى ماتوا
وقيل انه قتلهم ثم حرقهم ولا يصح ذلك وروي عنه انه جي برجل مرتد فامر به فوطئ بالارجل حتى مات ولعل ذلك فيمن قال من اصحا
بنا بجواز القتل بالتمثيل للكفر لا سيما اذا تغلظ وحمل النهي عن المثلة على القتل بالقصاص واستدل من اجاز ذلك بحديث
العرنيين وقد خرجاه في الصحيحين من حديث انس رضي الله عنه ان ناسا من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
فاجتووها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم ان تخرجوا الى ابل الصدقة فتشربوا من البانها وابوالها
ففعلوا ثم صحوا ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم وارتدوا عن الاسلام وساقوا ذود رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فبعث في اثرهم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم فتركهم في الحرة حتى ماتوا وفي رواية ثم نبذوا
في الشمس حتى ماتوا وفي رواية وسمرت اعينهم يستسقون فلا يسقون وفي رواية للترمذي فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
وفي رواية النسائي وصلبهم وقد اختلف العلماء في وجه عقوبة هؤلاء فمنهم من قال من فعل مثل فعلهم فارتد وحارب
واخذ المال صنع به كما صنع بهؤلاء وروي هذا عن طائفة منهم ابو قلابة وهو رواية عن احمد ومنهم من قال هذا يدل على جواز
التمثيل بمن تغلظت جرائمه في الجملة وانما نهي عن التمثيل في القصاص وهو قول ابن عقيل من اصحابنا ومنهم من قال بل نسخ
ما فعل بالعرنيين بالنهي عن المثلة ومنهم من قال كان قبل نزول الحدود واية المحاربة ثم نسخ بذلك وهذا قول جماعة منهم الاوزاعي وابو
عبيد ومنهم من قال بل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بهم انما كان باية المحاربة ولم ينسخ شيء من ذلك وقالوا انما قتلهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقطع ايديهم لانهم اخذوا المال ومن اخذ المال وقتل قطع وقتل وصلب حتما فيقتل لقتله و
تقطع لاخذه المال يده ورجله من خلاف ويصلب لجمعه بين الجنايتين وهما القتل واخذ المال وهذا قول الحسن
ورواية عن احمد وانما سمل اعينهم لانهم سملوا اعين الرعاة كذا خرجه مسلم من حديث انس وذكر ابن شهاب انهم قتلوا
الراعي ومثلوا به وذكر ابن سعد انهم قطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات وحينئذ فقد يكون قطعهم
وسمل اعينهم وتعطيشهم قصاصا وهذا يتخرج على قول من يقول ان المحارب اذا جنى جناية توجب القصاص استو
فيت منه قبل قتله وهو مذهب احمد لكن هل تستوفى تحتما كقتله ام على وجه القصاص فيسقط بعفو الولي على روايتين
عنه ولكن رواية الترمذي انه قطعهم من خلاف يدل على ان قطعهم للمحاربة الا ان يكونوا قد قطعوا يد الراعي يده
ورجله من خلاف وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذن في التحريق بالنار ثم نهى عنه كما في صحيح البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث فقال ان وجدتم فلانا وفلانا لرجلين من قريش
فاحرقوهما بالنار ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اردنا الخروج اني كنت امرتكم ان تحرقوا فلانا وفلانا بالنار وان
النار لا يعذب بها الا الله فان وجدتموهما فاقتلوهما وفيه ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تعذبوا بعذاب الله عز وجل وخرج الامام احمد وابو داود والنسائي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم فمررنا بقرية نمل قد احرقت فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال انه لا ينبغي لبشر ان يعذب بعذاب الله عز وجل
وقد حرق خالد جماعة في الردة وروي عن طائفة من الصحابة تحريق من عمل عمل قوم لوط وروي عن علي انه اشار على ابي بكر رضي
الله عنه ان يقتله ثم يحرقه بالنار وفي مسند الامام احمد ان عليا لما ضربه ابن ملجم قال افعلوا به كما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
برجل اراد قتله قال اقتلوه ثم حرقوه وذكر العلماء كراهة التحريق بالنار حتى للهوام وقال ابراهيم النخعي تحريق العقرب بالنار
مثلة ونهت ام الدرداء عن تحريق البرغوث بالنار وقال احمد لا يشوى السمك في النار وهو حي وقال الجراد اهون لانه لا دم له
وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن صبر البهائم وهو ان تحبس البهيمة ثم تضرب بالنبل ونحوه حتى تموت وفي الصحيحين
عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان تصبر البهائم وفيهما ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما انه مر بقوم نصبوا دجاجة
يرمونها فقال ابن عمر من فعل هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من فعل هذا وخرج مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يتخذ شيء فيه الروح غرضا والغرض هو الذي يرمى فيه بالسهام وفي مسند الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه



ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الرمية ان ترمى الدابة ثم تؤكل ولكن تذبح ثم يرموا ان شاؤوا وفي هذا المعنى احاديث كثيرة فلهذا
امر النبي صلى الله عليه وسلم باحسان القتل والذبح وامر ان تحد الشفرة وان تراح الذبيحة يشير الى ان الذبح بالالة الحادة يريح
الذبيحة بتعجيل زهوق نفسها وخرج الامام احمد وابن ماجه من حديث ابن عمر قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحد الشفار و
ان توارى عن البهائم وقال اذا ذبح احدكم فليجهز يعني فليسرع الذبح وقد ورد الامر بالرفق بالذبيحة عند ذبحها
وخرج ابن ماجه من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يجر شاة باذنها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دع اذنها وخذ بسالفتها والسالفة مقدم العنق وخرج الخلال والطبراني من حديث
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته
وهي تلحظ اليه ببصرها قال افلا قبل هذا اتريد ان تميتها موتات وقد روي عن عكرمة مرسلا خرجه عبد الرزاق وغيره وفيه
اتريد ان تميتها موتات هلا احددت شفرتك قبل ان تضجعها وقال الامام احمد تقاد الى الذبح قودا رفيقا وتوارى السكين عنها ولا
تظهر السكين الا عند الذبح امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ان توارى الشفار وقال ما ابهمت عليه البهائم فلن تبهم انها تعرف
ربها وتعرف انها تموت وقال يروى عن ابن سابط انه قال ان البهائم جبلت على كل شيء الا على انها تعرف ربها وتخاف الموت
وقد ورد الامر بقطع الاوداج عند الذبح كما خرجه ابو داود من حديث عكرمة عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن شريطة الشيطان وهي التي تذبح فيقطع الجلد ولا تفرى الاوداج وخرجه ابن حبان في
صحيحه وعنده قال عكرمة كانوا يقطعون منها الشيء اليسير ثم يدعونها حتى تموت ولا يقطعون الودج فنهى عن ذلك
وروى عبد الرزاق في كتابه عن محمد بن راشد عن الوضين بن عطاء قال ان جزارا فتح بابا على شاة ليذبحها فانفلتت منه
حتى جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعها فاخذ يسحبها برجلها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اصبري لامر الله وانت يا جزار
فسقها الى الموت سوقا رفيقا وباسناده عن ابن سيرين ان عمر رضي الله عنه راى رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له
ويلك قدها الى الموت قودا جميلا وروي عن محمد بن زياد ان ابن عمر رضي الله عنهما راى قصابا يجر شاة فقال سقها الى الموت سوقا
جميلا وفي مسند الامام احمد عن معاوية بن قرة عن ابيه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني لاذبح الشاة وانا ارحمها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم والشاة ان رحمتها رحمك الله وقال مطرف بن عبد الله ان الله ليرحم برحمة العصفور وقال نوف البكالي ان رجلا
ذبح عجولا بين يدي امه فخبل فبينما هو تحت شجرة فيها وكر فيه فرخ فوقع الفرخ الى الارض فرحمه فاعاده في مكانه فرد الله قوته
وقد روي من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان توله والدة عن ولدها وهو عام في بني ادم وغيرهم وفي سنن ابي داود
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الفرع فقال هو حق وان تتركوه حتى يكون بكرا ابن مخاض او ابن لبون فتعطيه ارملة او تحمل عليه
في سبيل الله خير من ان تذبحه فيلصق لحمه بوبره وتكفئ اناءك وتوله ناقتك والمعنى ان ولد الناقة اذا ذبح وهو صغير عند
ولادته لم ينتفع بلحمه وتضرر صاحبه بانقطاع لبن ناقته فيكفئ اناءه وهو المحلب الذي تحلب فيه الناقة وتوله الناقة على ولدها بفقدها اياه

١٨ **الحديث الثامن عشر** عن ابي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله حيثما كنت و
اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي بعض النسخ حسن صحيح هذا الحديث خرجه الترمذي من
رواية سفيان الثوري عن حبيب بن ابي ثابت عن ميمون بن ابي شبيب عن ابي ذر وخرجه ايضا بهذا الاسناد عن ميمون عن معاذ وذكر
عن شيخه محمود بن غيلان انه قال حديث ابي ذر اصح وهذا الحديث قد اختلف في اسناده وقيل فيه عن حبيب عن ميمون ان النبي صلى الله عليه وسلم
وصى بذلك مرسلا ورجح الدارقطني هذا المرسل وقد حسن الترمذي هذا الحديث وما وقع في بعض النسخ من تصحيحه فبعيد ولكن الحاكم
خرجه وقال صحيح على شرط الشيخين وهو وهم من وجهين احدهما ان ميمون بن ابي شبيب ويقال ابن شبيب لم يخرج له البخاري في
صحيحه شيئا ولا مسلم الا في مقدمة كتابه حديثا عن المغيرة بن شعبة والثاني ان ميمون بن ابي شبيب لم يصح سماعه من احد من الصحابة

والله

قال العلائي ليس في شيء من رواياته عن الصحابة سمعت ولا اخبرنا احد يزعم انه سمع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو حاتم
الرازي روايته عن ابي ذر وعائشة غير متصل وقال ابو داود لم يدرك عائشة ولم ير عليا وحسنه فلم يدرك معاذا بطريق الاولى
ورأى البخاري قد حكم علي ابن المديني وابي زرعة وابي حاتم وغيرهم ان الحديث لا يصح الا بصحة اللقي وكلام الامام احمد يدل على
ذلك ونص عليه الشافعي في الرسالة وهذا كله خلاف رأي مسلم رحمهم الله تعالى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وصى بهذه
الوصية معاذا وابا ذر من وجوه اخر فخرج البزار من حديث ابن لهيعة عن ابي الزبير عن ابي الطفيل عن معاذ ان النبي صلى
الله عليه وسلم بعثه الى قوم فقال يا رسول الله اوصني قال افش السلام وابذل الطعام واستحي من الله استحياء رجل ذا هيبة
من اهلك واذا اسات فاحسن وليحسن خلقك ما استطعت وخرج الطبراني والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما ان معاذ بن جبل رضي الله عنه اراد سفرا فقال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله ولا تشرك به شيئا قال يا ر
سول الله زدني قال اذا اسات فاحسن قال يا رسول الله زدني قال استقم ولتحسن خلقك وخرج الامام احمد من حديث
دراج عن ابي الهيثم عن ابي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيته واذا اسات
فاحسن ولا تسالن احدا شيئا وان سقط سوطك ولا تقبض امانة ولا تقض بين اثنين وخرج ايضا من حديث
اخر عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله علمني عملا يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر
امثالها قال قلت يا رسول الله امن الحسنات لا اله الا الله قال هي احسن الحسنات وخرج ابن عبد البر في التمهيد باسناد
فيه نظر عن انس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا الى اليمن فقال يا معاذ اتق الله وخالق الناس بخلق حسن واذا عملت سيئة
فاتبعها حسنة فقال قلت يا رسول الله لا اله الا الله من الحسنات قال هي اكبر الحسنات وقد رويت وصية النبي صلى الله عليه وسلم
لمعاذ من حديث ابن عمر وغيره بسياق طويل من وجوه فيها ضعف ويدخل في هذا المعنى حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق خرجه الامام احمد وابن ماجه والترمذي وصححه ابن حبان في صحيحه
فهذه الوصية وصية عظيمة جامعة لحقوق الله وحقوق عباده فان حق الله على عباده ان يتقوه حق تقاته والتقوى
وصية الله للاولين والاخرين قال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله واصل التقوى
ان يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه فتقوى العبد لربه ان يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من سخطه
وعقابه وقاية تقيه من ذلك كقوله تعالى واتقوا الله الذي اليه تحشرون وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون فاذا اضيفت التقوى اليه سبحانه فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه وهو اعظم ما يتقى ومن ذلك ينشا عقابه
الدنيوي والاخروي قال تعالى ويحذركم الله نفسه وقال تعالى هو اهل التقوى واهل المغفرة فهو سبحانه اهل ان يخشى ويهاب و
يجل ويعظم في صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه لما يستحقه من الاجلال والاكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش
وشدة الباس وفي الترمذي عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال قال الله
انا اهل ان اتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الها اخر فانا اهل ان اغفر له وتارة تضاف التقوى الى عقاب الله والى مكانه كالنار والى
زمانه كيوم القيامة كما قال تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين
وقال تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات و
الشبهات وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات وهي اعلى درجات التقوى قال الله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب
فيه هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون
وقال تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين الى قوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وقال معاذ بن جبل ينادي
مناد يوم القيامة اين المتقون فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب منهم ولا يستتر قالوا له من المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان
واخلصوا لله بالعبادة قال ابن عباس رضي الله عنهما المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفونه من الهدى
ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به وقال الحسن المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وادوا ما افترض الله عليهم وقال عمر بن عبد العزيز ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله واداء ما افترض

فمن رزق



فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير الى خير وقال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان
تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال تمام التقوى ان يتقي الله العبد حتى يتقيه من
مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام فان الله قد بين للعباد
الذي يصيرهم اليه فقال تعالى ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلا تحقرن شيئا من الخير ان تفعله ولا
شيئا من الشر ان تتقيه وقال الحسن ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام وقال الثوري انما سموا
المتقين لانهم اتقوا ما لا يتقى وقال موسى بن اعين المتقون تنزهوا عن اشياء من الحلال مخافة ان يقعوا في الحرام فسماهم الله متقين
وقد سبق حديث لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس وحديث من اتقى الشبهات
استبرأ لدينه وعرضه وقال ميمون بن مهران المتقي اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه وقال ابن مسعود في قوله تعالى
اتقوا الله حق تقاته قال ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وخرجه الحاكم مرفوعا والموقوف اصح وشكره
يدخل فيه جميع الطاعات واما ذكره فلا ينسى ذكر العبد بقلبه لاوامر الله في حركاته وسكناته وكلماته فيمتثلها ولنواهيه
في ذلك كله فيجتنبها وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال ابو هريرة وسئل عن التقوى فقال هل اخذت
طريقا ذا شوك قال نعم قال فكيف صنعت قال اذا رايت الشوك عدلت عنه او جاوزته او قصرت عنه قال ذاك التقوى واخذ
هذا المعنى ابن المعتز فقال
خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى ... واصنع كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى ... واصل التقوى ان يعلم ما يتقى ثم يتقي قال عون بن عبد الله تمام التقوى ان تبتغي علم
ما لم تعلم منها الى ما علمت منها وذكر معروف الكرخي عن بكر بن خنيس قال كيف يكون متقيا من لا يدري ما يتقي ثم قال معروف
اذا كنت لا تحسن تتقي اكلت الربا واذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امراة فلم تغض بصرك واذا كنت لا تحسن تتقي وضعت
سيفك على عاتقك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة اذا رايت امتي قد اختلفت فاعمد الى سيفك فاضرب به احدا ثم قال
معروف ومجلسي هذا لعله ينبغي لنا ان نتقيه ثم قال ومجيئكم من المسجد الى ههنا كان ينبغي لنا ان نتقيه اليس جاء في الحديث انه
فتنة للمتبوع مذلة للتابع يعني مشي الناس خلف الرجل وفي الجملة فالتقوى هي وصية الله لجميع خلقه ووصية رسول الله صلى الله
عليه وسلم لامته وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث اميرا على سرية اوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا ولما
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر في حجة الوداع يوم النحر وصى الناس بتقوى الله وبالسمع والطاعة لائمتهم ولما وعظ الناس
وقالوا له كانها موعظة مودع فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وفي حديث ابي ذر الطويل الذي خرجه
ابن حبان وغيره قلت يا رسول الله اوصني قال اوصيك بتقوى الله فانه راس الامر كله وخرج الامام احمد من حديث
ابي سعيد الخدري قال قلت يا رسول الله اوصني قال اوصيك بتقوى الله فانه راس كل شيء وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام
وخرجه غيره ولفظه قال عليك بتقوى الله فانه جماع كل خير وفي الترمذي عن يزيد بن سلمة انه سال النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله
اني سمعت منك حديثا كثيرا اخاف ان ينسيني اوله اخره فحدثني بكلمة تكون جماعا قال اتق الله فيما تعلم ولم يزل السلف
الصالح يتواصون بها كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقول في خطبته اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله وان تثنوا عليه
بما هو اهله وان تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الالحاف بالمسالة فان الله عز وجل اثنى على زكريا
واهل بيته فقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ولما حضرته الوفاة وعهد الى عمر دعاه
ووصاه بوصية واول ما قال اتق الله يا عمر وكتب عمر الى ابنه عبد الله اما بعد فاني اوصيك بتقوى الله فانه من اتقاه وقاه ومن
اقرضه جزاه ومن شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك واستعمل علي بن ابي طالب رضي الله عنه رجلا على سرية فقال له

أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه وهو يملك الدنيا والآخرة وكتب عمر بن عبد العزيز
إلى رجل أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها فإن الواعظين بها كثير والعاملين
بها قليل جعلنا الله وإياك من المتقين ولما ولي خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال أوصيكم بتقوى الله عز وجل فإن تقوى
الله عز وجل خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف وقال رجل ليونس بن عبيد أوصني فقال أوصيك بتقوى الله والإحسان
فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال له رجل [illegible] أوصني فقال اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه وقيل
لرجل من التابعين عند موته أوصنا فقال أوصيكم بخاتمة سورة النحل إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكتب رجل
من السلف إلى أخ له فقال أوصيك بتقوى الله فإنها أكرم ما أسررت وأزين ما أظهرت وأفضل ما ادخرت أعاننا الله
وإياك عليها وأوجب لنا ولك ثوابها وكتب رجل منهم إلى أخ له أوصيك وأنفسنا بالتقوى فإنها خير زاد الآخرة والأولى
واجعلها إلى كل خير سبيلك ومن كل شر مهربك فقد تكفل الله عز وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون والرزق من حيث لا يحتسبون
وقال شعبة كنت إذا أردت الخروج قلت للحكم ألك حاجة قال أوصيك بما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل اتق
الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول
في دعائه اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وقال أبو ذر قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ثم قال يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم فقوله صلى الله عليه وسلم
اتق الله حيثما كنت مراده في السر والعلانية حيث يراه الناس وحيث لا يرونه وقد ذكرنا من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال له أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم إني
أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وخشية الله في الغيب والشهادة هي من المنجيات وقد سبق من حديث أبي الطفيل
عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له استحي من الله استحياء رجل ذا هيبة من أهلك وهذا هو السبب الموجب لخشية
الله في السر فإن من علم أن الله يراه حيث كان وأنه مطلع على باطنه وظاهره وسره وعلانيته واستحضر ذلك في خلواته
أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر وإلى هذا المعنى الإشارة في القرآن واتقوا الله إن الله كان عليكم رقيبا كان بعض
السلف يقول زهدنا الله وإياكم في الحرام زهد من قدر عليه في الخلوة فعلم أن الله يراه فتركه من خشيته أو كما قال
وقال الشافعي أعز الأشياء ثلاثة الجود من قلة والورع في خلوة وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف وكتب ابن السماك الواعظ
إلى أخ له أما بعد أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك ورقيبك في علانيتك فاجعل
الله من بالك على كل حالك في ليلك ونهارك وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك واعلم أنك بعينه ليس تخرج من
سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك والسلام وقال أبو
الجلد أوحى الله إلى نبي من الأنبياء قل لقومك ما بالكم تسترون الذنوب من خلقي وتظهرونها لي إن كنتم ترون أني لا أراكم
فلم تجعلوني أهون الناظرين إليكم وكان وهيب بن الورد يقول خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على
قدر قربه منك وقال له رجل عظني فقال اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك كان بعض السلف يقول أتراك ترحم
من لم تقر عينيه بمعصيتك حتى علم أن لا عين تراه غيرك وقال بعضهم ابن آدم إن كنت حيث ركبت المعصية لم تصف لك
من عين ناظرة إليك فلما خلوت بالله وحده صفت لك معصيته ولم تستحي منه حياءك من بعض خلقه ما أنت إلا أحد رجلين
إن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت وإن كنت علمت أنه يراك فلم يمنعك منه ما منعك من أضعف خلقه لقد اجترأت
عليه دخل بعضهم غيضة ذات شجر فقال لو خلوت ههنا بمعصية من كان يراني فسمع هاتفا بصوت ملأ الغيضة ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير

راود بعضهم

٢٨

راود بعضهم أعرابية وقال لها ما يرانا إلا الكواكب فقالت فأين مكوكبها ورأى محمد بن المنكدر رجلا واقفا مع امرأة
يكلمها فقال إن الله يراكما سترنا الله وإياكما وقال الحارث المحاسبي المراقبة علم القلب بقرب الرب وسئل الجنيد بما يستعان
على غض البصر فقال بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى من تنظره وكان الإمام أحمد ينشد
إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ۞ خلوت ولكن قل علي رقيب ۞ ولا تحسبن الله يغفل ساعة ۞ ولا أن ما تخفي عليه يغيب ۞
وكان ابن السماك ينشد ۞ يا مدمن الذنب أما تستحيي ۞ والله في الخلوة ثانيكا ۞ غرك من ربك إمهاله ۞ وستره طول مساويكا ۞
والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم لما وصى معاذا بتقوى الله سرا وعلانية أرشده إلى ما يعينه على ذلك وهو أن يستحيي من الله
كما يستحيي من رجل ذا هيبة من قومه ومعنى ذلك أن يستشعر دائما بقلبه قرب الله منه واطلاعه عليه فيستحيي من نظره إليه سبحانه
وقد امتثل معاذ ما أوصاه به النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمر قد بعثه على عمل فقدم وليس معه شيء فعاتبته امرأته فقال كان
معي ضاغط يعني من يضيق علي ويمنعني من أخذ شيء وإنما أراد معاذ ربه عز وجل فظنت امرأته أن عمر بعث معه رقيبا
فقامت تشكوه إلى الناس ومن صار له هذا المقام حالا دائما أو غالبا فهو من المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم
يرونه ومن المحسنين الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم وفي الجملة فتقوى الله في السر هو علامة كمال الإ
يمان وله تأثير عظيم في إلقاء الله لصاحبه الثناء في قلوب المؤمنين وفي الحديث ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها
علانية إن خيرا فخير وإن شرا فشر يروى هذا الحديث مرفوعا وروي عن ابن مسعود من قوله وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ليتق
أحدكم أن يلعنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر يخلو بمعاصي الله فيلقي الله له البغض في قلوب المؤمنين قال سليمان
التيمي إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته وقال غيره إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله ثم يجيء
إلى إخوانه فيرون أثر ذلك عليه وهذا من أعظم الأدلة على وجود الإله الحق المجازي بذرات الأعمال في الدنيا قبل الآخرة
ولا يضيع عنده عمل عامل ولا ينفع من قدرته حجاب ولا استتار فالسعيد من أصلح ما بينه وبين الله فإنه من أصلح
ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الخلق ومن التمس محامد الناس بسخط الله عاد حامده من الناس له ذاما
قال أبو سليمان الخاسر من أبدى للناس صالح عمله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد ومن العجب ما روي
في هذا ما روي عن أبي جعفر السائح قال كان حبيب أبو محمد تاجرا يكري الدراهم فمر ذات يوم فإذا هو بصبيان يلعبون
فقال بعضهم لبعض قد جاء آكل الربا فنكس رأسه وقال يا رب أفشيت سري إلى الصبيان فرجع فجمع ماله كله وقال يا رب إني
أسير وإني قد اشتريت نفسي منك بهذا المال فأعتقني فلما أصبح تصدق بالمال كله وأخذ في العبادة ثم مر ذات يوم
بأولئك الصبيان فلما رأوه قال بعضهم لبعض اسكتوا فقد جاء حبيب العابد فبكى وقال يا رب أنت تذم مرة وتحمد مرة وكله من
عندك قوله صلى الله عليه وسلم وأتبع السيئة الحسنة تمحها لما كان العبد مأمورا بالتقوى في السر والعلانية مع أنه لا بد أن
يقع منه أحيانا تفريط بالتقوى إما بترك بعض المأمورات أو بارتكاب بعض المحظورات فأمره أن يفعل ما يمحو به
هذه السيئة وهو أن يتبعها بالحسنة قال تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى
للذاكرين وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت عليه هذه الآية فدعاه فقرأها عليه فقال رجل هذا له خاصة فقال بل للناس عامة وقد وصف
الله المتقين في كتابه بمثل ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الوصية في قوله عز وجل وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا

فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك
جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين فوصف الله المتقين
بمعاملة الخلق بالاحسان اليهم بالانفاق وكظم الغيظ والعفو عنهم فجمع بين وصفهم ببذل الندى واحتمال الاذى
وهذا هو غاية حسن الخلق الذي وصى به النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ثم وصفهم بانهم اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا عليها فدل على ان المتقين قد يقع منهم احيانا الكبائر وهي الفواحش
والصغائر وهي ظلم النفس لكنهم لا يصرون عليها بل يذكرون الله عقب وقوعها ويستغفرونه ويتوبون اليه والتوبة
هي ترك الاصرار على الذنب ومعنى ذكروا الله اي ذكروا عظمته وشدة بطشه وانتقامه وما توعد به على المعصية
من العقاب فيوجب ذلك لهم الرجوع في الحال والاستغفار وترك الاصرار وقال الله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذنب عبد ذنبا فقال يا رب اني عملت
ذنبا فاغفر لي فقال الله علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي ثم اذنب ذنبا اخر الى ان قال في الرابعة
فليعمل ما شاء يعني ما دام على هذه الحال كلما اذنب استغفر منه وفي الترمذي من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وخرج الحاكم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله احدنا يذنب قال يكتب عليه قال ثم يستغفر منه قال يغفر له ويتاب عليه قال فيعود فيذنب قال يكتب عليه
قال ثم يستغفر منه ويتوب قال يغفر له ويتاب عليه ولا يمل الله حتى تملوا وخرج الطبراني باسناد ضعيف عن عائشة رضي الله عنها
قالت جاء حبيب بن الحارث الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رجل مقراف للذنوب قال فتب الى الله عز وجل قال اتوب ثم
اعود قال كلما اذنبت فتب قال يا رسول الله اذا تكثر ذنوبي قال عفو الله اكثر من ذنوبك يا حبيب بن الحارث وخرج بمعناه
من حديث انس مرفوعا باسناد ضعيف وباسناده عن عبد الله بن عمرو قال من ذكر خطيئة عملها فوجل قلبه منها واستغفر الله لم
يحبسها شيء حتى يمحاها وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن علي رضي الله عنه قال خياركم كل مفتن تواب قيل فان عاد قال يستغفر الله
ويتوب قيل فان عاد قال يستغفر الله ويتوب قيل حتى متى قال حتى يكون الشيطان هو المحسور وخرج ابن ماجه من
حديث ابن مسعود مرفوعا التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقيل للحسن الا يستحيي احدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم صح
يستغفر ثم يعود فقال ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه فلا تملوا من الاستغفار وروي عنه انه قال ما ارى هذا الا من اخلاق
المؤمنين يعني ان المؤمن كلما اذنب تاب وقد روي المؤمن مفتن تواب وروي من حديث جابر باسناد ضعيف مرفوعا المؤمن
واه راقع فسعيد من هلك على رقعه وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته من احسن منكم فليحمد الله ومن اساء فليستغفر الله فانه
لابد لاقوام من ان يعملوا اعمالا وظفها الله في رقابهم وكتبها عليهم وفي رواية اخرى انه قال ايها الناس من الم بذنب
فليستغفر الله وليتب فان عاد فليستغفر الله وليتب فان عاد فليستغفر الله وليتب فانما هي خطايا مطوقة في اعناق
الرجال وان الهلاك كل الهلاك في الاصرار عليها ومعنى هذا ان العبد لابد ان يفعل ما قدر عليه من الذنوب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
كتب على ابن ادم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة ولكن الله جعل للعبد مخرجا مما وقع فيه من الذنوب بالتوبة والاستغفار
فان فعل فقد تخلص من شر الذنب وان اصر على الذنب هلك وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحموا
ترحموا واغفروا يغفر لكم ويل لاقماع القول ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون ومعنى اقماع القول الذين اذانهم كالقمع
لما يسمع من الحكمة والموعظة الحسنة فاذا دخل شيء من ذلك في اذنه خرج من الاخرى ولم ينتفع بشيء مما سمع وقوله
صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة قد يراد بالحسنة التوبة من تلك السيئة وقد روي ذلك صريحا في حديث مرسل خرجه ابن ابي الدنيا من مراسيل

محمد بن جبير



محمد بن جبير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن قال يا معاذ اتق الله ما استطعت واعمل بقوته لربك
ما طقت واذكر الله عند كل شجر وحجر وان احدثت ذنبا فاحدث عنده توبة ان سرا فسر وان علانية فعلانية
وخرجه ابو نعيم عنه بمعناه من وجه اخر ضعيف عن معاذ وقال قتادة قال سلمان اذا اسات سيئة في سريرة فاحسن
حسنة في سريرة وان اسات سيئة في علانية فاحسن حسنة في علانية لكي تكون هذه بهذه وهذا يحتمل انه اراد بالحسنة
التوبة او اعم منها وقد اخبر الله في كتابه ان من تاب من ذنبه فانه يغفر له ذنبه او يتاب عليه في مواضع كثيرة كقوله انما
التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وقوله ثم ان
ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وقوله الا من تاب وامن وعمل صالحا ثم
اهتدى وقوله الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا وقوله والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الاية وقال عبد الرزاق اخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس
قال بلغني ان ابليس لما نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الاية بكى وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال هذه الاية
خير لاهل الذنوب من الدنيا وما فيها وقال ابن سيرين اعطانا الله هذه الاية مكان ما جعل لبني اسرائيل في
كفارات ذنوبهم وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية قال قال رجل يا رسول الله
لو كانت كفاراتنا ككفارات بني اسرائيل اللهم لا نبغيها ثلاثا ما اعطاكم الله خير مما اعطى بني اسرائيل كانت بنو
اسرائيل اذا اصاب احدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فان كفرها كانت له خزيا في الدنيا وان لم يكفرها
كانت له خزيا في الاخرة فما اعطاكم الله خير مما اعطى بني اسرائيل قال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج قال هو سعة الاسلام وما جعل الله لامة
محمد من التوبة والكفارة وظاهر هذه النصوص يدل على ان من تاب الى الله توبة نصوحا واجتمعت شروط
التوبة في حقه فانه يقطع بقبول الله توبته كما يقطع بقبول اسلام الكافر اذا اسلم اسلاما صحيحا وهذا قول الجمهور
وكلام ابن عبد البر يدل على انه اجماع ومن الناس من قال انه لا يقطع بقبول التوبة بل يرجى وصاحبها تحت المشيئة
وان تاب واستدلوا بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فجعل الذنوب كلها تحت المشيئة
وربما استدلوا بمثل قوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم وقوله
فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وقوله وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون
والظاهر ان هذا في حق التائب لان الاعتراف يقتضي الندم وفي حديث عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه والصحيح قول الاكثرين وهذه الايات لا تدل على عدم القطع فان
الكريم اذا اطمع لم يقطع من رجاء المطمع ومن هنا قال ابن عباس ان عسى من الله واجبة نقله عنه علي بن ابي طلحة
وقد ورد جزاء الايمان والعمل الصالح بلفظ عسى ايضا ولم يدل ذلك على انه غير مقطوع به كما في قوله انما يعمر مساجد الله من
امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين واما قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فان التائب
ممن يشاء ان يغفر له كما اخبر بذلك في مواضع كثيرة من كتابه وقد يراد بالحسنة في قول النبي صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة
ما هو اعم من التوبة كما في قوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات وقد روي
من حديث معاذ ان الرجل الذي نزلت بسببه هذه الاية امره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضا ويصلي وخرج الامام
احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرا هذه الاية والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وفي الصحيحين عن عثمان رضي الله عنه انه توضا ثم قال

فقال النبي صلى الله عليه وسلم

بلغ

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئي هذا ثم يصلي ركعتين لا يحدث فيهما نفسه
غفر له ما تقدم من ذنبه وفي مسند الامام احمد عن ابي الدردا رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضا فا
حسن الوضوء ثم قام فيصلي ركعتين او اربعا يحسن فيهما الركوع والخشوع ثم استغفر الله عز وجل غفر له وفي الصحيحين عن انس
رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله اني اصبت حدا فاقمه علي قال ولم يساله عنه فحضرت الصلاة
مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة قام اليه الرجل فقال يا رسول الله اني اصبت حدا فاقم في كتاب الله قال اليس قد
صليت معنا قال نعم قال فان الله قد غفر لك ذنبك او قال حدك وخرج مسلم بمعناه من حديث ابي امامة وخرجه ابن جرير الطبري
من وجه اخر عن ابي امامة وفي حديثه قال فانك من خطيئتك كما ولدتك امك فلا تعد وانزل واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا
من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات الاية وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارايتم لو ان نهرا بباب
احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شي قالوا لا يبقى من درنه شي قال فذلك مثل الصلاة الخمس يمحو الله
بهن الخطايا وفي صحيح مسلم عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات
قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط
وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما
تقدم من ذنبه وفيهما عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حج هذا البيت فلم يرفث ولم
يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الاسلام يهدم
ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله وفيه من حديث ابي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من صام عاشوراء احتسب على الله ان يكفر السنة التي قبله والتي بعده وخرج الامام احمد من حديث عقبة بن
عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل
حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة فانفكت اخرى حتى تخرج الى الارض ومما يكفر الخطايا ذكر الله عز وجل وقد ذكرنا فيما تقدم ان
النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن قول لا اله الا الله امن الحسنات هي قال هي احسن الحسنات وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وفيهما عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة
حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل افضل
من ذلك وفي المسند وكتاب ابن ماجه عن ام هاني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل وخرج
الترمذي عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر بشجرة يابسة الورق فضربها بعصاه فتناثر الورق فقال ان
الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر لتساقط من ذنوب العبد كما يتساقط ورق هذه الشجرة وخرج الامام احمد
باسناد صحيح عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة
ورقها والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا ويطول الكتاب بذكرها وسيل الحسن عن رجل لا يتحاشى من معصية الا ان لسانه لا يفتر
من ذكر الله فقال ان ذلك لعون حسن وسيل الامام احمد عن رجل اكتسب مالا من شبهة صلاته وتسبيحه يحط عنه شيا من ذلك فقال ان
صلى وسبح يريد به ذلك فارجو قال الله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقال مالك بن دينار البكاء على الخطيئة يحط الخطايا
كما يحط الريح الورق اليابس وقال عطا من جلس مجلسا من مجالس الذكر كفر عشرة مجالس من مجالس الباطل وقال شويس
العدوي وكان من قدماء التابعين ان صاحب اليمين امير او قال امين على صاحب الشمال فاذا عمل ابن ادم سيئة فاراد
صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين لا تعجل لعله يعمل حسنة فان عمل حسنة القى واحدة بواحدة وكتب له تسع
حسنات فيقول الشيطان يا ويله من يدرك تضعيف ابن ادم وخرج الطبراني باسناد ضعيف فيه نظر عن ابي
مالك الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نام ابن ادم قال الملك للشيطان اعطني صحيفتك فيعطيه اياها

فاوجد في صحيفته



فاوجد في صحيفته من حسنة محا بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان فاذا اراد ان يكبر احدكم فليكبر ثلاثا وثلاثين
تكبيرة ويحمد ثلاثا وثلاثين تحميدة ويسبح ثلاثا وثلاثين تسبيحة فتلك مائة وهذا غريب ومنكر وروى وكيع
الاعمش عن ابي الاحوص قال قال عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه وددت اني صولحت على ان اعمل تسع خطيات وحسنة
وهذا اشارة منه الى ان الحسنة يمحو بها تسع خطيات ويفضل له ضعف واحد من ثواب الحسنة فيكتفي به والله اعلم وقد
اختلف الناس في مسالتين احداهما هل تكفر الاعمال الصالحة الكبائر والصغائر ام لا تكفر سوى الصغائر وقد روي
هذا عن عطا وغيره من السلف في الوضوء انه يكفر الصغائر وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه في الوضوء انه يكفر الجراحات الصغار
والمشي الى المسجد يكفر اكبر من ذلك والصلاة تكفر اكبر من ذلك خرجه محمد بن نصر المروزي واما الكبائر فلا بد لها من
التوبة لان الله تعالى امر العباد بالتوبة وجعل من لم يتب ظالما واتفقت الامة على ان التوبة فرض والفرائض لا تودى
الا بنية وقصد ولو كانت الكبائر تقع مكفرة بالوضوء والصلاة واداء بقية اركان الاسلام لم يحتج الى التوبة وهذا
باطل بالاجماع وايضا فلو كفرت الكبائر بفعل الفرائض لم يبق لاحد ذنب يدخل به النار اذا اتى بالفرائض وهذا
يشبه قول المرجئة وهو باطل هذا ما ذكره ابن عبد البر في كتاب التمهيد وحكى اجماع المسلمين على ذلك واستدل باحاديث
منها قول النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر
وهذا الحديث في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وهذا يدل على ان الكبائر لا تكفرها هذه الفرائض وقد حكى ابن عطية في
تفسيره في معنى هذا الحديث قولين احدهما وحكاه عن جمهور اهل السنة ان اجتناب الكبائر شرط لتكفير هذه الفرائض الصغائر فان
لم يجتنب لم تكفر هذه الفرائض شيا بالكلية والثاني انها تكفر الصغائر مطلقا ولا تكفر الكبائر وان وجدت لكن بشرط التوبة من
الصغائر وعدم الاصرار عليها ورجح هذا القول وحكاه عن الحذاق وقوله بشرط التوبة من الصغائر وعدم الاصرار عليها
مراده انه اذا اصر عليها صارت كبيرة فلم تكفرها الاعمال والقول الاول الذي حكاه غريب مع انه قد حكي عن ابي بكر عبد العزيز بن جعفر
من اصحابنا مثله وفي صحيح مسلم عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من امري مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها
وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم توت كبيرة وذلك الدهر كله وفي مسند الامام احمد عن سلمان رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يتطهر الرجل يعني يوم الجمعة فيحسن طهوره ثم ياتي الجمعة فينصت حتى يقضي الامام صلاته
الا كانت كفارة ما بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت الكبائر وخرج النسائي وابن حبان والحاكم من حديث ابي سعيد وابي
هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج
الزكاة ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ابواب الجنة ثم قيل له ادخل بسلام وخرج الامام احمد والنسائي من حديث ابي ايوب
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه ايضا وخرج الحاكم معناه من حديث عبيد بن عمير عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ويروى من حديث
ابن عمر مرفوعا يقول الله عز وجل ابن ادم اذكرني من اول النهار ساعة ومن اخر النهار ساعة اغفر لك ما بين ذلك الا الكبائر او تتوب منها وقال
ابن مسعود رضي الله عنه الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال سلمان حافظوا على هذه الصلوات الخمس فانهن
كفارات لهذه الجراح ما لم تصب المقتلة وقال ابن عمر لرجل اتخاف النار ان تدخلها وتحب الجنة ان تدخلها قال اي قال بر امك فوالله
لئن النت لها الكلام واطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر وقد كرر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا
الكبائر وسددوا وابشروا وذهب قوم من اهل الحديث الى ان هذه الاعمال تكفر الكبائر ومنهم ابن حزم الظاهري واياه عنى
ابن عبد البر في كتاب التمهيد بالرد عليه وقال قد كنت ارغب بنفسي عن الكلام في هذا الباب لولا قول ذلك القائل وخشيت ان يغتر
به جاهل فينهمك في الموبقات اتكالا على انها تكفرها الصلوات دون الندم والاستغفار والتوبة والله نساله العصمة
والتوفيق قلت وقد وقع مثل هذا في كلام طائفة من اهل الحديث في الوضوء ونحوه ووقع مثله في كلام ابن المنذر في قيام
ليلة القدر قال يرجى لمن قامها انه يغفر له جميع ذنوبه كبيرها وصغيرها فان كان مراده ان من اتى بفرائض الاسلام وهو
مصر على الكبائر تغفر له الكبائر قطعا فهذا باطل قطعا يعلم بالضرورة من الدين بطلانه وقد سبق قول النبي صلى الله عليه وسلم

ويقال السيئات تشمل صح

من اساء في الاسلام اخذ بالاول والاخر يعني بما عمل في الجاهلية والاسلام وهذا اظهر من ان يحتاج الى بيان
وان اراد هذا القائل ان من ترك الاصرار على الكبائر وحافظ على الفرائض من غير توبة ولا ندم على ما سلف منه
كفرت ذنوبه كلها بذلك واستدل بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم يعني الكبائر
والصغائر وكما ان الصغائر تكفر باجتناب الكبائر من غير قصد ولا نية فكذلك الكبائر وقد يستدل بذلك بان الله وعد المؤ
منين والمتقين بالمغفرة وتكفير السيئات وهذا مذكور في غير موضع من القران وقد صار هذا من المتقين فانه فعل الفرائض
واجتنب الكبائر واجتناب الكبائر لا يحتاج الى نية وقصد فهذا القول يمكن ان يقال في الجملة والصحيح قول الجمهور
ان الكبائر لا تكفر بدون التوبة لان التوبة فرض على العباد وقد قال عز وجل ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقد فسرت
الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كعمر وعلي وابن مسعود التوبة بالندم ومنهم من فسرها بالعزم على ان لا يعود وقد روي ذلك مرفوعا
من وجه ضعيف لكن لا يعلم مخالف من الصحابة في هذا وكذلك التابعون ومن بعدهم كعمر بن عبد العزيز والحسن وغيرهما
واما النصوص الكثيرة المتضمنة مغفرة الذنوب وتكفير السيئات للمتقين كقوله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم وقوله ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات وقوله ومن يتق الله يكفر عنه
سيئاته ويعظم له اجرا فانه لم يتبين في هذه الايات خصال التقوى ولا العمل الصالح ومن جملة ذلك التوبة النصوح فمن لم يتب فهو
ظالم غير متق وقد بين في سورة ال عمران خصال التقوى التي يغفر لاهلها ويدخلهم الجنة فذكر منها الاستغفار وعدم الاصرار
فلم يضمن تكفير السيئات ومغفرة الذنوب الا لمن كان على هذه الصفة والله اعلم ومما يستدل به على ان الكبائر لا تكفر بدون التوبة
منها او العقوبة عليها حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال بايعوني على ان لا تشركوا
بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا وقرأ عليهم هذه الاية فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له
ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له خرجاه في الصحيحين وفي رواية لمسلم من اتى منكم
حدا فاقيم عليه فهو كفارته وهذا يدل على ان الحدود كفارات قال الشافعي لم اسمع في هذا الباب ان الحد يكون كفارة لاهله
شيئا احسن من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وقوله فعوقب به يعم العقوبات الشرعية وهي الحدود المقدرة او غير
المقدرة كالتعزيرات ويشمل العقوبات القدرية كالمصائب والاسقام والالام فانه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصيب
المسلم نصب ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وروي عن علي رضي الله عنه ان الحد كفارة لمن اقيم عليه
وذكر ابن جرير الطبري في هذه المسألة اختلافا بين الناس ورجح ان اقامة الحد بمجرده كفارة ووهم القول بخلاف ذلك جدا قلت
وقد روي عن سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم ان اقامة الحد ليست بكفارة ولا بد معه من التوبة ورجحه طائفة من المتاخرين منهم
البغوي وابو عبد الله بن تيمية في تفسيرهما وهو قول ابن حزم الظاهري والاول اقوال مجاهد وزيد بن اسلم والثوري واحمد واما
حديث ابي هريرة المرفوع لا ادري الحدود طهارة لاهلها ام لا فقد خرجه الحاكم وغيره واعله البخاري وقال لا يثبت وانما
هو من مراسيل الزهري وهي ضعيفة وغلط عبد الرزاق فوصله قال وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحد كفارة ومما
يستدل به من قال ان الحد ليس بكفارة قوله تعالى في المحاربين ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان
تقدروا عليهم وظاهره انه يجمع لهم عقوبة الدنيا والاخرة ويجاب عنه بانه ذكر عقوبتهم في الدنيا وعقوبتهم في الاخرة ولا يلزم
اجتماعهما واما استثناء من تاب فانما استثناه من عقوبة الدنيا خاصة فان عقوبة الاخرة تسقط بالتوبة قبل القدرة وبعدها
وقوله صلى الله عليه وسلم ومن اصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له صريح في ان هذه الكبائر
من لقي الله بها كانت تحت مشيئته وهذا يدل على ان اقامة الفرائض لا تكفرها ولا تمحوها فان عموم المسلمين يحافظون على الفرائض
لا سيما من بايعهم النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من ذلك من لقي الله وقد تاب منها بالنصوص الدالة من الكتاب على ان من تاب الى الله تاب الله عليه

وعنوانه يبقى

٢١

وعنوانه يبقى من لم يتب داخلا تحت المشيئة وايضا فيدل على ان الكبائر لا تكفرها الاعمال ان الله لم يجعل للكبائر في الدنيا كفارة
واجبة وانما جعل الكفارة للصغائر ككفارة وطء المظاهر ووطء المراة في الحيض على حديث ابن عباس الذي ذهب اليه الامام احمد
وغيره وكفارة من ترك شيئا من واجبات الحج او ارتكب بعض محظوراته وهي اربعة اجناس هدي وعتق وصدقة وصيام ولهذا
لا تجب الكفارة في قتل العمد عند جمهور العلماء ولا في اليمين الغموس ايضا عند اكثرهم وانما يؤمر القاتل بعتق رقبة استحبابا
كما في حديث واثلة بن الاسقع رضي الله عنه انهم جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب لهم قد اوجب فقال اعتقوا عنه رقبة
يعتق الله بها من النار ومعنى اوجب عمل عملا يجب له به النار ويقال انه كان قتل قتيلا وفي صحيح مسلم عن ابن عمر انه ضرب
عبدا له فاعتقه وقال ليس لي فيه من الاجر مثل هذا واخذ عودا من الارض اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من لطم مملوكه او
ضربه فكفارته ان يعتقه فان قيل فالمجامع في رمضان يؤمر بالكفارة والفطر في رمضان من الكبائر
قيل ليست الكفارة للفطر ولهذا لا تجب عند الاكثرين على كل مفطر في رمضان عمدا وانما هي لهتك حرمة نهار رمضان بالجماع
ولهذا لو كان مفطرا فطرا لا يجوز له في نهار رمضان ثم جامع لزمته الكفارة عند الامام احمد لما ذكرنا ومما يدل على
ان تكفير الواجبات مختص بالصغائر عن حذيفة رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند عمر رضي الله عنه اذ قال ايكم يحفظ
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة قال قلت فتنة الرجل في اهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ليس هذا اسالك خرجه مسلم بمعناه وظاهر هذا السياق يقتضي رفعه وفي لفظ للبخاري
ان حذيفة رضي الله عنه قال سمعته يقول فتنة الرجل فذكره وهذا كالصريح في رفعه وفي رواية لمسلم ان هذا من كلام عمر رضي الله عنه
واما قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي قال اصبت حدا فاقمه علي فتركه حتى صلى ثم قال له ان الله قد غفر لك حدك فليس صريحا
في ان المراد به شيء من الكبائر لان حدود الله محارمه كما قال تعالى تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقوله
تلك حدود الله فلا تقربوها وقوله تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات الاية الى قوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها وفي حديث النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم في ضرب مثل الاسلام بالصراط المستقيم الذي على
جانبيه سوران قال والسوران حدود الله وقد سبق ذكره بتمامه فكل من اصاب شيئا من محارم الله فقد اصاب حدوده او
ركبها وتعداها وعلى تقدير ان يكون الحد الذي اصابه كبيرة فهذا الرجل جاء نادما تائبا واسلم نفسه الى اقامة الحد عليه والندم
توبة والتوبة تكفر الكبائر بغير تردد وقد روي ما يستدل به على ان الكبائر تكفر ببعض الاعمال الصالحة فخرج الامام احمد والترمذي
من حديث ابن عمر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اصبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من
ام قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها وخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال على شرط الشيخين لكن خرجه
الترمذي من وجه اخر مرسلا وذكر ان المرسل اصح من الموصول وكذا قال علي بن المديني والدارقطني وروي عن عمر ان رجلا قال له
قتلت نفسا قال امك حية قال لا قال فابوك قال نعم قال فبره واحسن اليه ثم قال عمر لو كانت امه حية فبرها واحسن اليها
رجوت ان لا تطعمه النار ابدا وعن ابن عباس معناه ايضا وكذلك المراة التي عملت بالسحر بدومة الجندل وقدمت المدينة تسال
عن توبتها فوجدت النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي فقال لها اصحابه لو كان ابواك حيين او احدهما كانا يكفيانك خرجه الحاكم
وقال فيه اجماع الصحابة حدثان وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على ان بر الابوين يكفيها وقال مكحول والامام احمد بر
الوالدين كفارة الكبائر وروي عن بعض السلف في حمل الجنائز انه يحط الكبائر وروي مرفوعا من وجوه لا تصح وقد صح من
رواية ابي بردة ان ابا موسى لما حضرته الوفاة قال يا بني اذكروا صاحب الرغيف كان رجل يتعبد في صومعة اراه سبعين
سنة فشبه الشيطان في عينه امراة فكان معها سبع ليال ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائبا ثم ذكر انه بات بين مساكين فتصدق

بلغ

ما خرج البخاري

خرجه الامام احمد وابن

عليهم برغيف رغيف فاعطوه رغيفا ففقده صاحبه الذي كان يعطاه فلما علم بذلك اعطاه الرغيف واصبح ميتا
فوزنت سبعون سنة بالسبع الليالي فرجحت الليالي ووزن الرغيف بالسبع الليالي فرجح الرغيف وروى ابن المبارك
باسناده في كتاب البر والصلة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال عبد الله رجل سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فا
حبط الله عمله ثم اصابته زمانة واقعد فراى رجلا يتصدق على مساكين فجا اليه فاخذ منه رغيفا فتصدق به على مسكين
فغفر الله له ورد عليه عمل سبعين سنة وهذه كلها لا دلالة فيها على تكفير الكباير بمجرد العمل لان كل من ذكر فيها كان
نادما تايبا من ذنبه وانما كان سواله عن عمل صالح يتقرب به الى الله بعد التوبة حتى يمحو به اثر الذنب بالكلية فان الله
شرط في قبول التوبة ومغفرة الذنوب بها العمل الصالح كقوله الا من تاب وامن وعمل صالحا وقوله اني لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا وقوله فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وفي هذا متعلق لمن يقول ان التايب
بعد التوبة في المشيئة وكان هذا حال كثير من الخايفين من السلف فقال بعضهم لرجل هل اذنبت ذنبا قال نعم قال فعلمت
ان الله كتبه عليك قال نعم قال فاعمل حتى تعلم ان الله قد محاه ومنه قول ابن مسعود ان المومن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف
ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب طار على انفه فقال به هكذا خرجه البخاري وكانوا يتهمون اعمالهم وتوباتهم
ويخافون الا يكون قد قبل منهم ذلك فكان ذلك يوجب لهم شدة الخوف وكثرة الاجتهاد في الاعمال الصالحة قال الحسن ادركت
اقواما لو انفق احدهم ملء الارض ما امن لعظم الذنب في نفسه وقال ابن عون لا تثق بكثرة العمل فانك لا تدري يقبل منك
ام لا ولا تامن ذنوبك فانك لا تدري كفرت عنك ام لا ان عملك مغيب عنك كله والاظهر والله اعلم في هذه المسالة اعني مسالة
تكفير الكباير بالاعمال انه ان اريد ان الكباير تمحى بمجرد الاتيان بالفرايض وتقع الكباير مكفرة بذلك كما تكفر الصغاير
باجتناب الكباير فهذا باطل وان اريد انه قد يوازن يوم القيامة بين بعض الكباير وبين بعض الاعمال فتمحى الكبيرة بما يقابلها من العمل ويسقط
العمل فلا يبقى له ثواب فهذا قد يقع وقد تقدم عن ابن عمر انه لما اعتق مملوكه الذي ضربه قال ليس لي فيه من الاجر شي حيث كان
كفارة لذنبه ولم يكن ذنبه من الكباير فكيف بما كان من الاعمال مكفرا للكباير وسبق ايضا قول من قال من السلف ان السيئة
تمحى ويسقط نظيرها حسنة من الحسنات التي هي ثواب العمل فاذا كان هذا في الصغاير فكيف بالكباير فان بعض الكباير
قد يحبط بعض الاعمال المنافية لها كما يبطل المن والاذى الصدقة وتبطل المعاملة بالربا الجهاد كما قالت عايشة رضي الله عنها وقال حذيفة
قذف المحصنة يهدم عمل مايه سنة وروي عنه مرفوعا خرجه البزار وكما يبطل ترك صلاة العصر العمل فلا يستنكر ان يبطل ثواب
العمل الذي يكفر الكباير وقد خرج البزار في مسنده والحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يوتى بحسنات العبد وسيئاته يوم القيامة فيقص او فيقتص بعضها من بعض فان بقيت له حسنة وسع له بها في الجنة وخرج
ابن ابي حاتم من حديث ابن لهيعة قال حدثني عطا بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال كان المسلمون يرون انهم لا يوجرون على الشي القليل اذا اعطوه فيجي المسكين
فيستقلون ان يعطوه تمرة وكسرة وجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشي انما نوجر على ما نعطي ونحن
نحبه وكان اخرون يرون انهم لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك يقولون انما وعد الله النار
على الكباير فرغبهم الله في القليل من الخير ان يعملوه فانه يوشك ان يكثر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك ان يكثر فنزلت
ومن يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره يعني اصغر النمل خيرا يره يعني في كتابه ويسره ذلك قال
يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فاذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المومنين ايضا
بكل واحدة عشرا فيمحو الله بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة وظاهر هذا انه تقع

المقاصة بين

المقاصة بين الحسنات والسيات ثم تسقط الحسنات المقابلة للسيئات وينظر الى ما يفضل منها بعد المقاصة وهذا يوافق قول من قال
بان من رجحت حسناته على سيئاته بحسنة واحدة اثيب بتلك الحسنة خاصة وتسقط باقي حسناته في مقابلة سيئاته خلافا لمن قال يثاب
بالجميع وتسقط سيئاته كانها لم تكن وهذا في الكباير اما الصغاير فانه قد تمحى بالاعمال الصالحة مع بقاء ثوابها كما قال صلى الله عليه وسلم
الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة
فاثبت لهذه الاعمال تكفير الخطايا ورفع الدرجات وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي و
يميت وهو على كل شي قدير مايه مرة كتب الله له مايه حسنة ومحي عنه مايه سيئة وكانت له عدل عشر رقاب يعتقها فدل على ان الذكر
يمحو السيات ويبقى ثوابه لعامله مضاعفا وكذلك سيات التايب توبة نصوحا تكفر عنه وتبقى له حسناته كما قال الله عز وجل
حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي
اني تبت اليك واني من المسلمين اوليك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سياتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
وقال عز وجل والذي جاء بالصدق وصدق به اوليك هم المتقون لهم ما يشاوون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا
يعملون فلما وصف هولاء بالتقوى والاحسان دل على انهم ليسوا مصرين على الذنوب بل هم تايبون منها وقوله ليكفر الله عنهم اسوا
الذي عملوا يدخل فيه الكباير لانها اسوا الاعمال وقال ومن يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا فرتب على التقوى المتضمنة لفعل الواجبات
وترك المحرمات تكفير السيات وتعظيم الاجر واخبر الله عز وجل عن المومنين المتفكرين في خلق السموات والارض انهم قالوا ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا واخبر انه استجاب لهم ذلك وانه كفر عنهم سياتهم
وادخلهم الجنات وقوله فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا تحمل الذنوب بالمغفرة والذنوب بالتكفير فقد تقال السيات تخص الصغاير
والذنوب يراد بها الكباير فالسيات تكفر لان الله تعالى جعل لها كفارات في الدنيا شرعية وقدرية والذنوب تحتاج الى مغفرة تقي
صاحبها من شرها والمغفرة والتكفير متقاربان فان المغفرة قد قيل انها ستر الذنوب وقيل وقاية شر الذنب مع ستره ولهذا ما ستر
الراس ووقاه في الحرب مغفرا ولا يسمى كل ساتر للراس مغفرا وقد اخبر الله عز وجل عن الملايكة انهم يدعون للمومنين التايبين بالمغفرة
ووقاية السيات والتكفير من هذا الجنس لان اصل الكفر الستر والتغطية ايضا وقد فرق بعض المتاخرين بينهما بان الكفر محو اثر الذنب
حتى كانه لم يكن والمغفرة تتضمن مع ذلك افضال الله على العبد واكرامه وفي هذا نظر وقد يفسر بان مغفرة الذنوب بالاعمال الصالحة تبدلها حسنات
وتكفيرها بالمكفرات محوها وفيها ايضا نظر فانه قد صح ان الذنوب المعاقب عليها بدخول النار تبدل حسنات فالمغفرة بعمل صالح تكون كفارة
لها اولا ويحتمل معنيين اخرين احدهما ان المغفرة لا تحصل الا مع عدم العقوبة والمواخذة لانها وقاية شر الذنب بالكلية والتكفير
قد يقع بعد العقوبة فالمصايب الدنيوية كلها مكفرات للخطايا وهي عقوبات وكذلك العفو يقع مع العقوبة وبدونها وكذلك الرحمة
والثاني ان المكفرات من الاعمال ما جعلها الله لمحو الذنوب المكفرة بها ويكون ذلك ثوابها وليس لها ثواب غيره والغالب عليها
ان تكون من جنس مخالفة هوى النفوس وتجشم المشقة فيه كاجتناب الكباير الذي جعله الله كفارة للصغاير واما الاعمال
التي تغفر بها الذنوب فهي ما عدا ذلك ويجتمع فيها المغفرة والثواب عليها كالذكر الذي يكتب به الحسنات والذي يمحى به السيات وعلى هذا
الوجه فيفرق بين الكفارات وغيرها واما تكفير الذنوب ومغفرتها اذا اضيف ذلك الى الله فلا فرق بينهما وعلى الوجه الاول يكون بينهما
فرق ايضا ويشهد لهذا الوجه الثاني امران احدهما قول ابن عمر لما اعتق العبد الذي ضربه ليس لي فيه من الاجر شي واستدل بانه
كفارة والثاني ان المصايب الدنيوية كلها كفارات للذنوب وقد قال كثير من الصحابة وغيرهم من السلف انه لا ثواب فيها مع التكفير
وان كان بعضهم قد خالف في ذلك ولا يقال فقد سمى الكفارات في حديث المنام باسباغ الوضوء في المكروهات ونقل الاقدام الى
الصلاة وقال من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه وهذه كلها مع تكفيرها للسيات ترفع الدرجات
ويحصل عليها الثواب لانا نقول قد يجتمع في العمل الواحد شيان يرفع باحدهما الدرجات ويكفر بالاخر السيات فالوضوء
مع نفسه يثاب عليه لكن اسباغه في شدة البرد من جنس الالام التي تحصل للنفوس في الدنيا فيكون كفارة في هذه الحال فتمحى به الخطايا

كما تكفر بالذكر وغيره وكذلك المشي إلى الجماعات هو قربة وطاعة يثاب عليه ويكون ما يحصل للنفس من المشقة والألم بالتعب والنصب هو
كفارة وكذلك حبس النفس في المسجد لانتظار الصلاة وقطعها عن مألوفاتها من الخروج إلى المواضع التي تميل النفوس إليها إما لكسب الدنيا
أو للتنزه هو من هذا الجنس مؤلم للنفس فيكون كفارة وقد جاء في الحديث أن إحدى خطوتي الماشي إلى المسجد ترفع له درجة والأخرى
تحط عنه خطيئة وهذا يقوي ما ذكرناه وإن حصل به التكفير غير ما حصل به رفع الدرجات والله أعلم وعلى هذا فيجتمع في العمل الواحد
تكفير السيئات ورفع الدرجات من جهتين ويوصف من كل حال بكلا الوصفين فلا تنافي بين تسميته كفارة وبين الإخبار عنه بمضاعفة
الثواب به أو وصفه برفع الدرجات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن
ما اجتنبت الكبائر فلا شك في حبس النفس على المواظبة على الفرائض من مخالفة هواها وكفها عما تميل إليه ما يوجب ذلك تكفير الصغائر
وكذلك الشهادة في سبيل الله تكفر الذنوب بما يحصل بها من الألم ورفع الدرجات بما اقترن بها من الأعمال الصالحة بالقلب والبدن فتبين
بهذا أن بعض الأعمال يجتمع فيها ما يوجب رفع الدرجات وتكفير السيئات من جهتين ولا يكون بينهما منافاة وهذا ثابت في الذنوب
الصغائر بلا ريب وأما الكبائر فقد تكفر بالشهادة مع حصول الأجر للشهيد لكن الشهيد ذو الخطايا في رابع درجة من درجات
الشهداء كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث فضالة بن عبيد خرجه الإمام أحمد والترمذي وأما مغفرة الذنوب ببعض الأعمال
مع توفر أجرها وثوابها فقد دل عليه الأحاديث الصحيحة في الذكر وقد قيل إن تلك السيئات تكتب حسنات أيضا كما في حديث أبي مالك
الأشعري الذي سبق ذكره وذكرنا أيضا عن بعض السلف أنه يحط بالواحدة ضعف واحد من أضعاف الحسنة ويبقى له تسع حسنات
والظاهر أن هذا يختص بالصغائر وأما في الآخرة فيوازن بين الحسنات والسيئات ويقص بعضها من بعض فإن من رجحت حسناته على
سيئاته فقد نجا ودخل الجنة وسواء في هذا الصغائر والكبائر وهكذا من كانت له حسنات وعليه مظالم فاستوفى المظلومون حقوقهم
من حسناته وبقي له حسنة دخل الجنة قال ابن مسعود من كان وليا لله فضل له مثقال ذرة ضاعفها الله حتى يدخل الجنة وإن كان
شقيا قال الملك رب فنيت حسناته وبقي له طالبون كثير قال خذوا من سيئاتهم فضعوها على سيئاته ثم صكوا له صكا إلى النار خرجه
ابن أبي حاتم وغيره والمراد أن التفضيل من مثقال الذرة من الحسنات إنما هو بفضل الله وحظ المضاعفة لحسنات المؤمن
وبركته فيها وهكذا إنما من كانت له حسنات وسيئات والأمر إلى الله رحمة فيفضل له من حسناته ما يدخل به الجنة وكل من فضل الله ورحمته
فإنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله ورحمته وخرج أبو نعيم بإسناد عن علي مرفوعا أوحى الله إلى نبي من الأنبياء من بني إسرائيل
قل لأهل طاعتي من أمتك لا يتكلوا على أعمالهم فإني لا أقاص عبدا الحساب يوم القيامة أشاء أن أعذبه إلا عذبته وقل لأهل معصيتي
من أمتك لا يلقوا بأيديهم فإني أغفر الذنب ولا أبالي معصيتي وهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من نوقش الحساب
عذب وفي رواية هلك المسألة الثانية أن الصغائر هل تجب التوبة منها كالكبائر أم لا لأنها تقع مكفرة باجتناب الكبائر
لقوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما هذا مما اختلف الناس فيه فمنهم من أوجب التوبة
منها وهو قول أصحابنا وغيرهم من الفقهاء والمتكلمين وقد أمر الله سبحانه وتعالى عقب ذكر الصغائر والكبائر بالتوبة فقال تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن
ويحفظن فروجهن إلى قوله وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وأمر بالتوبة من الصغائر بخصوصها في
قوله يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن إلى قوله ومن لم يتب
فأولئك هم الظالمون ومن الناس من لم يوجب التوبة منها وحكي عن طائفة من المعتزلة ومن المتأخرين من قال يجب أحد الأمرين
إما التوبة منها أو الإتيان ببعض المكفرات للذنوب من الحسنات وحكى ابن عطية في تفسيره في تكفير الصغائر بامتثال
الفرائض واجتناب الكبائر قولين أحدهما وحكاه عن جماعة من الفقهاء وأهل الحديث أنه يقطع بتكفيرها بذلك قطعا لظاهر
الآية والحديث والثاني وحكاه عن الأصوليين أنه لا يقطع بذلك بل يحمل على غلبة الظن وقوة الرجاء وهو في مشيئة الله عز وجل
إذ لو

بلغ



إذ لو قطع بتكفيرها لكانت الصغائر في حكم المباح الذي لا تبعة فيه وذلك نقض لعرى الشريعة قلت قد يقال لا
يقطع بتكفيرها لأن أحاديث التكفير المطلقة بالأعمال جاءت مقيدة بتحسين العمل كما ورد ذلك في الوضوء والصلاة و
حينئذ فلا يتحقق وجود حسن العمل الذي يوجب التكفير وعلى هذا الاختلاف الذي ذكره ابن عطية ينبني الاختلاف في و
جوب التوبة من الصغائر وقد خرج ابن جرير من رواية الحسن أن قوما أتوا عمر رضي الله عنه فقالوا إن ناسا من
كتاب الله لا يعمل بها فقال الرجل منهم أقرأت كتاب الله كله قال نعم قال فهل أحصيته في نفسك قال اللهم لا قال فهل أحصيته
في بصرك فهل أحصيته في لفظك قال هل أحصيته في أثرك ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم ثم قال ثكلت عمر أمه أتكلفونه أن يقيم على
الناس كتاب الله قد علم أنه سيكون لنا سيئات قال وتلا إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية وما
سنذكره عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال لم أر مثل الذي بلغنا عن ربنا تعالى لم نخرج له عن كل أهل ومال أن
تجاوز لنا عما دون الكبائر فما لنا ولها ثم تلا إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
الآية وخرجه البزار من سنده مرفوعا والموقوف أصح وقد وصف الله المحسنين باجتناب الكبائر قال تعالى ويجزي
الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة وفي تفسير
اللمم قولان للسلف أحدهما أنه مقدمات الفواحش كاللمس والقبلة وروي عن ابن عباس في أحد قوليه
هو ما دون الحدين وعيد الآخرة بالنار وحد الدنيا والثاني الإلمام بشيء من الفواحش والكبائر مرة واحدة ثم يتوب منه و
روي عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وروي عنه مرفوعا بالشك في رفعه قال اللمة من الزنا ثم يتوب فلا يعود واللمة من شرب
الخمر ثم يتوب فلا يعود واللمة من السرقة ثم يتوب فلا يعود ومن فسر الآية بهذا قال لا بد أن يتوب منه بخلاف من فسره بالمقدمات فإنه
لم يشترط التوبة والظاهر أن القولين صحيحان وأن كليهما مراد من الآية وحينئذ فالمحسن هو من لا يأتي بكبيرة إلا نادرا ثم
يتوب منها ومن إذا أتى بصغيرة كانت مغمورة في حسناته المكفرة لها ولا بد أن لا يكون مصرا عليها كما قال تعالى ولم يصروا على ما فعلوا
وهم يعلمون وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي مرفوعا من وجوه
ضعيفة وإذا صارت الصغائر كبائر بالمداومة عليها فلا بد للمحسنين من اجتناب المداومة على الصغائر حتى يكونوا مجتنبين
كبائر الإثم والفواحش وقال الله عز وجل وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش
وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم
البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله فهذه الآيات تضمنت وصف المؤمنين بقيامهم
بما أوجب الله عليهم من الإيمان والتوكل وإقام الصلاة والإنفاق مما رزقهم الله والاستجابة لله في جميع طاعاته ومع هذا
فهم يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وهذا هو تحقيق التقوى ووصفهم في معاملتهم للخلق بالمغفرة عند الغضب وندبهم إلى
العفو والإصلاح وأما قوله والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون فليس منافيا للعفو فإن الانتصار يكون بإظهار القدرة على
الانتقام ثم يقع العفو بعد ذلك فيكون أتم وأكمل قال النخعي في هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا وقال
مجاهد كانوا يكرهون للمؤمن أن يذل نفسه فيجترئ عليه الفساق فالمؤمن إذا بغي عليه يظهر القدرة على الانتقام ثم يقع العفو بعد
ذلك وقد جرى مثل هذا لكثير من السلف منهم قتادة وغيره فهذه الآيات تتضمن جميع ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته
لمعاذ فإنها تضمنت أصول خصال التقوى بفعل الواجبات والانتهاء عن كبائر المحرمات ومعاملة الخلق بالإحسان والعفو
ولازم هذا أنه إن وقع منهم شيء من الإثم من غير الكبائر والفواحش يكون مغمورا بخصال التقوى المقتضية لتكفيرها ومحوها
وأما الآيات التي في سورة آل عمران فوصف فيها المتقين بالإحسان إلى الخلق وبالاستغفار من الفواحش وظلم النفس
وعدم الإصرار على ذلك وهذا هو الأكمل وهو إحداث التوبة والاستغفار عقيب كل ذنب من الذنوب صغيرا كان أو
كبيرا كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم وصى بذلك معاذا وقد ذكرناه فيما سبق وإنما بسطنا القول في هذا لأن حاجة الخلق إليه شديدة
وكل أحد يحتاج إلى معرفة هذا ثم إلى العمل بمقتضاه والله الموفق والمعين وقوله صلى الله عليه وسلم وأتبع السيئة الحسنة تمحها
ظاهره أن السيئات تمحى بالحسنات وقد تقدم ذكر الآثار التي فيها أن السيئة تمحى من صحف الملائكة بالحسنة إذا عملت بعدها
قال عطية العوفي بلغني أنه من بكى على خطيئته محيت عنه وكتبت له حسنة وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال من ذكر خطيئته

عملها فوجل قلبه منها فاستغفر الله عز وجل لم يحبها شيء حتى يمحوها عنه الرحمن وقال بشر بن الحارث بلغني عن الفضيل
بن عياض رحمة الله عليهم قال بكاء النهار يمحو ذنوب العلانية وبكاء الليل يمحو ذنوب السر وقد ذكرنا فيما تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم
الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات وقالت طائفة لا تمحى الذنوب من صحائف الاعمال بتوبة ولا غيرها
بل لا بد ان يوقف عليها صاحبها ويقرأها يوم القيمة واستدلوا بقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون
يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وفي الاستدلال بهذه الاية نظر لانه انما ذكر فيها حال المجرمين
وهم اهل الجرائم والذنوب العظيمة فلا يدخل فيهم المؤمنون التائبون من ذنوبهم او المغفورة ذنوبهم بحسناتهم واظهر من
هذا الاستدلال بقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد ذكر بعض المفسرين ان هذا القول
هو الصحيح عند المحققين وقد روي هذا القول عن الحسن البصري وبلال بن سعد الدمشقي قال الحسن في العبد يذنب ثم يتوب و
يستغفر فيغفر له ولكن لا يمحاه من كتابه دون ان يقفه عليه ثم يسئله عنه ثم بكى الحسن بكاء شديدا وقال لو لم نبك الا للحيا
من ذلك المقام لكان ينبغي لنا ان نبكي وقال بلال بن سعد ان الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه
عليها يوم القيمة وان تاب وقال ابو هريرة رضي الله عنه يدني الله العبد يوم القيمة فيضع عليه كنفه فيستره من الخلائق
كلها ويدفع اليه كتابه في ذلك الستر فيقول اقرا يا ابن ادم كتابك فيقرا فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ويسر بها قلبه فيقول الله
اتعرف يا عبدي فيقول نعم فيقول اني قبلتها منك فيسجد فيقول ارفع راسك وعد في كتابك فيمر بالسيئة فيسود لها وجهه ويوجل
منها قلبه وترتعد فرائصه ويأخذه من الحيا من ربه ما لا يعلمه غيره فيقول اتعرف يا عبدي فيقول نعم يا رب فيقول اني قد غفرتها
لك فيسجد فلا يرى منه الخلائق الا السجود حتى ينادي بعضهم بعضا طوبى لهذا العبد الذي لم يعص الله قط ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين
الله عز وجل مما قد وقفه عليه وقال ابو عثمان النهدي عن سلمان رضي الله عنه يعطى الرجل صحيفته يوم القيمة فيقرأ اعلاها فاذا
سيئاته فاذا كاد يسوء ظنه نظر في اسفلها فاذا حسناته ثم نظر في اعلاها فاذا هي قد بدلت حسنات وروي عن ابي عثمان
عن ابن مسعود وعن ابي عثمان من قوله وهو اصح وروى ابن ابي حاتم باسناده عن بعض اصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه قال يدخل اهل الجنة الجنة على
اربعة اصناف المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين ثم اصحاب اليمين قيل لم سموا اصحاب اليمين قال لانهم عملوا الحسنات
والسيئات فاعطوا كتبهم بايمانهم فقرؤوا سيئاتهم حرفا حرفا قالوا يا ربنا هذه سيئاتنا فاين حسناتنا فعند ذلك محا الله
السيئات وجعلها حسنات فعند ذلك قالوا هاؤم اقرؤا كتابيه فهم اهل الجنة واهل هذا القول قد يحملون احاديث
محو السيئات بالحسنات على محو عقوباتها دون محو كتابتها من الصحف والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم وخالق
الناس بخلق حسن هذا من خصال التقوى ولا تتم التقوى الا به وانما افرده بالذكر للحاجة الى بيانه فان كثيرا من الناس
يظن ان التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده فنص له على الامر باحسان العشرة للناس فانه كان
قد بعثه الى اليمن معلما لهم ومفقها وقاضيا ومن كان كذلك فانه يحتاج الى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج اليه
غيره ممن لا حاجة للناس به ولا يخالطهم وكثيرا ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله والانعكاف على محبته
وخشيته وطاعته اهمال حقوق العباد بالكلية او التقصير فيها والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده
عزيز جدا لا يقوى عليه الا الكمل من الانبيا والصديقين وقال الحارث المحاسبي ثلاثة اشيا عزيزة او
معدومة حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الاخا مع الامانة وقال بعض السلف جلس داود
عليه الصلاة والسلام خاليا فقال الله عز وجل مالي اراك خاليا قال هجرت الناس فيك يا رب العالمين قال يا داود الا
ادلك على ما تستبقي به ودهم وتبلغ به رضائي خالق الناس باخلاقهم واحتجز الايمان بيني وبينك وقد عد الله في كتابه
مخالقة الناس بخلق حسن من خصال التقوى بل بدا بذلك في قوله تعالى اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن سعيد المقبري قال بلغنا ان رجلا جاء
الى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فقال يا معلم الخير كيف اكون تقيا لله عز وجل كما ينبغي له قال بيسير من الامر تحب الله

بقلبك كله

الحديث صح

بلغ

الشرح

بقلبك كله وتعمل بكدحك وقوتك ما استطعت وترحم ابن جنسك كما ترحم نفسك قال من ابن جنسي يا معلم الخير قال
ولد ادم كلهم وما لا تحب ان يؤتى اليك فلا تاته الى احد وانت تقي لله عز وجل كما ينبغي له وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق
من خصال الايمان كما خرج الامام احمد وابو داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اكمل المؤمنين
ايمانا احسنهم خلقا وخرجه محمد بن نصر المروزي وزاد فيه وان المرء ليكون مؤمنا وان في خلقه شيا فينقص ذلك من ايمانه
وخرج الامام احمد وابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث اسامة بن شريك رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله
ما افضل ما اعطي المرء المسلم قال الخلق الحسن واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان صاحب الخلق الحسن يبلغ بخلقه درجة
الصايم القايم لئلا يشتغل المريد للتقوى عن حسن الخلق بالصوم والصلاة ويظن ان ذلك يقطعه عن فضلهما فخرج
الامام احمد وابو داود من حديث عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجات
الصايم القايم واخبر ان حسن الخلق افضل ما يوضع في الميزان وان صاحبه احب الناس الى الله واقربهم من النبيين
مجلسا فخرج الامام احمد والترمذي من حديث ابي الدردا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء يوضع في
الميزان اثقل من حسن الخلق ليبلغ به درجة الصوم والصلاة صاحب الصوم والصلاة وخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث
عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال الا اخبركم باحبكم الى الله واقربكم مني مجلسا يوم القيمة قالوا بلى قال احسنكم خلقا وفي الباب من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق وخرج ابو داود من حديث ابي
امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا زعيم ببيت في اعلى الجنة لمن حسن خلقه وخرج الترمذي وابن ماجه
بمعناه من حديث انس رضي الله عنه وقد روي عن السلف تفسير حسن الخلق فعن الحسن رحمه الله قال حسن الخلق الكرم و
البذلة والاحتمال وعن الشعبي قال حسن الخلق البذلة والعطية والبشر الحسن وكان الشعبي كذلك وعن ابن المبارك قال
هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وسئل سلام بن ابي مطيع عن حسن الخلق فانشد

تراه اذا ما جئته متهللا ... كانك تعطيه الذي انت سايله

وقال احمد بن حنبل رحمة الله عليه
حسن الخلق ان لا تغضب ولا تحتد وعنه انه قال حسن الخلق ان تحتمل ما يكون من الناس وقال اسحق بن راهويه
هو بسط الوجه وان لا تغضب ونحو ذلك قال محمد بن نصر وقال بعض اهل العلم حسن الخلق كظم الغيظ لله واظهار الطلاقة
والبشر الا للمبتدع والفاجر والعفو عن الزالين الا تاديبا واقامة لحد وكف الاذى عن كل مسلم او معاهد الا تغيير منكر
واخذا بمظلمة المظلوم من غير تعد وفي مسند الامام احمد من حديث معاذ بن انس الجهني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
افضل الفضايل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك وخرج الحاكم من حديث عقبة بن عامر الجهني
رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وخرج الطبراني من حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على اكرم
اخلاق اهل الدنيا والاخرة ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك

## الحديث التاسع عشر

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله
تجده تجاهك اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك
الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف
رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية غير الترمذي احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم
ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطيك واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا
هذا الحديث خرجه الترمذي من رواية حنش الصنعاني عن ابن عباس وخرجه الامام احمد من حديث [illegible]
اسنادين اخرين منقطعين ولم يميز لفظ بعضها من بعض ولفظ حديثه يا غلام او يا غليم الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى

وان صاحب حسن الخلق [illegible]

فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سالت فاسئل الله واذا
استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو ان الخلق كلهم جميعا ارادوا ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا
ان ينفعوك بشيء لم يقضه الله لم يقدروا عليه وان ارادوا ان يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم ان في
الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا وهذا اللفظ اتم من اللفظ الذي
ذكره الشيخ رحمه الله وعزاه الى غير الترمذي واللفظ الذي ذكره الشيخ رواه عبد بن حميد في مسنده باسناد ضعيف
عن عطا عن ابن عباس وكذلك عزاه ابن الصلاح في الاحاديث الكلية التي هي اصل الاربعين للشيخ رحمه الله الى عبد بن حميد
وغيره وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطا بن ابي رباح وعمرو بن دينار
وعبيد الله بن عبد الله وعمر مولى غفرة وابن ابي مليكة وغيرهم واصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها
الترمذي كذا قاله ابن منده وغيره وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وصى ابن عباس بهذه الوصية من حديث علي بن ابي طالب
وابي سعيد الخدري وسهل بن سعد وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وفي اسانيدها كلها ضعف وذكر العقيلي ان اسانيد
الحديث كلها لينة وبعضها اصح من بعض وبكل حال فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة وهذا الحديث
يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من اهم امور الدين حتى قال بعض العلماء تدبرت هذا الحديث فادهشني وكدت
اطيش فوا اسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه قلت وقد افردت لشرحه جزءا كبيرا ونحن نذكر ههنا
مقاصده على وجه الاختصار ان شاء الله تعالى فقوله صلى الله عليه وسلم احفظ الله يعني احفظ حدوده وحقوقه
واوامره ونواهيه وحفظ ذلك هو الوقوف عند اوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا
يتجاوزها وما امر به واذن فيه الى ما نهى عنه فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه وقال عز وجل
هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب وفسر الحفيظ ههنا بالحافظ لاوامر الله
وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها ومن اعظم ما يجب حفظه من اوامر الله الصلاة وقد امر الله سبحانه بالمحافظة عليها فقال
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ومدح المحافظين عليها بقوله الذين هم على صلاتهم يحافظون وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من حافظ عليها كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة وفي حديث من حافظ عليهن كن له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة وكذلك
الطهارة فانها مفتاح الصلاة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحافظ على الوضوء الا مؤمن ومما يؤمر بحفظه الايمان قال الله عز وجل
واحفظوا ايمانكم فان الايمان يقع فيها الناس كثيرا ويهمل كثير منهم ما يجب لها فلا يحفظه ولا يلتزمه ومن ذلك حفظ الراس
والبطن كما في حديث ابن مسعود المرفوع الاستحيا من الله حق الحيا ان تحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى خرجه الامام
احمد والترمذي وحفظ الراس وما وعى يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ
القلب عن الاصرار على محرم قال عز وجل واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وقد جمع الله ذلك كله في قوله ان
السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ويتضمن ايضا حفظ البطن من ادخال الحرام اليه من الماكل والمشارب ومن
اعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عز وجل اللسان والفرج وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ
ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة خرجه الحاكم وخرج الامام احمد من حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
حفظ ما بين فقميه وفرجه دخل الجنة وامر الله عز وجل بحفظ الفروج ومدح الحافظين لها فقال قل للمؤمنين يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال تعالى والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما وقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين وقال ابو ادريس اول ما وصى به ادم عند اهباطه الى الارض ان يحفظ فرجه وقال
لا تضعه الا في حلال وقوله صلى الله عليه وسلم يحفظك يعني ان من حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله فان

الجزاء من جنس العمل



فان الجزاء من جنس العمل كما قال تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال فاذكروني اذكركم وقال ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان احدهما حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده واهله
وماله قال الله عز وجل له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله قال ابن عباس رضي الله عنهما هم الملائكة يحفظونه
بامر الله فاذا جاء القدر خلوا عنه وقال علي رضي الله عنه ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه
وبينه وان الاجل جنة حصينة وقال مجاهد ما من عبد الا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام
فما من شيء ياتيه الا قال وراءك الا شيئا اذن الله فيه فيصيبه وخرج الامام احمد وابو داود والنسائي من حديث ابن عمر قال
لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح اللهم اني اسالك العافية في الدنيا والاخرة اللهم اني
اسالك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني
وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بعظمتك ان اغتال من تحتي ومن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته ومتعه
بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله كان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله فوثب يوما وثبة شديدة فعوتب
في ذلك فقال هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر وعكس هذا ان بعض السلف راى شيخا يسال
الناس فقال ان هذا ضيع الله في صغره فضيعه الله في كبره وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته كما قيل في قوله تعالى
وكان ابوهما صالحا انهما حفظا بصلاح ابيهما وقال سعيد بن المسيب ~~في قوله تعالى~~ لابنه لازيدن في صلاتي من اجلك رجاء ان احفظ
فيك ثم تلى هذه الاية وكان ابوهما صالحا وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما من مؤمن يموت الا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه
وقال ابن المنكدر ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستر ومتى
كان العبد مشتغلا بطاعة الله فان الله يحفظه في تلك الحال وفي مسند الامام احمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت امراة في بيت
فخرجت في سرية من المسلمين وتركت اثنى عشر عنزا وصيصيتها كانت تنسج بها قال ففقدت عنزا لها و
صيصيتها فقالت يا رب انك ضمنت لمن خرج في سبيلك ان تحفظ عليه واني قد فقدت عنزا من غنمي وصيصيتي واني انشدك
عنزي وصيصيتي قال وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يذكر شدة مناشدتها لربها تبارك وتعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم فاصبحت
عنزها ومثلها وصيصيتها ومثلها والصيصية هي الصنارة التي يغزل بها وينسج فمن حفظ الله حفظه الله من كل اذى قال بعض
السلف من اتقى الله فقد حفظ نفسه ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله الغني عنه ومن عجيب حفظ الله لمن
حفظه ان يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له كما جرى لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كسر به المركب وخرج
الى جزيرة فراى الاسد فجعل يمشي معه حتى دله على الطريق فلما اوقفه عليها جعل يهمهم كانه يودعه ثم رجع عنه ورؤي ابراهيم
بن ادهم رحمة الله عليه نائما في بستان وعنده حية في فمها طاقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى استيقظ وعكس هذا ان من
ضيع الله ضيعه الله فضاع بين خلقه حتى يدخل عليه الضرر والاذى ممن كان يرجو نفعه من اهله وغيرهم كما قال بعض السلف اني لا
عصي الله فاعرف ذلك في خلق خادمي ودابتي **النوع الثاني** من الحفظ وهو اشرف النوعين حفظ الله للعبد في دينه
وايمانه فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ومن الشهوات المحرمة ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الايمان قال
بعض السلف اذا حضر الرجل الموت يقال للملك شم راسه قال اجد في راسه القران قال شم قلبه قال اجد في قلبه الصيام قال شم
قدميه قال اجد في قدميه القيام قال حفظ نفسه فحفظه الله وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه امره ان يقول عند منامه ان قبضت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وفي حديث عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم علمه ان يقول اللهم احفظني بالاسلام قائما واحفظني بالاسلام قاعدا واحفظني بالاسلام راقدا ولا تطع في عدوا ولا حاسدا
خرجه ابن حبان في صحيحه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يودع من اراد سفرا استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان يقول ان
الله اذا استودع شيئا حفظه خرجه النسائي وغيره وفي الجملة فالله عز وجل يحفظ على المؤمن الحافظ لحدوده دينه ويحول بينه
وبين ما يفسد عليه دينه بانواع من الحفظ وقد لا يشعر العبد ببعضها وقد يكون كارها له كما قال تعالى في حق يوسف عليه السلام

والسلام كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ان الله يحول بين
المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره الى النار وقال الحسن وذكر اهل المعاصي هانوا عليه فعصوه ولو عزوا
عليه لعصمهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان العبد ليهم بالامر من التجارة والامارة حتى ييسر له فينظر الله اليه فيقول للملائكة اصرفوه
عنه فانه ان يسرته له ادخلته النار فيصرفه الله عنه فيظل يتطير يقول سبقني فلان دهاني فلان وما هو الا فضل الله عز وجل
وخرج الطبراني رضي الله عنه من حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ان من عبادي من لا يصلح ايمانه
الا الفقر وان بسطت عليه افسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح
ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا السقم ولو صححته لافسده ذلك وان من عبادي من يطلب بابا ايمانه
من العبادة فاكفه عنه لكيلا يدخله العجب اني ادبر عبادي بعلمي على قلوبهم اني عليم خبير وقوله صلى الله عليه وسلم
احفظ الله تجده تجاهك وفي رواية امامك معناه ان من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في كل احواله حيث توجه
يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده قال الله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال قتادة من يتق الله يكن معه ومن
يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل كتب بعض السلف الى اخ له اما بعد
فان كان الله معك فمن تخاف وان كان عليك فمن ترجو وهذه المعية الخاصة هي المذكورة في قوله لموسى وهارون
عليهما الصلاة والسلام لا تخافا انني معكما اسمع وارى وقول موسى ان معي ربي سيهدين وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر وهما
في الغار ما ظنك باثنين الله ثالثهما فهذه المعية الخاصة تقتضي النصر والتاييد والحفظ والاعانة بخلاف المعية العامة المذكورة
في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا وقوله ولا يستخفون من
الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول فان هذه المعية تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لاعمالهم فهي مقتضية لتخويف العباد
منه والمعية الاولى تقتضي حفظ العبد وحياطته ونصره فمن حفظ الله وراعى حقوقه وجده امامه وتجاهه على كل حال فاستانس به
واستغنى به عن خلقه كما في حديث افضل الايمان ان يعلم العبد ان الله معه حيث كان وقد سبق وروي عن بنان الحمال انه دخل
البرية وحده على طريق تبوك فاستوحش فهتف به هاتف لم تستوحش اليس حبيبك معك وقيل لبعضهم الا تستوحش
وحدك قال كيف استوحش وهو يقول انا جليس من ذكرني وقيل لآخر نراك وحدك فقال من يكن الله معه كيف يكون وحده وقيل لآخر
امعك مونس قال بلى قيل له اين هو قال امامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي وفوقي وكان الشبلي ينشد
اذا نحن ادلجنا وانت امامنا ... كفى لمطايانا بذكراك هاديا ... فقوله صلى الله عليه وسلم تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة
الشدة يعني ان العبد اذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه فقد تعرف بذلك الى الله وصار بينه وبين
ربه معرفة خاصة فعرفه ربه في الشدة وراعى له تعرفه اليه في الرخاء فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة وهذه معرفة خاصة تقتضي
قرب العبد من ربه ومحبته له واجابته لدعائه ثم معرفة العبد لربه نوعان احدهما المعرفة العامة وهو معرفة الاقرار
به والتصديق والايمان وهذه عامة للمؤمنين والثاني معرفة خاصة تقتضي ميل القلب الى الله بالكلية والانقطاع
اليه والانس به والطمانينة بذكره والحياء منه والهيبة له وهذه المعرفة الخاصة التي يدور حولها العارفون كما قال بعضهم مساكين
اهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا اطيب ما فيها قيل له وما هو قال معرفة الله عز وجل وقال احمد بن عاصم الانطاكي احب ان لا اموت حتى اعرف الطيب ما هو
مولاي وليس معرفته الاقرار به ولكن المعرفة التي اذا عرفته استحييت منه ومعرفة الله ايضا لعبده نوعان معرفة
عامة وهي علمه سبحانه بعباده واطلاعه على ما اسروه وما اعلنوه كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به
نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال تعالى هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم والثاني
معرفة خاصة وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبه اليه واجابة دعائه وانجاءه من الشدائد وهي المشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم
فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده عبدي
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وفي رواية ولئن سالني لاجيبنه ولما

هرب



هرب الحسن من الحجاج دخل الى بيت حبيب ابي محمد فقال له حبيب يا ابا سعيد اليس بينك وبين ربك ما تدعوه فيسترك من هولاء
ادخل البيت فدخل ودخل الشرط على اثره فلم يروه فذكر ذلك للحجاج فقال بل كان في البيت الا ان الله طمس على اعينهم فلم يروه واجتمع فلم يروه
الفضيل بن عياض بشعوانة العابدة فسالها الدعاء فقالت يا فضيل وما بينك وبينه ما ان دعوته اجابك فغشي على الفضيل
وقيل لمعروف ما الذي حملك على الانقطاع والعبادة وذكر له الموت والبرزخ والجنة والنار فقال معروف ان ملكا هذا كله بيده ان كانت
بينك وبينه معرفة كفاك هذا جميعه وفي الجملة فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والاعانة في حال
شدته وخرج الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر
الدعاء في الرخاء وخرج ابن ابي حاتم وغيره من رواية يزيد الرقاشي عن انس يرفعه ان يونس عليه السلام لما دعا في بطن الحوت قالت الملائكة لما
يا رب هذا صوت معروف من بلاد غريبة فقال الله عز وجل اما تعرفون ذلك قالوا ومن هو قال عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل
يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قال نعم قالوا يا رب افلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فامر الحوت فطرحه
بالعراء وقال الضحاك بن قيس اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة ان يونس عليه السلام كان يذكر الله تعالى فلما وقع في بطن الحوت قال
الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وان فرعون كان طاغيا ناسيا لذكر الله فلما ادركه الغرق
قال امنت فقال الله الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه اذا كان الرجل دعاء في السراء فنزلت به
ضراء فدعا الله تعالى قالت الملائكة صوت معروف فشفعوا له واذا كان ليس بدعاء في السراء فنزلت به ضراء فدعا الله قالت الملائكة صوت
ليس بمعروف فلا يشفعون له وقال رجل لابي الدرداء اوصني فقال اذكر الله عز وجل في السراء يذكرك عز وجل في الضراء وعنه انه قال ادع
الله في يوم سرائك لعله ان يستجيب لك في يوم ضرائك واعظم الشدائد التي تنزل بالعبد في الدنيا الموت وما بعده
اشد منه ان لم يكن مصير العبد الى خير فالواجب على المؤمن الاستعداد للموت وما بعده في حال الصحة بالتقوى والاعمال الصالحة
قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فا
نساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمن ذكر الله في حال صحته ورخائه واستعد حينئذ للقاء الله عز وجل بالموت وما بعده ذكره الله عند
هذه الشدائد وكان معه فيها ولطف به واعانه وتولاه وثبته على التوحيد فلقيه وهو عنه راض ومن نسي الله في حال صحته
ورخائه ولم يستعد حينئذ للقائه نسيه الله في هذه الشدائد بمعنى انه اعرض عنه واهمله فاذا نزل الموت بالمؤمن المستعد
له احسن الظن بربه وجاءته البشرى من الله فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه والفاجر بعكس ذلك وحينئذ يفرح
المؤمن ويستبشر بما قدمه وما هو قادم عليه ويندم المفرط ويقول يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله قال ابو عبد الرحمن
السلمي قبل موته كيف لا ارجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان وقال ابو بكر بن عياش عند موته لابنه اترى الله يضيع لابيك
اربعين سنة يختم القران كل ليلة وختم ادم بن ابي اياس القران وهو مسجى للموت ثم قال بحبي لك الا رفقت بي في هذا المصرع كنت
اؤملك لهذا اليوم كنت ارجوك لا اله الا الله ثم قضى ولما احتضر زكريا بن عدي رفع يديه وقال اللهم اني لمشتاق اليك وقال عبد الصمد
الزاهد عند موته سيدي لهذه الساعة خباتك ولهذا اليوم اقتنيتك حقق حسن ظني بك وقال قتادة في قوله عز وجل ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال من الكرب عند الموت وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في هذه الاية ينجيه
من كل كرب في الدنيا والاخرة وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية قال يبشر بذلك عند موته
وفي قبره ويوم يبعث فانه لفي الجنة وما ذهبت فرحة البشارة من قلبه وقال ثابت البناني في هذه الاية بلغنا ان المؤمن حيث
يبعثه الله من قبره يتلقاه ملكاه اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن فيؤمن الله خوفه ويقر الله عينه
فما من عظيمة تغشى الناس يوم القيامة الا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله ولما كان يعمل في الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم
اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله هذا منتزع من قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فان
السؤال هو دعاؤه والرغبة اليه والدعاء هو العبادة كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث النعمان بن بشير وتلا قوله تعالى
وقال ربكم ادعوني استجب لكم الاية خرجه الامام احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وخرج الترمذي من حديث انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فتضمن هذا الكلام ان لا يسال الا الله ولا يسال غيره وان لا يستعان الا بالله وحده فاما السؤال

فقد أمر الله بمسألته فقال واسألوا الله من فضله وفي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا واسألوا الله من فضله فان الله
يحب ان يسأل وفيه ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من لا يسأل الله يغضب عليه وفي حديث آخر ليسأل احدكم ربه حاجته
كلها حتى شسع نعله اذا انقطع وفي النهي عن مسألة المخلوقين احاديث كثيرة صحيحة وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه على
ان لا يسألوا الناس شيئا منهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه وابو ذر رضي الله عنه وثوبان رضي الله عنه وكان احدهم يسقط سوطه
او خطام ناقته فلا يسأل احدا ان يناوله اياه رضي الله عنهم وخرج ابن ابي الدنيا من حديث ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود
ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان بني فلان اغاروا علي فأخذوا ابني وابلي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ان آل محمد كذا وكذا اهل بيت ما لهم مد من طعام او صاع فاسأل الله عز وجل فرجع الى امرأته فقالت ما قال لك فاخبرها فقالت
نعم ما رد عليك فما لبث ان رد الله عليه ابنه وابله اوفر ما كانت فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وامر
الناس بمسألة الله عز وجل والرغبة اليه وقرأ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد ثبت في الصحيحين عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول هل من داع فأستجيب له هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له وخرج
المحاملي وغيره من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من ذا الذي دعاني فلم اجبه وسألني فلم اعطه
واستغفرني فلم اغفر له وانا ارحم الراحمين واعلم ان سؤال الله عز وجل دون خلقه هو المتعين لان السؤال فيه اظهار الذل
من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودرء
المضار ولا يصلح الذل والافتقار الا لله وحده لانه حقيقة العبادة وكان الامام احمد يدعو ويقول اللهم كما صنت وجهي عن
السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواه كما قال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا
هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده والله سبحانه يحب ان
يسأل ويرغب اليه في الحوائج ويلح في سؤاله ودعائه ويغضب على من لا يسأله ويستدعي من عباده سؤاله وهو قادر على اعطاء
خلقه كلهم سؤالهم من غير ان ينقص من ملكه شيء والمخلوق بخلاف ذلك كله يكره ان يسأل ويحب ان لا يسأل لعجزه وفقره وحاجته
ولهذا قال وهب بن منبه لرجل كان يأتي الملوك ويحك تأتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه وتدع من يفتح لك
بابه بنصف الليل ونصف النهار ويظهر لك غناه ويقول ادعني استجب لك وقال طاوس لعطاء اياك ان تطلب حوائجك الى من اغلق
بابه دونك ويجعل دونها حجابه وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيمة امرك ان تسأله ووعدك ان يجيبك واما الاستعانة بالله
عز وجل دون غيره فلان العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره ولا معين له على مصالح دينه ودنياه الا الله عز وجل
فمن اعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول وهذا تحقيق معنى قول لا حول ولا قوة الا بالله فان المعنى لا تحول للعبد من حال
الى حال ولا قوة له على ذلك الا بالله وهذه كلمة عظيمة وهي كنز من كنوز الجنة فالعبد محتاج الى الاستعانة بالله في فعل الما
مورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من اهوال البرزخ ويوم القيمة ولا يقدر على
الاعانة على ذلك الا الله عز وجل فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله اعانه وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله الى من استعان به فصار مخذولا
كتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز رحمهم الله لا تستعن بغير الله فيكلك الله اليه ومن كلام بعض السلف يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو
غيرك وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك قوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن وفي رواية اخرى رفعت
الاقلام وجفت الصحف هو كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من امد بعيد فان الكتاب اذا فرغ
من كتابته ورفعت الاقلام عنه وطال عهده فقد رفعت عنه الاقلام وجفت الاقلام التي كتبت بها من مدادها وجفت الصحف
التي كتب فيها بالمداد المكتوب به فيها وهذا من احسن الكنايات وابلغها وقد دل الكتاب والسنة الصحيحة الكثيرة على مثل هذا
المعنى قال الله عز وجل ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير وفي صحيح مسلم عن
عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة
وفيه ايضا عن جابر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله فيم العمل اليوم افيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل
قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وخرج الامام احمد وابو داود
والترمذي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب فجرى في تلك الساعة

ما هو كائن



ما هو كائن الى يوم القيمة والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا يطول ذكرها قوله صلى الله عليه وسلم فلو ان الخلق جميعا
ارادوا ان ينفعوك بشيء لم يقضه الله لم يقدروا عليه وان ارادوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه هذه رواية
الامام احمد ورواية الترمذي بهذا المعنى ايضا والمراد ان ما يصيب العبد في دنياه مما يضره او ينفعه فكله مقدر عليه ولا يصيب
العبد الا ما كتب له في الكتاب الاول السابق ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعا وقد دل القرآن على مثل هذا في قوله عز وجل قل
لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها وقوله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وخرج الامام احمد من حديث ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل
شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وخرج ابو داود وابن
ماجه من حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم معنى ذلك ايضا واعلم ان مدار هذه الوصية على هذا الاصل وما ذكرناه قبله وبعده
فهو متفرع وراجع اليه فان العبد اذا علم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر وان اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور
غير مفيد البتة علم حينئذ ان الله وحده هو النافع الضار المعطي المانع فأوجب ذلك للعبد توحيد الله عز وجل وافراده با
لطاعة وحفظ حدوده فان المعبود انما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع
ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئا فمن علم انه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غير الله اوجب له ذلك افراده بالخوف والرجا
والمحبة والسؤال والتضرع والدعا وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعا وان يتقي سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعا
وافراده بالاستعانة به والسؤال له واخلاص الدعاء له في حال الشدة وحال الرخاء بخلاف ما كان المشركون عليه من
اخلاص الدعاء له عند الشدائد ونسيانه في الرخاء ودعاء من يرجون نفعه من دونه قال الله عز وجل قل افرأيتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته الآية قوله صلى الله عليه وسلم
واعلم ان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا يعني ان ما اصاب العبد من المصائب المؤلمة المكتوبة عليه اذا صبر عليها كان له في الصبر
خير كثير وفي رواية عمر مولى غفرة وغيره عن ابن عباس زيادة اخرى قبل هذا الكلام وهي فان استطعت ان تعمل لله بالرضا
في اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وفي رواية علي بن عبد الله بن عباس عن ابيه
رضي الله عنهم وفي رواية اخرى لكن اسنادها ضعيف زيادة اخرى بعد هذا وهي قلت يا رسول الله كيف اصنع باليقين ومعنى هذا
ان حصول اليقين للقلب بالقضاء السابق والتقدير الماضي يعين العبد على ان ترضى نفسه بما اصابه فمن استطاع ان يعمل في
اليقين بالقضاء والقدر على الرضا بالمقدور فليفعل ومن لم يستطع الرضا فان في الصبر على المكروه خيرا كثيرا فهاتان درجتان
للمؤمن بالقضاء والقدر في المصائب احداهما ان يرضى بذلك وهي درجة عالية رفيعة جدا قال الله عز وجل ما اصاب من مصيبة
الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال علقمة هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم انها من عند الله فيسلم لها ويرضى وخرج
الترمذي من حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اسألك الرضى بعد القضا ومما يدعو المؤمن الى الرضا بالقضا تحقيق ايمانه بمعنى قول النبي صلى الله
عليه وسلم لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له ان اصابته سراء شكر كان خيرا له وان اصابته ضراء صبر كان خيرا له وليس ذلك
الا للمؤمن وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله ان يوصيه وصية جامعة موجزة فقال لا تتهم الله في قضائه قال ابو الدرداء رضي الله عنه
ان الله اذا قضى قضاء احب ان يرضى به وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين
والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط فالراضي لا يتمنى غير ما هو عليه من شدة ورخاء كذا روي عن عمر وابن مسعود و
غيرهما وقال عمر بن عبد العزيز اصبحت وما لي سرور الا في مواقع القضاء والقدر فمن وصل الى هذه الدرجة كان عيشه كله في نعيم
وسرور قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قال بعض السلف الحياة الطيبة هي الرضا
والقناعة وقال عبد الواحد بن زيد الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين واهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتلي
وخيرته لعبده في البلاء وانه غير متهم في قضائه وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء فينسيهم ألم المقضي به وتارة

بلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعرون بالالم وهذا يصل اليه خواص اهل المعرفة والمحبة حتى
يتلذذوا بما اصابهم لملاحظتهم صدوره ممن عن حبيبهم كما قال بعضهم اوجدهم في عذابه عذوبة وسئل بعض التابعين عن حاله
في مرضه فقال احبه اليه احبه الي وسئل سري هل يجد المحب الم البلا فقال لا وقال بعضهم ❊ عذابه فيك عذب ❊ وبعده فيك قرب ❊
وانت عندي كروحي ❊ بل انت منها احب ❊ حسبي من الحب اني ❊ لما يحب احب ❊ **والدرجة** الثانية ان يصبر على البلا
وهذه لمن لم يستطع الرضا بالقضا فالرضا افضل مندوب اليه مستحب والصبر واجب على المومن حتم وفي الصبر خير كثير فان الله امر به
ووعد عليه جزيل الاجر قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون قال الحسن الرضا عزيز ولكن الصبر معول المومن **والفرق** بين الرضا والصبر ان الصبر كف النفس
وحبسها عن التسخط مع وجود الالم وتمني زوال ذلك وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع والرضا انشراح الصدر وسعته بالقضا وترك تمني
زوال ذلك المولم وان وجد الاحساس بالالم لكن الرضا يخففه لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة واذا قوي الرضا فقد يزيل الالا
حساس بالالم بالكلية كما سبق **قوله** صلى الله عليه وسلم واعلم ان النصر مع الصبر هذا موافق لقول الله عز وجل قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم
الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين وقال عمر لاشياخ من بني عبس بم قاتلتم الناس قالوا بالصبر لم نلق قوما الا صبرنا لهم كما
صبروا لنا وقال بعض السلف كلنا نكره الموت والم الجراح ولكن نتفاضل بالصبر وقال البطال الشجاع صبر ساعة وهذا في جهاد العدو
الظاهر وهو جهاد الكفار وكذلك جهاد العدو الباطن وهو جهاد النفس والهوى فان جهادهما من اعظم الجهاد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
المجاهد من جاهد نفسه لله وقال عبد الله بن عمر لمن سأله عن الجهاد ابدا بنفسك فجاهدها وابدا بنفسك فاغزها وقال بقية بن الوليد
اخبرنا ابراهيم بن ادهم قال ثنا الثقة عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال اول ما تنكرون من جهادكم جهادكم انفسكم وقال ابراهيم
بن علقمة لقوم جاوا من الغزو قد جئتم من الجهاد الاصغر فما فعلتم في الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر قال جهاد العبد هواه
ويروى من حديث سعد بن سنان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس عدوك الذي اذا قتلك ادخلك الجنة واذا قتلته كان
لك نورا اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك قال ابو بكر رضي الله عنه في وصيته لعمر رضي الله عنه حين استخلفه ان اول ما احذرك نفسك التي
بين جنبيك فهذا الجهاد ايضا يحتاج الى صبر فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلبه وحصل له النصر والظفر وملك نفسه
فصار عزيزا ملكا ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غلب وقهر واسر وصار عبدا ذليلا اسيرا في يد شيطانه كما قيل
❊ اذا المرء لم يغلب هواه اقامه ❊ بمنزلة فيها العزيز ذليل ❊ قال ابن المبارك من صبر فما اقل ما يصبر ومن جزع فما اقل ما يتمتع
**وقوله** صلى الله عليه وسلم ان النصر مع الصبر يشمل النصر في الجهادين جهاد العدو الظاهر والعدو الباطن فمن صبر فيهما
نصر وظفر بعدوه ومن لم يصبر فيهما وجزع قهر وصار اسيرا لعدوه او قتيلا له **قوله** صلى الله عليه وسلم وان الفرج مع
الكرب هذا يشهد له قول الله عز وجل وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا الآية وقوله صلى الله عليه وسلم ضحك ربنا من قنوط
عباده وقرب غيره خرجه الامام احمد وخرجه ابنه عبد الله في حديث طويل وفيه علم الله يوم الغيث انه ليشرف عليكم ازلين
قانطين فيظل يضحك قد علم ان غيركم الى قرب والمعنى انه سبحانه يعجب من قنوط عباده عند احتباس القطر عنهم وقنوطهم
وياسهم من الرحمة وقد اقترب وقت فرجه ورحمته لعباده بانزال الغيث عليهم وتغييره لحالهم وهم لا يشعرون وقال تعالى فاذا
اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون الآية وقال تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا
وقال تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وقال تعالى حاكيا عن يعقوب انه قال لبنيه يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقص قصة اجتماعهم عقيب ذلك وكم قص سبحانه من قصص تفريج
كربات انبيائه عند تناهي الكرب كانجاء نوح ومن معه في الفلك وانجاء ابراهيم من النار وفدائه لولده الذي امر بذبحه وانجاء موسى

وقوم



وقومه من اليم واغراق عدوهم وقصة ايوب ويونس وقصص محمد صلى الله عليه وسلم مع اعدائه وانجائه منهم كقصته في الغار ويوم بدر ويوم
احد ويوم الاحزاب ويوم حنين وغير ذلك **وقوله** صلى الله عليه وسلم وان مع العسر يسرا هو منتزع من قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر
يسرا وخرج البزار في مسنده وابن ابي حاتم واللفظ له من حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو جاء العسر فدخل هذا
الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله عز وجل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وروى ابن جرير وغيره من حديث الحسن مرسلا نحوه
وفي حديثه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لو ان العسر دخل في
جحر لجاء اليسر حتى يدخل معه ثم قال الله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وباسناده ان ابا عبيدة حصر فكتب اليه عمر
يقول مهما ينزل بامرئ شدة يجعل الله له بعدها فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وانه يقول اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
**ومن** لطائف اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر ان الكرب اذا اشتد وعظم وتناهى حصل للعبد الاياس من كشفه
من جهة المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده وهذا هو حقيقة التوكل على الله وهو من اعظم الاسباب التي تطلب بها الحوائج
فان الله يكفي من توكل عليه كما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وروى ادم بن ابي اياس في تفسيره باسناده عن محمد بن اسحق قال جاء
مالك الاشجعي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني عوف فقال ارسل اليه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تكثر من قول لا حول ولا قوة
الا بالله فاتاه الرسول فاخبره فاكب عوف يقول لا حول ولا قوة الا بالله وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه فخرج فاذا هو
بناقة لهم فركبها فاذا هو بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بها فاتبع اخرها اولها فلم يفجا ابويه الا وهو ينادي بالباب
فقال ابوه عوف ورب الكعبة فقالت امه واسوأتاه وعوف كئيب بالم ما فيه من القد فاستبق الاب والخادم اليه فاذا عوف قد ملأ الفنا
ابلا فقص على ابيه امره وامر الابل فاتى ابوه النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بخبر عوف وخبر الابل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصنع بها ما احببت وما كنت صانعا بابلك ونزل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه الآية
قال الفضيل رحمه الله عليه لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئا لاعطاك مولاك كل ما تريد وذكر ابراهيم بن ادهم رحمه الله عنه عن بعضهم
قال ما سأل السائلون مسألة هي انجح من ان يقول العبد ما شاء الله قال يعني بذلك التفويض الى الله عز وجل وقال سعيد بن سالم القداح
بلغني ان موسى عليه السلام كانت له الى الله حاجة فطلبها فابطات عليه فقال ما شاء الله فاذا هي بين يديه فعجب فاوحى الله اليه اما
علمت ان قولك ما شاء الله انجح ما طلبت به الحوائج وابلغها الموعى اذا استبطا الفرج وايس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر
عليه اثر الاجابة يرجع الى نفسه باللائمة وقال لها انما اتيت من قبلك ولو كان فيك خير لاجبت وهذا اللوم احب الى الله من كثير من الطا
عات فانه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بانه اهل لما نزل به من البلاء وانه ليس اهلا لاجابة الدعاء فلذلك
حينئذ تسرع اليه اجابة الدعاء وتفريج الكرب فانه سبحانه وتعالى عند المنكسرة قلوبهم من اجله قال وهب تعبد رجل زمانا ثم بدت
له الى الله حاجة فقام سبعين سبتا ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سأل الله تعالى حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه فقال منك
اتيت لو كان فيك خير اعطيت حاجتك فنزل اليه عند ذلك ملك فقال يا ابن ادم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله
حاجتك خرجه ابن ابي الدنيا ولبعض المتقدمين في هذا المعنى ❊ عسى ما ترى ان لا يدوم وان ترى ❊ له فرجا مما الح به الدهر ❊
عسى فرج ياتي به الله انه ❊ له كل يوم في خليقته امر ❊ اذا لاح عسر فارج يسرا فانه ❊ قضى الله ان العسر يتبعه اليسر ❊

**الحديث العشرون**

عن ابي مسعود البدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى
اذا لم تستح فاصنع ما شئت رواه البخاري هذا الحديث خرجه البخاري من رواية منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن ابي مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم وادعى ان مسلما لم يخرجه لانه قد رواه قوم فقالوا عن ربعي عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف في اسناده
لكن اكثر الحفاظ حكموا بان القول قول من قال عن ابي مسعود منهم البخاري وابو زرعة الرازي والدارقطني وغيرهم ويدل على صحة ذلك
انه قد روي من وجه اخر عن ابي مسعود من رواية مسروق عنه خرجه الطبراني من حديث ابي الطفيل عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا

فقوله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى يشير الى ان هذا ماثور عن
الانبيا المتقدمين وان الناس تداولوه بينهم وتوارثوه عنهم قرنا بعد قرن وهذا يدل على ان النبوة المتقدمة جاءت
بهذا الكلام وانه اشتهر بين الناس حتى وصل الى اول هذه الامة وفي بعض الروايات قال لم يدرك الناس من
كلام النبوة الاولى الا هذا اخرجه حميد بن زنجويه وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم اذا لم تستح فاصنع ما
شئت في معناه قولان احدهما انه امر بمعنى التهديد والوعيد والمعنى اذا لم يكن لك حيا فاعمل ما شئت فان الله يجازيك عليه كقوله
تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير وقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه وقول النبي صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير
يعني ليقطعها اما لبيعها او لاكلها وامثلته متعددة وهذا اختيار جماعة منهم ابو العباس ثعلب والطريق الثاني
انه امر ومعناه الخبر والمعنى ان من لم يستحي صنع ما شاء فان المانع من فعل القبايح هو الحيا فمن لم يكن له حيا انهمك في
كل فاحشة ومنكر وما يمتنع من مثله من له حيا على حد قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار و
هذا اختيار ابي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله وابن قتيبة ومحمد بن نصر المروزي وغيرهم وروى ابو داود عن الامام
احمد ما يدل على مثل هذا القول وروى ابن لهيعة عن ابي قبيل عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
ابغض الله عبدا نزع منه الحيا فاذا نزع منه الحيا لم تلقه الا بغيضا متبغضا ونزع منه الامانة فاذا نزع
منه الامانة نزع منه الرحمة فاذا نزع منه الرحمة نزع منه ربقة الاسلام فاذا نزع منه ربقة الاسلام لم تلقه الا شيطانا مريدا خرجه حميد
بن زنجويه وخرجه ابن ماجه بمعناه باسناد ضعيف عن ابن عمر مرفوعا ايضا وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال ان الله اذا اراد
بعبد هلاكا نزع منه الحيا فاذا نزع منه الحيا لم تلقه الا مقيتا ممقتا فاذا كان مقيتا ممقتا نزع منه الامانة فلم تلقه الا خائنا
مخونا فاذا كان خائنا مخونا نزع منه الرحمة فلم تلقه الا فظا غليظا نزع ربقة الايمان من عنقه فاذا نزع ربقة
الايمان من عنقه لم تلقه الا شيطانا لعينا ملعنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الحيا والايمان في قرن فاذا نزع الحيا تبعه الاخر خرجه
كله حميد بن زنجويه في كتاب الادب وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الحيا من الايمان كما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر على رجل وهو يعاتب اخاه في الحيا يقول انك لتستحيي كانه يقول قد اضر بك فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه فان الحيا من الايمان والفظ
للبخاري وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحيا شعبة من الايمان وفي الصحيحين ايضا عن عمران بن حصين
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحيا لا ياتي الا بخير وفي رواية لمسلم قال الحيا خير كله او قال الحيا كله خير وخرج الامام احمد و
النساي من حديث الاشج العصري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيك خلقين يحبهما الله قلت ما هما قال الحلم والحيا
قلت اقديما كان او حديثا قال بل قديما قلت الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله وقال اسمعيل بن ابي خالد دخل عيينة
بن حصن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل فاستسقى فاتي بماء فستره النبي صلى الله عليه وسلم قال ما هذا قال الحيا اوتوه ومنعتموها
واعلم ان الحيا نوعان احدهما ما كان خلقا وجبلة غير مكتسب وهو من اجل الاخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الحيا لا ياتي الا بخير فانه يكف عن ارتكاب القبايح ودناءة الاخلاق ويحث على استعمال مكارم
الاخلاق ومعاليها فهو من خصال الايمان بهذا الاعتبار وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من استحيا اختفى ومن اختفى اتقى ومن
اتقى وقي وقال الجراح بن عبد الله الحكمي وكان فارس اهل الشام تركت الذنوب حيا اربعين سنة ثم ادركني الورع وعن بعضهم قال
رايت المعاصي نذالة فتركتها مروة فاستحالت ديانة والثاني ما كان مكتسبا من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربه من عباده
واطلاعه عليهم وعلمه بخاينة الاعين وما تخفي الصدور فهذا من اعلى خصال الايمان بل هو من اعلى درجات الاحسان
وقد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل استحي من الله كما تستحي رجلا من صالحي عشيرتك وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه
الاستحيا من الله ان تحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وان تذكر الموت والبلى ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله

خرجه الامام



خرجه الامام احمد والترمذي مرفوعا وقد يتولد من الحيا من الله من مطالعة نعمه ورؤية التقصير في شكرها فاذا سلب العبد الحيا
المكتسب والغريزي لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والاخلاق الدنية فصار كانه لا ايمان له وقد روي من مراسيل الحسن عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الحيا حيان طرف من الايمان والاخر عجز ولعله من كلام الحسن وكذلك قال بشير بن كعب العدوي لعمران بن
حصين انا نجد في بعض الكتب ان منه سكينة ووقارا لله ومنه ضعف فغضب عمران بن حصين وقال احدثك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعارضني والامر كما قال عمران رضي الله عنه فان الحيا الممدوح في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يريد به الخلق
الذي يحث على فعل الجميل وترك القبيح فاما الضعف والعجز الذي يوجب التقصير في شي من حقوق الله او حقوق
عباده فليس من الحيا انما هو ضعف وخوف وعجز ومهانة والله اعلم والقول الثاني في معنى قوله اذا لم تستحي
فاصنع ما شئت انه امر بفعل ما يشا على ظاهره وان المعنى اذا كان الذي تريد فعله مما لا يستحيى من فعله لا من الله ولا من
الناس لكونه من افعال الطاعات او من جميل الاخلاق والاداب المستحسنة فاصنع منه حينئذ ما شئت وهذا قول جماعة
من الايمة منهم ابو اسحق المروزي الشافعي وحكي مثله عن الامام احمد ووقع كذلك في بعض نسخ مسائل ابي داود المختصرة
عنه والذي في النسخ المعتمدة التامة كما حكيناه عنه من قبل وكذلك رواه عنه الخلال في كتاب الادب ومن هذا قول بعض
السلف وقد سيل عن المروة قال ان لا تعمل في السر شيا تستحيي منه في العلانية وسياتي قول النبي صلى الله عليه وسلم الاثم ما حاك
في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس في موضعه من هذا الكتاب ان شا الله وروى عبد الرزاق في كتابه عن ابي اسحق
عن رجل من مزينة قال قيل يا رسول الله ما افضل ما اوتي الرجل المسلم قال الخلق الحسن قال فما شر ما اوتي المسلم قال اذا
كرهت ان يرى عليك شي في نادي القوم فلا تفعله اذا خلوت وفي صحيح ابن حبان عن اسامة بن شريك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كره الله منك شيا فلا تفعله اذا خلوت وخرج الطبراني من حديث ابي مالك الاشعري قال قلت يا رسول الله
ما تمام البر قال ان تعمل في السر عمل العلانية وخرجه ايضا من حديث ابي عامر السكوني قال قلت يا رسول الله
فذكره وروى عبد الغني بن سعيد الحافظ في كتاب ادب المحدث باسناده عن حرملة بن عبد الله قال اتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم لازداد من العلم فقمت بين يديه فقلت يا رسول الله ما تامرني ان اعمل به قال ايت المعروف واجتنب
المنكر وانظر الذي سمعته اذنك من الخير يقوله القوم لك اذا قمت من عندهم وانظر الذي تكره ان يقوله القوم لك اذا قمت
من عندهم فاجتنبه قال فنظرت فاذا هما امران لم يتركا شيا اتيان المعروف واجتناب المنكر وخرجه ابن سعد في
طبقاته بمعناه وحكى ابو عبيد في معنى الحديث قولا اخر حكاه عن جرير قال معناه ان يريد الرجل ان يعمل الخير
فيدعه حيا من الناس كانه يخاف الريا يقول فلا يمنعك الحيا من المضي لما اردت كما جاء في الحديث اذا جاءك الشيطان وانت
تصلي فقال انك ترائي فزدها طولا ثم قال ابو عبيد وهذا الحديث ليس يجي سياقه ولا لفظه على هذا التفسير ولا على هذا
يحمله الناس قلت لو كان على ما قاله جرير لكان لفظ الحديث اذا استحييت مما لا يستحيى منه فافعل ما شئت
ولا يخفى بعد هذا من لفظ الحديث ومعناه والله اعلم

## الحديث الحادي والعشرون

عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم رواه مسلم
وهذا الحديث خرجه مسلم من رواية هشام بن عروة عن ابيه عن سفيان وسفيان هو ابن عبد الله الثقفي الطايفي له صحبة
وكان عاملا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على الطايف وقد روي عن سفيان من وجوه شتى بزيادات فخرج الامام احمد
والترمذي وابن ماجه من رواية الزهري عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعز وعند الترمذي عن عبد الرحمن بن ماعز عن سفيان بن
عبد الله قال قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي

فاخذ بلسان نفسه ثم قال هذا وقال الترمذي حسن صحيح وخرجه الامام احمد والنسائي من رواية عبد الله بن سفيان الثقفي عن ابيه ان رجلا قال يا رسول الله مرني بامر في الاسلام لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاوما الى لسانه قول سفيان بن عبد الله للنبي صلى الله عليه وسلم قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك طلب منه ان يعلمه كلاما جامعا لامر الاسلام كافيا حتى لا يحتاج بعده الى غيره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل امنت بالله ثم استقم هذا منتزع من قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون وخرج النسائي في تفسيره من رواية سهيل بن ابي حزم ثنا ثابت عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقال قد قالها الناس ثم كفر اكثرهم فمن مات عليها فهو من اهل الاستقامة وخرجه الترمذي ولفظه فقال قد قالها الناس ثم كفر اكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام وقال حسن غريب وسهيل تكلم فيه من قبل حفظه وقال ابو بكر الصديق في تفسير ثم استقاموا قال لم يشركوا بالله شيئا وعنه قال لم يلتفتوا الى غيره وعنه قال ثم استقاموا على ان الله ربهم وعن ابن عباس باسناد ضعيف قال هذه ارخص اية في كتاب الله قالوا ربنا الله ثم استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله وروي نحوه عن انس ومجاهد والاسود بن هلال وزيد بن اسلم والسدي وعكرمة وغيرهم وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قرا هذه الاية على المنبر ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقال لم يروغوا روغان الثعلب وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال استقاموا على اداء فرائضه وعن ابي العالية قال ثم اخلصوا له الدين والعمل وعن قتادة ثم استقاموا على طاعة الله وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة ولعل من قال ان المراد الاستقامة على التوحيد انما اراد التوحيد الكامل الذي يحرم صاحبه على النار وهو تحقيق معنى لا اله الا الله فان الاله هو الذي يطاع فلا يعصى خشية واجلالا ومهابة ومحبة ورجاء وتوكلا ودعاء والمعاصي كلها قادحة في هذا التوحيد لانها اجابة لداعي الهوى وهو الشيطان قال الله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه قال الحسن هو الذي لا يهوى شيئا الا ركبه فهذا ينافي الاستقامة على التوحيد واما على رواية من روى قل امنت بالله فالمعنى اظهر لان الايمان تدخل فيه الاعمال عند السلف ومن تابعهم من اهل الحديث قال عز وجل فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير فامره ان يستقيم هو ومن تابعه وان لا يجاوزوا ما امروا به وهو الطغيان واخبر انه بصير باعمالهم مطلع عليها قال تعالى فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقال قتادة امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يستقيم على امر الله وقال الثوري على القران وعن الحسن قال لما نزلت هذه الاية شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رئي ضاحكا خرجه ابن ابي حاتم وذكر القشيري وغيره عن بعضهم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله قلت شيبتني هود واخواتها فما شيبك منها قال قوله فاستقم كما امرت وقال الله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وقد امر الله تعالى باقامة الدين عموما كما قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وامر باقام الصلاة في غير موضع من كتابه كما امر بالاستقامة على التوحيد في الايتين والاستقامة هي سلوك الصراط وهو الدين القويم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها وفي قوله عز وجل فاستقيموا اليه واستغفروه اشارة الى انه لا بد من تقصير في الاستقامة المامور بها فيجبر ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع الى الاستقامة فهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الناس لن يطيقوا الاستقامة حق الاستقامة كما خرجه الامام احمد وابن ماجه من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سددوا وقاربوا فالسداد هو حقيقة الاستقامة وهو الاصابة في جميع الاقوال والاعمال والمقاصد كالذي يرمي الغرض فيصيبه وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم عليا ان يسال الله عز وجل السداد والهدى وقال له اذكر

بالسداد

بالسداد تسديدك السهم وبالهدى هدايتك الطريق والمقاربة ان يصيب ما قرب من الغرض اذا لم يصب الغرض نفسه ولكن بشرط ان يكون مصمما على قصد السداد واصابة الغرض فيكون مقاربته عن غير عمد ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الحكم بن حزن الكلفي ايها الناس انكم لن تعملوا ولن تطيقوا كلما امرتكم به ولكن سددوا وابشروا والمعنى اقصدوا التسديد والاصابة والاستقامة فانهم لو سددوا في العمل كله لكانوا قد فعلوا ما امروا به كله فاصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد كما فسر ابو بكر الصديق وغيره قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بانهم لم يلتفتوا الى غيره فمتى استقام القلب على معرفة الله عز وجل وعلى خشيته واجلاله ومهابته ومحبته وارادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه والاعراض عما سواه استقامت الجوارح كلها على طاعته فان القلب هو ملك الاعضاء وهي جنوده فاذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه وكذلك فسر قوله عز وجل فاقم وجهك للدين حنيفا باخلاص القصد لله وارادته وحده لا شريك له واعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان فانه ترجمان القلب والمعبر عنه ولهذا لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة وصاه بعد ذلك بحفظ لسانه وفي مسند الامام احمد عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وفي الترمذي عن ابي سعيد مرفوعا وموقوفا اذا اصبح ابن ادم فان الاعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فانما نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا

## الحديث الثاني والعشرون

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم قال ارايت اذا صليت المكتوبة وصمت رمضان واحللت الحلال وحرمت الحرام ولم ازد على ذلك شيئا ادخل الجنة قال نعم رواه مسلم هذا الحديث خرجه مسلم من رواية ابي الزبير عن جابر وزاد في اخره قال والله لا ازيد على ذلك شيئا وخرجه ايضا من رواية الاعمش عن ابي صالح وابي سفيان عن جابر قال قال النعمان بن قوقل يا رسول الله ارايت اذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام واحللت الحلال ولم ازد على ذلك شيئا ادخل الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وقد فسر بعضهم تحليل الحلال باعتقاد حله وتحريم الحرام باعتقاد حرمته مع اجتنابه ويحتمل ان يراد بتحليل الحلال اتيانه ويكون الحلال هاهنا عبارة عما ليس بحرام فيدخل فيه الواجب والمستحب والمباح ويكون المعنى انه يفعل ما ليس بمحرم عليه ولا يتعدى ما ابيح له الى غيره ويجتنب المحرمات وقد روي عن طائفة من السلف منهم ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في قول الله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به قال يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه والمراد بالتحليل والتحريم فعل الحلال واجتناب الحرام كما ذكر في هذا الحديث وقال الله في حق الكفار الذين كانوا يغيرون تحريم الشهر الحرام انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله والمراد انهم كانوا يقاتلون في الشهر الحرام عاما فيحلونه بذلك ويمتنعون من القتال فيه عاما فيحرمونه بذلك وقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وهذه الاية نزلت بسبب قوم امتنعوا من تناول بعض الطيبات زهدا في الدنيا وتقشفا وبعضهم حرم ذلك على نفسه اما بيمين حلف بها او بتحريمه على نفسه وذلك كله لا يوجب تحريمه في نفس الامر وبعضهم امتنع منه بغير يمين ولا تحريم فسمي الجميع تحريما حيث قصد الامتناع منه اضرارا بالنفس وكفا لها عن شهواتها ويقال في الامثال فلان لا يحلل ولا يحرم اذا كان لا يمتنع من فعل الحرام ولا يقف عند ما ابيح له وان كان يعتقد تحريم الحرام فيجعلون من فعل الحرام ولا يتحاشى منه محللا له وان كان لا يعتقد حله وبكل حال فهذا الحديث يدل على ان من قام بالواجبات وانتهى عن المحرمات دخل الجنة وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى او ما هو قريب منه كما خرجه النسائي وابن حبان والحاكم من حديث ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الاية وخرج الامام احمد والنسائي من حديث ابي ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عبد الله لا يشرك به شيئا واقام الصلاة واتى الزكاة وصام رمضان واجتنب الكبائر فله الجنة او دخل الجنة وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ضمام بن ثعلبة وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الصلوات الخمس

والصيام والزكوة والحج وشرايع الاسلام كلها فلما فرغ قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وساؤدي هذه الفرائض واجتنب
ما نهيتني عنه لا ازيد على هذا ولا انقص فقال ان صدق دخل الجنة وخرجه الطبراني من وجه اخر وفي حديثه قال والخامسة
لا ارب لي فيها يعني الفواحش ثم قال لاعملن بها ومن اطاعني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن صدق ليدخلن الجنة وفي صحيح
البخاري عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بعمل يدخلني الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم
الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم وخرجه مسلم الا ان عنده انه قال اخبرني بعمل يدنيني من الجنة ويباعدني من النار وعنده في رواية فلما
ادبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تمسك بما امر به دخل الجنة وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان اعرابيا قال يا رسول الله دلني
على عمل اذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال والذي
نفسي بيده لا ازيد على هذا شيئا ابدا ولا انقص منه فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى
هذا وفي الصحيحين عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الراس فقال يا رسول الله اخبرني
ماذا فرض الله علي من الصلاة قال الصلوات الخمس الا ان تطوع شيئا فقال اخبرني بما افترض الله علي من الصيام فقال شهر رمضان الا ان تطوع
شيئا فقال اخبرني بما افترض الله علي من الزكاة فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام فقال والذي اكرمك بالحق لا اتطوع شيئا ولا انقص
مما فرض الله علي شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح ان صدق ولفظه للبخاري وفي صحيح مسلم ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه وسلم فذكر
معناه وزاد فيه حج البيت من استطاع اليه سبيلا فقال والذي بعثك بالحق لا ازيد عليهن ولا انقص منهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن صدق
ليدخلن الجنة ومراد الاعرابي انه لا يزيد على الصلاة المكتوبة والزكاة المفروضة وصيام رمضان وحج البيت من التطوع ليس مراده انه لا يعمل
من شرائع الاسلام وواجباته غير ذلك وهذه الاحاديث لم يذكر فيها اجتناب المحرمات لان السائل انما سال عن الاعمال التي يدخل بها عاملها
الجنة وخرج الترمذي من حديث ابي امامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول ايها الناس
اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وحجوا بيت ربكم وادوا زكاة اموالكم طيبة بها انفسكم تدخلوا جنة ربكم وخرجه الامام احمد
باسناده عن ابن المنتفق قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعرفات فقلت ثنتان اسالك عنهما ما ينجيني من النار وما يدخلني الجنة
فقال لئن كنت اوجزت في المسالة لقد اعظمت واطولت فاعقل عني اذا اعبد الله ولا تشرك به شيئا واقم الصلاة المكتوبة واد الزكاة
المفروضة وصم رمضان وما تحب ان يفعله بك الناس فافعله بهم وما تكره ان ياتي اليك الناس فذر الناس منه وفي رواية ايضا قال اتق
الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان ولم يزد على ذلك وقيل ان هذا الصحابي هو وافد بني
المنتفق واسمه لقيط رضي الله عنه فهذه الاعمال اسباب مقتضية لدخول الجنة وقد يكون ارتكاب المحرمات موانع ويدل على هذا ما
خرجه الامام احمد من حديث عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله شهدت ان لا اله الا الله وانك
رسول الله وصليت الخمس واديت زكاة مالي وصمت شهر رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين
والشهداء يوم القيمة هكذا ونصب اصبعيه ما لم يعق والديه وقد ورد ترتيب دخول الجنة على فعل بعض هذه الاعمال كالصلاة
ففي الحديث المشهور من صلى الصلاة لوقتها كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة وفي الحديث الصحيح من صلى البردين دخل الجنة وهذا كله
من ذكر السبب المقتضي الذي لا يعمل عمله الا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه ويدل على هذا ما خرجه الامام احمد عن بشير بن الخصاصية
رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم لابايعه فاشترط علي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان اقيم الصلاة وان اوتي
الزكاة وان احج حجة الاسلام وان اصوم رمضان وان اجاهد في سبيل الله فقلت يا رسول الله اما اثنتين فوالله لا اطيقهما
الجهاد والصدقة فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها وقال فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة اذا قلت يا رسول الله انا ابايعك
فبايعته عليهن كلهن ففي الحديث انه لا يكفي في دخول الجنة هذه الخصال بدون الزكاة والجهاد وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة ان ارتكاب
بعض الكبائر يمنع دخول الجنة كقوله لا يدخل الجنة قاطع وقوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وقوله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا

والاحاديث



والاحاديث التي جاءت في منع دخول الجنة بالدين حتى يقضى وفي الصحيح ان المؤمنين اذا جاوزوا الصراط حبسوا على قنطرة يقتص
منهم مظالم كانت بينهم في الدنيا وقال بعض السلف ان الرجل ليحبس على باب الجنة مائة عام بالذنب كان يعمله في الدنيا فهذه كلها موانع
ومن هنا يظهر معنى الاحاديث التي جاءت في ترتيب دخول الجنة على مجرد التوحيد ففي الصحيحين عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق
قالها ثلاثا ثم قال في الرابعة على رغم انف ابي ذر فخرج ابو ذر وهو يقول وان رغم انف ابي ذر وفيهما عن عبادة بن
الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان
عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من
العمل وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه او ابي سعيد بالشك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشهد ان لا اله
الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة وفيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له يوما من لقيت يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة وفي المعنى احاديث كثيرة جدا وفي الصحيحين
عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لمعاذ ما من عبد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده و
رسوله الا حرمه الله على النار وفيهما عن عتبان بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم على النار من قال لا اله الا
الله يبتغي بها وجه الله فقال طائفة من العلماء ان كلمة التوحيد سبب مقتض لدخول الجنة وللنجاة من النار لكن له شروط وهو
الاتيان بالفرائض وموانع وهو اتيان الكبائر قال الحسن للفرزدق ان للا اله الا الله شروطا فاياك وقذف المحصنة وروي
عنه انه قال هذا العمود فاين الطنب يعني ان كلمة لا اله الا الله عمود الفسطاط ولكن لا يثبت الفسطاط بدون
اطنابه وهي فعل الواجبات وترك المحرمات وقيل للحسن ان ناسا يقولون من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال من قال
لا اله الا الله فادى حقها وفرضها دخل الجنة وقيل لوهب بن منبه اليس لا اله الا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن ما من
مفتاح الا وله اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح لك ويشبه هذا ما روي عن ابن عمر انه سئل عن لا اله الا
الله هل يضر معها عمل كما لا ينفع مع تركها عمل فقال ابن عمر عش ولا تغتر وقالت طائفة منهم الضحاك والزهري كان
هذا قبل الفرائض والحدود فمن هؤلاء من اشار الى انها نسخت ومنهم من قال بل ضم اليها شروط زيدت عليها وزيادة
الشرط هل تنسخ ام لا فيه خلاف مشهور بين الاصوليين وفي هذا كله نظر فان كثيرا من هذه الاحاديث متاخر بعد الفرائض
والحدود وقال الثوري نسختها الفرائض والحدود فيحتمل ان يكون مراده ما اراد هؤلاء ويحتمل ان يكون مراده
ان وجوب الفرائض والحدود تبين بها ان عقوبات الدنيا لا تسقط بمجرد الشهادتين فكذلك عقوبات الاخرة
ومثل هذا البيان وازالة الايهام كان يجيء في كلام السلف يسمونه نسخا وليس هو بنسخ في الاصطلاح المشهور وقالت طائفة
هذه النصوص المطلقة جاءت مقيدة بان يقولها بصدق واخلاص واخلاصها وصدقها يمنع الاصرار معها
على معصية وجاء من مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان
تحجزك عما حرم الله وروي ذلك مسندا من وجه اخر ضعيف ولعل الحسن اشار بكلامه الذي حكيناه عنه الى
هذا وان تحقق القلب بمعنى لا اله الا الله وصدقه فيها واخلاصه بها يقتضي ان يرسخ فيه تاله الله وحده اجلالا وهيبة
ومخافة ومحبة ورجاء وتعظيما وتوكلا ويمتلئ بذلك وينتفي عنه تاله ما سواه من المخلوقين ومتى كان كذلك لم يبق فيه محبة ولا ارادة ولا طلب
لغير ما يريد الله ويحبه ويطلبه وينتفي بذلك من القلب جميع اهواء النفوس وارادتها ووساوس الشيطان فمن
احب شيئا واطاعه واحب عليه وابغض عليه فهو الهه فمن كان لا يحب ولا يبغض الا لله ولا يوالي ولا يعادي الا له فالله الهه
حقا ومن احب لهواه وابغض له ووالى عليه وعادى عليه فالهه هواه فالاله هو الذي لا ياله الا ربكم وقال قتادة هو الذي

كل هوى شاركه وكلما اشتهاها شاركه إذ إنه لا يخرج عن ذلك ورع ولا تقوى ويروى من حديث أبي امامة مرفوعا ما تحت السما
اله يعبد اعظم عند الله من هوى متبع وكذلك من اطاع الشيطان في معصية الله فقد عبده كما قال عز وجل ألم اعهد اليكم يا بني
ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم فتبين بهذا انه لا يصح تحقيق معنى قول
لا اله الا الله الا لمن لم يكن في قلبه اصرار على محبة ما يكرهه الله ولا على ارادة ما لا يريده الله ومتى كان في القلب شيء من ذلك كان ذلك
نقصا في التوحيد وهو من نوع الشرك الخفي ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى لا تشركوا به شيئا قال لا تحبوا غيره وفي صحيح الحاكم عن
عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشرك اخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلما وادناه ان تحب على
شيء من الجور وتبغض على شيء من العدل وهل الدين الا الحب والبغض قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وهذا
نص في ان محبة ما يكرهه الله عز وجل وبغض ما يحبه متابعة للهوى والموالات على ذلك والمعادات فيه من الشرك الخفي وخرج
... الدنيا من حديث انس مرفوعا لا تزال لا اله الا الله تمنع العباد من سخط الله ما لم يوثروا دنياهم على صفقة دينهم فاذا
اثروا صفقة دنياهم على دينهم ثم قالوا لا اله الا الله ردت عليهم وقال الله كذبتم فتبين بهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا
اله الا الله صادقا من قلبه حرمه الله على النار وان من دخل النار من اهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها فان هذه الكلمة
اذا صدقت طهرت من القلب كل ما سوى الله فمن صدق في قول لا اله الا الله لم يحب سواه ولم يرج الا اياه ولم يخش الا الله ولم
يتوكل الا على الله ولم يبق له بقية من اثار نفسه وهواه ومتى بقي في القلب اثر لسوى الله فمن قلة الصدق في قولها نار جهنم
تنطفي بنور ايمان الموحدين كما في الحديث المشهور تقول النار للمومن جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي وفي مسند الامام
احمد عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومنين بردا وسلاما كما كانت
على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم هذا ميراث ورثه المومنون من حال ابراهيم عليه السلام فنار المحبة في
قلوب المومنين يخاف منها نار جهنم قال الجنيد رحمة الله عليه قالت النار يا رب لو لم اطعك هل كنت تعذبني بشيء هو اشد
مني قال نعم اسلط عليك ناري الكبرى قالت وهل نار اعظم مني واشد قال نعم نار محبتي اسكنتها قلوب اوليائي المومنين
وفي هذا يقول بعضهم: ففي فؤاد المحب نار هوى ⁂ احر نار الجحيم ابردها ⁂ ويشهد لهذا المعنى حديث معاذ رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة فان المحتضر لا يكاد يقولها الا باخلاص وتوبة وندم على
ما مضى وعزم على ان لا يعود الى مثله ورجح هذا القول الخطابي في مصنف له في التوحيد وهو حسن

## الحديث الثالث والعشرون

عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان وسبحان
الله والحمد لله تملان او تملا ما بين السموات والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضيا والقران حجة لك او عليك كل
الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها رواه مسلم هذا الحديث خرجه مسلم من رواية يحيى بن ابي كثير ان زيد بن سلام ان
ابا سلام حدثه عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفي اكثر نسخ مسلم والصبر ضياء
وفي بعضها والصيام ضيا وقد اختلف في سماع يحيى بن ابي كثير من زيد بن سلام فانكره يحيى بن معين واثبته الامام احمد وفي هذه
الرواية تصريح بسماعه منه وخرجه النسائي وابن ماجه من رواية معاوية بن سلام عن اخيه زيد بن سلام عن جده ابي سلام عن عبد الرحمن
بن غنم عن ابي مالك من وجه اخر وعنده فتكون رواية مسلم منقطعة وفي حديث معاوية بعض المخالفة لحديث يحيى بن ابي كثير فان
لفظ حديثه عند ابن ماجه اسباغ الوضو شطر الايمان والحمد لله ملا الميزان والتسبيح والتكبير ملا السما والارض والصلاة
نور والصدقة برهان والصبر ضيا والقران حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وخرج
الترمذي حديث يحيى بن ابي كثير الذي خرجه مسلم ولفظ حديثه الوضو شطر الايمان وباقي حديثه مثل سياق مسلم وخرج الامام
احمد والترمذي من حديث رجل من بني سليم قال عدهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يدي او في يده التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملاه

والتكبير

والتكبير يملا ما بين السما والارض والصوم نصف الصبر والطهور نصف الايمان فقوله صلى الله عليه وسلم الطهور
شطر الايمان فسره بعضهم هاهنا الطهور بترك الذنوب كما في قوله تعالى انهم اناس يتطهرون وقوله وثيابك فطهر وقوله ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال الايمان فعل وترك فنصفه فعل المامورات ونصفه ترك المحظورات وهو تطهير النفس بترك
المعاصي وهذا القول محتمل لولا ان رواية الوضو شطر الايمان ترده وكذلك رواية اسباغ الوضو وايضا ففيه نظر من جهة المعنى فان
كثيرا من الاعمال تطهر النفس من الذنوب السابقة كالصلاة فكيف لا تدخل في اسم الطهور ومتى دخلت الاعمال او بعضها في اسم الطهور
لم يتحقق كون ترك الذنوب شطر الايمان والصحيح الذي عليه الاكثرون ان المراد بالطهور هاهنا التطهير بالماء من الاحداث
ولهذا بدا مسلم بتخريجه في ابواب الوضو وكذلك خرجه النسائي وابن ماجه وغيرهما وعلى هذا فاختلف الناس في معنى كون الطهور
بالما شطر الايمان فمنهم من قال المراد بالشطر الجزء لا انه النصف بعينه فيكون الطهور جزءا من الايمان وهذا فيه ضعف لان الشطر انما
يعرف استعماله لغة في النصف ولان في حديث الرجل من بني سليم الطهور نصف الايمان كما سبق ومنهم من قال المعنى انه يضاعف
ثواب الوضو الى نصف ثواب الايمان لكن من غير تضعيف وفي هذا نظر وبعد ومنهم من قال الايمان يكفر الكبائر كلها
والوضو يكفر الصغائر فهو شطر الايمان بهذا الاعتبار وهذا يرده حديث من اسا في الاسلام اخذ بما عمل في الجاهلية
وقد سبق ذكره ومنهم من قال الوضو يكفر الذنوب مع الايمان فصار نصف الايمان وهذا ضعيف ومنهم من قال المراد بالايمان
هاهنا الصلاة كما في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم والمراد صلاتكم الى بيت المقدس فاذا كان المراد بالايمان الصلاة
فالصلاة لا تقبل الا بطهور فصار الطهور شطر الايمان بهذا الاعتبار حكى هذا التفسير محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة
عن اسحاق بن راهويه عن يحيى بن ادم وانه قال في معنى قولهم لا ادري نصف العلم ان العلم انما هو ادري ولا ادري فاحدهما نصف
الاخر قلت كل شي كان تحته نوعان فاحدهما نصف له وسوا كان عدد النوعين على السوا او احدهما ازيد من
الاخر ويدل على هذا حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين والمراد قراءة الصلاة ولهذا فسرها بالفاتحة والمراد
انها مقسومة للعبادة والمسالة فالعبادة حق الرب والمسالة حق العبد وليس المراد قسمة كلماتها على السوا وقد ذكر هذا الخطابي واستشهد
بقول العرب نصف السنة سفر ونصفها حضر قال وليس على تساوي الزمانين فيهما لكن على انقسام الزمانين لهما وان تفاوتت مدتاهما
وبقول شريح وقد قيل له كيف اصبحت قال اصبحت ونصف الناس علي غضبان يريد ان الناس بين محكوم له ومحكوم عليه فالمحكوم عليه غضبان
والمحكوم له راض عنه فهما حزبان مختلفان ويقول الشاعر: اذا مت كان الناس نصفين شامت ⁂ بموتي ومثن بالذي كنت افعل
ومراده انهم ينقسمون قسمين قلت ومن هذا المعنى حديث ابي هريرة المرفوع في الفرائض انها نصف العلم خرجه ابن ماجه فان
احكام المكلفين نوعان نوع يتعلق بالحيا ونوع يتعلق بما بعد الموت وهذا هو الفرائض وقال ابن مسعود رضي الله عنه الفرائض ثلث
العلم ووجه ذلك الحديث الذي خرجه ابو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعا العلم ثلاثة وما
سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وروي عن مجاهد انه قال المضمضة والاستنشاق تطهر باطن الجسد
وغسل سائر الاعضا يطهر ظاهره فهما نصفان بهذا الاعتبار ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه الصبر نصف الايمان واليقين
الايمان كله وجا من رواية يزيد الرقاشي عن انس مرفوعا الايمان نصفان نصف في الصبر ونصف في الشكر فلما كان الايمان
يشمل فعل الواجبات وترك المحرمات ولا ينال ذلك كله الا بالصبر كان الصبر نصف الايمان فهكذا يقال في الوضو انه نصف الصلاة و
ايضا فالصلاة تكفر الذنوب والخطايا بشرط اسباغ الوضو واحسانه فصار شطر الصلاة بهذا الاعتبار ايضا كما في صحيح مسلم عن عثمان
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يتطهر فيتم الطهور الذي كتب الله عليه فيصلي هذه الصلوات الخمس الا كانت كفارة لما بينهن
وفي رواية له من اتم الوضو كما امره الله فالصلوات المكتوبات كفارة لما بينهن وايضا فالصلاة مفتاح الجنة والوضو مفتاح الصلاة
كما خرجه الامام احمد والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا وكل من الوضو والصلاة موجب ابواب الجنة كما في صحيح مسلم عن عقبة بن
عامر رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يتوضا فيحسن الوضو ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه
ووجهه الا وجبت له الجنة وعن عقبة عن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من احد يتوضا فيبلغ او فيسبغ الوضو
ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شا وفي الصحيحين

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده
ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله الجنة
على ما كان من العمل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء فإذا كان الوضوء مع الشهادتين يوجب لفتح أبواب الجنة
صار الوضوء نصف الإيمان بالله ورسوله بهذا الاعتبار فالوضوء من خصال الإيمان الخفية التي لا يحافظ عليها إلا
مؤمن كما في حديث ثوبان وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن **والغسل من الجنابة**
فقد ورد أنه أداء الأمانة كما خرج العقيلي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خمس من جاء بهن
مع إيمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وأعطى الزكاة
من ماله طيب النفس بها قال وكان يقول وايم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن وصام رمضان وحج البيت من استطاع إليه
سبيلا وأدى الأمانة قالوا يا أبا الدرداء وما أداء الأمانة قال الغسل من الجنابة فإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه
غيرها وخرجه ابن ماجه بمعناه من حديث أبي أيوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة
وأداء الأمانة كفارة لما بينهن قيل وما أداء الأمانة قال الغسل من الجنابة فإن تحت كل شعرة جنابة وحديث
أبي الدرداء جعل فيه الوضوء من أجزاء الصلاة وجاء حديث آخر خرجه البزار من رواية شبابة بن سوار ثنا المغيرة
بن مسلم عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا الصلاة ثلاثة أثلاث الطهور ثلث والركوع
ثلث والسجود ثلث فمن أداها بحقها قبلت منه وقبل منه سائر عمله ومن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله
وقال تفرد به المغيرة والمحفوظ عن أبي صالح عن كعب من قوله فعلى هذا التقسيم الوضوء ثلث الصلاة إلا أن يجعل الركوع
والسجود كالشيء الواحد لتقاربهما في الصورة فيكون الوضوء نصف الصلاة ويحتمل أن يقال خصال
الإيمان من الأعمال والأقوال كلها تطهر القلب وتزكيه وأما الطهارة بالماء فهي تختص بتطهير الجسد وتنظيفه
فصارت خصال الإيمان نصفين أحدهما يطهر الظاهر والآخر يطهر الباطن فهما نصفان بهذا الاعتبار
والله تعالى أعلم بمراده ومراد رسوله في ذلك كله **وقوله** صلى الله عليه وسلم والحمد لله تملأ الميزان وسبحان
الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض فشك الراوي في لفظه وفي رواية النسائي
وابن ماجه والتسبيح والتكبير ملء السماء والأرض وفي حديث رجل من بني سليم التسبيح نصف الإيمان
والحمد لله تملؤه ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه وقال النسائي إسناده بالقوي **قلت**
اختلف في إسناده على الإفريقي فروي عنه عن أبي علقمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه زيادة
والله أكبر ملء السموات والأرض وروى جعفر الفريابي في كتاب الذكر وغيره من حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الحمد لله ملء الميزان وسبحان الله نصف الميزان ولا إله إلا الله والله أكبر ملء السموات والأرض وما بينهن وخرج
الفريابي أيضا من حديث معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كلمتان إحداهما ليس لها ناهية دون العرش
والأخرى تملأ ما بين السماء والأرض لا إله إلا الله والله أكبر فقد تضمنت هذه الأحاديث فضل هذه الكلمات الأربع
التي هي أفضل الكلام وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأما الحمد لله فاتفقت الأحاديث كلها على أنه يملأ
الميزان وقد قيل إنه ضرب مثل وإن المعنى لو كان الحمد جسما لملأ الميزان وقيل بل الله عز وجل يمثل أعمال بني آدم
وأقوالهم صورا ترى يوم القيامة وتوزن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يأتي القرآن يوم القيامة تقدمه البقرة وآل عمران كأنهما
غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وقال كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان خفيفتان
على اللسان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال القبر يأتي في الميزان الخلق الحسن وكذلك المؤمن يأتيه عمله الصالح
في قبره

في قبره في أحسن صورة والكافر يأتيه عمله في أقبح صورة ويروى أن الصلاة والزكاة وأعمال البر تكون حول الميت
في قبره تدافع عنه وأن الزكاة يصعد فيشفع له وأما سبحان الله ففي رواية مسلم سبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ
ما بين السماء والأرض فشك الراوي في الذي يملأ ما بين السماء والأرض هل هو الكلمتان كلاهما أو أحدهما وفي رواية النسائي
وابن ماجه التسبيح والتكبير ملء السماء والأرض وهذه الرواية أشبه وهل المراد أنهما معا يملآن ما بين السماء والأرض أو أن
كل منهما يملأ ذلك هذا محتمل وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه والرجل الآخر أن التكبير وحده يملأ ما بين السماء والأرض فعلى كل
حال فالتسبيح دون التحميد في الفضل كما جاء صريحا في حديث علي وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو والرجل من بني سليم رضي الله
عنهم نصف الميزان والحمد لله تملأه وسبب ذلك أن التحميد إثبات المحامد كلها لله فدخل في ذلك إثبات صفات الكمال ونعوت
الجلال كلها والتسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب والآفات والإثبات أكمل من السلب ولهذا لم يرد التسبيح
مجردا لكن مقرونا بما يدل على إثبات الكمال فتارة يقرن بالحمد كقول سبحان الله وبحمده سبحان الله والحمد لله وتارة
باسم من الأسماء الدالة على العظمة والجلال كقوله سبحان الله العظيم فإن كان حديث أبي مالك يدل على أن الذي
يملأ ما بين السماء والأرض هو مجموع التسبيح والتكبير فالأمر ظاهر وإن كان المراد أن كلا منهما يملأ ذلك
فإن الميزان أوسع مما بين السماء والأرض فما يملأ الميزان هو أكثر مما يملأ ما بين السماء والأرض ويدل عليه أنه صح عن
سلمان رضي الله عنه أنه قال يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعهن فتقول الملائكة يا رب
لمن تزن بهذا فيقول الله لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وخرجه الحاكم مرفوعا
وصححه ولكن الموقوف هو المشهور وأما التكبير ففي حديث أبي هريرة والرجل من بني سليم أنه وحده يملأ ما بين السماء
والأرض وفي حديث علي رضي الله عنه أن التكبير مع التهليل يملأ السموات والأرض وما بينهما وأما التهليل فإنه وحده
يصل إلى الله من غير حجاب بينه وبينه وخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما قال
عبد لا إله إلا الله مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر وقال أبو أمامة رضي الله
عنه ما من عبد يهلل تهليلة فينهنهها شيء دون العرش ويروى أنه لا يعدلها شيء في الميزان في حديث البطاقة المشهور
وقد خرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وفي آخره عند الإمام أحمد ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم وفي المسند
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن نوحا لما حضرته الوفاة قال لابنه آمرك بلا إله إلا الله فإن
السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله وفيه أيضا عن
عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن موسى عليه السلام قال يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به قال يا
موسى قل لا إله إلا الله قال كل عبادك يقولون هذا قال إنما أريد شيئا تخصني به قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن
غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله وقد اختلف في أي الكلمتين أفضل أكلمة الحمد أم
كلمة التهليل وقد حكى هذا الاختلاف ابن عبد البر وغيره وقال النخعي كانوا يرون أن الحمد أكثر تضعيفا وقال الثوري ليس
شيء يضاعف من الكلام مثل الحمد لله والحمد يتضمن جميع أنواع الكمال بعد فيدخل فيه التوحيد وفي مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد
وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله اصطفى من الكلام أربعا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر فمن قال سبحان الله كتب له عشرون حسنة أو حطت عنه عشرون سيئة ومن قال الله أكبر مثل ذلك ومن قال لا إله إلا
الله مثل ذلك ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وقد روي هذا المعنى عن كعب من قوله و
قيل إنه أصح من المرفوع **قوله** صلى الله عليه وسلم والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء وفي بعض نسخ صحيح مسلم
والصيام ضياء فهذه الأعمال الثلاث من الأعمال أنوار كلها لكن منها ما يختص بنوع من أنواع النور فالصلاة نور مطلق و
يروى بإسنادين فيهما نظر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة نور المؤمن وهي للمؤمنين في الدنيا نور
في قلوبهم وبصائرهم تشرق بها قلوبهم وتستنير بصائرهم ولهذا كانت قرة عين المتقين كما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول جعلت قرة عيني في الصلاة خرجه أحمد والنسائي وفي رواية الجائع يشبع والظمآن يروى وأنا لا أشبع

من حب الصلاة وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله حبب اليك الصلاة فخذ منها
ما شئت وخرج ابو داود من حديث رجل من خزاعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بلال اقم الصلاة وارحنا بها قال مالك
بن دينار قرأت في التوراة يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي في صلاتك باكيا فانا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رأيت
نوري يعني ما يفتح للمصلي في الصلاة من الرقة والبكاء وخرج الطبراني من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعا اذا حافظ
العبد على صلاته فاقام وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتني وصعد بها
الى السماء ولها نور حتى تنتهي الى الله عز وجل فتشفع لصاحبها وهي نور المومنين في قبورهم ولاسيما صلاة الليل كان ابو
الدرداء يقول صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبور وكانت رابعة العدوية قد فترت عن وردها بالليل مدة فاتاها آت
في منامها فانشدها: صلاتك نور والعباد رقود * ونومك ضد للصلاة عنيد ٥ وهي في الآخرة نور للمومنين
في ظلمات القيمة على الصراط فان الانوار تقسم لهم على حسب اعمالهم وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الصلاة فقال من حافظ عليها كانت له نور وبرهان ونجاة يوم القيمة ومن
لم يحافظ عليها لم تكن له نور ولا برهان ولا نجاة وخرج الطبراني باسناد فيه نظر من حديث ابن عباس وابي
هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى الصلوات الخمس في جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع في اول زمرة
من السابقين وجاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر واما الصدقة فهي برهان والبرهان هو الشعاع الذي يلي
وجه الشمس ومنه حديث ابي موسى ان روح المومن تخرج من جسده لها برهان كبرهان الشمس ومنه سميت الحجة القاطعة برهانا
لوضوح دلالتها على ما دلت عليه فكذلك الصدقة برهان على صحة الايمان وطيب النفس بها علامة على حلاوة وجود
الايمان وطعمه كما في حديث عبد الله بن معاوية الغاضري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الايمان من
عبد الله وحده وانه لا اله الا هو وادى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه في كل عام وذكر الحديث خرجه ابو داود
وقد ذكرنا قريبا حديث ابي الدرداء فيمن ادى زكاة ماله طيبة بها نفسه قال وكان يقول لا يفعل ذلك الا مومن وسبب هذا ان
المال تحبه النفوس وتبخل به فاذا سمحت باخراجه لله عز وجل دل على صحة ايمانها بالله ووعده ووعيده ولهذا منعت
العرب بعض الزكاة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقاتلهم الصديق على منعها والصلاة ايضا برهان على
صحة الاسلام وقد خرج الامام احمد والترمذي من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة
برهان وقد ذكرت في شرح حديث امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة
ويوتوا الزكاة ان الصلاة هي الفارقة بين الكفر والاسلام وهي ايضا اول ما يحاسب المرء يوم القيمة عليها فان تمت
الصلاة فقد افلح وانجح وقد سبق حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فيمن حافظ عليها انها تكون له نور وبرهان
ونجاة يوم القيمة واما الصبر فانه ضياء والضياء هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة واحراق كضياء
الشمس بخلاف القمر فانه نور محض فيه اشراق بغير احراق قال الله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ومن
هنا وصف الله شريعة موسى بانها ضياء كما قال تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين وان
كان قد ذكر ان في التوراة نورا كما قال تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور لكن الغالب على شريعتهم الضياء لما فيها من
الآصار والاغلال والاثقال ووصف شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بانها نور لما فيها من الحنيفية السمحة قال تعالى قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين
آمنوا به وعزروه ونصروه الآية ولما كان الصبر شاقا على النفوس يحتاج الى مجاهدة النفس
وحبسها وكفها عما تهواه كان ضياء فان معنى الصبر في اللغة الحبس ومنه قتل الصبر وهو ان يحبس الرجل حتى يقتل
والصبر المحمود انواع منه صبر على طاعة الله عز وجل ومنه صبر عن معاصي الله عز وجل ومنه صبر على اقدار الله
عز وجل والصبر على الطاعات وعن المحرمات افضل من الصبر على الاقدار المولمة صرح بذلك السلف منهم سعيد
بن جبير وميمون بن مهران وغيرهما وقد روي باسناد ضعيف من حديث علي مرفوعا ان الصبر على المصيبة

يكتب بها



يكتب به للعبد ثلثمائة درجة وان الصبر على الطاعة يكتب به ستمائة درجة وان الصبر عن المعاصي يكتب له به تسعمائة درجة
وقد خرجه ابن ابي الدنيا وابن جرير الطبري ومن افضل انواع الصبر الصيام فانه يجمع الصبر على الانواع الثلاثة لانه صبر على طاعة
الله عز وجل وصبر عن معاصي الله عز وجل لان العبد يترك شهواته لله ونفسه قد تنازعه اليها ولهذا في الحديث الصحيح
ان الله عز وجل يقول كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وانا اجزي به انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من اجلي وفيه
ايضا صبر على الاقدار المولمة بما قد يحصل للصائم من الجوع والعطش وكان صلى الله عليه وسلم يسمي شهر الصيام شهر الصبر وقد جاء
في حديث الرجل من بني سليم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصيام نصف الصبر وربما عسر الوقوف على سر كونه نصف الصبر اكثر
مما عسر الوقوف على سر كون الطهور شطر الايمان وقوله صلى الله عليه وسلم والقرآن حجة لك او عليك قال الله عز وجل
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا قال بعض السلف ما جالس احد القرآن فقام عنه سالما
بل اما ان يربح او ان يخسر ثم تلا هذه الآية وروي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يمثل القرآن يوم
القيمة رجلا فيوتى بالرجل قد حمله فخالف امره فيتمثل له خصما فيقول يا رب حملته اياي فبئس حامل تعدى حدودي وضيع
فرائضي وركب معصيتي وترك طاعتي فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال شانك به فياخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره
بالنار ويوتى بالرجل الصالح كان قد حمله فيتمثل له خصما دونه فيقول يا رب حملته اياي فخير حامل حفظ حدودي وعمل بفرائضي
واجتنب معصيتي واتبع طاعتي فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقال شانك به فياخذه بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق
ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كاس الخمر وقال ابن مسعود رضي الله عنه القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فمن جعله امامه قاده
الى الجنة ومن جعله خلف ظهره قاده الى النار وعنه قال يجي القرآن يوم القيمة فيشفع لصاحبه فيكون قائدا الى الجنة او يشهد
عليه فيكون سائقا الى النار وقال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه ان هذا القرآن كائن لكم اجرا وكائن عليكم وزرا فاتبعوا القرآن
ولا يتبعكم القرآن فانه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة ومن اتبعه القرآن زج في قفاه فقذفه في النار وقوله
صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وخرجه الامام احمد وابن حبان من حديث كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الناس غاديان فبايع نفسه فمعتق نفسه وموبقها وفي رواية خرجها الطبراني الناس غاديان فبايع نفسه فموبقها وفاد
نفسه فمعتقها قال الله عز وجل ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها والمعنى قد افلح
من زكى نفسه بطاعة الله وخاب من دساها بالمعاصي فالطاعة تزكي النفس وتطهرها فترتفع والمعاصي تدسي النفس وتقمعها
فتنخفض وتصير كالذي يدس في التراب ودل الحديث على ان كل انسان ساع في هلاك نفسه او في فكاكها فمن سعى في طاعة الله فقد
باع نفسه لله واعتقها من عذابه ومن سعى في معصية الله فقد باع نفسه بالهوان واوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه
قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم
وقال تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رووف بالعباد وقال تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم
القيمة الا ذلك هو الخسران المبين وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين انزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين
يا معشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا اغني عنكم من الله شيئا وفي رواية للبخاري يا بني عبد
مناف اشتروا انفسكم من الله يا بني عبد المطلب اشتروا انفسكم من الله يا عمة رسول الله يا فاطمة بنت محمد اشتريا انفسكما من الله
لا املك لكما من الله شيئا وفي رواية لمسلم انه دعا قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لوي انقذوا انفسكم من النار يا
بني مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار
يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار فاني لا املك لكم
من الله شيئا وخرج الطبراني والخرائطي من حديث ابن عباس مرفوعا من قال سبحان الله وبحمده حتى يصبح الف مرة فقد
اشترى نفسه من الله وكان من آخر يومه عتيق الله وقد اشترى جماعة من السلف انفسهم من الله باموالهم فمنهم من تصدق
بماله كله كحبيب ابي محمد ومنهم من تصدق بوزنه فضة ثلاث مرات او اربعا كخالد الطحان ومنهم من كان يجتهد
في الاعمال الصالحة ويقول انما انا اسير اسعى في فكاك رقبتي منهم عمرو بن عتبة وكان بعضهم يسبح كل يوم اثني عشر الف
تسبيحة بقدر ديته كانه قد قتل نفسه فهو يفتكها بديتها قال الحسن المومن في الدنيا كالاسير يسعى في فكاك رقبته لا يامن
شيئا حتى يلقى الله عز وجل وقال ابن آدم انك تغدو وتروح في طلب الارباح فليكن همك نفسك فانك لن تربح مثلها ابدا قال
ابو بكر بن عياش قال لي رجل مرة وانا شاب خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة فان اسير الآخرة غير

يفكوك ابدا فقال فو الله ما نسيتها بعد وكان بعض السلف يبكي ويقول ليس لي نفسان انما لي نفس واحدة فاذا ذهبت لم اجد اخرى
وقال محمد بن الحنفية ان الله عز وجل جعل الجنة ثمنا لانفسكم فلا تبيعوها بغيرها وقال من كرمت نفسه عليه لم يكن للدنيا عنده قدر وقيل لمن
من اعظم الناس قدرا قال من لم ير الدنيا كلها لنفسه خطرا وانشد بعض المتقدمين ∴ اثامن بالنفس النفيسة ربها ∴ وليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها تملك الاخرى فان انا بعتها ∴ بشيء من الدنيا فذاك هو الغبن ∴ لئن ذهبت نفسي بدنيا اصبتها ∴ لقد ذهبت نفسي وقد ذهب
الثمن

## الحديث الرابع والعشرون

عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل انه قال
يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي
كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطئون
بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني
يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم
واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا
في صعيد واحد فسالوني فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي
انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رواه مسلم هذا الحديث خرجه مسلم
من رواية سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن ابي ادريس الخولاني عن ابي ذر وفي اخره قال ابو مسهر سعيد بن عبد العزيز كان ابو
ادريس الخولاني اذا حدث بهذا الحديث جثى على ركبتيه وخرجه مسلم ايضا من رواية قتادة عن ابي قلابة عن ابي اسماء الرحبي عن ابي
ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسق لفظه ولكنه قال وساق الحديث بنحو سياق ابي ادريس الخولاني وحديث ابي ادريس اتم وخرجه
الامام احمد والترمذي وابن ماجه من رواية شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاسالوني الهدى اهدكم وكلكم فقير الا من اغنيته فاسالوني اغنكم وكلكم مذنب الا
من عافيت فمن علم منكم اني ذو قدرة على المغفرة واستغفرني غفرت له ولا ابالي ولو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم وحيكم وميتكم
ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على اتقى عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة ولو ان اولكم واخركم وحيكم وميتكم ورطبكم و
يابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسال كل انسان منكم ما بلغت امنيته فاعطيت كل سائل منكم ما نقص ذلك من ملكي
شيئا الا كما لو ان احدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه ذلك باني جواد واجد ماجد افعل ما اريد عطائي كلام وعذابي
كلام انما امري لشيء اذا اردت ان اقول له كن فيكون وهذا لفظ الترمذي وقال حديث حسن وخرجه الطبراني بمعناه من
حديث ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ان اسناده ضعيف وحديث ابي ذر قال الامام احمد هو اشرف حديث لاهل
الشام فقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي يعني انه منع نفسه من الظلم لعباده كما قال
تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقال وما الله يريد ظلما للعالمين وقال تعالى وما الله يريد ظلما للعباد وقال عز وجل ان الله لا يظلم
الناس شيئا وقال ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما والهضم ان ينقص
من جزاء حسناته والظلم ان يعاقب بذنوب غيره ومثل هذا كثير في القران وهو مما يدل ان الله قادر على الظلم ولكن لا يفعله فضلا
منه وجودا وكرما واحسانا الى عباده وقد فسر كثير من العلماء الظلم بانه وضع الاشياء في غير مواضعها واما من فسره بالتصرف في
ملك الغير بغير اذنه وقد نقل نحوه عن اياس بن معاوية وغيره فانهم يقولون ان الظلم مستحيل عليه وغير متصور في حقه لان
كل ما يفعله فهو تصرف في ملكه وبنحو ذلك اجاب ابو الاسود الدؤلي لعمران بن حصين لما ساله عن القدر وخرج ابو داود وابن
ماجه من حديث ابي سنان سعيد بن سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي انه سمع ابي بن كعب يقول لو ان
الله عذب اهل سماواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم وانه اتى ابن مسعود
فقال له مثل ذلك ثم اتى زيد بن ثابت فحدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك وفي هذا الحديث نظر ووهب بن خالد ليس
بذاك المشهور في العلم وقد يحمل على انه لو اراد تعذيبهم لقدر لهم ما يعذبهم عليه فيكون غير ظالم لهم حينئذ وكونه خلق افعال
العباد وفيها الظلم لا يقتضي وصفه بالظلم سبحانه وتعالى كما انه لا يوصف بسائر القبائح التي يفعلها العباد وهي خلقه وتقديره فانه

لا يوصف الا با

لا يوصف الا بافعاله لا يوصف بافعال عباده فان افعال عباده مخلوقاته ومفعولاته وهو لا يوصف بشيء منها انما يوصف بما
قام به من صفاته وافعاله والله اعلم وقوله وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يعني انه تعالى حرم الظلم على عباده ونهاهم
ان يتظالموا فيما بينهم فحرام على كل عبد ان يظلم غيره مع ان الظلم في نفسه محرم مطلقا وهو نوعان احدهما ظلم النفس واعظمه
الشرك كما قال عز وجل ان الشرك لظلم عظيم فان المشرك جعل المخلوق في منزلة الخالق فعبده وتالهه ووضع الاشياء في غير مواضعها
واكثر ما ذكر في القران من وعيد الظالمين انما اريد به المشركون كما قال عز وجل والكافرون هم الظالمون ثم يليه المعاصي
على اختلاف اجناسها من كبائر وصغائر والثاني ظلم العبد لغيره وهو المذكور في هذا الحديث وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وروي
انه خطب بذلك في يوم عرفة وفي يوم النحر وفي يوم الثاني من ايام التشريق وفي رواية ثم قال اسمعوا مني تعيشوا الا لا تظلموا
الا لا تظلموا انه لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الظلم ظلمات يوم القيامة وفيهما عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا
وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده
مظلمة لاخيه فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم تكن له حسنات
اخذ من سيئات اخيه فطرحت عليه قوله يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع
الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل
والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم هذا يقتضي ان جميع الخلق مفتقرون الى الله عز وجل في جلب مصالحهم
ودفع مضارهم في امور دينهم ودنياهم وان العباد لا يملكون لانفسهم شيئا من ذلك وان من لم يتفضل الله عليه بالهدى
والرزق في الدنيا فانه يحرمهما في الدنيا ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه اوبقته خطاياه في الاخرة قال تعالى من يهد الله
فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ومثل هذا كثير في القران قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده وقال تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقال تعالى فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى
حاكيا عن ادم وزوجته انهما قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد استدل ابراهيم الخليل عليه السلام
على تفرد الله بهذه الامور على انه لا اله غيره وان كل ما اشرك معه باطل فقال لقومه افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فان من تفرد بخلق العبد وبهدايته وبرزقه واحيائه واماتته في الدنيا و
بمغفرة ذنوبه في الاخرة مستحق ان يفرد بالالهية والعبادة والسؤال والتضرع اليه والاستكانة له قال الله عز وجل الله
الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون وفي الحديث
دليل على ان الله يحب ان يساله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك
كما يسالونه الهداية والمغفرة وفي الحديث ليسال احدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع وكان بعض
السلف يسال في صلاته كل حوائجه حتى ملح عجينه وعلف شاته وفي الاسرائيليات ان موسى عليه السلام قال
يا رب انه لتعرض لي الحاجة فاستحيي ان اسالك قال سلني حتى ملح عجينك وعلف حمارك فان كل ما يحتاج العبد
اليه اذا ساله من الله فقد اظهر حاجته فيه وافتقاره الى الله وذلك يحبه الله وكان بعض السلف يستحيي من الله ان يساله
شيئا من مصالح الدنيا والاقتداء بالسنة اولى فقوله صلى الله عليه وسلم كلكم ضال الا من هديته فقد ظن بعضهم
انه معارض لحديث عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل خلقت عبادي حنفاء وفي رواية مسلمين فاجتالتهم الشيا
طين وليس كذلك فان الله خلق بني ادم وفطرهم على قبول الاسلام والميل اليه دون غيره والتهيؤ لذلك والاستعداد له بالقوة لكن
لا بد للعبد من تعليم الاسلام بالفعل فانه قبل التعليم جاهل لا يعلم شيئا كما قال عز وجل والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى والمراد وجدك غير عالم بما علمك من الكتاب والحكمة كما قال وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالانسان يولد مفطورا على قبول الحق فان هداه الله سبب له من يعلمه الهدى
فصار مهتديا بالفعل بعد ان كان مهتديا بالقوة وان خذله الله قيض له من يعلمه ما يغير فطرته كما قال صلى الله عليه وسلم كل
مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه واما سؤال المؤمن من الله الهداية فان الهداية
نوعان هداية مجملة وهي الهداية للاسلام والايمان وهي حاصلة للمؤمن وهداية مفصلة وهي هدايته الى معرفة تفاصيل
اجزاء الايمان والاسلام واعانته على فعل ذلك وهذا يحتاج اليه كل مؤمن ليلا ونهارا ولهذا امر الله عباده ان يقرؤوا في كل
ركعة من صلاتهم قوله اهدنا الصراط المستقيم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه بالليل اهدني لما اختلف فيه من
الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ولهذا يشمت العاطس فيقال يهديكم الله كما جاءت السنة وان انكره
من انكره من فقهاء العراق ظنا منهم ان المسلم لا يحتاج الى الهداية وخالفهم جمهور العلماء اتباعا للسنة في ذلك وقد امر النبي صلى
الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ان يسال الله السداد والهدى وعلم الحسن ان يقول في قنوت الوتر اللهم اهدني فيمن هديت واما الاستغفار
من الذنوب فهو طلب المغفرة والعبد احوج شيء اليه لانه يخطئ بالليل والنهار وقد تكرر في القران ذكر التوبة والاستغفار
والامر بهما والحث عليهما وخرج الترمذي وابن ماجه من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ابن ادم خطاء وخير الخطائين
التوابون وخرج البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله اني لاستغفر الله واتوب اليه
في اليوم اكثر من سبعين مرة وخرجه النسائي وابن ماجه ولفظهما اني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم مائة مرة وخرج مسلم من
حديث الاغر المزني سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس توبوا الى ربكم فاني اتوب في اليوم مائة مرة وخرجه النسائي
ولفظه يا ايها الناس توبوا الى ربكم واستغفروه فاني اتوب الى الله واستغفره في كل يوم مائة مرة وخرج الامام احمد والنسائي وابن ماجه
من حديث حذيفة رضي الله عنه قال كان في لساني ذرب على اهلي لم اعده الى غيرهم فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اين
انت من الاستغفار يا حذيفة اني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني
لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة واتوب اليه وخرج النسائي من حديث ابي موسى رضي الله عنه قال كنا جلوسا فجاء النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ما اصبحت غداة قط الا استغفرت الله مائة مرة وخرج الامام احمد وابو داود والترمذي والنسائي
وابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة يقول رب اغفر لي
وتب علي انك انت التواب الرحيم وخرج النسائي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال ما رايت احدا اكثر ان يقول استغفر الله
واتوب اليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الامام احمد من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
يقول اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤوا استغفروا وسنذكر بقية الكلام في الاستغفار في حديث انس ان شاء الله

وقوله صلى الله عليه وسلم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يعني ان العباد لا
يقدرون ان يوصلوا الى الله نفعا ولا ضرا فان الله تعالى في نفسه غني حميد لا حاجة له بطاعات العباد ولا يعود
نفعها اليه وانما هم ينتفعون بها ولا يتضرر بمعاصيهم وانما هم يتضررون بها قال تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
انهم لن يضروا الله شيئا وقال ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته ومن يعص الله
ورسوله فقد غوى ولا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا قال الله عز وجل وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان
الله غنيا حميدا وقال حاكيا عن موسى عليه السلام وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد وقال ومن
كفر فان الله غني عن العالمين وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والمعنى انه تعالى يحب من عباده
ان يتقوه ويطيعوه كما انه يكره منهم ان يعصوه ولهذا يفرح بتوبة التائبين اشد من فرح من ضلت راحلته التي عليها
طعامه وشرابه بفلاة وطلبها حتى اعيى وايس منها واستسلم للموت وايس من الحياة ثم غلبته عينه فنام فاستيقظ
وهي قائمة عنده وهذا اعلى ما يتصوره المخلوق من الفرح هذا كله مع غناه عن طاعات العباد وتوباتهم اليه وانه انما يعود
نفعها اليهم دونه وهذا من كمال جوده واحسانه الى عباده ومحبته لنفعهم ودفع الضرر عنهم فهو يحب من عباده
ان يعرفوه ويحبوه ويخافوه ويتقوه ويطيعوه ويتقربوا اليه ويحب ان يعلموا انه لا يغفر الذنوب غيره وانه قادر

على مغفرة

على مغفرة ذنوب عباده كما في رواية عبد الرحمن بن غنم عن ابي ذر لهذا الحديث من علم منكم اني ذو قدرة على المغفرة ثم استغفرني
غفرت له ولا ابالي وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عبدا اذنب ذنبا فقال رب اني عملت ذنبا فاغفر لي فقال الله
علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب وياخذ بالذنب قد غفرت لعبدي وفي حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ركب دابته
حمد الله ثلاثا وكبر ثلاثا وقال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقال ان ربك
ليعجب من عبده اذا قال رب اغفر لي ذنوبي يعلم انه لا يغفر الذنوب غيري خرجه الامام احمد وصححه وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال والله لله ارحم بعباده من الوالدة بولدها كان بعض السلف من اصحاب ذي النون يطوف
يطوف ينادي اه اين قلبي من وجد قلبي فدخل يوما بعض السكك فوجد صبيا يبكي وامه تضربه ثم اخرجته من الدار
واغلقت الباب دونه فجعل الصبي يتلفت يمينا وشمالا لا يدري اين يذهب ولا اين يقصد فرجع الى باب الدار فجعل
يبكي ويقول يا اماه من يفتح لي الباب اذا اغلقت عني بابك ومن يدنيني من نفسه اذا طردتني ومن ذا الذي
يدنيني اذا غضبت علي فرحمته امه فقامت فنظرت من خلال الباب فوجدت ولدها تجري دموعه على خديه متمعكا
بالتراب ففتحت الباب فاخذته حتى وضعته في حجرها وجعلت تقبله وتقول يا قرة عيني ويا عزيز نفسي انت الذي
حملتني على نفسك وانت الذي تعرضت لما حل بك لو انك اطعتني لم تلق مني مكروها فتواجد الفتى ثم قام فصاح وقال قد وجدت
قلبي قد وجدت قلبي وتفكر في قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر
الذنوب الا الله ولم يصروا ففيه اشارة الى ان المذنبين ليس لهم من يلجؤون اليه ويعولون عليه في مغفرة ذنوبهم غيره
وكذلك قوله في حق الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله
الا اليه فان العبد اذا خاف من مخلوق هرب منه وفر الى غيره واما من خاف من الله فما له من ملجا يلجا اليه ولا مهرب يهرب
اليه الا هو فيهرب منه اليه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه لا ملجا ولا منجا منك الا اليك وكان يقول اعوذ برضاك
من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك قال الفضيل بن عياض رحمه الله ما من ليلة اختلط ظلامها وارخى الليل سربال
سترها الا نادى الجليل جل جلاله من اعظم مني جودا والخلائق لي عاصون وانا لهم مراقب اكلؤهم في مضاجعهم
كانهم لم يعصوني واتولى حفظهم كانهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم اجود بالفضل على العاصي واتفضل على المسيء
من ذا الذي دعاني فلم البه ام من ذا الذي سالني فلم اعطه ام من ذا الذي اناخ ببابي فنحيته انا الفضل ومني الفضل
انا الجواد ومني الجود انا الكريم ومني الكرم ومن كرمي اني اعفو عن العاصين بعد المعاصي ومن كرمي ان اعطي العبد ما سالني
واعطيه ما لم يسالني ومن كرمي اني اعطي التائب ما لو لم يعصني فاين عني يهرب الخلائق واين عن بابي يتنحى
العاصون ولبعضهم في هذا المعنى ** اسات ولم احسن وجئتك تائبا ** واني لعبد عن مواليه يهرب ** يؤمل غفرانا فان خاب
ظنه ** فما احد منه على الارض اخيب **

فقوله بعد هذا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على
اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ولو كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا هو اشارة الى ان
ملكه لا يزيد بطاعة الخلق ولو كانوا كلهم بررة اتقياء قلوبهم على اتقى قلب رجل منهم ولا ينقص من ملكه بمعصية العاصين
ولو كان الانس والجن كلهم عصاة فجرة قلوبهم على افجر قلب رجل منهم فانه سبحانه الغني بذاته عمن سواه وله الكمال
المطلق في ذاته وصفاته وافعاله فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على اي وجه كان ومن الناس من قال ان ايجاده
لخلقه على هذا الوجه الموجود اكمل من ايجاده على غيره وهو خير من وجوده على غيره وما فيه من الشر فهو شر اضافي نسبي بالنسبة
الى بعض الاشياء دون بعض وليس شرا مطلقا بحيث يكون عدمه خيرا من وجوده من كل وجه بل وجوده خير من عدمه
وقال هذا معنى قوله بيده الخير ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم والشر ليس اليك يعني ان الشر المحض الذي عدمه خير من وجوده
ليس موجودا في ملكك فان الله تعالى اوجد خلقه على ما تقتضيه حكمته وعدله وخص قوما من خلقه بالفضل وترك
اخرين منهم في العدل لما له في ذلك من الحكمة البالغة وهذا فيه نظر وهو مخالف لما في الحديث من ان جميع الخلق لو كانوا على
صفة اكمل خلقه من البر والتقوى لم يزد ذلك في ملكه شيئا ولا قدر جناح بعوضة ولو كانوا على صفة انقص خلقه من الفجور

لم ينقص ذلك من ملكي شيا فدل على ان ملكه كامل على اي وجه كان لا يزداد ولا يكمل بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي
ولا يوثر فيه شي وفي هذا الكلام دليل على ان الاصل في التقوى والفجور هي القلوب فاذا بر القلب واتقى برت الجوارح
واذا فجر القلب فجرت الجوارح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره وقوله لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسالوني فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط
اذا دخل البحر والمراد بهذا ذكر كمال قدرته سبحانه وكمال ملكه وان ملكه وخزاينه لا تنفد ولا تنقص بالعطا ولو اعطى
الاولين والاخرين من الجن والانس جميعا ما سالوه في مقام واحد وفي ذلك حث للخلق على سواله وانزال حوائجهم به
وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يد الله ملاى لا يغيضها نفقة سحا الليل والنهار افرايتم ما انفق
منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما في يمينه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم
فلا يقول اللهم ان شيت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شي وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه اذا دعوتم
الله فارفعوا في المسالة فان ما عنده لا ينفده شي واذا دعوتم فاعزموا فان الله لا مستكره له وفي بعض الاسرائيلية يقول
الله عز وجل ايومل غيري في الشدايد والشدايد بيدي وانا الحي القيوم ويرجى غيري ويطرق بابه بالبكرات وبيدي مفاتيح الخزاين
وبابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي املني لنوايبه فقطعت به او من ذا الذي رجاني لعظيم فقطعت رجاه او من ذا
الذي طرق بابي فلم افتحه له انا غاية الامال فكيف تنقطع الامال دوني ابخيل انا فيبخلني عبدي الم الدنيا والاخرة والكرم
والفضل كله لي فما يمنع المومّلين ان يوملوني لو جمعت اهل السموات والارض ثم اعطيت كل واحد منهم ما اعطيت الجميع وبلغت
كل واحد منهم امله لم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة كيف ينقص ملك انا قيمه فيا بوسا للقانطين من رحمتي ويا بوس لمن عصا
ني وتوثب على محارمي وقوله لم ينقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر تحقيق لان ما عند الله لا
ينقص البتة كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فان البحر اذا غمست فيه ابرة ثم اخرجت لم ينقص من البحر بذلك شيا
وكذلك لو فرض انه شرب منه عصفور مثلا فانه لا ينقص البحر البتة ولهذا ضرب الخضر لموسى عليهما السلام هذا المثل في نسبة
علمهما الى علم الله عز وجل وهذا لان البحر لا يزال تمده مياه الدنيا وانهارها الجارية فمهما اخذ منه لم ينقصه شي لانه يمده
ما هو ازيد مما اخذ منه وكذلك طعام اهل الجنة وما فيها فانه لا ينفد كما قال تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفي حديث صلاة
وقد جا انه كلما نزعت منه ثمرة عاد مكانها مثلها وروي مثلاها فهي لا تنقص ابدا ويشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة
الكسوف واريت الجنة وتناولت منها عنقودا ولو اخذته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا اخرجاه في الصحيحين من حديث ابن
عباس وخرجه الامام احمد من حديث جابر رضي الله عنه ولفظه ولو اتيتكم به لاكل منه من بين السما والارض لا ينقصونه شيا
وهكذا لحم الطير الذي ياكله اهل الجنة يستخلف ويعود كما كان حيا لا ينقص منه شيا وقد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه
فيها ضعف وقاله كعب وروي ايضا عن ابي امامة الباهلي من قوله قال ابو امامة وكذلك الشراب يشرب منه حتى تنتهي نفسه
ثم يعود مكانه وروي بعض العلما الصالحين بعد موته في المنام فقال ما اكلت منذ فارقتكم الا بعض فرخ اما علمتم ان
طعام الجنة لا ينفد وقد روي في الحديث الذي خرجه الترمذي وابن ماجه السبب الذي لاجله لا ينقص ما عند الله بالعطا بقوله في
ذلك باني جواد واجد ماجد افعل ما اريد عطائي كلام وعذابي كلام انما امري لشي اذا اردت ان اقول له كن فيكون وفي مسند
البزار باسناد فيه نظر من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خزاين الله الكلام فاذا اراد شيا قال له كن فكان
فهو سبحانه اذا اراد شيا من عطا او عذاب او غير ذلك قال له كن فكان فكيف يتصور ان ينقص هذا وكذلك اذا اراد
ان يخلقه قال له كن فيكون كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وفي بعض الاثار
الاسرائيلية اوحى الله الى موسى عليه السلام لا تخافن غيري وسلطاني دايم لا ينقطع يا موسى لا تهتمن برزقي ابدا
ما دامت خزايني مملوة وخزايني مملوة لا تنفد ابدا يا موسى لا تانس بغيري ما وجدتني انيسا لك ومتى طلبتني وجدتني يا موسى
لا تامن مكري ما لم تجز الصراط الى الجنة وقال بعضهم ∴ لا تخضعن لمخلوق لطمع ∴ فان ذلك نقص منك بالدين ∴

واسترزق الله



واسترزق الله مما في خزاينه ∴ فانما هي بين الكاف والنون ∴ **وقوله** يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم
ثم اوفيكم اياها يعني انه سبحانه يحصي اعمال عباده ثم يوفيهم اياها بالجزا عليها وهذا كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سو تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقوله
يوم يبعثهم الله جميعا فينبيهم بما عملوا احصاه الله ونسوه وقوله ثم اوفيكم اياها الظاهر ان المراد توفيتها يوم القيمة كما قال وانما
توفون اجوركم يوم القيمة ويحتمل ان المراد انه يوفي عباده جزا اعمالهم في الدنيا والاخرة كما في قوله ومن يعمل سوا يجز به وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر ذلك بان المومنين يجازون بسياتهم في الدنيا وتدخر لهم حسناتهم في الاخرة فيوفون اجورهم
واما الكافر فانه يعجل له جزا في الدنيا ثواب حسناته وتدخر له سياته فيعاقب بها في الاخرة وتوفية الاعمال هي توفية جزايها
من خير وشر فالشر يجازي به مثله من غير زيادة الا ان يعفو الله عنه والخير تضاعف الحسنة منه بعشر امثالها الى سبعماية ضعف الى
اضعاف كثيرة لا يعلم قدرها الا الله كما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقوله فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد
غير ذلك فلا يلومن الا نفسه اشارة الى ان الخير كله فضل من الله على عبده من غير استحقاق له والشر كله من عند ابن ادم من اتباع هوى نفسه
كما قال عز وجل ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيية فمن نفسك وقال علي رضي الله عنه لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه
فالله سبحانه وتعالى اذا اراد توفيق عبد وهدايته اعانه ووفقه لطاعته فكان ذلك فضلا منه واذا اراد خذلان عبد وكله الى
نفسه وخلا بينه وبينها فاغواه الشيطان لغفلته عن ذكر الله واتبع هواه وكان امره فرطا وكان ذلك عدلا منه فان الحجة قايمة
على العبد بانزال الكتب وارسال الرسول صلى الله عليه وسلم فما بقي لاحد من الناس حجة على الله بعد الرسل **وقوله** بعد هذا
فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ان كان المراد من وجد ذلك في الدنيا فانه يكون حينيذ مامورا بالحمد لله
على ما وجده من جزا الاعمال الصالحة الذي عجل له في الدنيا كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة و
لنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ويكون مامورا بلوم نفسه على ما فعلت من الذنوب التي وجد عاقبتها في الدنيا كما قال تعالى و
لنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون فالمومن اذا اصابه رجع الى نفسه باللوم ودعاه ذلك بالرجوع
الى الله بالتوبة والاستغفار وفي المسند وسنن ابي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المومن اذا اصابه سقم ثم عافاه الله منه كان
كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل من عمره وان المنافق اذا مرض وعوفي كان كالبعير عقله اهله ثم اطلقوه لا يدري لم
عقلوه ولا لم اطلقوه وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ان المسلم ليبتلى فيكون كفارة لما مضى ومستعتبا فيما بقي وان الكافر
يبتلى فمثله كمثل البعير اطلق فلم يدر لما اطلق وعقل فلم يدر لم عقل فان كان المراد من وجد خيرا او غيره في الاخرة كان اخبارا
منه بان الذين يجدون الخير في الاخرة يحمدون الله على ذلك وان من وجد غير ذلك يلوم نفسه حين لا ينفعه اللوم فيكون الكلام لفظه لفظ
الامر ومعناه الخبر كقوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار والمعنى ان الكاذب عليه يتبوا مقعده من النار
وقد اخبر الله تعالى عن اهل الجنة انهم يحمدون الله على ما رزقهم من فضله فقال ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا وقال وقالوا الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب واخبر عن اهل
النار انهم يلومون انفسهم ويمقتونها اشد المقت فقال تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم وما كان لي عليكم فاخلفتكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم وقال تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون
الى الايمان فتكفرون وكان بعض السلف يجتهد في الاعمال الصالحة حذرا من لوم النفس عند انقطاع الاعمال على التقصير وفي الترمذي
عن ابي هريرة مرفوعا ما من ميت يموت الا ندم ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيا ندم ان لا يكون استعتب وقيل
لمسروق لو قصرت عن بعض ما تصنع من الاجتهاد فقال والله لو اتاني ات فاخبرني ان الله لا يعذبني لاجتهدت في العبادة قيل كيف ذاك
قال حتى تعذرني نفسي اذا دخلت النار ان لا الومها اما بلغك قول الله عز وجل فلا اقسم بالنفس اللوامة انما لاموا انفسهم حين صاروا الى جهنم
فاعتنقتهم الزبانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانقطعت عنهم الاماني ورفعت عنهم الرحمة واقبل كل امري منهم يلوم نفسه وكان عامر

بن عبد قيس يقول والله لاجتهدن فان نجوت فبرحمة الله والا لم الم نفسي وكان زياد مولى ابن عياش يقول لابن المنكدر ولصفوان بن سليم الجد الجد والحذر الحذر فان يكن الامر على ما نرجوه كان ما عملتما فضلا والا لم تلوما الا انفسكما وكان مطرف بن عبد الله يقول اجتهدوا في العمل فان يكن الامر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة وان كان الامر شديدا كما نخاف ونحذر لم نقل ربنا ارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل بل نقول عملنا فلم ينفعنا

## الحديث الخامس والعشرون

عن ابي ذر رضي الله عنه ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم قال اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ان بكل تسبيحة صدقة وبكل تكبيرة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع احدكم صدقة قالوا يا رسول الله ايأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايتم لو وضعها في حرام اكان عليه وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر رواه مسلم هذا الحديث خرجه مسلم من رواية يحيى بن يعمر عن ابي الاسود الديلي عن ابي ذر رضي الله عنه وقد روي معناه عن ابي ذر من وجوه كثيرة بزيادات ونقصان وسنذكر بعضها فيما بعد ان شاء الله تعالى وفي هذا [illegible] الحديث دليل على ان الصحابة رضي الله عنهم لشدة حرصهم على الاعمال الصالحة وقوة رغبتهم في الخير كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم فكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقة بالاموال التي يقدر عليها الاغنياء ويحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد لعدم القدرة على آلته وقد اخبر الله عنهم بذلك في كتابه فقال تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون وفي الحديث ان الفقراء غبطوا اهل الدثور والاموال بما يحصل لهم من اجر الصدقة باموالهم فدلهم النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات يقدرون عليها وفي الصحيحين عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان فقراء المهاجرين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلا والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة [illegible] قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد روي نحو هذا الحديث من رواية جماعة من الصحابة منهم علي وابو ذر وابو الدرداء وابن عمر وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين ومعنى هذا ان الفقراء ظنوا ان لا صدقة الا بالمال وهم عاجزون عن ذلك فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان جميع انواع فعل المعروف والاحسان صدقة وفي صحيح مسلم عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل معروف صدقة وخرجه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فالصدقة تطلق على جميع انواع فعل المعروف والاحسان حتى ان فضل الله على عباده صدقة منه عليهم وقد كان بعض السلف ينكر ذلك ويقول انما الصدقة ممن يطلب جزاءها واجرها والصحيح خلاف ذلك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في قصر الصلاة في السفر صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته خرجه مسلم وقال من كانت له صلاة بليل فغلبه عليه نوم فنام عنها كتب الله له اجر صلاته وكان نومه صدقة من الله تصدق بها عليه خرجه النسائي وغيره من حديث عائشة وخرجه ابن ماجه من حديث ابي الدرداء وفي مسند بقي بن مخلد والبزار من حديث ابي ذر رضي الله عنه مرفوعا ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة يمن بها على من يشاء من عباده وما من الله على عبد بمثل ان يلهمه ذكره وقال خالد بن معدان ان الله يتصدق كل يوم بصدقة وما تصدق الله على احد من خلقه بشيء خير من ان يتصدق عليه بذكره والصدقة بغير المال نوعان احدهما ما فيه تعدية الاحسان الى الخلق فيكون صدقة عليهم وربما كان افضل من الصدقة بالمال وهذا كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه دعاء الى طاعة الله وكف عن معاصيه وذلك خير من النفع بالمال وكذلك تعليم العلم النافع واقراء القرآن وازالة الاذى عن الطريق والسعي في جلب النفع للناس ودفع الاذى عنهم وكذلك الدعاء للمسلمين والاستغفار لهم وخرج ابن مردويه باسناد فيه ضعف عن ابن عمر مرفوعا من كان له مال فليتصدق من ماله ومن كان له قوة فليتصدق من قوته ومن كان له علم فليتصدق من علمه ولعله موقوف وخرج الطبراني باسناد فيه ضعف عن سمرة رضي الله عنه

عن النبي صلعم

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف والاحسان الى اخيك وتدفع عنه الكريهة وقال عمرو بن دينار بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من صدقة احب الى الله من قول الم تسمع الى قوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى خرجه ابن ابي حاتم وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من الصدقة ان تسلم على الناس وانت طليق الوجه خرجه ابن ابي الدنيا وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه تعليم العلم لمن لا يعلمه صدقة وروي مرفوعا ومن انواع الصدقة كف الاذى عن الناس ففي الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي العمل افضل قال الايمان بالله والجهاد في سبيل الله قلت فاي الرقاب افضل قال انفسها عند اهلها واكثرها ثمنا قلت فان لم افعل قال تعين صانعا او تصنع لاخرق قلت يا رسول الله ارايت ان ضعفت عن بعض العمل قال تكف شرك عن الناس فانها صدقة وقد روي من حديث ابي ذر زيادات اخر فخرج الترمذي من حديث ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تبسمك في وجه اخيك لك صدقة وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث ابي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس ابن آدم الا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس قيل يا رسول الله ومن اين لنا صدقة نتصدق بها قال ان ابواب الخير لكثيرة التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الاذى عن الطريق وتسمع الاصم وتهدي الاعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة منك على نفسك وخرج الامام احمد من حديث ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ذهب الاغنياء بالاجر يتصدقون ولا نتصدق قال وانت فيك صدقة رفعك العظم عن الطريق صدقة وهدايتك الطريق صدقة وعونك الضعيف بفضل قوتك صدقة وبيانك عن الاغتم صدقة ومباضعتك امرأتك صدقة قلت يا رسول الله نأتي شهوتنا ونؤجر قال ارايت لو جعلته في حرام اكان تأثم قال قلت نعم قال افتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير وفي رواية اخرى له قال يا رسول الله ان فيك صدقة كثيرة فذكر فضل سمعك وفضل بصرك وفي رواية للامام احمد قال ان من ابواب الصدقة التكبير وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله واستغفر الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعزل الشوكة عن الطريق والعظم والحجر وتهدي الاعمى وتسمع الاصم والابكم حتى يفقه وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها وتسعى بشدة ساقيك الى اللهفان المستغيث وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف كل ذلك من ابواب الصدقة منك على نفسك ولك في جماعك زوجتك اجر قلت كيف يكون لي اجر في شهوتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان لك ولد فادرك ورجوت خيره فمات اكنت تحتسبه قلت نعم قال فانت خلقته قال بل الله خلقه قال فانت هديته قلت بل الله هداه قال فانت ترزقه قلت بل الله كان يرزقه قال كذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه فان شاء الله احياه وان شاء اماته ولك اجر وظاهر هذا السياق يقتضي انه يؤجر في جماعه لاهله بنية طلب الولد الذي يترتب الاجر على تربيته وتأديبه في حياته ويحتسبه عند موته واما اذا لم ينو شيئا بقضاء شهوته فهذا قد تنازع الناس في دخوله في هذا الحديث وقد صح الحديث بان نفقة الرجل على اهله صدقة ففي الصحيحين عن ابي مسعود الانصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نفقة الرجل على اهله صدقة وفي رواية لمسلم وهو يحتسبها وفي لفظ للبخاري اذا انفق الرجل على اهله وهو يحتسبها فهو له صدقة فدل على انه انما يؤجر فيها اذا احتسبها عند الله كما في حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اجرت عليها حتى اللقمة ترفعها الى في امرأتك وفي صحيح مسلم عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار ينفقه على فرسه في سبيل الله ودينار ينفقه الرجل على اصحابه في سبيل الله قال ابو قلابة عند رواية هذا الحديث بدأ بالعيال واي رجل اعظم اجرا من رجل ينفق على عيال له صغار يعفهم الله به ويغنيهم الله به وفيه ايضا عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما نفقتك على عيالك صدقة

وانما تأكل امراتك من مالك صدقة وهذا قد ورد مقيدا في الرواية الاخرى وفي صحيح
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على
اهلك افضلها الدينار الذي انفقته على اهلك وخرج الامام احمد وابن حبان في صحيحه من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا فقال رجل عندي دينار فقال تصدق به على نفسك قال عندي دينار
اخر قال تصدق به على خادمك قال عندي دينار اخر قال انت ابصر وخرج الامام احمد من حديث المقدام بن معدي كرب
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اطعمت نفسك فهو لك صدقة وما اطعمت ولدك فهو لك صدقة وما اطعمت زوجتك فهو
لك صدقة وما اطعمت خادمك فهو لك صدقة وفي هذا المعنى احاديث كثيرة يطول ذكرها وفي الصحيحين عن انس رضي الله
عنه قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه انسان او طير او دابة الا كان له صدقة وفي صحيح مسلم عن جابر
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما اكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما اكل
السبع منه فهو له صدقة وما اكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه احد الا كان له صدقة الى يوم القيامة وفي المسند باسناد فيه
ضعف عن معاذ بن انس الجهني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بنى بنيانا في غير ظلم ولا اعتداء او غرس
غرسا في غير ظلم ولا اعتداء كان له اجرا جاريا ما انتفع به احد من خلق الرحمن وذكر البخاري في تاريخه من حديث
جابر رضي الله عنه مرفوعا من حفر ماء لم تشرب منه كبد حرى من جن ولا انس ولا سبع ولا طائر الا اجره الله يوم القيامة وظاهر
هذه الاحاديث كلها تدل على ان هذه الاشياء تكون صدقة يثاب عليها الزارع والغارس ونحوهما من غير قصد ولا
نية وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ارايت لو وضعها في حرام اكان عليه وزر فكذلك اذا وضعها في حلال كان له اجر يدل
بظاهره على انه يؤجر في اتيان اهله من غير نية ولا قصد فان المباضع لاهله كالزارع في الارض الذي يحرث ويبذر
فيها وقد ذهب الى هذا طائفة من العلماء ومال اليه ابو محمد بن قتيبة في الاكل والشرب والجماع واستدل بقول النبي صلى
الله عليه وسلم ان المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى اللقمة يرفعها الى فيه وهذا اللفظ الذي استدل به غير معروف انما المعروف
قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اجرت عليها حتى اللقمة ترفعها الى في امراتك
وهو مقيد باخلاص النية لله فتحمل الاحاديث المطلقة عليه والله اعلم ويدل عليه ايضا قول الله عز وجل لا خير في كثير من
نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما فجعل
ذلك خيرا ولم يترتب عليه الاجر الا بنية الاخلاص واما اذا فعله رياء فانه يعاقب عليه وانما محل التردد اذا فعله بغير
نية صالحة ولا فاسدة وقد قال ابو سليمان الداراني رحمه الله من عمل عمل خير من غير نية كفاه نية اختياره للاسلام
على غيره من الاديان وظاهر هذا انه يثاب عليه من غير نية بالكلية بدخوله في الاسلام مختارا لاعمال الخير في الجملة فيثاب
على كل عمل يعمله منها بتلك النية والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم ارايت لو وضعها في الحرام اكان عليه وزر
فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر هذا يسمى عند الاصوليين قياس العكس ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه قال
النبي صلى الله عليه وسلم كلمة وقلت انا اخرى قال من مات يشرك بالله شيئا دخل النار ~~وقلت من مات يشرك بالله شيئا دخل النار~~
وقلت من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة **والنوع** الثاني من الصدقة التي ليست مالية ما نفعه قاصر على فاعله
كانواع الذكر من التكبير والتسبيح والتحميد والتهليل والاستغفار وكذلك المشي الى المساجد صدقة ولم يذكر في شيء
من الاحاديث الصلاة والصيام والحج والجهاد انه صدقة واكثر هذه الاعمال افضل من الصدقات المالية لانه انما ذكر
ذلك جوابا لسؤال الفقراء الذين سالوه عما يقاوم تطوع الاغنياء باموالهم واما الفرائض فقد كانوا كلهم مشتركين

بينها وقد تكاثر



بينها وقد تكاثرت النصوص بتفضيل الصدقة بالمال وغيرها من الاعمال كما في حديث ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة وخير
لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل خرجه الامام احمد
والترمذي وذكره مالك في الموطا موقوفا على ابي الدرداء وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل
عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يات احد
بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وفيهما ايضا عن ابي ايوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قالها
عشر مرار كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل وخرج الامام احمد والترمذي من حديث ابي سعيد رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قلت يا ر
سول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون
لله افضل منه درجة ويروى نحوه من حديث معاذ وجابر رضي الله عنهما مرفوعا والصواب وقفه على معاذ من قوله وخرج
الطبراني من حديث ابي الوازع عن ابي برزة الاسلمي من قوله وخرج جعفر الفريابي وهو خرج ايضا من حديث انس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كبر مائة وهلل مائة كانت له خيرا من عشر رقاب يعتقها وسبع بدنات ينحرها وخرج ابن
ابي الدنيا باسناده عن ابي الدرداء انه قيل له ان رجلا اعتق مائة نسمة قال ان مائة نسمة من مال رجل لكثير وافضل من ذلك
ايمان ملزوم بالليل والنهار وان لا يزال لسان احدكم رطبا من ذكر الله عز وجل وعن ابي الدرداء ايضا قال لان اقول الله اكبر
مائة مرة احب الي من ان انفق مائة دينار وكذلك قال سلمان الفارسي وغيره من الصحابة والتابعين ان الذكر افضل
من الصدقة بعدده من المال وخرج الامام احمد والنسائي من حديث ام هاني رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لها سبحي مائة تسبيحة فانها تعدل مائة رقبة من ولد اسمعيل واحمدي الله مائة تحميدة فانها تعدل مائة فرس مسرجة ملجمة
تحملين عليها في سبيل الله وكبري الله مائة تكبيرة فانها تعدل مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللي الله مائة تهليلة لا احسبه
الا قال تملا ما بين السماء والارض ولا يرفع لاحد يومئذ مثل عملك الا ان ياتي بمثل ما اتيت وخرجه احمد وابن ماجه وعنده
وقولي لا اله الا الله مائة مرة لا تذر ذنبا ولا يسبقها عمل وخرج الترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضي الله عنهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وخرج الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ما من صدقة افضل من
ذكر الله عز وجل وخرج الفريابي باسناد فيه نظر عن ابي امامة رضي الله عنه مرفوعا من فاته الليل ان يكابده او بخل
بالمال ان ينفقه او جبن عن العدو ان يقاتله فليكثر من سبحان الله وبحمده فانها احب الى الله عز وجل من جبل ذهب
او جبل فضة ينفقه في سبيل الله عز وجل وخرجه البزار باسناد مقارب من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا قال
في حديثه فليكثر ذكر الله ولم يزد على ذلك وفي المعنى احاديث كثيرة متعددة

## ٢٦ الحديث السادس والعشرون

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل
بين اثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها او ترفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها
الى الصلاة صدقة وتميط الاذى عن الطريق صدقة رواه البخاري ومسلم هذا الحديث خرجاه من رواية همام بن منبه
عن ابي هريرة رضي الله عنه وخرجه البزار من رواية ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الانسان ثلثمائة وستون
عظما او ستة وثلاثون سلامى عليه في كل يوم صدقة قالوا فمن لم يجد قال يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قالوا فمن لم يستطع
ذلك قال يرفع عن الطريق عظما قال فان لم يستطع قال فليعن ضعيفا قالوا فمن لم يستطع ذلك قال فليدع الناس
من شره وخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق ابن ادم على ثلثمائة وستين مفصل
فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله وعزل حجرا عن طريق المسلمين او عزل شوكة او عزل عظما او امر بمعروف او نهي

من منكم عدد الستين والثلثمايه السلامى امسى من يومه وقد زحزح نفسه عن النار وخرج مسلم من رواية ابي
الاسود الديلي عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة وكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة
صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي من ذلك ركعتان
يركعهما من الضحى وخرج الامام احمد وابو داود من حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الانسان ثلثمائة
وستون مفصلا فعليه ان يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة قالوا ومن يطيق ذلك يا نبي الله قال النخاعة في المسجد
يدفنها والشي ينحيه عن الطريق فان لم يجد فركعتا الضحى تجزيك وفي الصحيحين عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال على كل مسلم صدقة قالوا فان لم يجد قال فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا فان لم يستطع او لم يفعل قال يعين ذا
الحاجة الملهوف قالوا فان لم يفعل قال فليأمر بالخير او قال بالمعروف قالوا فان لم يفعل قال فليمسك عن
الشر فانه صدقة وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على كل ميسم
من ابن ادم صدقة كل يوم فقال رجل من القوم ومن يطيق هذا قال امر بالمعروف ونهي عن المنكر صدقة والحمل على
الضعيف صدقة وكل خطوة يخطوها احدكم الى الصلاة صدقة وخرجه البزار وغيره من رواية على كل ميسم من الانسان
صدقة كل يوم او صلاة فقال رجل هذا من اشد ما تكلفتنا به قال امر بالمعروف او نهي عن المنكر صلاة او صدقة وحمل عن
الضعيف صلاة او صدقة وانحاؤك الاذى عن الطريق صلاة وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صلاة وفي رواية البزار واماطة
الاذى عن الطريق صدقة او قال صلاة وقال بعضهم يريد بالميسم كل عضو على حدة ماخوذ من الوسم وهو العلامة اذ ما
من عظم ولا عرق ولا عصب الا وعليه اثر صنع الله فيجب على العبد الشكر على ذلك لله والحمد لله على خلقه سويا صحيحا وهذا هو
المراد بقوله عليه صلاة كل يوم لان الصلاة تحوي على الحمد والشكر والثناء وخرج الطبراني من وجه اخر عن ابن عباس رفع الحديث
الى النبي صلى الله عليه وسلم قال على كل سلامى او على كل عضو من ابن ادم صدقة ويجزي من ذلك كله ركعتا من الضحى ويروى من حديث ابي
الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على كل نفس في كل يوم صدقة قيل فان كان لا يجد شيئا قال اليس بصير
شهما اي قويا فصيحا صحيحا قال بلى قال يعطي من قليله وكثيره وان بصرك للمنقوص بصره صدقة وان سمعك
للمنقوص سمعه صدقة وقد ذكرنا في شرح الحديث الى قبله حديث ابي ذر الذي خرجه ابن حبان في صحيحه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس ابن ادم الا عليها صدقة في كل يوم طلعت عليه الشمس قيل يا رسول الله
من اين لنا صدقة نتصدق بها فقال ان ابواب الخير لكثيرة التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الاذى عن الطريق وتسمع الاصم وتهدي الاعمى وتدل المستدل على
حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة
منك على نفسك فصل وقوله صلى الله عليه وسلم على كل سلامى من الناس عليه صدقة قال ابو عبيد السلامى عظم يكون
في فرسن البعير قال فكان معنى الحديث على كل عظم من عظام ابن ادم صدقة يشير ابو عبيد الى ان السلامى اسم لبعض العظام
الصغار التي في الابل ثم عبر بها عن العظام في الجملة بالنسبة الى الادمي وغيره فمعنى الحديث عنده على كل عظم من عظام ابن ادم
صدقة وقال غيره السلامى عظم في طرف اليد والرجل وكنى بذلك عن جميع عظام الجسد والسلامى جمع وقيل
هو مفرد وقد ذكر علماء الطب ان جميع عظام البدن مايتان وثمانية واربعون عظما والباقية صغار لا تنحصر تسمى
السمسمانية وهذه الاحاديث تصدق هذا القول ولعل السلامى عبر بها عن هذه العظام الصغار كما انها في الاصل اسم لاصغر
ما في البعير من العظام ورواية البزار لحديث ابي هريرة تشهد لهذا حيث قال فيها او ستة وثلاثون سلامى وقد خرجه [illegible]
وقال فيه ان في ابن ادم ستمائة وستين عظما وهذه الرواية غلط وفي حديث عائشة وبريدة ذكر ثلثمائة وستين مفصلا ومعنى الحديث
ان تركيب هذه العظام وسلامتها من اعظم نعم الله على عبده فيحتاج كل عظم منها الى صدقة يتصدق بها ابن ادم عنه
ليكون ذلك شكرا لهذه النعمة قال الله عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك وقال عز وجل

هو الذي



هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقال سبحانه وتعالى الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين
وهديناه النجدين قال مجاهد نعم من الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر وقرأ الفضيل ليلة هذه الاية فبكى فسئل عن بكائه
فقال هل بت ليلة شاكرا لله ان جعل لك عينين تبصر بهما هل بت ليلة شاكرا لله ان جعل لك لسانا تنطق به وجعل يعدد
من هذا الضرب وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال ان رجلا بسط له في الدنيا فانتزع
ما في يديه فجعل يحمد الله ويثني عليه وبسط لاخر من الدنيا فقال لصاحب البورى الا تبكي على ما تحمد الله عز وجل قال احمده
على ما لو اعطيت به ما اعطى الخلق كلهم لم اعطهم اياه قال وما ذاك قال ارايت بصرك ارايت سمعك ارايت لسانك ارايت يديك
ارايت رجليك وروي باسناده عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه كان يقول الصحة غنى الجسد وعن يونس بن عبيد
ان رجلا شكى اليه ضيق حاله فقال له يونس ايسرك ان لك ببصرك الذي تبصر به مائة الف درهم قال الرجل لا قال فبيدك بمائة
الف درهم قال لا قال فرجليك قال لا قال فذكره نعم الله عليه فقال يونس ارى عندك مئين الوف وانت تشكو الحاجة وعن
وهب بن منبه قال مكتوب في حكمة ال داود العافية الملك الخفي وعن بكر المزني قال يا ابن ادم ان اردت ان تعرف قدر ما
انعم الله عليك فغمض عينيك وفي بعض الاثار كم من نعمة في عرق ساكن وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ فهذه النعم مما يسأل الانسان عن
شكرها يوم القيمة ويطالب به كما قال عز وجل ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وخرج الترمذي وابن حبان من حديث ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اول ما يسأل عنه العبد يوم القيمة فيقول الم نصح لك جسمك ونرويك من
الماء البارد وقال ابن مسعود النعيم الامن والصحة وروي عنه مرفوعا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم
وهو قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا وخرج الطبراني من رواية ايوب بن عتبة وفيه ضعف
عن عطا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله وبحمده
كتب له بها مائة الف حسنة واربعة وعشرون الف حسنة فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله قال ان الرجل ليأتي بالعمل
يوم القيمة لو وضع على جبل لاثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد ان تستنفد ذلك كله الا ان يتطاول الله برحمته وروى
ابن ابي الدنيا باسناد فيه ضعف ايضا عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالنعم يوم القيمة وبالحسنات
والسيئات فيقول الله لنعمة من نعمه خذي حقك من حسناته فما تترك له حسنة الا ذهبت بها وباسناده عن وهب بن منبه
قال عبد الله عابد خمسين عاما فاوحى الله عز وجل اني قد غفرت لك قال يا رب وما تغفر لي ولم اذنب فاذن الله عز وجل لعرق في
عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصل ثم قام فاتاه ملك فشكى اليه ما لقي من ضربان العرق فقال الملك ان ربك عز وجل يقول
عبادتك خمسين عاما تعدل سكون ذا العرق وخرج الحاكم هذا المعنى مرفوعا من رواية سليمان بن هرم القرشي عن محمد بن
المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل اخبره ان عابدا عبد الله على راس جبل في البحر خمسمائة سنة ثم سأل ربه
ان يقبضه وهو ساجد قال فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا ونجد في العلم انه يبعث يوم القيمة فيوقف بين يدي الله
عز وجل فيقول الرب ادخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول العبد يا رب بعملي ثلاث مرات ثم يقول للملائكة قايسوا عبدي
بنعمتي عليه وبعمله فيجدوا نعمة البصر قد احاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعم الجسد له فيقول ادخلوا عبدي النار
فيجر الى النار فينادي رب برحمتك ادخلني الجنة فيدخله الجنة قال جبريل انما الاشياء برحمة الله يا محمد وسليمان بن هرم
قال العقيلي هو مجهول وحديثه غير محفوظ وروى الخرايطي باسناد فيه نظر عن عبد الله بن عمرو مرفوعا يؤتى
بالعبد يوم القيمة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول للملائكة انظروا في عمل عبدي ونعمتي عليه فينظرون فيقولون ولا
بقدر نعمة واحدة من نعمك عليه فيقول انظروا في عمله سيئه وصالحه فينظرون فيجدونه كفافا فيقول عبدي قد قبلت

حسنا تكرو عرفت لك سايلك وقد وهبت لك نعمتي فيما بينهم ذلك والمقصود ان الله تعالى انعم على عباده بما لا يحصونه كما قال
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وطلب منهم الشكر ورضي به منهم قال سليمان التيمي ان الله انعم على العباد على قدره وكلفهم
الشكر على قدرهم حتى رضي منهم من الشكر بالاعتراف بقلوبهم بنعمه وبالحمد بالسنتهم عليها كما خرجه ابو داود والنسائي
من حديث عبد الله بن غنام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح اللهم ما اصبح بي من نعمة او باحد من خلقك
فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد ادى شكر ذلك اليوم ومن قالها حين يمسي فقد ادى شكر ليلته وفي رواية للنسائي
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وخرج الحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انعم الله على
عبد نعمة فعلم انها من عند الله الا كتب الله له شكرها قبل ان يشكرها وما اذنب عبد ذنبا فندم عليه الا كتب الله له مغفرته
قبل ان يستغفره وقال ابو عمرو الشيباني قال موسى عليه السلام يوم الطور يا رب ان انا صليت فمن قبلك وان انا تصدقت
فمن قبلك وان انا بلغت الرسالة فمن قبلك كيف اشكرك قال الان شكرتني وعن الحسن قال قال موسى عليه السلام يا رب
كيف يستطيع ادم ان يؤدي شكر ما صنعت اليه خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك واسكنته جنتك وامرت الملائكة فسجدوا
له قال يا موسى علم ان ذلك مني فحمدني عليه فكان ذلك شكرا لما صنعت وعن ابي الجلد قال قرات في مسالة داود عليه السلام
انه قال اي رب كيف لي ان اشكرك وانا لا اصل الى شكرك الا بنعمتك قال فاتاه الوحي ان يا داود اما تعلم ان الذي بك
من النعم مني قال بلى قال فاني ارضى بذلك منك شكرا قال وقرات في مسالة موسى عليه السلام يا رب كيف لي ان اشكرك و
اصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازى بها عملي كله قال فاتاه الوحي يا موسى الان شكرتني وقال بكر بن عبد
الله ما قال عبد قط الحمد لله مرة الا وجبت عليه نعمة بقوله الحمد لله فما جزاء تلك النعمة جزاؤها ان يقول الحمد لله فجاءت نعمة اخرى
فلا تنفد نعم الله وروى ابن ماجه من حديث انس رضي الله عنه مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد من
نعمة فقال الحمد لله الا كان الذي اعطى افضل مما اخذ وروينا نحوه من حديث شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد مرفوعا
ايضا وروي هذا عن الحسن البصري من قوله وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه اني بارض قد كثرت فيها النعم حتى لقد اشفقت
على اهلها من ضعف الشكر فكتب اليه عمر اني كنت اراك اعلم بالله مما انت ان الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها الا كان
حمده افضل من نعمه لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا الى قوله وقالوا الحمد لله واي نعمة
افضل من دخول الجنة وقد ذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الشكر عن بعض العلماء انه صوب هذا القول اعني قول من قال ان
الحمد افضل من النعم وعن ابن عيينة انه خطأ قائله وقال لا يكون فعل العبد افضل من فعل الله عز وجل ولكن الصواب
قول من صوبه فان المراد بالنعم النعم الدنيوية كالعافية والرزق والصحة ودفع المكروه ونحو ذلك والحمد هو من النعم الدينية
وكلاهما نعمة من الله لكن نعمة الله على عبده بهدايته لشكر نعمه بالحمد عليها افضل من النعم الدنيوية على عبده فان
النعم الدنيوية ان لم يقترن بها الشكر كانت بلية كما قال ابو حازم كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية فاذا وفق الله
عبده للشكر على نعمه الدنيوية بالحمد او غيره من انواع الشكر كانت هذه النعمة خيرا من تلك النعم واحب الى الله عز وجل
فان الله يحب المحامد ويرضى عن عبده ان ياكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها والثناء بالنعم
والحمد عليها وشكرها عند اهل الجود والكرم احب اليهم من اموالهم فهم يبذلونها طلبا للثناء والله عز وجل اكرم
الاكرمين واجود الاجودين فهو يبذل نعمه لعباده ويطلب منهم الثناء بها وذكرها والحمد عليها ويرضى بذلك
منهم شكرا عليها وان كان ذلك كله من فضله عليهم وهو غير محتاج الى شكرهم لكنه يحب ذلك من عباده حيث كان
صلاح العبد وفلاحه وكماله فيه ومن فضله انه نسب الحمد والشكر اليهم وان كان من اعظم نعمه عليهم وهذا
كما انه اعطاهم ما اعطاهم من الاموال ثم استقرض منهم بعضه ومدحهم باعطائه والكل ملكه ومن فضله ولكن كرمه

اقتضى ذكر



اقتضى ذكره من هنا بل يشبه الاثر الذي جاء مرفوعا وموقوفا الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده **ولنرجع الآن** الى تفسير كل
سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعني ان الصدقة على ابن ادم عن هذه الاعضاء في كل يوم من ايام الدنيا فان اليوم
قد يعبر به عن مدة ازيد من ذلك كما يقال يوم صفين وكان مدة ايام وعن مطلق الوقت كما في قوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس
مصروفا عنهم وقد يكون ذلك ليلا او نهارا فاذا قيل كل يوم تطلع فيه الشمس علم ان هذه الصدقة على ابن ادم في كل يوم يعيش
فيه من ايام الدنيا وظاهر الحديث يدل على ان هذا الشكر بهذه الصدقة واجب على كل مسلم كل يوم ولكن الشكر على درجتين
**احدهما** واجب وهو ان ياتي بالواجبات ويجتنب المحارم فهذا لا بد منه ويكفي في شكر هذه النعم ويدل على ذلك ما
خرجه ابو داود من حديث ابي الاسود الديلي قال كنا عند ابي ذر فقال يصبح على كل سلامى من احدكم في كل يوم صدقة فله بكل
صلاة صدقة وصيام صدقة وحج صدقة وتسبيح صدقة وتكبير صدقة وتحميد صدقة فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الاعمال
الصالحات ثم قال يجزئ احدكم من ذلك ركعتا الضحى وقد تقدم من حديث ابي موسى المخرج في الصحيحين فان لم يفعل
فيمسك عن الشر فانه له صدقة وهذا يدل على انه يكفيه ان لا يفعل شيئا من الشر وانما يكون مجتنبا للشر اذا قام بالفرائض
واجتنب المحارم فان اعظم الشر ترك الفرائض ومن هنا قال بعض السلف الشكر ترك المعاصي وقال بعضهم الشكر ان لا يستعان
بشيء من النعم على معصيته وذكر ابو حازم الزاهد شكر الجوارح كلها ان تكف عن المعاصي وتستعمل في الطاعات ثم قال واما من
شكر بلسانه ولم يشكر بجميع اعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فاخذ بطرفه فلم يلبسه فلم ينفعه ذلك من البرد والحر والثلج
والمطر وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم لينظر العبد في نعم الله في بدنه وسمعه وبصره ويديه ورجليه وغير ذلك ليس من هذا
شيء الا وفيه نعمة من الله عز وجل حق على العبد ان يعمل بالنعم اللاتي هي في بدنه لله عز وجل في طاعته ونعمة اخرى في الرزق حق
عليه ان يعمل لله بما انعم عليه من الرزق في طاعته فمن عمل بهذا كان قد اخذ بحزم الشكر واصله وفرعه وراى الحسن رجلا
يتبختر في مشيته فقال لله في كل عضو منه نعمة اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك **الدرجة الثانية**
من الشكر الشكر المستحب وهو ان يعمل العبد بعد اداء الفرائض واجتناب المحارم بنوافل الطاعات وهذه درجة السابقين
المقربين وهي التي ارشد اليها النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاحاديث التي سبق ذكرها وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد
في الصلاة ويقوم حتى تتفطر قدماه فاذا قيل له اتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فيقول افلا اكون عبدا
شكورا وقال بعض السلف لما قال الله عز وجل اعملوا آل داود شكرا لم يات عليهم ساعة من الليل والنهار الا وفيهم مصل يصلي
وهذا مع ان بعض هذه الاعمال التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم تجب اما على الاعيان كالمشي الى الصلاة عند من يرى وجوب
الصلاة في الجماعات في المساجد واما على الكفاية كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واعانة الملهوف والعدل بين الناس
اما في الحكم بينهم او في الاصلاح وقد روي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الصدقة اصلاح ذات
البين وهذه الانواع التي اشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقة منها ما نفعه متعد كالاصلاح واعانة الرجل على دابته
تحمله عليها او ترفع متاعه عليها والكلمة الطيبة ويدخل فيها السلام وتشميت العاطس وازالة الاذى عن الطريق والا
مر بالمعروف والنهي عن المنكر ودفن النخامة في المسجد واعانة ذي الحاجة الملهوف واسماع الاصم والبصر للمنقوص بصره و
هداية الاعمى وغيره الطريق وجاء في بعض روايات ابي ذر وبيانك عن الارتم صدقة يعني من لا يطيق الكلام اما لافة في لسانه
او لعجمة في لغته فيبين له ما يحتاج اليه ومنه ما هو قاصر النفع كالتسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والمشي الى الصلاة
وصلاة ركعتي الضحى وانما كانتا مجزئتين عن ذلك كله لان في الصلاة استعمالا للاعضاء كلها في الطاعة والعبادة
فتكون كافية في شكر سلامة هذه الاعضاء وبقية هذه الخصال المذكورة اكثرها استعمال لبعض اعضاء البدن خاصة
فلا تكمل الصدقة بها حتى ياتي منها بعدد سلامى البدن وهي ثلاث مائة وستون كما في حديث عائشة رضي الله عنها وعن ابي ها
وفي المسند عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون اي الصدقة افضل وخير قالوا الله ورسوله اعلم قال المنحة ان تمنح اخاك الدراهم

وظهر الدابة او لبن الشاة او لبن البقرة والمراد بمنيحة الدرهم قرضها وبمنيحة ظهر الدابة افقارها وهو اعارتها لمن يركبها
ومنيحة لبن الشاة او البقرة ان يمنحه بقرة او شاة يشرب لبنها ثم يعيدها اليه واذا اطلقت المنيحة لم تنصرف الا الى هذا وخرج
الامام احمد والترمذي من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من منح منيحة لبن او ورق او هدى زقاقا
كان له مثل عتق رقبة وقال الترمذي معنى قوله من منح منيحة ورق انما يعني به قرض الدراهم وقوله وهدى زقاقا انما يعني به
هداية الطريق وهو ارشاد السبيل وخرج البخاري من حديث حسان بن عطية عن ابي كبشة السلولي قال سمعت عبد الله بن
عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعون خصلة اعلاها منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها
وتصديق موعودها الا ادخله الله بها الجنة قال حسان فعددنا ما دون منيحة العنز من رد السلام وتشميت العاطس
واماطة الاذى عن الطريق ونحوه فما استطعنا ان نبلغ خمس عشرة خصلة وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال حق الابل حلبها على الماء واعارة دلوها واعارة فحلها ومنيحتها وحمل عليها في سبيل الله وخرج
الامام احمد من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل معروف صدقة ومن المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان
تفرغ من دلوك في اناء اخيك وخرجه الحاكم وغيره بزيادات وهي ما انفق المرء على نفسه واهله كتب له به صدقة وما وقى به عرضه
كتب له به صدقة وكل نفقة انفقها المؤمن فعلى الله خلفها ضامن الا نفقة في معصية او بنيان وفي المسند عن ابي جري
الهجيمي قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن المعروف فقال لا تحقرن من المعروف شيا ولو ان تعطي صلة الحبل ولو ان تعطي
شسع النعل ولو ان تفرغ من دلوك في اناء المستسقي ولو ان تنحي الشي من طريق الناس يؤذيهم ولو ان تلقى اخاك ووجهك
منطلق ولو ان تلقى اخاك فتسلم عليه ولو ان تونس الوحشان في الارض ومن انواع الصدقة كف الاذى عن الناس
باليد واللسان كما في الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي الاعمال افضل قال الايمان بالله والجهاد في سبيله
قلت فان لم افعل قال تعين صانعا او تصنع لاخرق قلت ارايت ان ضعفت عن بعض العمل قال فكف شرك عن الناس فانها
صدقة وفي صحيح ابن حبان عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله دلني على عمل اذا عمل به العبد دخل به الجنة
قال يؤمن بالله قلت يا رسول الله ان مع الايمان عمل قال يرضخ مما رزقه الله قلت فان كان معدما لا شي له قال يقول معروفا
بلسانه قلت فان كان عييا لا يبلغ عنه لسانه قال فيعين مغلوبا قلت فان كان ضعيفا لا قدرة له قال فليصنع لاخرق قلت
فان كان اخرق فالتفت الي فقال ما تريد ان تدع في صاحبك شيا من الخير فليدع الناس اذاه قلت يا رسول الله ان هذا كله
ليسير فقال والذي نفسي بيده ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بها ما عند الله الا اخذت بيده يوم القيمة حتى تدخله الجنة فاشترط في هذا
الحديث لهذه الاعمال كلها اخلاص النية كما في حديث عبد الله بن عمرو الذي فيه ذكر الاربعين خصلة وهذا كما في قوله عز وجل لا خير في كثير من
نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقد روي
عن الحسن وابن سيرين ان فعل المعروف يوجر عليه وان لم يكن فيه نية سئل الحسن عن الرجل يسأله الرجل الحاجة وهو يبغضه فيعطيه
حياء هل له فيها اجر فقال ان ذلك لمن المعروف وان في المعروف لاجرا خرجه حميد بن زنجويه وسئل ابن سيرين عن
الرجل يتبع الجنازة لا يتبعها حسبة يتبعها حياء من اهلها اله في ذلك اجر فقال اجر واحد بل له اجران اجر لصلاته على اخيه واجر
لصلته الحي خرجه ابو نعيم في الحلية ومن انواع الصدقة اداء حقوق المسلم على المسلم بعضها مذكور في الاحاديث الماضية ففي
الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع
الجنازة واجابة الدعوة وتشميت العاطس وفي رواية لمسلم للمسلم على المسلم ست قيل ما هن يا رسول الله قال اذا
لقيته فسلم عليه واذا دعاك فاجبه واذا استنصحك فانصح له واذا عطس فحمد الله فشمته واذا مرض فعده واذا مات
فاتبعه وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع بعيادة المريض واتباع الجنائز
وتشميت العاطس وابرار القسم ونصر المظلوم واجابة الداعي وافشاء السلام وفي رواية لمسلم وارشاد الضال بدل ابرار
القسم ومن انواع الصدقة المشي بحقوق الادميين الواجبة اليهم قال ابن عباس رضي الله عنهما من مشى بحق اخيه اليه ليقضيه
فله بكل خطوة صدقة ومنها انظار المعسر وفي المسند وسنن ابن ماجه عن بريدة رضي الله عنه مرفوعا من انظر معسرا فله بكل

يوم صدقة

يوم صدقة قبل ان يحل الدين فاذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثله صدقة

## ومنها الاحسان الى البهائم

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن سقي البهائم قال في كل كبد رطبة اجر واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان بغيا سقت كلبا يلهث من العطش
فغفر لها فاما الصدقة القاصرة على نفس العامل بها فمثل انواع الذكر من التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والاستغفار
والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك تلاوة القران والمشي الى المساجد والجلوس فيها لانتظار الصلاة او لاستماع الذكر ومن ذلك
التواضع في اللباس والمشي والهدي والتبذل في المهنة واكتساب الحلال والتحري فيه ومنها ايضا محاسبة النفس على ما سلف من اعمالها
والندم والتوبة من الذنوب السالفة والحزن عليها واحتقار النفس والازراء بها ومقتها في الله عز وجل والبكاء من خشية الله
عز وجل والتفكر في ملكوت السموات والارض وفي امور الاخرة وما فيها من الوعد والوعيد ونحو ذلك مما يزيد الايمان في القلب وينشا
عنه كثير من اعمال القلوب كالخشية والمحبة والرجاء والتوكل وغير ذلك وقد قيل ان هذا التفكر افضل من نوافل الاعمال البدنية
وروي ذلك عن غير واحد من التابعين منهم سعيد بن المسيب والحسن وعمر بن عبد العزيز وفي كلام الامام احمد ما يدل عليه قال
كعب لان ابكي من خشية الله احب الي من ان اتصدق بوزني ذهبا

## الحديث السابع والعشرون

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس رواه مسلم
وعن وابصة بن معبد قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسال عن البر والاثم قال استفت قلبك البر ما اطمانت
اليه النفس واطمان اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس وافتوك قال الشيخ رحمه الله حديث
حسن رويناه في مسندي الامامين احمد والدارمي باسناد حسن اما حديث النواس فخرجه مسلم من رواية معاوية بن صالح
عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه عن النواس ومعاوية وعبد الرحمن وابوه تفرد بتخريج حديثهم مسلم دون البخاري واما
حديث وابصة فخرجه الامام احمد من طريق حماد بن سلمة عن الزبير ابي عبد السلام عن ايوب بن عبد الله بن مكرز عن وابصة بن معبد
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اريد ان لا ادع شيا من البر والاثم الا سالته عنه فقال لي ادن يا وابصة فدنوت منه حتى
مست ركبتي ركبته فقال لي يا وابصة اخبرك ما جئت تسال عنه او تسالني قلت يا رسول الله اخبرني قال جئت تسالني عن البر والاثم
قلت نعم فجمع اصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول يا وابصة استفت نفسك البر ما اطمان [illegible] اليه
النفس واطمان اليه القلب والاثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وان افتاك الناس وافتوك وفي رواية اخرى
للامام احمد ان الزبير لم يسمعه من ايوب وقال حدثني جلساؤه وقد رايته ففي اسناد هذا الحديث امران يوجب كل منهما ضعفه
احدهما انقطاعه بين الزبير وايوب فانه رواه عن قوم لم يسمهم والثاني ضعف الزبير هذا قال الدارقطني روى احاديث مناكير
وضعفه ابن حبان ايضا لكنه سماه ايوب بن عبد السلام فاخطا في اسمه وله طريق اخر خرجه الامام احمد ايضا من رواية
معاوية بن صالح عن ابي عبد الله السلمي قال سمعت وابصة فذكر الحديث مختصرا ولفظه قال البر ما انشرح له الصدر والاثم ما حاك
في صدرك وان افتاك عنه الناس وافتوك هذا ابو عبد الله هو مجهول وخرجه البزار والطبراني وعندهما ابو عبد الله
الاسدي وقال البزار لا نعلم سماه كذا قال وقد سمي في بعض الروايات محمد قال عبد الغني بن سعيد الحافظ لو قال قائل انه محمد بن سعيد
المصلوب لما دفعت ذلك والمصلوب هذا صلب في الزندقة وهو مشهور بالكذب والوضع ولكنه لم يدرك
وابصة والله اعلم وقد روي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة وبعض طرقه جيدة فخرجه الامام احمد وابن
حبان في صحيحه من طريق يحيى بن ابي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن ابي امامة قال قال رجل يا رسول الله ما الاثم
قال اذا حاك في صدرك شي فدعه وهذا اسناد جيد على شرط مسلم فانه خرج حديث يحيى بن ابي كثير عن زيد بن سلام واثبت احمد
سماعه منه وانكره ابن معين وخرج الامام احمد من رواية عبد الله بن العلاء بن زبر قال سمعت مسلم بن مشكم قال سمعت ابا
ثعلبة الخشني يقول قلت يا رسول الله اخبرني ما يحل لي وما يحرم علي قال البر ما سكنت اليه النفس واطمان اليه القلب والاثم ما لم
تسكن اليه النفس ولم يطمئن اليه القلب وان افتاك المفتون وهذا ايضا اسناد جيد وعبد الله بن العلاء بن زبر ثقة
خرج له البخاري ومسلم بن مشكم ثقة مشهور ايضا وخرج الطبراني باسناد ضعيف عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال
قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم افتني عن امر لا اسال عنه احدا بعدك قال استفت نفسك قلت كيف لي بذلك قال تدع ما يريبك الى

وإن أفتاك

ما لا يريبك المفتون قلت كيف لي بذلك قال تضع يدك على قلبك فإن الفؤاد يسكن للحلال ولا يسكن للحرام وروي نحوه من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف أيضا وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن سويد بن قيس أخبره عن عبد الرحمن بن معاوية أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يحل لي وما يحرم علي وردد عليه ثلاث مرات كل ذلك يسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أين السائل فقال أنا ذا يا رسول الله فقال بإصبعه ما أنكر قلبك فدعه خرجه أبو القاسم البغوي في معجمه وقال لا أدري عبد الرحمن بن معاوية سمع النبي صلى الله عليه وسلم أم لا ولا أعلم له غير هذا الحديث قلت هو عبد الرحمن بن معاوية بن حديج تابعي مشهور فحديثه مرسل وقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال الإثم حواز القلوب واحتج به الإمام أحمد ورواه جرير عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال عبد الله إياكم وحزاز القلوب وما حز في قلبك فدعه قال أبو الدرداء الخير في الطمأنينة والشر في الريبة وروي عن ابن مسعود أنه قيل له أرأيت شيئا يحيك في صدورنا لا ندري هو حلال أم حرام فقال إياكم والحكاكات فإنهن الإثم والحزاز والحكاك متقاربان في المعنى والمراد ما أثر في القلب ضيقا وحرجا ونفورا وكراهة وهذه الأحاديث [redacted] مشتملة على تفسير البر والإثم وبعضها فيه تفسير الحلال والحرام فحديث النواس بن سمعان فسر النبي صلى الله عليه وسلم البر بحسن الخلق وفسر في حديث وابصة وغيره بما اطمأن إليه النفس والقلب كما فسر الحلال والحرام بذلك في حديث أبي ثعلبة وإنما اختلف تفسير البر لأن البر يطلق باعتبار معنيين أحدهما باعتبار معاملة الخلق بالإحسان إليهم وربما خص بالإحسان إلى الوالدين فيقال بر الوالدين ويطلق كثيرا على الإحسان إلى الخلق عموما وقد صنف ابن المبارك كتابا سماه كتاب البر والصلة وكذلك في صحيح البخاري وجامع الترمذي كتاب البر والصلة ويتضمن هذا [redacted] الكتاب الإحسان إلى الخلق ويقدم فيه بر الوالدين على غيرهما وفي حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال يا رسول الله من أبر قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك ثم الأقرب فالأقرب ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وفي المسند أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن بر الحج فقال إطعام الطعام وإفشاء السلام وفي رواية أخرى وطيب الكلام وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وإذا قرن البر بالتقوى كما في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فقد يكون المراد بالبر معاملة الخلق بالإحسان وبالتقوى معاملة الحق بفعل طاعته واجتناب محرماته وقد يكون أريد بالبر فعل الواجبات وبالتقوى اجتناب المحرمات وقوله تعالى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان قد يراد بالإثم المعاصي وبالعدوان ظلم الخلق وقد يراد بالإثم ما هو محرم في نفسه كالزنا والسرقة وشرب الخمر وبالعدوان تجاوز ما أذن فيه إلى ما نهي عنه مما جنسه مأذون فيه كقتل من أبيح قتله لقصاص ومن لا يباح وأخذ زيادة على الواجب على الناس في الزكاة ونحوها ومجاوزة الجلد الذي أمر به في الحدود ونحو ذلك

**والمعنى الثاني** من معنى البر أن يراد به فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة كقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين إلى قوله أولئك هم المتقون وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الإيمان فتلا هذه الآية فالبر بهذا المعنى يدخل فيه جميع الطاعات الباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والطاعات الظاهرة كإنفاق الأموال فيما يحبه الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهد والصبر على الأقدار كالمرض والفقر وعلى الطاعات كالصبر عند لقاء العدو وقد يكون جواب النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النواس شاملا لهذه الخصال كلها لأن حسن الخلق قد يراد به التخلق بأخلاق الشريعة والتأدب بآداب الله التي أدب بها عباده في كتابه كما قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وإنك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يعني أنه يتأدب بآدابه فيفعل أوامره ويجتنب نواهيه فصار العمل بالقرآن له خلقا كالجبلة والطبيعة لا يفارقه وهذا أحسن الأخلاق وأشرفها وأجملها وقد قيل إن الدين كله خلق وأما في حديث وابصة فقال البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس وفي رواية ما انشرح له الصدر وفسر الحلال بنحو ذلك في حديث أبي ثعلبة وغيره وهذا يدل على أن الله فطر عباده على معرفة الحق والسكون إليه وقبوله وركز في الطباع محبة ذلك والنفور عن ضده وقد يدخل هذا في قوله تعالى في حديث عياض بن حمار إني خلقت عبادي حنفاء مسلمين فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم

وأمرتهم أن يشركوا



وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وقوله كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء قال أبو هريرة رضي الله عنه اقرؤوا إن شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ولهذا سمى الله ما أمر به معروفا وما نهى عنه منكرا فقال تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال تعالى في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وأخبر أن قلوب المؤمنين تطمئن بذكره فالقلب الذي دخله نور الإيمان وانشرح به وانفسح يسكن للحق ويطمئن به ويقبله وينفر عن الباطل ويكرهه ولا يقبله وقال معاذ بن جبل أحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق فقيل لمعاذ ما يدريني أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وأن المنافق قد يقول كلمة الحق قال اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال ما هذه ولا يثنينك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا خرجه أبو داود وفي رواية له قال بل ما تشابه عليك من قول الحكيم حتى تقول ما أراد بهذه الكلمة فهذا يدل على أن الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير بل يعرف الحق بالنور الذي عليه فيقبله قلبه وينفر عن الباطل فينكره ولا يعرفه ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم يعني أنهم يأتون بما تستنكره قلوب المؤمنين ولا تعرفه وفي قوله أنتم ولا آباؤكم إشارة إلى أن ما استقرت معرفته عند المؤمنين مع تقادم العهد وتطاول الزمان فهو الحق وأن ما أحدث بعد ذلك فلا خير فيه فدل حديث وابصة وما في معناه على الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه فما سكن إليه القلب وانشرح إليه الصدر فهو البر والحلال وما كان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام وقوله في حديث النواس الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس يشير إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجا وضيقا وقلقا واضطرابا فلم ينشرح له الصدر ومع هذا فهو عند الناس مستنكر بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه وهذا أعلى مراتب معرفة الإثم عند الاشتباه وهو ما استنكره الناس فاعله وغير فاعله ومن هذا المعنى قول ابن مسعود رضي الله عنه ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح وقوله في حديث وابصة وأبي ثعلبة وإن أفتاك المفتون يعني أن ما حاك في صدر الإنسان فهو إثم وإن أفتاه غيره بأنه ليس بإثم فهذه مرتبة ثانية وهو أن يكون الشيء مستنكرا عند فاعله دون غيره وقد جعله أيضا إثما وهذا إنما يكون إذا كان صاحبه ممن شرح صدره للإيمان وكان المفتي يفتي له بمجرد ظن أو ميل إلى هوى من غير دليل شرعي فأما ما كان مع المفتي به دليل شرعي فالواجب على المستفتي الرجوع إليه وإن لم ينشرح له صدره وهذا كالرخص الشرعية مثل الفطر في السفر والمرض وقصر الصلاة في السفر ونحو ذلك مما لا ينشرح به صدور كثير من الجهال فهذا لا عبرة به وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا يأمر أصحابه بما لا ينشرح به صدور بعضهم فيمتنعون من فعله فيغضب من ذلك كما أمرهم بفسخ الحج إلى العمرة فكرهه من كرهه منهم وكما أمرهم بنحر هديهم والتحلل من عمرة الحديبية فكرهوه وكرهوا مقاضاته لقريش على أن يرجع من عامه وعلى أن من أتاه منهم يرده إليهم وفي الجملة فما ورد النص به فليس للمؤمن إلا طاعة الله ورسوله كما قال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم وينبغي أن يتلقى ذلك بانشراح الصدر والرضا فإن ما شرعه الله ورسوله يجب الإيمان والرضا به والتسليم له كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية وأما ما ليس فيه نص من الله ورسوله ولا عمن يقتدى بقوله من الصحابة وسلف الأمة فإذا وقع في نفس المؤمن المطمئن قلبه بالإيمان المنشرح صدره بنور المعرفة واليقين منه شيء وحك في صدره لشبهة موجودة ولم يجد من يفتي فيه بالرخصة إلا من يخبر عن رأيه وهو ممن لا يوثق بعلمه وبدينه بل هو معروف باتباع الهوى فهنا يرجع المؤمن إلى ما حاك في صدره وإن أفتاه هؤلاء المفتون وقد نص الإمام أحمد على مثل هذا قال المروذي في كتاب الورع قلت لأبي عبد الله إن القطيعة أرفق بي من سائر الأسواق وقد وقع في قلبي من أمرها شيء فقال أمرها أمر قذر متلوث قلت فتكره العمل فيها قال دع ذا عنك

ان كان لا يقع في قلبك شي قلت قد وقع في قلبي منها شي فقال ابن مسعود الاثم حواز القلوب قلت اما هذا على المشاورة
قال اي شي وقع في قلبك قلت قد اضطرب على قلبي قال الاثم حواز القلوب وقد سبق في شرح حديث النعمان بن بشير رضي الله
عنهما الحلال بين والحرام بين وفي شرح حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما دع ما يريبك الى ما لا يريبك وشرح حديث
اذا لم تستحي فاصنع ما شئت شي يتعلق بتفسير هذه الاحاديث المذكورة ههنا وقد ذكر طوايف من فقها الشافعيه
والحنفيه المتكلمين في اصول الفقه مسئلة الالهام هل هو حجة ام لا وذكروا فيه اختلافا بينهم وذكر طايفة من اصحابنا
ان الكشف ليس بطريق للاحكام واخذه القاضي ابو يعلى من كلام احمد في ذم المتكلمين في الوساوس والخطرات و
خالفهم طايفة من اصحابنا في ذلك وقد ذكرنا نص احمد ههنا بالرجوع الى حواز القلوب وانما ذم احمد وغيره المتكلمين
على الوساوس والخطرات من الصوفيه حيث كان كلامهم في ذلك لا ينتهي الى دليل شرعي بل الى مجرد راي وذوق كما كان
ينكر الكلام في مسايل الحلال والحرام بمجرد الراي من غير دليل شرعي فاما الرجوع في الامور المشتبهة الى حواز القلوب فقد دلت
عليه النصوص النبويه وفتاوى الصحابه فكيف ينكره الامام احمد بعد ذلك لا سيما وقد نص على الرجوع اليه موافقة لهم وقد
سبق في حديث ان الصدق طمانينة والكذب ريبة فالصدق يتميز من الكذب بسكون القلب اليه ومعرفته وبنفوره عن
الكذب وانكاره كما قال الربيع بن خثيم ان من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه وظلمة كظلمة الليل وخرج الامام احمد
من حديث ربيعة عن عبد الملك بن سعيد بن سويد عن ابي حميد وابي اسيد رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له اشعاركم وابشاركم وترون انه منكم قريب فانا اولاكم به واذا سمعتم الحديث عني تنكره
قلوبكم وتنفر عنه اشعاركم وابشاركم وترون انه منكم بعيد فانا ابعدكم منه واسناده قد قيل انه على شرط مسلم لانه خرج بهذا
الاسناد بعينه حديثا لكن هذا الحديث معلول فانه رواه بكير بن الاشج عن عبد الملك بن سعيد عن عباس بن سهل عن ابي
بن كعب من قوله قال البخاري هو اصح وروى يحيى بن ادم عن ابن ابي ذيب عن سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه فصدقوه فاني اقول ما يعرف ولا ينكر واذا حدثتم عني بحديث تنكرونه
ولا تعرفونه فلا تصدقوه فاني لا اقول ما ينكر ولا يعرف وهذا الحديث معلول ايضا واختلف في اسناده على ابن ابي ذيب
ورواه الحفاظ عنه عن سعيد مرسلا والمرسل اصح عند ائمة الحفاظ منهم ابن معين والبخاري وابو حاتم الرازي وابن خزيمة
وقال ما رايت احدا من علماء الحديث يثبت وصله وانما تحمل هذه الاحاديث على تقدير صحتها على معرفة ائمة الحديث
الجهابذة النقاد الذين كثرت ممارستهم لكلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام غيره ولحال رواة الحديث ونقلة الاخبار ومعرفتهم
بصدقهم وكذبهم وضبطهم وحفظهم فان هولاء لهم نقد خاص في الحديث مخصوصون بمعرفته كما يختص الصيرفي
الحاذق بمعرفة النقود جيدها ورديها وخالصها ومشوبها والجوهري الحاذق في معرفة الجوهر بانتقاد الجواهر
وكل من هولاء لا يمكن ان يعبر عن سبب معرفته ولا يقيم عليه دليلا لغيره واية ذلك انه يعرض الحديث على جماعة ممن يعلم هذا
العلم فيتفقون على الجواب فيه من غير مواطاة وقد امتحن منهم هذا غير مرة في زمن ابي زرعة وابي حاتم فوجد الامر على
ذلك فقال السايل اشهد ان هذا العلم الهام قال الاعمش كان ابراهيم النخعي صيرفيا في الحديث كنت اسمع من الرجال فاعرض
عليه ما سمعته وقال عمرو بن قيس ينبغي لصاحب الحديث ان يكون مثل الصيرفي الذي ينتقد الدراهم فان الدراهم فيها الزيف
والبهرج وكذا الحديث وقال الاوزاعي كنا نسمع الحديث فنعرضه على اصحابنا كما نعرض الدرهم الزايف على الصيارفة
فما عرفوا اخذنا وما انكروا تركنا وقيل لعبد الرحمن بن مهدي انك تقول للشي هذا يصح وهذا لم يثبت فعمن تقول
ذلك فقال ارايت لو اتيت الناقد فاريته دراهمك فقال هذا جيد وهذا بهرج اكنت تسال عن ذلك او تسلم الامر اليه قال لا
بل كنت اسلم الامر اليه قال فهذا كذلك لطول المجالسة والمناظرة والخبرة وقد روي نحو هذا المعنى عن الامام احمد ايضا

وانه قيل له

وانه قيل له يا ابا عبد الله تقول هذا الحديث منكر فكيف علمت ولم تكتب الحديث كله قال مثلنا كمثل ناقد العين لم تقع بيده
العين كلها فاذا وقع بيده الدينار يعلم انه جيد وانه ردي وقال ابن مهدي معرفة الحديث الهام وقال لو انكرنا الحديث عند
الجهال كهانة وقال ابو حاتم الرازي مثل معرفة الحديث كمثل فص ثمنه مائة دينار واخر مثله على لونه ثمنه عشرة دراهم قال وكما
لا يتهيا للناقد ان يخبر بسبب نقده فكذلك نحن رزقنا علما لا يتهيا لنا ان نخبر كيف علمنا بان هذا الحديث
كذب وان هذا الحديث منكر الا بما نعرفه قال ويعرف جودة الدينار بالقياس الى غيره فان تخلف عنه في الحمرة والصفا علم انه
مغشوش ويعلم جنس الجوهر بالقياس الى غيره فان خالفه في المائية والصلابة علم انه زجاج ويعلم صحة هذا الحديث
بعدالة ناقليه وان يكون كلاما يصلح مثله ان يكون كلام النبوة ويعرف سقمه وانكاره بتفرد من لم تصح عدالته بروايته
والله اعلم وبكل حال فالجهابذة النقاد العارفون بعلل الحديث افراد قليل من اهل الحديث جدا واول من اشتهر
بالكلام في نقد الحديث ابن سيرين ثم خلفه ايوب السختياني واخذ ذلك عنه شعبة واخذ عن شعبة يحيى القطان
وابن مهدي واخذ عنهما احمد وعلي بن المديني وابن معين واخذ عنهم مثل البخاري وابو داود وابو
زرعة وابي حاتم وكان ابو زرعة في زمانه يقول قل من يفهم هذا وما اعزه اذا دفعت هذا عن واحد واثنين فما اقل من
تجد من يحسن هذا ولما مات ابو زرعة قال ابو حاتم ذهب الذي كان يحسن هذا يعني ابا زرعة ما بقي بمصر ولا بالعراق واحد يحسن
هذا وقيل له بعد موت ابي زرعة تعرف اليوم احدا يعرف هذا قال لا وجا بعدهم جماعة منهم النسائي والعقيلي وابن عدي
والدارقطني وقل من جا بعدهم من هو بارع في معرفة ذلك حتى قال ابو الفرج ابن الجوزي في اول كتابه الموضوعات قل
من يفهم هذا بل عدم والله اعلم

## الحديث الثامن والعشرون

عن ابي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال
وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كانها موعظة مودع
فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تامر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة رواه ابو داود
والترمذي وقال حديث حسن صحيح هذا الحديث خرجه الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه من رواية ثور بن يزيد عن
خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي رضي الله عنه زاد احمد في رواية له وابو داود وحجر بن حجر الكلاعي كلاهما عن العرباض
بن سارية رضي الله عنه وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحافظ ابو نعيم هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين قال ولم يتركه البخاري ومسلم
من جهة انكار منهما له وزعم الحاكم ان سبب تركهما له انهما توهما انه ليس له راو عن خالد بن معدان غير ثور بن يزيد وقد رواه عنه ايضا
بحير بن سعد ومحمد بن ابراهيم التيمي وغيرهما قلت ليس الامر كما ظنه وليس الحديث على شرطهما فانهما لم يخرجا لعبد الرحمن بن عمرو
السلمي ولا لحجر الكلاعي شيا وليسا ممن اشتهر بالعلم والرواية وايضا فقد اختلف فيه على خالد بن معدان فروي عنه كما تقدم وروي
عنه عن ابن ابي بلال عن العرباض وخرجه الامام احمد من هذا الوجه ايضا وروي ايضا عن ضمرة بن ابي حبيب عن عبد الرحمن بن عمرو
السلمي عن العرباض خرجه من طريقه الامام احمد وابن ماجه وزاد في حديثه فقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها
بعدي الا هالك وزاد في اخر الحديث فانما المومن كالجمل الانف حيثما قيد انقاد وقد ذكر طايفة من الحفاظ ان هذه الزيادة
في اخر الحديث مدرجة فيه وليست منه قاله احمد بن صالح المصري وغيره وقد خرجه الحاكم وقال في حديثه وكان اسد
بن وداعة يزيد في هذا الحديث فانما المومن كالجمل الانف حيثما قيد انقاد وخرجه ابن ماجه ايضا من رواية عبد الله
بن العلاء بن زبر حدثني يحيى بن ابي المطاع سمعت العرباض فذكره وهذا في الظاهر اسناد جيد متصل ورواته ثقات
مشهورون وقد صرح فيه بالسماع وقد ذكر البخاري في تاريخه ان يحيى بن ابي المطاع سمع من العرباض ولم يلقه وهذه الرواية
غلط وممن ذكر ذلك ابو زرعة الدمشقي وحكاه عن دحيم وهو لا اعرف بشيوخهم من غيرهم والبخاري رحمه الله يقع له
في تاريخه اوهام في اخبار اهل الشام وقد روي عن العرباض من وجوه اخر وروي من حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم موعظة
عظم وفي رواية احمد وابو داود والترمذي بليغة وفي روايتهم ان ذلك بعد صلاة الصبح وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يعظ

وقوله وعظنا

اصحابه في غير الخطب الراتبة كخطب الجمع والاعياد وقد امره الله عز وجل بذلك فقال تعالى وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وقال تعالى
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ولكنه كان لا يديم وعظهم بل يتخولهم به احيانا كما في الصحيحين عن ابي وايل قال
كان عبد الله بن مسعود يذكرنا كل يوم خميس فقال له رجل يا ابا عبد الرحمن انا نحب حديثك ولوددنا انك حدثتنا كل
يوم فقال ما يمنعني ان احدثكم كل يوم الا كراهة ان املكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة كراهة السامة
علينا والبلاغة في الموعظة مستحسنة لانها اقرب الى قبول القلوب واستجلابها والبلاغة هي التوصل الى افهام المعاني
المقصودة وايصالها الى قلوب السامعين باحسن صورة من الالفاظ الدالة عليها وافصحها واحلاها للاسماع واوقعها
في القلوب وكان صلى الله عليه وسلم يقصر خطبه ولا يطيلها بل كان يبلغ ويوجز وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت
اصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا وخرجه ابو داود ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يطيل الموعظة يوم الجمعة انما هي كلمات يسيرات وخرج مسلم من حديث ابي وايل رضي الله عنه قال خطبنا عمار رضي الله عنه
فاوجز وابلغ فلما نزل قلنا يا ابا اليقظان لقد ابلغت واوجزت فلو كنت تنفست فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان طول الصلاة للرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فاطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة فان من البيان سحرا وخرج
الامام احمد وابو داود من حديث الحكم بن حزن رضي الله عنه قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فقام متوكيا على
عصا او قوس فحمد الله واثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات وخرج ابو داود عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان
رجلا قام يوما فاكثر القول فقال عمرو لو قصد في قوله لكان خيرا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد رايت او امرت ان اتجوز في
القول فان الجواز هو خير وقوله ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب هذان الوصفان بهما مدح الله
المومنين عند سماع الذكر كما قال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم وقال تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق وقال تعالى الله نزل احسن
الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال تعالى واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتغير حاله عند الموعظة كما قال
جابر كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه كانه منذر جيش
يقول صبحكم ومساكم خرجه مسلم بمعناه وفي الصحيحين عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس
فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر ان بين يديها امورا عظاما ثم قال من احب ان يسال عن
شي فليسال عنه فوالله لا تسالوني عن شي الا اخبرتكم به في مقامي هذا قال انس فاكثر الناس البكاء واكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقول سلوني فقام اليه رجل فقال اين مدخلي يا رسول الله قال النار وذكر الحديث وفي مسند الامام احمد عن النعمان بن
بشير رضي الله عنهما انه خطب فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول انذرتكم النار حتى لو ان رجلا كان بالسوق
لسمعه من مقامي هذا قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتقوا النار قال ثم اشاح ثم قال اتقوا النار ثم اعرض واشاح ثلاثا حتى ظننا انه
ينظر اليها ثم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة وخرج الامام احمد من حديث عبد الله بن مسلم
عن علي وعن الزبير بن العوام قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فيذكرنا بايام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكانه
نذير قوم يصبحهم الامر غدوة وكان اذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه وخرج
الطبراني والبزار من حديث جابر كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه الوحي او وعظ قلت نذير قوم اتاهم العذاب فاذا
ذهب عنه ذلك رايت اطلق الناس وجها واكثرهم ضحكا واحسنهم بشرا صلى الله عليه وسلم وقولهم يا رسول الله كانها
موعظة مودع فاوصنا يدل على انه كان صلى الله عليه وسلم قد ابلغ في تلك الموعظة ما لم يبلغ في غيرها فلذلك فهموا انها موعظة مودع
فان المودع يستقصي ما لم يستقص غيره في القول والفعل ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي صلاة مودع لانه من استشعر

انه مودع



انه مودع بصلاته اتقنها على اكمل وجوهها وربما كان في خطبته قد وقع منه صلى الله عليه وسلم تعريض في تلك
الخطبة بالتوديع كما عرض بذلك في حجة الوداع وقال لا ادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس فقالوا
هذه حجة الوداع ولما رجع من حجه الى المدينة جمع الناس بماء بين مكة والمدينة يسمى خم وخطبهم وقال يا ايها الناس
انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته خرجه مسلم وفي الصحيحين
عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد ثم صعد المنبر كالمودع للاحياء والاموات فقال
اني فرطكم على الحوض فان عرضه كما بين ايلة الى الجحفة واني لست اخشى عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخشى عليكم الدنيا ان
تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم قال عقبة رضي الله عنه فكانت اخر ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المنبر وخرجه الامام احمد ولفظه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم صعد
المنبر فقال اني فرطكم واني عليكم شهيد وان موعدكم الحوض واني لانظر اليه ولست اخشى عليكم الفقر ولكن الدنيا ان تنافسوا فيها
وخرج الامام احمد ايضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال انا محمد النبي
الامي قال ذلك ثلاث مرات ولا نبي بعدي اوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش و
تجوز لي ربي وعوفيت امتي فاسمعوا واطيعوا ما دمت فيكم فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله احلوا حلاله وحرموا حرامه
فلعل الخطبة التي اشار اليها العرباض بن سارية في حديثه كانت بعض هذه الخطب او شبيها بها مما يشعر بالتوديع وقولهم فا
وصنا يعنون وصية جامعة كافية فانهم لما فهموا انه مودع استوصوه وصية ينفعهم التمسك بها بعده ويكون فيها كفاية لمن
تمسك بها وسعادة له في الدنيا والاخرة وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة فهاتان الكلمتان
يجمعان سعادة الدنيا والاخرة اما التقوى فهي كافلة بسعادة الدنيا والاخرة لمن تمسك بها وهي وصية الله للاولين والاخرين
كما قال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقد سبق شرح التقوى بما فيه كفاية في شرح حديث وصية
النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه واما السمع والطاعة لولاة امور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد
في معايشهم وبها يستعينون على اظهار دينهم وطاعة ربهم كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الناس لا يصلحهم الا
امام بر او فاجر ان كان فاجرا عبد المومن فيه ربه وحمل الفاجر فيها الى اجله وقال الحسن في الامراء هم يلون من امورنا خمسا
الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود والله ما يستقيم الدين الا بهم وان جاروا او ظلموا والله لما يصلح الله بهم اكثر مما
يفسدون مع ان والله ان طاعتهم لغيظ وان فرقتهم لكفر وخرج الخلال في كتاب الامارة من حديث ابي امامة قال امر النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه حين صلوا العشا ان احشدوا فان لي اليكم حاجة فلما فرغ من صلاة الصبح قال هل حشدتم كما
امرتكم قالوا نعم قال اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا هل عقلتم هذه ثلاثا قلنا نعم قال اقيموا الصلاة
واتوا الزكاة هل عقلتم هذه ثلاثا قلنا نعم قال اسمعوا واطيعوا هل عقلتم هذه ثلاثا قال فكنا نرى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيتكلم كلاما طويلا ثم نظرنا في كلامه فاذا هو قد جمع لنا الامر كله وهذه الاصول وصى بها النبي صلى الله عليه وسلم
في خطبته في حجة الوداع ايضا خرج الامام احمد والترمذي من رواية ام الحصين الاحمسية رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع فسمعته يقول يا ايها الناس اتقوا الله وان امر عليكم عبد حبشي مجدع
فاسمعوا له واطيعوا ما اقام فيكم كتاب الله وخرج مسلم منه ذكر السمع والطاعة وخرج الامام احمد والترمذي من
حديث ابي امامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول اتقوا الله وصلوا خمسكم
وصوموا شهركم وادوا زكاة اموالكم واطيعوا ذا امركم تدخلوا جنة ربكم وفي رواية اخرى قال يا ايها الناس انه لا نبي
بعدي ولا امة بعدكم وذكر الحديث بمعناه وفي المسند عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لقي الله لا
يشرك به شيا وادى زكاة ماله طيبة بها نفسه محتسبا وسمع واطاع فله الجنة او دخل الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم

وان تامر عليكم عبد وفي رواية حبشي هذا مما تكاثرت به الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مما اطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم
من امر امته بعده وولاية العبيد عليهم وفي صحيح البخاري عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا
وان استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة وفي صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه قال ان خليلي صلى الله عليه وسلم اوصاني
ان اسمع واطيع وان كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف والاحاديث في المعنى كثيرة جدا ولا ينافي هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال
هذا الامر في قريش ما بقي في الناس اثنان وقوله صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش وقوله الائمة من قريش لان ولاية
العبيد قد تكون من جهة امام قريشي ويشهد لذلك ما خرجه الحاكم من حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الائمة
من قريش ابرارها امراء ابرارها وفجارها امراء فجارها ولكل حق فاتوا كل ذي حق حقه وان امرت قريش فيكم عبدا حبشيا
مجدعا فاسمعوا له واطيعوا واسناده جيد ولكنه روي عن علي موقوفا وقال الدارقطني هو اشبه وقد قيل ان العبد الحبشي انما
ذكر على وجه ضرب المثل وان لم يصح وقوعه كما قال صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا ولو كمفحص قطاة وقوله صلى الله عليه وسلم
فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين هذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم بما وقع
في امته بعده من كثرة الاختلاف في اصول الدين وفروعه وفي الاقوال والاعمال والاعتقادات وهذا موافق لما روي عنه من افتراق
امته على بضع وسبعين فرقة وانها كلها في النار الا فرقة واحدة وهي من كان على ما كان عليه واصحابه وكذلك في هذا الحديث امر عند
الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده والسنة هي الطريقة المسلوكة فيشمل ذلك التمسك بما كان
عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والاعمال والاقوال وهذه هي السنة الكاملة ولهذا كان السلف قديما لا
يطلقون اسم السنة الا على ما يشمل ذلك كله وروي معنى ذلك عن الحسن والاوزاعي والفضيل بن عياض وكثير من العلماء المتاخرين
يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقادات لانها اصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم وفي ذكر هذا الكلام بعد الامر بالسمع
والطاعة لاولي الامر اشارة الى انه لا طاعة لاولي الامر الا في طاعة الله كما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انما الطاعة في المعروف وفي
المسند عن انس ان معاذ بن جبل رضي الله عنه قال يا رسول الله ارايت ان كان علينا امراء لا يستنون بسنتك ولا ياخذون
بامرك فما تامر في امرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمن لم يطع الله عز وجل وخرج ابن ماجه من حديث ابن مسعود رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيلي اموركم بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن
مواقيتها فقلت يا رسول الله ان ادركتهم كيف افعل قال لا طاعة لمن عصى الله وفي امره صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وسنة
الخلفاء الراشدين بعد امره بالسمع والطاعة لولاة الامور عموما دليل على ان سنة الخلفاء الراشدين متبعة كاتباع
سنته بخلاف غيرهم من ولاة الامور وفي مسند الامام احمد وجامع الترمذي عن حذيفة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم
جلوسا فقال اني لا ادري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي واشار الى ابي بكر وعمر وتمسكوا بعهد عمار
وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه وفي رواية فتمسكوا بعهد ابن ام عبد واهتدوا بهدي عمار فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما يقتدى به من بعده والخلفاء الراشدون الذين امرنا بالاقتداء بهم هم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي فان في حديث
سفينة عن النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا وقد صححه الامام احمد واحتج به على خلافة الائمة
الاربعة ونص كثير من الائمة على ان عمر بن عبد العزيز خليفة راشد ايضا ويدل عليه ما خرجه الامام احمد من حديث حذيفة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكون النبوة فيكم ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها الله اذا شاء ان يرفعها
ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها اذا شاء ثم تكون ملكا عاضا ما شاء
الله ان تكون ثم يرفعها اذا شاء ان يرفعها ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله ان تكون ثم اذا شاء
تكون خلافة على منهاج نبوة ثم سكت فلما ولي عمر بن عبد العزيز دخل عليه رجل فحدثه بهذا الحديث فسر به واعجبه وكان محمد بن سيرين

يسل احيانا



سيل احيانا عن شي من الاشربة فيقول نهى عنه امام هدى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ورحمه وقد اختلف العلماء في اجماع
الخلفاء الاربعة هل هو اجماع او حجة مع مخالفة غيرهم من الصحابة ام لا وفيه روايتان عن الامام احمد وحكم ابو حازم الحنفي في
زمن المعتضد بتوريث ذوي الارحام ولم يعتد بمن خالف الخلفاء ونفذ حكمه في ذلك في الافاق ولو قال بعض الخلفاء الاربعة
قولا ولم يخالفه منهم احد بل خالفه غيره من الصحابة فهل يقدم قوله على قول غيره فيه قولان ايضا للعلماء والمنصوص عن احمد انه
يقدم قوله على قول غيره من الصحابة وكذا ذكره الخطابي وغيره وكلام اكثر السلف يدل على ذلك خصوصا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه انه قال جعل الحق على لسان عمر وقلبه وكان عمر بن عبد العزيز يتبع احكامه ويستدل
بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وقال مالك قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة
الامر من بعده سننا الاخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة لدين الله ليس لاحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر في
امر خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما
تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وحكى عبد الله بن عبد الحكم عن مالك انه قال اعجبني عزم عمر على ذلك يعني هذا الكلام وروى
عبد الرحمن بن مهدي هذا الكلام عن مالك ولم يحكه عن عمر وقال خلف بن خليفة شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو
خليفة فقال في خطبته الا ان ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه فهو وظيفة دين ناخذ به وننتهي اليه وروى ابو نعيم
من حديث عزرب الكندي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه سيحدث بعدي اشياء فاحبها الي ان تلزموا ما احدث عمر وكان علي رضي الله
عنه يتبع قضاياه واحكامه ويقول ان عمر كان رشيد الامر وروى اشعث عن الشعبي قال اذا اختلف الناس في شيء فانظر كيف
قضى فيه عمر فانه لم يكن يقضي في امر لم يقض فيه قبله حتى يشاور وقال مجاهد اذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما صنع عمر
فخذوا به وقال ايوب عن الشعبي انظروا ما اجتمعت عليه امة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله لم يكن ليجمعها على ضلالة فاذا
اختلفت فانظروا ما صنع عمر بن الخطاب فخذوا به وسئل عكرمة عن ام الولد فقال تعتق بموت سيدها فقيل له باي شيء
تقول قال بالقران قال باي القران قال اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وعمر رضي الله عنه من اولي الامر وقال
وكيع اذا اجتمع عمر وعلي على شيء فهو الامر وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يحلف ان الصراط المستقيم هو الذي
ثبت عليه عمر رضي الله عنه وبكل حال فما جمع عمر عليه الصحابة فاجتمعوا عليه في عصره فلا شك انه الحق ولو خالف فيه بعد
ذلك من خالف كقضاياه بما يرى في الفرائض كالعول وفي زوج وابوين وزوجة وابوين ان للام ثلث الباقي وكقضائه
فيمن جامع في احرامه ان يمضي في نسكه وعليه القضاء والهدي ومثل قضائه في امرأة المفقود ووافقه غيره من الخلفاء ايضا
ومثل ما جمع عليه الناس في الطلاق الثلاث وفي تحريم متعة النساء وفي مثل ما فعله من وضع الديوان ووضع الخراج على
ارض العنوة وعقد الذمة لاهل الذمة بالشروط التي شرطها عليهم ونحو ذلك ويشهد لصحة ما جمع عليه عمر الصحابة فاجتمعوا
عليه رضي الله عنهم ولم يخالف في وقته قول النبي صلى الله عليه وسلم رايتني في المنام انزع على قليب فجاء ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنو
بين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم جاء ابن الخطاب فاستحالت غربا فلم ار احدا من الناس يفري فريه حتى روي الناس وضربوا
بعطن وفي رواية فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب وفي رواية دلو والحوض يتفجر وهذا اشارة الى ان عمر
لم يمت حتى وضع الامور في مواضعها واستقامت الامور وذلك لطول مدته وتفرغه للحوادث واهتمامه بها بخلاف
مدة ابي بكر فانها كانت قصيرة وكان مشغولا فيها بالفتوح وبعث البعوث للقتال فلم يتفرغ لكثير من الحوادث
وربما كان يقع في زمنه ما لا يبلغه ولا يرفع اليه حتى رفعت تلك الحوادث الى عمر فرد الناس فيها الى الحق وحملهم على الصواب
رضي الله عنه وعن ابي بكر وعن الصحابة اجمعين واما ما لم يجمع عمر الناس عليه بل كان له فيه راي وهو يسوغ لغيره ان يرى رايا
يخالف رايه كمسايل الجد مع الاخوة ومسئلة طلاق البتة فلا يكون قول عمر فيه حجة على غيره من الصحابة والله اعلم وانما وصف
الخلفاء بالراشدين لانهم عرفوا الحق وقضوا به والراشد ضد الغاوي والغاوي من عرف الحق وعمل بخلافه
وفي رواية المهديين يعني ان الله يهديهم للحق ولا يضلهم عنه فالاقسام ثلاثة راشد وغاو وضال فالراشد عرف الحق واتبعه

والغاوي عرفه ولم يتبعه والضال لم يعرفه بالكلية فكل راشد فهو مهتد وكل مهتد هداية تامة فهو راشد لان الهداية انما تتم بمعرفة
الحق والعمل به ايضا قوله عضوا عليها بالنواجذ كناية عن شدة التمسك بها والنواجذ الاضراس قوله واياكم
ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة تحذير للامة من اتباع الامور المحدثة المبتدعة واكد ذلك بقوله كل بدعة ضلالة
والمراد بالبدعة ما احدث مما لا اصل له في الشريعة يدل عليه واما ما كان له اصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وان
كان بدعة لغة وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في خطبته ان خير الحديث كتاب الله وخير
الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وخرج الترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن عبد الله المزني وفيه ضعف
عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها
لا ينقص من اوزارهم شيء وخرج الامام احمد من رواية غضيف بن الحارث الثمالي قال بعث الي عبد الملك بن مروان فقال انا
قد جمعنا الناس على امرين رفع الايدي على المنابر يوم الجمعة والقصص بعد صلاة الصبح والعصر فقال اما انهما امثل بدعكم عندي
ولست مجيبكم الى شيء منهما لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احدث قوم بدعة الا رفع مثلها من السنة فتمسك بسنة خير من احداث
بدعة وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما من قوله نحو هذا فقوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة من جوامع الكلم لا
يخرج عنه شيء وهو اصل عظيم من اصول الدين وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد
فكل من احدث شيئا ونسبه الى الدين ولم يكن له اصل من الدين يرجع اليه فهو ضلالة والدين بريء منه وسواء في ذلك مسائل
الاعتقادات او الاعمال او الاقوال الظاهرة والباطنة واما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فانما
ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لما جمع الناس في رمضان على امام واحد في المسجد وخرج
ورآهم يصلون كذلك فقال نعمت البدعة هذه وروي عنه انه قال ان كانت هذه بدعة فنعمت البدعة وروي ان ابي بن كعب
قال ان هذا لم يكن فقال عمر قد علمت ولكنه حسن ومراده ان هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت ولكن له
اصول من الشريعة يرجع اليها فمنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث على قيام رمضان ويرغب فيه وكان الناس في زمنه يقومون
في المسجد جماعات متفرقة ووحدانا وهو صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه في رمضان غير ليلة ثم امتنع من ذلك معللا بانه خشي
ان يكتب عليهم فيعجزوا عن القيام به وهذا قد امن بعده صلى الله عليه وسلم وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقوم باصحابه
ليالي الافراد في العشر الاواخر ومنها انه صلى الله عليه وسلم امر باتباع سنة خلفائه الراشدين وهذا قد صار من سنة خلفائه
الراشدين فان الناس اجتمعوا عليه في زمن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن ذلك اذان الجمعة الاول زاده عثمان لحاجة
الناس اليه واقره علي واستمر عمل المسلمين عليه وروي عن ابن عمر انه قال بدعة ولعله اراد ما اراد ابوه في قيام شهر رمضان ومن ذلك
جمع المصحف في كتاب واحد توقف فيه زيد بن ثابت وقال لابي بكر وعمر رضي الله عنهما كيف تفعلان ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم
ثم علم انه مصلحة فوافق على جمعه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يامر بكتابة الوحي ولا فرق بين ان يكتب مفرقا او مجموعا بل جمعه
صار اصلح وكذلك جمع عثمان الامة على مصحف واحد واعدامه لما خالفه خشية تفرق الامة وقد استحسنه علي واكثر الصحابة
رضي الله عنهم وكان ذلك عين المصلحة وكذلك قتال من منع الزكاة توقف فيه عمر وغيره حتى بين له ابو بكر اصله الذي يرجع
اليه من الشريعة فوافقه الناس على ذلك ومن ذلك القصص وقد سبق قول غضيف بن الحارث انه بدعة وقال الحسن القصص
بدعة ونعمت البدعة كم من دعوة مستجابة وحاجة مقضية واخ مستفاد وانما عنى هؤلاء بانه بدعة الهيئة الاجتماعية عليه
في وقت معين فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له وقت معين يقص على الصحابة فيه غير خطبته الراتبة في الجمع والاعياد وانما كان يذكرهم
احيانا او عند حدوث امر يحتاج الى التذكير عنده ثم ان الصحابة رضي الله عنهم اجتمعوا على تعيين وقت له كما سبق عن ابن مسعود
انه كان يذكر اصحابه كل خميس وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال حدث الناس في كل جمعة مرة فان ابيت
فمرتين فان اكثرت فثلاث ولا تمل الناس وفي المسند عن عائشة رضي الله عنها انها وصت قاص اهل المدينة بمثل ذلك وروي
عنها انها قالت لعبيد بن عمير حدث الناس يوما ودع الناس يوما لا تملهم وروي عن عمر بن عبد العزيز انه امر القاص

ان يقص



ان يقص كل ثلاثة ايام مرة وروي عنه انه قال روح الناس ولا تثقل عليهم ودع القصص يوم السبت ويوم الثلاثاء
وقد روى الحافظ ابو نعيم باسناده عن ابراهيم بن الجنيد قال سمعت الشافعي يقول البدعة بدعتان بدعة محمودة وبدعة
مذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم واحتج بقول عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هي ومراد الشافعي
رضي الله عنه ما ذكرناه من قبل ان البدعة المذمومة ما ليس لها اصل في الشريعة ترجع اليه وهي البدعة في اطلاق الشرع
واما البدعة المحمودة فما وافق السنة يعني ما كان لها اصل من السنة ترجع اليه وانما هي بدعة لغة لا شرعا لموافقتها السنة
وقد روي عن الشافعي كلام اخر يفسر هذا وانه قال المحدثات ضربان ما احدث مما يخالف كتابا او سنة او اثرا او اجماعا
فهذه البدعة الضلالة وما احدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا وهذه محدثة غير مذمومة وكثير من الامور
التي احدثت ولم يكن قد اختلف العلماء فيها هل هي بدعة حسنة ترجع الى السنة ام لا فمنها
كتابة الحديث نهى عنه عمر وطائفة من الصحابة ورخص فيه الاكثرون واستدلوا باحاديث من السنة ومنها كتابة
تفسير الحديث والقرآن كرهه قوم من العلماء ورخص فيه كثير منهم وكذلك اختلافهم في كتابة الراي في الحلال والحرام
ونحوه وفي توسعة الكلام في المعاملات واعمال القلوب التي لم تنقل عن الصحابة والتابعين وكان الامام احمد يكره
اكثر ذلك وفي هذه الازمان التي بعد العهد فيها بعلوم السلف يتعين ضبط ما نقل عنهم من ذلك كله ليتميز به
ما كان من العلم موجودا في زمانهم وما احدث من ذلك بعدهم فيعلم بذلك السنة من البدعة وقد صح عن ابن مسعود
انه قال انكم قد اصبحتم اليوم على الفطرة وانكم ستحدثون ويحدث لكم فاذا رايتم محدثة فعليكم بالهدي الاول
وابن مسعود قال هذا في زمن الخلفاء الراشدين وروى ابن مهدي عن مالك قال لم يكن شيء من هذه الاهواء في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وكان مالكا يشير بالاهواء الى ما حدث من التفرق في اصول الديانات
من امر الخوارج والروافض والمرجئة ونحوهم ممن تكلم في تكفير المسلمين واستباحة دمائهم واموالهم او في تخليدهم في النار
او في تفسيق خواص هذه الامة او عكس ذلك فزعم ان المعاصي لا تضر اهلها او انه لا يدخل النار من اهل التوحيد
احد واصعب من ذلك ما احدث من الكلام في افعال الله تعالى من قضائه وقدره فكذب بذلك من كذب وزعم انه نزه
الله بذلك عن الظلم واصعب من ذلك ما احدث من الكلام في ذات الله وصفاته مما سكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة
والتابعون لهم باحسان فقوم نفوا كثيرا مما ورد في الكتاب والسنة من ذلك وزعموا انهم فعلوه تنزيها لله عما تقتضي العقول
تنزيهه عنه وزعموا ان لازم ذلك مستحيل على الله عز وجل وقوم لم يكتفوا باثباته حتى اثبتوا باثباته ما يظن
انه لازم له بالنسبة الى المخلوقين وهذه اللوازم نفيا واثباتا درج صدر الامة على السكوت عنها ومما حدث في الامة
بعد عصر الصحابة والتابعين الكلام في الحلال والحرام بمجرد الراي ورد كثير مما وردت به السنة في ذلك لمخالفته للراي
والاقيسة العقلية ومما حدث بعد ذلك الكلام في الحقيقة بالذوق والكشف وزعم ان الحقيقة تنافي الشريعة وان
المعرفة وحدها تكفي مع المحبة وانه لا حاجة الى الاعمال وانها حجاب وان الشريعة انما يحتاج اليها العوام وربما
انضم الى ذلك الكلام في الذات والصفات بما يعلم قطعا مخالفته للكتاب والسنة واجماع سلف الامة والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم

## الحديث التاسع والعشرون

عن معاذ رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله
اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سالت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا
تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير
الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا تتجافى
جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة
سنامه قلت بلى يا رسول الله قال راس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك

بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه قال كف هذا قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتك عليك صح
أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم رواه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح هذا الحديث خرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه من رواية معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ
بن جبل وقال الترمذي حسن صحيح وفيما قاله رحمه الله نظر من وجهين أحدهما أنه لم يثبت سماع أبي وائل من معاذ وإن كان
قد أدركه بالسن وكان معاذ بالشام وأبو وائل بالكوفة وما زال الأئمة كأحمد وغيره يستدلون على انتفاء السماع بمثل هذا
وقد قال أبو حاتم الرازي في سماع أبي وائل من أبي الدرداء قد أدركه وكان بالكوفة وأبو الدرداء بالشام يعني أنه لم يصح
سماعه منه وقد حكى أبو زرعة الدمشقي عن قوم أنهم توقفوا في سماع أبي وائل من عمر أو نفوه فسماعه من معاذ أبعد
والثاني أنه قد رواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ خرجه الإمام أحمد مختصرا قال
الدارقطني وهو أشبه بالصواب لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه قلت ورواية شهر عن معاذ مرسلة
يقينا وشهر مختلف في توثيقه وتضعيفه وقد خرجه الإمام أحمد من رواية شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ وخرجه
الإمام أحمد أيضا من رواية عروة بن النزال أو النزال بن عروة وميمون بن أبي شبيب كلاهما عن معاذ ولم يسمع عروة ولا
ميمون من معاذ وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة وقوله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار
قد تقدم في شرح الحديث الثاني والعشرين من وجوه ثابتة من حديث أبي هريرة وأبي أيوب وغيرهما أن النبي صلى الله
عليه وسلم سئل عن مثل هذه المسألة وأجاب بنحو ما أجاب به في حديث معاذ وفي رواية للإمام أحمد في حديث معاذ أنه
قال يا رسول الله إني أريد أن أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني قال سل عما شئت قال أخبرني بعمل
يدخلني الجنة لا أسألك غيره وهذا يدل على شدة اهتمام معاذ رضي الله عنه بالأعمال الصالحة وفيه دليل على أن الأعمال سبب
لدخول الجنة كما قال تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون وأما قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة أحدكم بعمله فالمراد
والله أعلم أن العمل بنفسه لا يستحق به أحد الجنة لولا أن الله عز وجل جعله بفضله ورحمته سببا لذلك والعمل نفسه من
رحمة الله وفضله على عبده فالجنة وأسبابها كل من فضل الله ورحمته وقوله لقد سألت عن عظيم قد سبق في شرح الحديث
المشار إليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل سأله عن مثل هذا لئن كنت أوجزت في المسألة لقد أعظمت وأطولت وذلك لأن
دخول الجنة والنجاة من النار أمر عظيم جدا ولأجله أرسل الله الرسل وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل كيف تقول إذا صليت
قال أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ولا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ يشير إلى كثرة دعائهما واجتهادهما في
المسألة فقال النبي صلى الله عليه وسلم حولها ندندن وفي رواية هل تصير دندنتي ودندنة معاذ إلا أن نسأل الله الجنة
ونعوذ به من النار وقوله صلى الله عليه وسلم وإنه ليسير على من يسره الله عليه إشارة إلى أن التوفيق كله بيد الله عز وجل
فمن يسر الله عليه الهدى اهتدى ومن لم ييسره عليه لم يتيسر له ذلك قال الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة
فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم تلا صلى الله عليه وسلم الآية وكان صلى الله عليه
يقول في دعائه ويسر الهدى لي وأخبر الله عن نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أنه قال في دعائه رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري
وكان ابن عمر رضي الله عنهما يدعو اللهم يسرني لليسرى وجنبني العسرى وقد سبق في شرح الحديث المشار إليه توجيه دخول الجنة
على الإتيان بأركان الإسلام الخمسة وهي التوحيد والصلاة والزكاة والحج وقوله ألا أدلك على أبواب الخير لما رتب دخول
الجنة على واجبات الإسلام دله بعد ذلك على أبواب الخير من النوافل فإن أفضل أولياء الله هم المقربون الذين يتقربون إليه
بالنوافل بعد أداء الفرائض وقوله الصوم جنة هذا الكلام ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة وخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم



عن النبي صلى الله عليه وسلم وخرجه الإمام أحمد بزيادة وهي الصيام جنة وحصن حصين من النار وخرج من حديث عثمان
بن أبي العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الصوم جنة من النار كجنة أحدكم من القتال ومن حديث جابر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال ربنا عز وجل الصيام جنة يستجن بها العبد من النار وخرج أحمد والنسائي من حديث أبي
عبيدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصيام جنة ما لم يخرقها وقوله ما لم يخرقها يعني بالكلام السيء ونحوه ولهذا
في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المخرج في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث
ولا يفسق ولا يجهل فإن امرؤ سابه فليقل إني امرؤ صائم وقال بعض السلف الغيبة تخرق الصيام والاستغفار يرقعه فمن
استطاع منكم أن لا يأتي بصوم مخرق فليفعل وقال ابن المنكدر الصائم إذا اغتاب خرق وإذا استغفر رقع وخرج
الطبراني بإسناد فيه نظر عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا الصيام جنة ما لم يخرقها قيل بم يخرقه قال بكذب أو غيبة فالجنة
هو ما يستجن به العبد كالمجن الذي يقيه عند القتال من الضرب فكذلك الصيام يقي صاحبه من المعاصي في الدنيا كما قال عز وجل
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون فإذا كان له جنة من المعاصي كان له في الآخرة جنة
من النار وإن لم يكن له جنة في الدنيا من المعاصي لم يكن له جنة في الآخرة من النار وخرج [illegible] من حديث [illegible] رضي الله عنه
مرفوعا أن الله بعث يحيى بن زكريا إلى بني إسرائيل بخمس كلمات فذكر الحديث بطوله وفيه وإن الله يأمركم أن تصوموا ومثل
ذلك كمثل رجل مشى إلى عدوه وقد أخذ للقتال جنة فلا يخاف من حيث أوتي وخرج من وجه آخر عن علي رضي الله عنه موقوفا
وفيه قال الصيام مثله كمثل رجل استقصره الناس فاستجن في السلاح حتى ظن أنه لن يصل إليه سلاح العدو فكذلك
الصيام جنة وقوله صلى الله عليه وسلم والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار هذا الكلام روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من وجوه أخر فخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصوم جنة حصينة والصدقة
تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وخرجه الطبراني من حديث [illegible] مرفوعا وخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث
أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم إن صدقة السر لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء وروي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه
كان يحمل الخبز على ظهره بالليل يتبع به المساكين في ظلمة الليل ويقول إن الصدقة في ظلام الليل تطفئ غضب الرب عز وجل وقد
قال تعالى إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم فدل على أن الصدقة يكفر بها
من السيئات إما مطلقا أو صدقة السر وقوله وصلاة الرجل في جوف الليل يعني أنها تطفئ الخطيئة أيضا كالصدقة
ويدل على ذلك ما خرجه الإمام أحمد من رواية عروة بن النزال عن معاذ رضي الله عنه قال أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة
تبوك فذكر الحديث وفيه أن الصوم جنة والصدقة وقيام العبد في جوف الليل يكفر الخطيئة وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقد روي عن جماعة من الصحابة أن الناس يحترقون بالنهار
بالذنوب فكلما قاموا إلى صلاة من الصلوات المكتوبات أطفؤوا ذنوبهم وروي ذلك مرفوعا من وجوه فيها نظر وكذلك
قيام الليل يكفر الخطايا لأنه أفضل نوافل الصلوات وفي الترمذي من حديث بلال رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم
بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء
عن الجسد وخرجه أيضا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال هو أصح من حديث بلال وخرجه
الحاكم وابن خزيمة في صحيحيهما من حديث أبي أمامة أيضا وقال ابن مسعود فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل
صدقة السر على صدقة العلانية وخرجه أبو نعيم مرفوعا والموقوف أصح وقد تقدم أن صدقة السر تطفئ غضب الرب فكذلك
صلاة الليل وقوله ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هاتين الآيتين
عند ذكره فضل صلاة الليل ليبين بذلك فضل صلاة الليل وقد روي عن أنس رضي الله عنه أن هذه الآية نزلت
في انتظار صلاة العشاء خرجه الترمذي وصححه وروي عنه أنه قال في هذه الآية كانوا يتنفلون بين المغرب والعشاء

خرجه ابو داود وروي نحوه عن بلال خرجه البزار باسناد ضعيف وكل هذا يدخل في عموم فضل الايام فان الله مدح الذين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع لدعائه فيشمل ذلك كل من ترك النوم بالليل لذكر الله ودعائه فيدخل فيه من صلى بين العشائين
ومن انتظر صلاة العشا فلم ينم حتى يصليها لا سيما مع حاجته الى النوم ومجاهدة نفسه على تركه لاداء الفريضة وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم لمن انتظر صلاة العشا انكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة ويدخل فيه من نام ثم قام من جوف الليل
للتهجد وهو افضل انواع التطوع بالصلاة مطلقا وربما دخل فيه من ترك النوم عند طلوع الفجر وقام الى اداء صلاة الصبح
لا سيما مع غلبة النوم عليه ولهذا شرع للمؤذن في اذان الفجر ان يقول في اذانه الصلاة خير من النوم وقوله صلى الله عليه وسلم
وصلاة الرجل في جوف الليل ذكر افضل اوقات التهجد بالليل وهو جوف الليل وخرج النسائي والترمذي من حديث ابي امامة
قيل يا رسول الله اي الدعا اسمع قال جوف الليل الاخر ودبر الصلاة المكتوبات وخرجه ابن ابي الدنيا ولفظه جاء رجل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي الصلاة افضل قال جوف الليل الاوسط قال اي الدعا اسمع قال دبر المكتوبات وخرج النسائي
من حديث ابي ذر رضي الله عنه قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي الليل خير قال خير الليل جوفه وخرج الامام احمد من حديث ابي مسلم
قال قلت لابي ذر اي قيام الليل افضل قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم كما سالتني قال جوف الليل الغابر او نصف الليل وقليل
فاعله وخرج البزار والطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الليل اجوب دعوة قال جوف الليل
زاد البزار في روايته الاخر وخرج الترمذي من حديث عمرو بن عبسة سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اقرب ما يكون الرب
من العبد في جوف الليل الاخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن وخرجه الامام احمد
ولفظه قال قلت يا رسول الله اي الساعات افضل قال جوف الليل الاخر وفي رواية له ايضا قال جوف الليل الاخر
وخرجه ابن ماجه وعنده جوف الليل الاوسط وفي رواية للامام احمد عن عمرو بن عبسة قال قلت يا رسول الله هل من ساعة
اقرب من ساعة قال ان الله ليتدلى في جوف الليل فيغفر الا ما كان من الشرك وقد قيل ان جوف الليل اذا اطلق فالمراد به و
سطه وان قيل جوف الليل الاخر فالمراد وسط النصف الثاني وهو السدس الخامس من اسداس الليل وهو الوقت
الذي ورد فيه النزول الالهي وقوله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله
قال راس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد وفي رواية للامام احمد من رواية شهر بن حوشب عن ابن غنم
عن معاذ رضي الله عنه قال قال لي نبي الله صلى الله عليه وسلم ان شئت حدثتك براس هذا الامر وقوام هذا الامر وذروة السنام قلت
بلى قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ان راس هذا الامر ان تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وقوام هذا
الامر اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان ذروة السنام منه الجهاد في سبيل الله انما امرت ان اقاتل الناس حتى يقيموا
الصلاة ويؤتوا الزكاة ويشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فاذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم و
اموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه ولا
اغبرت قدم في عمل يبتغى به درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله عز وجل ولا ثقل ميزان عبد
كدابة تنفق له في سبيل الله او يحمل عليها في سبيل الله فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة اشيا راس الامر وعموده وذروة
سنامه فاما راس الامر ويعني بالامر الدين الذي بعث به وهو الاسلام وقد جا تفسيره في الرواية الاخرى بالشهادتين
فمن لم يقر بهما ظاهرا وباطنا فليس من الاسلام في شي واما قوام الدين الذي يقوم به الدين كما يقوم الفسطاط على عموده
فهو الصلاة وفي الرواية الاخرى واقام الصلاة وايتاء الزكاة كما سبق القول في اركان الاسلام وارتباط بعضها ببعض
واما ذروة سنامه وهو اعلا ما فيه وارفعه فهو الجهاد وهذا يدل على انه افضل الاعمال بعد الفرائض كما هو قول الامام
احمد وغيره من العلما وقوله في رواية الامام احمد والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه ولا اغبرت قدم في عمل يبتغى فيه
درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله عز وجل يدل على ذلك صريحا وفي الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله اي العمل افضل قال الايمان بالله وجهاد في سبيل الله وفيهما عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال افضل الاعمال الايمان بالله ثم جهاد في سبيله والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا وقوله صلى الله عليه وسلم

الا اخبرك



الا اخبرك بملاك ذلك كله فاخذ بلسانه فقال كف عليك هذا الى اخر الحديث وهذا يدل على ان كف اللسان وضبطه وحبسه
هو اصل الخير كله وان من ملك لسانه فقد ملك امره واحكمه وضبطه وقد سبق الكلام على ذكر هذا المعنى في شرح حديث من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وفي شرح حديث قل امنت بالله ثم استقم وخرج البزار في مسنده من حديث ابي اليسر ان رجلا قال
يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال امسك هذا واشار الى لسانه فاعادها عليه فقال ثكلتك امك هل يكب الناس على مناخرهم
في النار الا حصائد السنتهم وقال اسناده حسن والمراد بحصائد الالسنة جزاء الكلام المحرم وعقوباته فان الانسان يزرع بقوله
وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيمة ما زرع فمن زرع خيرا من قول او عمل حصد الكرامة ومن زرع شرا من قول او عمل
حصد غدا الندامة وظاهر حديث معاذ يدل على ان اكثر ما يدخل به الناس النار النطق بالسنتهم فان معصية النطق يدخل
فيها الشرك وهو اعظم الذنوب عند الله عز وجل ويدخل فيها القول على الله بلا علم وهو قرين الشرك ويدخل فيها شهادة الزور
التي عدلت الاشراك بالله عز وجل ويدخل فيها السحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر كالكذب والغيبة والنميمة
وسائر المعاصي الفعلية لا تخلو غالبا من قول يقترن بها يكون معينا عليها وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان الفم والفرج خرجه الامام احمد والترمذي وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب وخرجه
الترمذي ولفظه ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها باسا يهوي بها سبعين خريفا في النار وروى مالك عن زيد بن اسلم عن
ابيه ان عمر دخل على ابي بكر رضي الله عنهما وهو يجبذ لسانه فقال عمر مه غفر الله لك فقال ابو بكر هذا اوردني الموارد وقال
ابن بريدة رايت ابن عباس رضي الله عنهما اخذ بلسانه وهو يقول ويحك قل خيرا تغنم او اسكت عن سوء تسلم والا فاعلم انك
ستندم قال فقيل له يا ابن عباس لم تقول هذا قال انه بلغني ان الانسان اراه قال ليس على شي من جسده اشد حنقا او
غيظا يوم القيمة منه على لسانه الا ما قال به خيرا او املا به خيرا وكان ابن مسعود يحلف بالله الذي لا اله الا هو ما على الارض
شي احوج الى طول سجن من لسان وقال الحسن اللسان امير البدن فاذا جنى على الاعضا شيا جنت واذا عف عفت
وقال يونس بن عبيد ما رايت احدا لسانه منه على بال الا رايت ذلك صلاحا في سائر عمله وقال يحيى بن ابي كثير ما صلح منطق
رجل قط الا عرفت ذلك في سائر عمله ولا فسد منطق رجل قط الا عرفت ذلك في سائر عمله وقال المبارك بن فضالة
عن يونس بن عبيد رحمهم الله تعالى لا تجد شيا من البر واحدا يتبعه البر كله غير اللسان فانك تجد الرجل يصوم
النهار ويفطر على حرام ويقوم الليل ويشهد بالزور بالنهار وذكر شيا نحو هذا ولكن لا تجده يتكلم الحق فيخالف ذلك عمله ابدا

## الحديث الثلاثون

عن ابي ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها
وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشيا فلا تنتهكوها وسكت عن اشيا رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها حديث حسن رواه
الدارقطني وغيره هذا الحديث من رواية مكحول عن ابي ثعلبة الخشني وله علتان احداهما ان مكحولا لم يصح له السماع على ابي
ثعلبة كذلك قال ابو مسهر الدمشقي وابو نعيم الحافظ وغيرهما والثانية انه اختلف في رفعه ووقفه على ابي ثعلبة ورواه
بعضهم عن مكحول من قوله لكن قال الدارقطني الاشبه بالصواب المرفوع قال وهو اشهر وقد حسن الشيخ رحمه الله هذا
الحديث وكذلك حسنه قبله الحافظ ابو بكر بن السمعاني في اماليه وقد روي معنى هذا الحديث مرفوعا من وجوه اخر خرجه البزار
في مسنده والحاكم من حديث ابي الدردا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام
وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيا ثم تلا هذه الاية وما كان ربك نسيا وقال الحاكم صحيح الاسناد
وقال البزار اسناده صالح وقد خرجه الطبراني والدارقطني من وجه اخر عن ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو حديث
ابي ثعلبة وقال في اخره رحمة لكم فاقبلوها ولكن اسناده ضعيف وخرج الترمذي وابن ماجه من رواية سيف بن هارون

عن سليمان التيمي عن ابي عثمان عن سلمان رضي الله عنه قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفرا فقال
الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفى عنه وقال الترمذي رواه سفيان
يعني بن عيينة عن سليمان عن ابي عثمان عن سلمان رضي الله عنه من قوله قال وكانه اصح وذكر في كتاب العلل عن البخاري انه قال
في الحديث المرفوع ما اراه محفوظا وقال احمد منكر وانكره بن معين ايضا وقال ابو حاتم الرازي هو خطا رواه الثقات
عن التيمي عن ابي عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ليس فيه سلمان قلت وقد روي عن سلمان من قوله من وجوه اخر وخرجه
عدي من حديث بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا وضعف اسناده ورواه صالح المري عن الجريري عن ابي عثمان النهدي عن عايشة
واخطا في اسناده وروي عن الحسن مرسلا وخرج ابو داود من حديث بن عباس رضي الله عنهما قال كان اهل الجاهلية ياكلون
اشيا ويتركون اشيا تقذرا فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم
فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو ثم تلا قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الاية وهذا موقوف وقال عبيد بن عمير
ان الله احل الحلال وحرم الحرام فما احل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فحديث ابي ثعلبة قسم فيه احكام
الله اربعة اقسام فرايض ومحارم وحدود ومسكوت عنه وذلك يجمع احكام الدين كلها قال ابو بكر بن السمعاني هذا
الحديث اصل كبير من اصول الدين قال وحكي عن بعضهم انه قال ليس في احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث واحد اجمع بانفراده
لاصول الدين وفروعه من حديث ابي ثعلبة قال وحكي عن ابي واثلة المزني انه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين في اربع كلمات
ثم ذكر حديث ابي ثعلبة قال بن السمعاني فمن عمل بهذا الحديث فقد حاز الثواب وامن العقاب لان من ادى الفرايض
واجتنب المحارم ووقف عند الحدود وترك البحث عما غاب عنه فقد استوفى اقسام الفضل واوفى حقوق الدين
لان الشرايع لا تخرج عن هذه الانواع المذكورة في هذا الحديث انتهى فاما الفرايض فما فرضه الله على عباده والزمهم
القيام به كالصلاة والزكاة والصيام والحج وقد اختلف العلما رضي الله عنهم هل الواجب والفرض بمعنى واحد ام لا فمنهم من قال هما
سوا وكل واجب بدليل شرعي من كتاب او سنة او اجماع او غير ذلك من ادلة الشرع فهو فرض وهو المشهور عن اصحاب الشافعي
وغيرهم وحكي رواية عن احمد لانه قال كل ما في الصلاة فرض ومنهم من قال بل الفرض ما ثبت بدليل مقطوع به والواجب
ما ثبت بغير مقطوع به وهو قول الحنفية وغيرهم واكثر النصوص عن احمد تفرق بين الفرض والواجب فنقل جماعة من اصحابه
عنه انه قال لا نسمي فرضا الا ما كان في كتاب وقال في صدقة الفطر ما اجترئ ان اقول انها فرض مع انه يقول بوجوبها فمن
اصحابنا من قال ان مراده ان الفرض ما ثبت بالكتاب والواجب ما ثبت بالسنة ومنهم من قال اراد ان الفرض ما ثبت بالا
ستفاضة والنقل المتواتر والواجب ما ثبت من جهة الاجتهاد وساغ الخلاف في وجوبه ويشكل على هذا ان احمد قال
في رواية الميموني في بر الوالدين ليس بفرض ولكن اقول واجب ما لم يكن معصية وبر الوالدين مجمع على وجوبه وقد كثرت الاوامر
به في الكتاب والسنة فظاهر انه لم يطلق فرضا الا ما ورد في الكتاب والسنة تسميته فرضا وقد اختلف السلف في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر هل يسمى فريضة ام لا فقال جويبر عن الضحاك هما من فرايض الله عز وجل وكذلك روي عن مالك وروى عبد
الواحد بن زيد عن الحسن فقال ليس بفريضة كان فريضة على بني اسرايل فرحم الله هذه الامة لضعفهم فجعله عليهم نافلة
وكتب بن شبرمة الى عمرو بن عبيد ابياتا مشهورة :. الامر يا عمرو بالمعروف نافلة :. والقايمون به لله انصار :.
واختلف كلام الامام احمد فيه هل يسمى واجبا ام لا فروى عنه جماعة ما يدل على وجوبه وروى عنه ابو داود في الرجل
يرى الطنبور ونحوه واجب عليه تغييره قال ما ادري ان غير فهو افضل وقال اسحق بن راهويه هو واجب على كل مسلم الا ان يخشى
على نفسه ولعل احمد يتوقف في اطلاق انه واجب على من ليس بواجب على الاعيان بل على الكفاية وقد اختلف العلما رضي الله عنهم
في الجهاد هل هو واجب ام لا فانكر جماعة منهم وجوبه منهم عطاء وعمرو بن دينار وابن شبرمة ولعلهم ارادوا هذا المعنى وقال
طايفة هو واجب منهم سعيد بن المسيب ومكحول ولعلهما ارادوا وجوبه على الكفاية وقال احمد في رواية حنبل الغزو واجب

على الناس كلهم



على الناس كلهم كوجوب الحج فاذا غزا بعضهم اجزا عنهم ولابد للناس من الغزو وسيل المروذي عن الجهاد افرض هو
قال قد اختلفوا فيه وليس هو مثل الحج ومراده ان الحج لا يسقط عمن لم يحج مع الاستطاعة بحج غيره بخلاف
الجهاد وسيل عن النفير متى يجب فقال اما الايجاب فلا ادري ولكن اذا خاف على المسلمين فعليهم ان يخرجوا وظاهر هذا
التوقف في اطلاق لفظ على ما لم يات فيه لفظ الايجاب تورعا وكذلك كان يتوقف في اطلاق لفظ الحرام على ما اختلف
فيه وتعارضت ادلته من نصوص الكتاب والسنة فقال في متعة النساء لا اقول هي حرام ولكن ينهى عنه ولم يتوقف في معنى
التحريم وكان في اطلاق لفظه لاختلاف النصوص والصحابة فيها هذا هو الصحيح في تفسير كلام احمد وقال في الجمع بين
الاختين بملك اليمين لا اقول هو حرام ولكن ينهى عنه والصحيح في تفسيره انه توقف في لفظ الحرام دون معناه وهذا كله
على سبيل الورع في الكلام حذرا من الدخول تحت قوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا
على الله الكذب قال الربيع بن خثيم ليتق احدكم ان يقول احل كذا وحرم كذا فيقول الله كذبت لم احل كذا ولم احرم كذا وقال
بن وهب سمعت مالك بن انس رضي الله عنهما يقول ادركت علماءنا يقول احدهم اكره هذا ولا احب ولا يقول حلال ولا حرام
واما ما حكي عن احمد انه قال كل ما في الصلاة فرض فليس كلامه كذا انما نقل عنه ابنه عبد الله انه قال كل شي في الصلاة فما
وكده الله فهو فرض وهذا يعود الى ما تقدم قبله انه لا فرض الا ما في القرآن والذي وكده الله من امر الصلاة القيام والقراءة
والركوع والسجود لا اقول انه فرض ولكنه سنة وسيل مالك بن انس عمن يقول ذلك فقال انه قول احمد في ذلك هذا قول يتناول العلم وقال
يتغلظ قولا عظيما وقد نقله ابو بكر النيسابوري في كتاب مناقب مالك عنه وقد روي ايضا باسناده عن عبد الله بن
عمرو بن ميمون بن الرماح قال دخلت على مالك بن انس فقلت يا ابا عبد الله ما في الصلاة من فريضة وما فيها من سنة او قال نافلة
فقال مالك كلام الزنادقة اخرجوه ونقل اسحق بن منصور عن اسحق بن راهويه انه انكر تقسيم اجزاء الصلاة الى
سنة وواجب وقال كل ما في الصلاة فهو واجب واشار الى ان منه ما تعاد الصلاة بتركه ومنه ما لا تعاد وسبب هذا
والله اعلم ان التعبير بلفظ السنة قد يفضي الى التهاون بفعل ذلك والى الزهد فيه وتركه وهذا خلاف مقصود الشارع
من الحث عليه والترغيب فيه بالطرق المؤدية الى فعله وتحصيله فاطلاق لفظ الواجب ادعى الى الاتيان به والرغبة فيه وقد
ورد اطلاق الواجب في كلام الشارع على ما لا ياثم بتركه ولا يعاقب عليه عند الاكثرين كغسل الجمعة وكذا الليلة النصف
عند كثير من العلما او اكثرهم وانما المراد به المبالغة في الحث على فعله وتاكيده واما المحارم فهي التي حماها الله ومنع من قربانها
وارتكابها وانتهاكها واما المقطوع بها فمذكورة في الكتاب والسنة كقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا
تشركوا به شيا وقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الى قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقد ذكر في بعض
الايات المختصة بنوع من الانواع كما ذكر المحرمات من المطاعم في مواضع منها قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا
ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به وقوله انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل به لغير الله وقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما
اكل السبع الا ما ذكيتم وان تستقسموا بالازلام وذكر المحرمات في النكاح في قوله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم الاية
وذكر المحرمات في المكاسب في قوله واحل الله البيع وحرم الربا واما السنة ففيها ذكر كثير من المحرمات كقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله حرم بيع الخمر والميتة ولحم الخنزير والاصنام وقوله ان الله اذا حرم شيا حرم ثمنه وقوله كل مسكر حرام وقوله ان دماكم
واموالكم واعراضكم عليكم حرام فما ورد التصريح بتحريمه في الكتاب والسنة فهو محرم وقد يستفاد التحريم من النهي مع الوعيد
والتشديد كما في قوله عز وجل انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله فهل
انتم منتهون وقد اختلف الناس هل يستفاد منه التحريم ام لا وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انكار استفادة التحريم منه قال ابن
المبارك اخبرنا سلام بن ابي مطيع عن ابن ابي حصين عن ابيه قال كنت عند ابن عمر فقال انهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزبيب والتمر يعني ان

يختلط فقال رجل من خلفي ما قلت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيب والتمر فقال عبد الله بن عمر كذبت فقلت الم تقل
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فهو حرام فقال انت تشهد بذلك قال سلام كانه يقول من نهى النبي صلى الله عليه وسلم ما هو ادب انت
وقد ذكرنا فيما تقدم عن العلماء الورعين كاحمد ومالك توقي اطلاق لفظ الحرام على ما لم يتيقن تحريمه مما فيه نوع شبهة
او اختلاف وقال النخعي كانوا يكرهون اشيا لا يحرمونها وقال ابن عون قال لي مكحول ما تقولون في الفاكهة تلقى بين ايدي
القوم فينتهبونها قلت ان ذلك عندنا لمكروه قال حرام قال ابن عون فاستعظمنا ذلك من قول مكحول وقال جعفر
بن محمد سمعت رجلا يسال القسم بن محمد الغنا احرام هو فسكت عنه القاسم ثم عاد فسكت عنه ثم عاد فقال ان الحرام ما حرم
الله في القران ارايت اذا اتي بالحق والباطل الى الله فايهما يكون الغنا فقال الرجل في الباطل فقال انت فافت
نفسك وقال عبد الله بن الامام احمد سمعت ابي يقول اما ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فمنها اشيا حرام مثل قوله نهى ان
تنكح المراة على عمتها او خالتها فهذا حرام ونهى عن جلود السباع فهذا حرام وذكر اشيا من نحو هذا ومنها اشيا نهى
عنها فهي ادب واما حدود الله التي نهى عن اعتدائها فالمراد بها جملة ما اذن في فعله سواء كان على
طريق الوجوب او الندب او الاباحة واعتداؤها هو تجاوز ذلك الى ارتكاب ما نهي عنه كما قال تعالى تلك حدود الله فلا
تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون والمراد من طلق على غير ما امر الله به واذن فيه وقال تعالى تلك
حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون والمراد من امسك بعد الطلاق بغير معروف
او سرح بغير احسان واخذ مما اعطى المراة شيا على غير وجه الفدية التي اذن الله فيها وقال تعالى تلك حدود الله
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار الى قوله ومن يتعد حدوده يدخله نارا الاية والمراد من
تجاوز ما فرضه للورثة ففضل وارثا او زاده على حقه او نقصه منه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وروى الامام احمد من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة
وعلى باب الصراط داع يقول يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا وداع يدعو من جوف الصراط
فاذا اراد ان يفتح شيا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه والصراط الاسلام والسوران حدود
الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على راس الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل
مسلم خرجه الامام احمد وهذا لفظه والنسائي في تفسيره والترمذي وحسنه فضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثل الاسلام
في هذا الحديث بصراط مستقيم وهو الطريق السهل الواسع الموصل سالكه الى المطلوب وهو مع هذا مستقيم لا عوج
فيه فيقتضي ذلك قربه وسهولته وعلى جنبتي الصراط يمنة ويسرة سوران وهي حدود الله فكما ان السور يمنع
من كان داخله من تعديه ومجاوزته فكذلك الاسلام يمنع من دخله من الخروج عن حدوده ومجاوزتها وليس المراد
ما حد الله من الماذون فيه والمنهي عنه ولهذا مدح الله سبحانه الحافظين لحدوده وذم من لا يعرف حد الحلال من الحرام كما قال تعالى
الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله وقد تقدم حديث القران وانه يقول لمن عمل به
حفظ حدودي ولمن لم يعمل به تعدى حدودي وقد تطلق الحدود ويراد بها نفس المحارم وحينئذ فيقال لا تقربوا
حدود الله كما قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والمراد النهي عن ارتكاب ما نهي عنه في الاية من محظورات الصيام والا
عتكاف في المساجد ومن هذا المعنى وهو تسمية المحارم حدودا قول النبي صلى الله عليه وسلم مثل القائم على حدود الله والمداهن
فيها كمثل قوم اقتسموا سفينة الحديث المشهور واراد بالقائم على حدود الله المنكر للمحرمات والناهي عنها وفي حديث
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني اخذ بحجزكم اتقوا النار اتقوا الحدود قالها ثلاثا خرجه الطبراني والبزار واراد بالحدود
محارم الله ومعاصيه ومنه قول الرجل الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم اني اصبت حدا فاقمه علي وقد تسمى العقوبات المقدرة الرادعة عن

المحارم المغلظة

عاد



المحارم المغلظة حدود الله فيقال حد الزنا وحد السرقة وحد شرب الخمر ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة اتشفع في حد من حدود
الله يعني في القطع في السرقة وهذا هو المعروف من اسم الحدود في اصطلاح الفقها واما قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يجلد فوق
عشر جلدات الا في حد من حدود الله فهذا قد اختلف الناس في معناه فمنهم من فسر الحدود ههنا بهذه الحدود المقدرة وقال ان التعزير
لا يزاد على عشر جلدات ولا يزاد عليها الا في هذه الحدود المقدرة ومنهم من فسر الحدود ههنا بجنس محارم الله وقال ان المراد
مجاوزة العشر جلدات لا يجوز الا في ارتكاب محرم من محارم الله فاما ضرب التاديب على غير محرم فلا يتجاوز به عشر جلدات وقد
حمل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم وحد حدودا فلا تعتدوها على هذه العقوبات الزاجرة عن المحرمات وقال المراد النهي عن تجاوز
هذه الحدود وتعديها عند اقامتها على اهل الجرائم ورجح ذلك بانه لو كان المراد بالحدود الوقوف عند الاوامر والنواهي كان
تكريرا لقوله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم اشيا فلا تنتهكوها وليس الامر على ما قاله فان الوقوف عند الحدود يقتضي
انه لا يخرج عما اذن فيه الى ما نهي عنه وذلك اعم من كون الماذون فيه فرضا او ندبا او مباحا كما تقدم وحينئذ فلا تكرير في هذا
الحديث والله اعلم واما المسكوت عنه فهو ما لم يذكر حكمه بتحليل ولا ايجاب ولا تحريم فيكون معفوا عنه لا حرج
على فاعله وعلى هذا دلت هذه الاحاديث المذكورة ههنا كحديث ابي ثعلبة وغيره وقد اختلفت الفاظ حديث ابي
ثعلبة فروي باللفظ المتقدم وروي بلفظ اخر وهو ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهاكم عن اشيا فلا
تنتهكوها وعفا عن اشيا من غير نسيان فلا تبحثوا عنها خرجه اسحق بن راهويه وروي بلفظ اخر وهو ان الله
فرض فرائض فلا تضيعوها وسن لكم سننا فلا تنتهكوها وحرم عليكم اشيا فلا تعتدوها وترك بين ذلك
اشيا من غير نسيان رحمة منه فاقبلوها ولا تبحثوا عنها خرجه الطبراني وهذه الرواية تبين ان المعفو عنه ما
ترك ذكره فلم يحرم ولم يحلل ولكن مما ينبغي ان يعلم ان ذكر الشي بالتحريم والتحليل مما قد يخفى فهمه من نصوص
الكتاب والسنة فان دلالة هذه النصوص قد تكون بطريق النص والتصريح وقد تكون بطريق العموم والشمول وقد
تكون دلالته بطريق الفحوى والتنبيه كما في قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما فان دخول ما هو اعظم من التافيف من
انواع الاذى يكون بطريق الاولى ويسمى ذلك مفهوم الموافقة وقد تكون دلالته بطريق مفهوم المخالفة كقوله صلى الله عليه وسلم
في الغنم السائمة الزكاة فانه يدل بمفهومه على انه لا زكاة في غير السائمة وقد اخذ الاكثرون بذلك واعتبروا مفهوم المخالفة
وجعلوه حجة وقد تكون دلالته من باب القياس فاذا نص الشارع على حكم في شي لمعنى من المعاني وكان ذلك موجودا
في غيره فانه يتعدى الحكم الى كل ما وجد فيه ذلك المعنى عند جمهور العلماء وهو من باب العدل والميزان الذي انزله الله وامر
بالاعتبار به فهذا كله مما يعرف به دلالة النصوص على التحريم والتحليل فاما ما انتفى فيه ذلك كله فهنا يستدل بعدم
ذكره بايجاب او تحريم على انه معفو عنه وههنا مسلكان احدهما ان يقال لا ايجاب ولا تحريم الا بالشرع
ولم يوجبه الشرع ولم يحرمه فيكون غير واجب وغير حرام كما تقرر هذا الاستدلال على نفي وجوب الوتر والاضحية او نفي
تحريم الضب ونحوه او نفي تحريم بعض العقود المختلف فيها كالمساقاة والمزارعة ونحو ذلك ويرجع هذا الى استصحاب
براءة الذمة حيث لم يوجد ما يدل على اشتغالها ولا يصح هذا الاستدلال الا ممن عرف ادلة الشرع وسبرها
فان قطع مع ذلك بانتفاء ما يدل على ايجاب او تحريم قطع بنفي الوجوب او التحريم كما يقطع بانتفاء فرض صلاة سادسة
او صيام شهر غير شهر رمضان او وجوب الزكاة في غير الاموال الزكوية او حجة غير حجة الاسلام وان كان هذا كله يستدل
عليه بنصوص صريحة بذكره وان ظن انتفاء ما يدل على ايجاب او تحريم ظن انتفاء الوجوب والتحريم من غير قطع
والمسلك الثاني ان يذكر من ادلة الشرع العامة ما لم يوجبه الشرع ولم يحرمه فانه معفو عنه كحديث
ابي ثعلبة هذا وما في معناه من الاحاديث المذكورة معه ومثل قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الحج في كل عام فقال ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان

بلغ

قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم ومثل قوله صلى الله عليه وسلم
في حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسالته وقد
دل القرآن على مثل هذا في مواضع كقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الاية فان هذا يدل على ان ما لم يوجد
تحريمه فليس بمحرم وكذلك قوله تعالى وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه فعنفهم
على ترك الاكل مما ذكر اسم الله عليه معللا بانه قد بين لهم الحرام فيفهم منه دلالة على ان الاشياء على الاباحة والا لما لحق اللوم
بمن يمتنع من الاكل مما لم ينص على حله بمجرد كونه لم ينص على تحريمه واعلم ان هذه المسالة غير مسالة الاعيان قبل ورود
الشرع هل هو الحظر او الاباحة او لا حكم فيها فان تلك المسالة مفروضة فيما قبل ورود الشرع فاما بعد وروده فقد
دلت هذه النصوص واشباهها على ان حكم ذلك الاصل زال واستقر ان الاصل في الاشياء الاباحة بادلة الشرع وقد حكى
بعضهم الاجماع في ذلك وغلط من سوى بين المسالتين وجعل حكمهما واحدا وكلام الامام احمد يدل على ان ما لم يدخل
في نصوص التحريم فانه معفو عنه قال ابو الحارث قلت لابي عبد الله يعني احمد ان اصحاب الطير يذبحون
من الطير شيئا لا نعرفه فما ترى في اكله فقال كل ما لم يكن ذا مخلب او ياكل الجيف فلا باس به فخص تحريم الطير
في ذي المخلب المنصوص عليه وحكم باباحة ما عداها وحديث ابن عباس الذي سبق ذكره يدل على مثل هذا وحديث
سلمان الفارسي فيه النهي عن السوال عن الجبن والسمن والفرا فان الجبن كان يصنع بارض المجوس وبنحوهم من الكفار
وكذلك السمن والفرا لذلك تجلب من عندهم وذبائحهم ميتة وهذا مما يستدل به على اباحة لبن الميتة وانفحتها وعلى اباحة
اطعمة المجوس وفي ذلك كله خلاف مشهور او يحمل على انه اذا اشتبه الامر لم يجب السوال والبحث عنه كما قال ابن عمر رضي الله عنهما
لما سئل عن الجبن الذي يصنعه المجوس فقال ما وجدته في سوق المسلمين اشتريته ولم اسال عنه وذكر عنده ان الجبن
قيل له انه يصنع فيه انافح الميتة فقال سموا الله وكلوا قال الامام احمد اصح حديث في هذا الحديث يعني جبن المجوس وقد
روي في حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بجبنة في غزوة الطائف فقال اين تصنع هذه فقالوا بفارس فقال
صلى الله عليه وسلم ضعوا فيها السكين واقطعوا واذكروا اسم الله وكلوا اخرجه الامام احمد وسئل عنه فقال هو حديث منكر وكذا
قال ابو حاتم الرازي وخرجه [illegible] ابو داود ومعناه من حديث ابن عمر الا انه قال في غزوة تبوك وقال ابو حاتم منكر
ايضا وخرجه عبد الرزاق في كتابه مرسلا وهو اشبه وعنده زيادة وهي قيل يا رسول الله نخشى ان يكون فيه ميتة فقال سموا عليه وكلوا
وخرجه الطبراني معناه من حديث ميمونة واسناده [illegible] جيد لكنه غريب جدا وفي صحيح البخاري عن عايشة رضي الله عنها
ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان قوما ياتونا باللحم لا ندري اذكروا اسم الله عليه ام لا فقال سموا الله عليه انتم وكلوا قالت وكانوا
حديثي عهد بالكفر وفي مسند الامام احمد عن الحسن ان عمر رضي الله عنه اراد ان ينهى عن حلل الحبرة لانها تصبغ بالبول فقال له ابي
ذلك قد لبسهن النبي صلى الله عليه وسلم ولبسناهن في عهده وخرجه الخلال من وجه اخر وعنده ان ابيا قال له يا امير المومنين قد لبسها
نبي الله ورآه الله مكانها ولو علم الله انها حرام لنهى عنها قال صدقت وسئل الامام احمد عن لبس ما تصنعه اهل الكتاب من غير غسل
فقال لم تسال عما لا تعلم لم يزل الناس منذ ادركناهم لا ينكرون ذلك وسئل عن يهود يصبغون بالبول فقال المسلم والكافر في هذا
سوا ولا تسال عن هذا ولا تبحث عنه وقال اذا علمت انه لا محالة يصبغ بشيء من البول وصح عندك فلا تصل فيه حتى تغسله وخرج
الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدى اليه خفان فلبسهما ولا يعلم اذكي هما ام لا وقد ورد ما يستدل
به على البحث والسوال فخرج الامام احمد من حديث رجل عن ام سلمة الاشجعية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاها وهي في قبة
فقال ما احسنها ان لم يكن فيها ميتة قالت فجعلت اتتبعها وهذا الرجل مجهول وخرج الاثرم باسناده عن زيد بن وهب قال اتانا
كتاب عمر باذربيجان انكم بارض فيها الميتة فلا تلبسوا من الفراء تعلمون حله من حرامه وروى الخلال باسناده عن مجاهد ان ابن عمر راى
على رجل فروا فمسه فقال لو اعلم انه ذكي لسرني ان يكون لي منه ثوب وعن محمد بن كعب انه قال لعايشة ما يمنعك ان تتخذي من الفراء قالت
اكره ان البس الميتة وروى عبد الرزاق باسناده عن ابن مسعود انه قال انكم نزلتم بفارس من النبط فاذا اشتريتم لحما فسلوا فان
كان ذبيحة يهودي او نصراني فكلوا وهذا لان الغالب على اهل فارس المجوس وذبائحهم محرمة والخلاف في هذا يشبه الخلاف في

اباحة طعام ما لا يباح

اباحة طعام ما لا يباح ذبيحته من الكفار وفي استعمال اواني المشركين وثيابهم والخلاف فيها يرجع الى قاعدة
تعارض الاصل والظاهر وقد سبق ذكر ذلك في الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات وقوله صلى الله عليه وسلم
وعفى عن اشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها يعني انما سكت عن ذكرها رحمة بعباده ورفقا حيث لم يحرمها عليهم حتى يعاقبهم
على فعلها ولم يوجبها عليهم حتى يعاقبهم على تركها بل جعلها عفوا فان فعلوها فلا حرج عليهم وان تركوها فكذلك وفي
حديث ابي الدرداء ثم تلى وما كان ربك نسيا وقوله عز وجل لا يضل ربي ولا ينسى وقوله فلا تبحثوا عنها يحتمل اختصاص
هذا النهي بزمن النبي صلى الله عليه وسلم لان كثرة البحث والسوال عما لم يذكر قد يكون سببا لنزول التشديد فيه بايجاب او تحريم وحديث
سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه يدل على هذا ويحتمل ان يكون النهي عاما والمراد النهي عن البحث والسوال لكثرة
عن حكم ما لم يذكر في الواجبات ولا في المحرمات قد يوجب اعتقاد تحريمه او ايجابه لمشابهته لبعض الواجبات او المحرمات فقبول
العافية وترك البحث عنه والسوال خير وقد يدخل في ذلك قوله هلك المتنطعون قالها ثلاثا خرجه مسلم من حديث ابي مسعود
رضي الله عنه مرفوعا والمتنطع هو المتعمق البحاث عما لا يعنيه وهذا قد يتمسك به من يتعلق بظاهر اللفظ وينفي المعاني
والقياس كالظاهرية والتحقيق في هذا المقام والله اعلم ان البحث عما لا يوجد فيه نص خاص او عام على قسمين احدهما
ان يبحث عن دخوله في دلالات النصوص الصحيحة من الفحوى والمفهوم والقياس الظاهر الصحيح فهذا حق وهو مما
يتعين فعله على المجتهدين في معرفة الاحكام الشرعية والثاني ان يدقق الناظر نظره وفكره في وجوه الفروق المستبعدة
فيفرق بين متماثلين بمجرد فرق لا يظهر له اثر في الشرع مع وجود الاوصاف المقتضية للجمع او يجمع بين متفرقين بمجرد الا
وصاف الطردية التي هي غير مناسبة ولا يدل دليل على تاثيرها في الشرع فهذا النظر والبحث غير مرضي ولا محمود مع انه قد و
قع في طوايف من الفقهاء وانما المحمود النظر الموافق لنظر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من القرون المفضلة كابن عباس ونحو
ولعل هذا مراد ابن مسعود رضي الله عنه بقوله اياكم والتنطع اياكم والتعمق وعليكم بالعتيق يعني ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم
ومن كلام بعض ائمة الشافعية لا يليق بنا ان نكتفي بالخيالات في الفروق كداب اصحاب الراي والسر في ذلك ان متعلق
الاحكام في الحال الظنون وغلبتها فاذا كان اجتماع مسالتين اظهر في الظن من افتراقهما وجب الحكم باجتماعهما وان
انقدح [illegible] الغيب الخزيه انتزامها لامانع لم يبين كيفيتها وبعضها قد لا يكون له شاهد في هذا العالم المحسوس فا
البحث عن كيفية ذلك هو مما لا يعني وهو مما ينهى عنه وقد يوجب الحيرة والشك ويرتقي الى التكذيب وفي صحيح مسلم عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيئا
فليقل امنت بالله وفي رواية لا يزال الناس يسالونكم عن العلم حتى يقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله وفي رواية له ايضا
ليسالنكم الناس عن كل شيء حتى يقولوا الله خلق كل شيء فمن خلقه وخرجه البخاري ولفظه ياتي الشيطان احدكم فيقول من
خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته وفي صحيح مسلم عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال الله عز وجل ان امتك لا يزالون يقولون كذا كذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله وخرجه البخاري ولفظه لن يبرح الناس يتساءلون
هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله وقال اسحاق بن راهويه لا يجوز التفكر في الخالق ويجوز للعباد ان يتفكروا في المخلوقين
بما سمعوا فيهم ولا يزيدون على ذلك لانهم ان فعلوا تاهوا قال وقال الله عز وجل وان من شيء الا يسبح بحمده فلا يجوز ان يقال
كيف تسبح القصاع والاخونة والخبز المخبوز والثياب المنسوجة وكل هذا قد صح العلم فيه انهم يسبحون فذلك الى الله ان
يجعل تسبيحهم كيف شاء وكما شاء وليس للناس ان يخوضوا في ذلك الا بما علموا ولا يتكلموا في هذا وشبهه الا بما اخبر الله ولا
يزيدوا على ذلك فاتقوا الله ولا تخوضوا في هذه الاشياء المتشابهة فانه يرديكم الخوض فيه عن سنن الحق نقل ذلك كله حرب عن اسحاق

## الحديث الحادي والثلاثون

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته احبني الله واحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس

في ايديهم

وغيره
حديث حسن رواه ابن ماجه باسانيد حسنة هذا الحديث خرجه ابن ماجه من رواية خالد بن عمرو القرشي عن سفيان الثوري عن ابي حازم
عن سهل بن سعد وقد ذكر الشيخ رحمه الله ان اسناده حسن وفي ذلك نظر فان خالد بن عمرو القرشي الاموي قال فيه الامام احمد
منكر الحديث وقال مرة ليس بثقة يروي احاديث بواطيل وقال ابن معين ليس بشي حديثه وقال مرة كان كذابا يكذب حدث عن
شعبة احاديث موضوعة وقال البخاري وابو زرعة منكر الحديث وقال ابو حاتم متروك الحديث ونسبه صالح بن محمد وابن عدي
الى وضع الحديث وتناقض ابن حبان في امره فذكره في كتاب الثقات وذكره في كتاب الضعفاء وقال كان ينفرد عن الثقات
بالموضوعات لا يحل الاحتجاج بخبره وخرج العقيلي حديثه هذا وقال ليس له اصل من حديث سفيان الثوري
قال وقد تابع خالدا عليه محمد بن كثير الصنعاني ولعله اضعف منه وقد دلسه لان المشهور به خالد هذا قال ابو بكر الخطيب وتابعه ايضا
ابو قتادة الحراني ومهران بن ابي عمر الرازي فروياه عن الثوري قال واشهرها حديث ابن كثير كذا قال وهذا خلاف قول العقيلي
ان اشهرها حديث خالد بن عمرو وهذا اصح ومحمد بن كثير هو المصيصي ضعفه احمد وابو قتادة ومهران تكلم فيهما
ايضا لكن محمد بن كثير خير منهما فانه ثقة عند كثير من الحفاظ وقد تعجب ابن عدي من حديثه هذا قال لا ادري ما اقول فيه
وذكر ابن ابي حاتم انه سال اباه عن حديث محمد بن كثير عن سفيان الثوري فذكر الحديث فقال هذا حديث باطل
يعني بهذا الاسناد يشير الى انه لا اصل له عن محمد بن كثير عن سفيان وقال ابن مشيش سالت احمد عن حديث سهل بن سعد
فذكر هذا الحديث فقال الا احد الى الان تعجبا ممن يروي هذا الحديث قلت خالد بن عمرو فقال وقعنا في خالد بن عمرو
ثم سكت وقال ابو داود الانكار على من ذكر شيئا من حديث خالد هذا فانه لا يشتغل به وخرجه ابو عبيد القاسم بن
سلام في كتاب المواعظ له عن خالد بن عمرو ثم قال كنت منكرا لهذا الحديث فحدثني هذا الشيخ يعني كيسان انه سال عنه
ولولا مقالته هذه لتركته وخرج ابن عدي هذا الحديث في ترجمة خالد بن عمرو وذكر رواية محمد بن كثير له ايضا
وقال هذا الحديث عن الثوري منكر وقال وروى زافر يعني ابن سليمان عن محمد بن عيينة اخي سفيان عن ابي حازم عن
ابن عمر انتهى وزافر ومحمد بن عيينة كلاهما ضعيف وقد روي هذا الحديث من وجه اخر مرسلا خرجه ابو سليمان بن زبر الدمشقي
في مسند ابراهيم بن ادهم فجمع من رواية معاوية بن حفص عن ابراهيم بن ادهم عن منصور عن ربعي بن حراش قال جاء
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني عليه الناس فقال اما العمل الذي يحبك الله
عليه فالزهد في الدنيا واما العمل الذي يحبك عليه الناس فانبذ اليهم هذا الحطام فانه ينبذ اليهم وخرجه ابن ابي الدنيا في كتاب ذم
الدنيا من رواية علي بن بكار عن ابراهيم بن ادهم قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ولم يذكر في اسناده منصورا ولا
ربعيا وقال في حديثه فانبذ ما في يدك من الحطام وقد اشتمل هذا الحديث على وصيتين عظيمتين احداهما
الزهد في الدنيا وانه مقتض لمحبة الله عز وجل لعبده والثانية الزهد فيما في ايدي الناس وانه مقتض لمحبة الناس واما
الزهد في الدنيا فقد كثر في القران الاشارة الى مدحه والى ذم الرغبة في الدنيا قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة
خير وابقى وقال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وقال في قصة قارون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون
الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الى قوله والعاقبة للمتقين وقال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا
في الاخرة الا متاع وقال تعالى قل متاع الدنيا قليل الاية وقال تعالى حاكيا عن مؤمن ال فرعون يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد
يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار وقد ذم الله عز وجل من كان يريد الدنيا بعمله وسعيه ونيته
وقد سبق ذكر الكلام على حديث انما الاعمال بالنيات والاحاديث في ذم الدنيا وحقارتها عند الله كثيرة جدا ففي صحيح مسلم عن جابر
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بالسوق والناس كنفيه فمر بجدي اسك ميت فتناوله فاخذ باذنه فقال ايكم يحب ان
هذا له بدرهم فقالوا ما نحب انه لنا بشي وما نصنع به قال اتحبون انه لكم قالوا والله لو كان حيا كان عيبا فيه لانه اسك
فكيف وهو ميت فقال فوالله للدنيا اهون على الله من هذا عليكم وفيه ايضا عن المستورد الفهري عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال ما الدنيا فـ



قال ما الدنيا في الاخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما ذا يرجع وخرج الترمذي من حديث
سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة وصححه
ومعنى الزهد في الشي الاعراض عنه لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه يقال شي زهيد اي قليل حقير وقد تكلم السلف
ومن بعدهم في تفسير الزهد في الدنيا وتنوعت عباراتهم عنه وورد في ذلك حديث مرفوع خرجه الترمذي وابن ماجه من رواية
عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس عن ابي ادريس الخولاني عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الزهادة في الدنيا ليست بتحريم
الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يديك اوثق منك بما في يد الله وان تكون في ثواب المصيبة اذا
انت اصبت بها ارغب فيها لو انها ابقيت لك وقال الترمذي غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعمرو بن واقد منكر الحديث قلت
الصحيح وقفه كما رواه الامام احمد في كتاب الزهد ثنا زيد بن يحيى الدمشقي ثنا خالد بن صبيح ثنا يونس بن حلبس قال قال ابو مسلم
الخولاني رضي الله عنه ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا اضاعة المال انما الزهادة في الدنيا ان تكون بما في يد الله اوثق منك
بما في يدك واذا اصبت بمصيبة كنت اشد رجاء لاجرها وذخرها من اياها لو بقيت لك وخرجه ابن ابي الدنيا من رواية زيد بن
حباب عن يونس بن ميسرة قال ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان تكون بما في يد الله
اوثق منك بما في يدك وان تكون حالك في المصيبة وحالك اذا لم تصب بها سواء وان يكون مادحك وذامك في الحق سواء ففسر
الزهد في الدنيا بثلاثة اشياء كلها من اعمال القلوب لا من اعمال الجوارح ولهذا كان ابو سليمان يقول لا تشهد لاحد بالزهد
فان الزهد في القلب احدها ان يكون العبد بما في يد الله اوثق منه بما في يد نفسه وهذا ينشا من صحة اليقين وقوته فان الله سبحانه
وتعالى ضمن ارزاق عباده وتكفل بها كما قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وقال
وابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال الحسن من ضعف يقينك ان تكون بما في يدك اوثق منك بما في يد الله عز وجل وقال ابن مسعود ان ارجى ما اكون
للرزق اذا قالوا ليس في البيت دقيق وقال مسروق ان احسن ما اكون ظنا حين يقول الخادم ليس في البيت قفيز من قمح ولا درهم
وقال الامام احمد اسر ايامي الي يوم اصبح وليس عندي شي وقيل لابي حازم الزاهد ما مالك قال لي مالان لا اخشى معهما الفقر الثقة بالله واليأس
مما في ايدي الناس وقيل له اما تخاف الفقر فقال انا اخاف الفقر ومولاي له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
ودفع الى علي بن الموفق رقعة فقراها فاذا فيها يا علي بن الموفق اتخاف الفقر وانا مولاك وقال الفضيل بن عياض اصل الزهد الرضا
عن الله عز وجل وقال القنوع هو الزهد وهو الغنى فمن حقق اليقين وثق بالله في اموره كلها ورضي بتدبيره له وانقطع عن
التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفا ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالاسباب المكروهة ومن كان كذلك كان زاهدا في الدنيا حقيقة وكان
من اغنى الناس وان لم يكن له شي من الدنيا كما قال عمار رضي الله عنه كفى بالموت واعظا وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وقال ابن
مسعود رضي الله عنه اليقين ان لا ترضي الناس بسخط الله ولا تحمد احدا على رزق الله ولا تلم احدا على ما لم يؤتك الله فان الرزق لا يسوقه
حرص حريص ولا يرده كراهة كاره فان الله تعالى بقسطه وعلمه وحكمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في السخط
والشك وفي حديث مرسل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لا يصيبني
الا ما كتبت لي ورضني من المعيشة بما قسمت لي وكان عطا الخراساني رحمه الله لا يقوم من مجلسه حتى يقول اللهم هب لنا يقينا منك حتى
تهون علينا مصائب الدنيا وحتى نعلم انه لا يصيبنا الا ما كتبت علينا ولا يصيبنا من هذا الرزق الا ما قسمت لنا وقد روي من حديث
ابن عباس مرفوعا قال من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده والثاني ان يكون العبد اذا اصيب في
دنياه بمصيبة من ذهاب مال او ولد او غير ذلك ارغب في ثواب ذلك مما ذهب منه من الدنيا ان يبقى له وهذا ايضا ينشا من كمال اليقين
وقد روي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما
تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومن علامات الزهد في الدنيا وقلة الرغبة فيها كما قال علي بن ابي طالب
من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات والثالث ان يستوي عند العبد حامده وذامه في الحق وهذا من

علامات الزهد في الدنيا واحتقارها وقلة الرغبة فيها فإن من عظمت الدنيا عنده أحب المدح وكره الذم
فربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذم وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح فمن استوى عنده حامده وذامه في الحق دل على
سقوط منزلة المخلوقين من قلبه وامتلائه من محبة الحق وما فيه رضا مولاه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه اليقين أن لا ترضي الناس بسخط
الله وقد مدح الله الذين يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم وقد روي عن السلف عبارات أخر في تفسير الزهد في الدنيا وكلها
ترجع إلى ما تقدم كقول الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هو أفضل مني وهذا يرجع إلى أن الزاهد حقيقة هو الزاهد في مدح نفسه و
تعظيمها ولهذا يقال الزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة فمن أخرج من قلبه حب الرياسة في الدنيا والترفع على الناس فهو
الزاهد حقا وهذا هو الذي يستوي عنده حامده وذامه في الحق وكقول وهيب بن الورد رحمه الله الزهد في الدنيا أن لا تأسى على ما
فات منها ولا تفرح بما أتاك منها قال ابن السماك رحمه الله هذا هو الزاهد المبرز في زهده وهذا يرجع إلى أنه يستوي عند العبد إدبارها و
إقبالها وزيادتها ونقصها وهو مثل استواء حال المصيبة وعدمها كما سبق وسئل بعضهم أظنه الإمام أحمد عمن معه مال هل يكون
زاهدا قال إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصه أو كما قال وسئل الزهري عن الزهد فقال من لم يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال
شكره وهذا قريب مما قبله فإن معناه أن الزاهد في الدنيا إذا قدر منها على حرام صبر عنه فلم يأخذه وإذا حصل له منها حلال لم
يشغله عن الشكر بل قام بشكر الله عليه وقال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله قلت لسفيان بن عيينة من الزاهد في الدنيا قال من إذا أنعم
عليه شكر وإذا ابتلي صبر فقلت يا أبا محمد قد أنعم عليه فشكر وابتلي فصبر وحبس النعمة كيف يكون زاهدا فقال اسكت من لم تمنعه
النعماء من الشكر ولا البلوى من الصبر فذلك الزاهد وقال ربيعة رأس الزهادة جمع الأشياء بحقها ووضعها في حقها وقال
سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العبا قال وكان من دعائهم اللهم زهدنا في الدنيا
ووسع علينا منها ولا تزوها عنا فترغبنا فيها وقال الإمام أحمد الزهد في الدنيا قصر الأمل وقال مرة قصر الأمل واليأس مما
في أيدي الناس ووجه هذا أن قصر الأمل يوجب محبة لقاء الله بالخروج من الدنيا وطول الأمل يقتضي محبة البقاء فيها فمن قصر أمله
كره البقاء في الدنيا وهذا نهاية الزهد فيها والإعراض عنها وقد استدل بعضهم لهذا بقوله تعالى قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين إلى قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة الآية وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الضحاك
بن مزاحم قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر
ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه في الموتى وهذا مرسل وقد قسم كثير من السلف الزهد أقساما فمنهم من قال أفضل
الزهد الزهد في الشرك وفي عبادة ما عبد من دون الله ثم الزهد في الحرام كله من المعاصي ثم الزهد في الحلال وهو أقل أقسام الزهد
فالقسمان الأولان من هذا الزهد كلاهما واجب والثالث ليس بواجب فإن أعظم الواجبات الزهد في الشرك ثم في المعاصي
كلها وكان بكر المزني يدعو لإخوانه زهدنا الله وإياكم زهد من أمكنه الحرام والذنوب في الخلوات فعلم أن الله يراه
فتركه وقال ابن المبارك قال سلام بن أبي مطيع الزهد على ثلاثة وجوه واحد أن تخلص العمل لله عز وجل والقول ولا يراد
بشيء منه الدنيا والثاني ترك ما لا يصلح والعمل بما يصلح والثالث الحلال أن تزهد فيه وهو تطوع وهو أدناها وهذا قريب
مما قبله إلا أنه جعل الدرجة الأولى من الزهد الزهد في الرياء المنافي للإخلاص في القول والعمل وهو الشرك الأصغر والحامل
عليه محبة المدح في الدنيا والتقدم عند أهلها وهو من نوع محبة العلو فيها والرياسة وقال إبراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة أصناف
فزهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالزهد الفرض الزهد في الحرام والزهد الفضل الزهد في الحلال والزهد
السلامة الزهد في الشبهات وقد اختلف الناس هل يستحق اسم الزهد من زهد في الحرام خاصة ولم يزهد في فضول المباحات
أم لا على قولين أحدهما أنه يستحق اسم الزهد بذلك وقد سبق عن الزهري وابن عيينة وغيرهما والثاني لا يستحق اسم
الزهد بدون الزهد في فضول المباح وهو قول طائفة من أهل المعارف وغيرهم حتى قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد
المباح المحض وهو قول يوسف بن أسباط وغيره وفي ذلك نظر وكان يونس بن عبيد يقول وما قدر الدنيا حتى يمدح من زهد فيها
وقال أبو سليمان الداراني اختلفوا علينا في الزهد بالعراق فمنهم من قال الزهد في ترك لقاء الناس ومنهم من قال في
ترك الشهوات

٦٤

قال ترك الشهوات ومنهم من قال ترك الشبع وكلامهم قريب بعضه من بعض قال وأنا أذهب إلى أن الزهد في
ترك ما يشغل عن ذكر الله عز وجل وهذا الذي قاله أبو سليمان حسن وهو يجمع جميع معاني الزهد وأقسامه وأنواعه
واعلم أن الذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس هو راجعا إلى زمانها الذي هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم
القيامة فإن الله تعالى جعلهما خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ويروى عن عيسى عليه السلام أنه قال إن هذا الليل
والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما وكان يقول عليه الصلاة والسلام اعملوا الليل لما خلق له والنهار لما
خلق له وقال مجاهد ما من يوم إلا يقول ابن آدم قد دخلت عليك اليوم ولن أرجع إليك بعد اليوم فانظر ماذا تعمل
فيّ فإذا انقضى طواه ثم يختم عليه فلا يفك حتى يكون الله هو الذي يفضه يوم القيامة ولا ليلة إلا تقول كذلك وقد
أنشد بعض السلف: إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق ... والليالي متجر الإنسان والأيام سوق وليس
الذم راجعا إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهادا وسكنا ولا إلى ما أودعه الله فيها من الجبال
والبحار والأنهار والمعادن ولا إلى ما أنبته فيها من الشجر والزرع ولا إلى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك فإن ذلك كله من نعمة
الله على عباده بما لهم فيه من المنافع ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته وإنما الذم
راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته بل يقع على ما تضر عاقبته
أو لا تنفع كما قال عز وجل اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب
الكفار نباته الآية وانقسم بنو آدم في الدنيا إلى قسمين أحدهما من أنكر أن يكون للعباد دار بعد الدنيا و
اطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون وهؤلاء همهم التمتع بالدنيا واغتنام
لذاتها قبل الموت كما قال تعالى والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ومن هؤلاء من كان يأمر
بالزهد في الدنيا لأنه يرى أن الاستكثار منها يوجب الهم والغم ويقول كلما كثر التعلق بها تألمت النفس بمفارقتها
عند الموت فكان هذا غاية زهده في الدنيا والقسم الثاني من يقر بدار بعد الموت للثواب والعقاب وهم
المنتسبون إلى شرائع المرسلين وهم منقسمون إلى ثلاثة أقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات بإذن الله
فالظالم لنفسه هم الأكثرون منهم وأكثرهم واقف مع زهرة الدنيا وزينتها فأخذها من غير وجهها واستعملها في غير و
جهها وصارت الدنيا أكبر همه بها يرضى ولها يغضب ولها يوالي وعليها يعادي وهؤلاء هم أهل اللهو واللعب والزينة و
التفاخر والتكاثر وكلهم لم يعرف المقصود ولا أنها منزل سفر يتزود منها لما بعدها من دار الإقامة وإن كان أحدهم يؤمن
بذلك إيمانا مجملا فهو لا يعرفه مفصلا ولا ذاق ما ذاقه أهل المعرفة بالله في الدنيا مما هو أنموذج ما ادخر لهم في الآخرة والمقتصد
منهم أخذ الدنيا من وجوهها المباحة وأدى واجباتها وأمسك لنفسه الزائد وهؤلاء اختلف في دخولهم في اسم الزهاد
في الدنيا كما سبق ذكره ولا عقاب عليهم في ذلك إلا أنه ينقص من درجاتهم في الآخرة بقدر توسعهم في الدنيا قال ابن عمر لا يصيب عبد
من الدنيا شيئا إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كريما خرجه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد وروي مرفوعا من حديث عائشة
رضي الله عنها بإسناد فيه نظر وروى الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده أن رجلا دخل على معاوية فكساه فخرج فمر على أبي
مسعود الأنصاري ورجل آخر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقال أحدهما خذها من حسناتك وقال الآخر من طيباتك
وبإسناده عن عمر رضي الله عنه قال لولا أن تنقص من حسناتي لخالطتكم في لين عيشكم ولكني سمعت الله عير قوما فقال أذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وقال الفضيل بن عياض إن شئت استقل من الدنيا وإن شئت استكثر منها فإنما تأخذ من كيسك
ويشهد لهذا أن الله حرم على عباده أشياء من فضول شهوات الدنيا وزينتها وبهجتها حيث لم يكونوا محتاجين إليه وادخره
لهم عنده في الآخرة وقد وقعت الإشارة إلى هذا بقوله عز وجل ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم

على هذا بقوله عز وجل ولولا أن يكون الناس

وهم أهل اللهو واللعب

سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الى قوله والآخرة عند ربك للمتقين وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لبس الحرير في
الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة وقال لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية
الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة وقال وهب ان الله عز وجل قال لموسى عليه الصلاة والسلام
اني لأذود اوليائي عن نعيم الدنيا ورخائها كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا
نصيبهم من كرامتي سالما موفرا لم تكلمه الدنيا ويشهد لهذا ما اخرجه الترمذي عن قتادة بن النعمان عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله اذا احب عبدا حماه عن الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء وخرجه الحاكم ولفظه ان الله ليحمي عبده
الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وأما السابق بالخيرات باذن الله فهم الذين فهموا المراد من الدنيا
وعملوا بمقتضى ذلك فعلموا ان الله تعالى انما اسكن عباده في هذه ليبلوهم ايهم احسن عملا كما قال تعالى وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا قال بعض السلف ايهم ازهد في الدنيا
وارغب في الآخرة وجعل ما في الدنيا من البهجة والنضرة محنة لينظر من يقف معها ويركن اليها ومن ليس كذلك كما قال تعالى
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ثم بين انقطاعه ونفاده فقال تعالى وانا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا فلما فهموا ان هذا هو المقصود من الدنيا جعلوا همهم التزود منها للآخرة التي هي دار القرار واكتفوا من الدنيا بما
يكتفي به المسافر في سفره كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح
عنها وتركها ووصى صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة ان يكون بلاغ احدهم من الدنيا كزاد الراكب منهم سلمان وابو عبيدة بن
الجراح وابو ذر وعائشة رضوان الله عليهم ووصى ابن عمر ان يكون في الدنيا كانه غريب او عابر سبيل وان يعد نفسه من
اهل القبور واهل هذه الدرجة على قسمين منهم من يقتصر من الدنيا على قدر ما يسد الرمق فقط وهو حال كثير من الزهاد
ومنهم من يفسح لنفسه احيانا في تناول بعض شهواتها المباحة لتقوى النفس بذلك وتنشط للعمل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة خرجه الامام احمد والنسائي من حديث انس
وخرج الامام احمد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه من الدنيا النساء والطيب والطعام
فاصاب من النساء والطيب ولم يصب من الطعام قال وهب مكتوب في حكمة آل داود عليه السلام ينبغي للعاقل ان لا يغفل
عن اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يناجي فيها ربه وساعة يلقى فيها اخوانه الذين يخبرونه
بعيوبه ويصدقونه عن نفسه وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات
وفضل بلغة واستجمام للقلوب يعني ترويحا لها ومتى نوى المؤمن بتناول شهواته المباحة التقوي على طاعة الله
كانت شهواته له طاعة يثاب عليها كما قال معاذ رضي الله عنه اني لاحتسب نومتي كما احتسب قومتي يعني انه ينوي بنومه
التقوي على القيام في آخر الليل فيحتسب ثواب نومه كما يحتسب ثواب قيامه وكان بعضهم اذا تناول شيئا من شهواته المباحة
واسى منها اخوانه كما روي عن ابن المبارك رحمه الله انه كان اذا اشتهى شيئا لم ياكله حتى يشتهيه بعض اخوانه فياكله معهم
وكان اذا اشتهى شيئا دعا ضيفا له لياكل معه وكان يذكر عن الاوزاعي انه قال ثلاث لا حساب عليهم في مطعمهم المتسحر
والصائم حين يفطر وطعام الضيف وقال الحسن ليس من حبك للدنيا طلبك ما يصلحك فيها ومن زهدك فيها ترك
الحاجة يسدها عنك تركها ومن احب الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه وقال سعيد بن جبير متاع الغرور
ما يلهيك عن طلب الآخرة وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكنه متاع بلاغ الى ما هو خير منه وقال يحيى بن معاذ
الرازي كيف لا احب دنيا قدر لي فيها قوت اكتسب به حياة ادرك بها طاعة انال بها الآخرة وقيل لابي صفوان
الرعيني وكان من العارفين ما هي الدنيا التي ذمها الله في القرآن التي ينبغي للعاقل ان يجتنبها فقال كل ما اصبت في الدنيا

تريد بها الدنيا

تريد بها الدنيا فهو مذموم وكل ما اصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها وقال الحسن رحمه الله نعمت الدار كانت الدنيا للمؤمن
وذلك انه عمل قليلا واخذ زاده منها الى الجنة وبئست الدار كانت الدنيا للكافر والمنافق وذلك انه ضيع لياليه وكان زاده منها
الى النار وقال ايفع بن عبد الكلاعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار قال الله لاهل الجنة كم
لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال نعم ما اتجرتم في يوم او بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها
خالدين مخلدين ثم يقول لاهل النار كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فيقول بئسما اتجرتم في يوم او بعض
يوم سخطي ومعصيتي وناري امكثوا فيها خالدين مخلدين وخرج الحاكم من حديث عبد الجبار بن وهب انا سعيد بن طارق
عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته حتى يرضي ربه وبئست الدار لمن صدته عن آخرته وقصرت
به عن رضى ربه واذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله اعصانا لربه وقال صحيح الاسناد وخرجه العقيلي وقال
عبد الجبار بن وهب مجهول وحديثه غير محفوظ قال وهذا الكلام يروى عن علي من قوله وقول علي خرجه ابن ابي الدنيا باسناد فيه
نظر ان عليا سمع رجلا يسب الدنيا فقال انها لدار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها
مسجد احباء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر اوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذم الدنيا وقد
آذنت بفراقها ونادت بعيبها ونعت نفسها واهلها فمثلت ببلائها البلاء وشوقت بسرورها الى السرور رغبة ورهبة فيا ايها
الذام ومدحها آخرون حدثتهم فصدقوها وذكرتهم فذكروا فيا ايها المغتر بالدنيا المغتر بغرورها متى استلامت اليك
الدنيا متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك من الثرى كم قلبت بكفيك ومرضت بيديك تطلب له
الشفاء وتستوصف له الاطباء فلم تنفعه شفاعتك ولم تسعفه بطلبتك قد مثلت لك الدنيا بمصرعه مصرعك غدا ولا يغني عنك
بكاؤك ولا ينفعك احباؤك فبين امير المؤمنين رضي الله عنه ان الدنيا لا تذم مطلقا وانها تحمد بالنسبة الى من تزود منها الاعمال
الصالحة وان فيها مساجد الانبياء ومهبط الوحي وهي دار التجارة للمؤمنين اكتسبوا بها الرحمة وربحوا بها الجنة فهي نعم
الدار لمن كانت هذه صفته واما ما ذكر من انها تغر وتخدع فانها تنادي بمواعظها وتنصح بعبرها وتبدي عيوبها
بما تري اهلها من مصارع الهلكى وتقلب الاحوال من الصحة الى السقم ومن الشبيبة الى الهرم ومن الغنى الى الفقر ومن العز
الى الذل ولكن محبها قد اصمه واعماه حبها فهو لا يسمع نداها كما قيل قد نادت الدنيا على نفسها لو كان في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر واريته وكم جامع بددت ما يجمع وقال يحيى بن معاذ رحمه الله لو يسمع الخلائق صوت النائح على الدنيا في
الغيب من السنة الفنا لتساقطت القلوب منهم حزنا وقال بعض الحكماء الدنيا انطق تصاريفها الايام للانام وعلم الزمان لا
يحتاج الى ترجمان وعجبا للدنيا صمت اسماع القلوب عن المواعظ وما احب السابق لو سمع الخلائق واهل الزهد في فضول
الدنيا اقسام فمنهم من يحصل لنفسه ويتقرب الى الله عز وجل كما كان كثير من الصحابة وغيرهم قال ابو سليمان كان عثمان وعبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنهما خازنين من خزان الله في ارضه ينفقان في طاعة الله وكانت معاملتهما لله بقلوبهما ومنهم
من يخرجه من يده ولا يمسكه وهؤلاء نوعان منهم من يخرجه اختيارا وطواعية ومنهم من يخرجه ونفسه تأبى اخراجه لكن يجاهدها
على ذلك وقد اختلف في ايهما افضل فقال ابن السماك والجنيد رحمة الله عليهما الاول افضل لتحققه بمقام السخاء والزهد وقال ابن
عطاء الثاني افضل لانه عملا ومجاهدة وفي كلام الامام احمد ما يدل على ايضا ومنهم من لم يحصل له شيء من الفضول وهو زاهد في
تحصيله اما مع قدرته او بدونها والاول افضل من هذا ولهذا قال كثير من السلف ان عمر بن عبد العزيز كان ازهد من
اويس ونحوه كذا قال ابو سليمان وغيره وكان مالك بن دينار يقول الناس يقولون مالك زاهد انما الزاهد عمر بن عبد العزيز وقد
اختلف العلماء ايما افضل من طلب الدنيا من الحلال ليصل بها رحمه ويقدم منها لنفسه او من تركها فلم يطلبها بالكلية فرجح طائفة
من تركها وجانبها منهم الحسن وغيره ورجحت طائفة من طلبها على ذلك الوجه منهم النخعي وغيره وروي عن الحسن ايضا نحوه والزا
هدون في الدنيا بقلوبهم لهم ملاحظات ومشاهد يشهدونها فمنهم من يشهد كثرة التعب في السعي في تحصيلها فهو يزهد فيها قصدا

لراحة نفسه قال الحسن الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن ومنهم من يخاف ان ينقص حظه من الآخرة باخذ فضول الدنيا ومنهم من
يخاف طول الحساب عليها قال بعضهم من سال الله الدنيا فانما يسال طول الوقوف للحساب ومنهم من يشهد كثرة عيوب الدنيا
وسرعة تقلبها باهلها وفنايها ومزاحمة الاراذل في طلبها كما قيل لبعضهم ما الذي زهدك في الدنيا قال قلة وفايها
وكثرة جفايها وخسة شركايها ومنهم من كان ينظر الى حقارة الدنيا عند الله فيستقذرها كما قال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت
علي حلالا لا احاسب عليها في الآخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر الرجل الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه ومنهم من كان
يخاف ان يشغله عن الاستعداد للآخرة والتزود لها قال الحسن ان كان احدهم ليعيش عمره مجهودا شديد الجهد والمال الحلال
الى جنبه يقال له الا تاتي هذا فتصيب منه فيقول لا والله لا افعل اني اخاف ان آتيه فاصيب منه فيكون فساد قلبي وعملي وبعث
الى عمر بن المنكدر بمال فبكى واشتد بكاؤه وقال خشيت ان تغلب الدنيا على قلبي فلا يكون للآخرة فيه نصيب فذلك الذي
ابكاني ثم امر به فتصدق به على فقراء اهل المدينة وخواص هولاء يشتغل بمحبة الله كما قالت رابعة لا احب ان لي الدنيا
كلها من اولها الى اخرها حلالا انفقها في سبيل الله وانها شغلتني عن الله طرفة عين وقال ابو سليمان الزهد ترك ما يشغل عن الله
وقال كلما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم وقال الزهد على طبقتين ومنهم من يزهد في الدنيا فلا يفتح له
فيها روح الآخرة فليس يبقى احب اليه من البقاء ليطيع قال وليس الزاهد من القى هموم الدنيا واستراح منها انما الزاهد
من زهد في الدنيا وتعب فيها للآخرة فالزهد في الدنيا يراد به تفريغ القلب من الاشتغال بها ليتفرغ لطلب الله ومعرفته
والتوجه اليه والانس به والشوق الى لقايه وهذه الامور ليست من الدنيا كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول حبب الي من دنياكم
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ولم يجعل الصلاة مما حبب اليه من الدنيا كذا في المسند والنسائي
واظنه وقع في غيرهما حبب الي من دنياكم ثلاث فادخل الصلاة في الدنيا ويشهد له ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها
الا ذكر الله وما والاه او عالما ومتعلما خرجه ابن ماجه والترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا
وروي عنه من وجه اخر مرسلا ومتصلا وخرج الطبراني من حديث ابي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله وخرجه ابن ابي الدنيا موقوفا وخرج الخلال من رواية شهر بن حوشب عن عبادة رضي
الله عنه قال الراوي رفعه قال يوتى بالدنيا يوم القيمة فيقال ميزوا منها ما كان لله عز وجل والقوا سايرها في النار فالدنيا
وكل ما فيها ملعونة اي مبعدة عن الله عز وجل لانها تشغل عنه الا العلم النافع الدال على الله عز وجل على معرفته وطلب قربه
ورضاه وذكر الله وما والاه مما يقرب من الله فهذا هو المقصود من الدنيا فان الله سبحانه وتعالى انما امر عباده بان يتقوه
ويطيعوه ولازم ذلك دوام ذكره كما قال ابن مسعود رضي الله عنه تقوى الله حق تقواه ان يذكر فلا ينسى وانما شرع الله
اقام الصلاة لذكره وكذلك الحج والطواف وافضل اهل العبادات اكثرهم لله ذكرا فيها فهذا كله ليس من الدنيا المذموم
وهو المقصود من ايجاد الدنيا واهلها كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقد ظن طايفة من الفقها والصوفية
انما يوجد في الدنيا من هذه العبادات افضل مما يوجد في الجنة من النعيم قالوا لان نعيم الجنة حظ العبد والعبادات
في الدنيا حق الرب وحق الرب افضل من حق العبد وهذا غلط ويقوي غلطهم قول كثير من المفسرين في قوله تعالى
من جاء بالحسنة فله خير منها قالوا الحسنة لا اله الا الله وليس شيء خيرا منها ويكون الكلام على التقديم والتوخير فالمراد فله خير منها
اي له خير بسببها ولاجلها والصواب اطلاق ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة ان الآخرة خير من الاولى مطلقا وفي
صحيح الحاكم عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فتذاكروا الدنيا والآخرة فقال بعضهم انما
الدنيا بلاغ للآخرة وفيها العمل وفيها الصلاة وفيها الزكاة وقالت طايفة منهم الآخرة فيها الجنة وقالوا ما شاء الله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كما يمشي احدكم الى اليم فادخل اصبعه فيه فما خرج منه فهو الدنيا فهذا نص بتفضيل
الآخرة على الدنيا وما فيها من الاعمال ووجه ذلك ان كمال الدنيا انما هو في العلم والعمل والعلم ومقصود الاعمال يتضاعف
في الآخرة بالنسبة لما في الدنيا اليه فان العلم اصله العلم بالله واسمائه وصفاته سبحانه وتعالى ينكشف الغطا

ويصير الخبر



ويصير

الخبر عيانا ويصير علم اليقين عين اليقين وتحصل المعرفة بالله برويته ومشاهدته فاين هذا مما في الدنيا واما الاعمال البدنية
فان لها في الدنيا مقصدين احدهما استعمال الجوارح بالطاعة وكدها بالعبادة والثاني اتصال القلوب بالله وتنويرها
بذكره فالاول قد رفع عن اهل الجنة ولهذا ورد انهم اذا هموا بالسجود لله عند تجليه لهم يقال لهم ارفعوا روسكم فانكم لستم
في دار مجاهدة واما المقصود الثاني فحاصل لاهل الجنة على اكمل الوجوه واتمها ولا نسبة الى ما حصل للقلوب في الدنيا
من لطايف القرب والانس والاتصال الى ما يشاهدونه في الآخرة عيانا فيتنعمون بقلوبهم وابصارهم واسماعهم بقرب الله ورويته
وسماع كلامه لا سيما في اوقات الصلاة في الدنيا كالجمع والاعياد والمقربون منهم يحصل ذلك لهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا
في وقت صلاة الصبح وصلاة العصر ولهذا لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة يرون ربهم حض عقب ذلك على المحافظة
على صلاة العصر وصلاة الفجر لان وقت هاتين الصلاتين وقت لروية خواص اهل الجنة ربهم وما زيادة ربهم لهم وكذلك
نعيم الذكر وتلاوة القران لا ينقطع عنهم ابدا فيلهمون التسبيح كما يلهمون النفس قال ابن عيينة لا اله الا الله لاهل الجنة كالماء
البارد لاهل الدنيا فاين لذة الذكر للعارفين في الدنيا من لذتهم به في الجنة فتبين بهذا ان قوله تعالى من جاء بالحسنة فله
خير منها على ظاهره فان ثواب كلمة التوحيد في الدنيا ان يصل صاحبها الى الجنة على الوجه الذي يختص به اهل الجنة
وبكل حال فالذي يحصل لاهل الجنة من تفاصيل العلم بالله واسمائه وصفاته وافعاله ومن قربه ومشاهدته ولذة
ذكره هو امر لا يمكن التعبير عن كنهه في الدنيا لان اهلها لم يدركوه على وجهه بل هو مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والله تعالى المسئول ان لا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا بمنه وكرمه ورحمته امين ولنرجع الى شرح حديث
ازهد في الدنيا يحبك الله فهذا الحديث يدل على ان الله يحب الزاهدين في الدنيا قال بعض السلف قال الحواريون لعيسى عليه افضل
الصلاة والسلام يا روح الله علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله عز وجل وقد ذم الله عز وجل من يحب
الدنيا ويوثرها على الآخرة قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال تعالى وتحبون المال حبا جما وقال تعالى وانه لحب
الخير لشديد والمراد حب المال فاذا ذم من احبها دل على مدح من لا يحبها بل يرفضها ويتركها وفي المسند وصحيح ابن حبان
عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما
يفنى وفي المسند وسنن ابن ماجه عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت الدنيا اكبر همه فرق الله عليه امره وجعل فقره
بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الآخرة اكبر همه نيته جمع الله عليه امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي
راغمة وخرجه الترمذي من حديث انس مرفوعا بمعناه ومن كلام حذيفة بن عبد الله الصحابي رضي الله عنه حب الدنيا راس كل خطيئة
وروي مرفوعا وروي عن الحسن مرسلا وقال الحسن من احب الدنيا وسرته خرج حب الآخرة من قلبه وقال عون بن عبد الله الدنيا
والآخرة في القلب ككفتي الميزان بقدر ما ترجح احدهما تخف الاخرى وبكل حال فالزهد في الدنيا شعار انبياء الله عز وجل
واوليايه قال عمرو بن العاص ما ابعد هديكم من هدي نبيكم صلى الله عليه وسلم انه كان ازهد الناس في الدنيا وانتم ارغب الناس
فيها خرجه الامام احمد وقال ابن مسعود رضي الله عنه لاصحابه انتم اكثر الناس صوما وصلاة وجهادا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وهم كانوا خيرا منكم قالوا وكيف ذلك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وارغب منكم في الآخرة وقال ابو الدرداء رضي الله عنه لين حلفتم
لي على رجل انه ازهدكم لاحلفن لكم انه خيركم ويروى عن الحسن قال قالوا يا رسول الله من خيرنا قال ازهدكم في الدنيا وار
غبكم في الآخرة والكلام في ذم الدنيا طويل جدا وفيما اشرنا اليه كفاية ان شاء الله تعالى **الوصية الثانية** الزهد فيما في ايدي
الناس وانه موجب لمحبة الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وصى رجلا فقال ايايس مما في ايدي الناس تكن غنيا
خرجه الطبراني وغيره ويروى من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعا شرف المومن قيامه بالليل وعزه استغناوه عن الناس
وقال الحسن لا تزال كريما على الناس ولا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في ايديهم فاذا فعلت ذلك استخفوا بك وكرهوا حديثك
وابغضوك وقال ايوب السختياني لا ينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان العفة عما في ايدي الناس والتجاوز عما يكون منهم وكان
عمر رضي الله عنه يقول في خطبته ان الطمع فقر وان الياس غنا وان الانسان اذا ايس من الشيء استغنى عنه وروي ان عبد الله
بن سلام لقي كعب الاحبار عند عمر رضي الله عنه فقال يا كعب من ارباب العلم قال الذين يعملون به قال فما اذهب العلم من
قلوب العلماء بعد اذ حفظوه وعقلوه قال يذهبه الطمع وشره النفس وتطلب الحاجات قال صدقت وقد تكاثرت الاحاديث

عن النبي صلى الله عليه وسلم بالعز لاستعفافه عن سؤال الناس والاستغناء عنهم فمن سأل الناس ما بأيديهم كرهوه وأبغضوه لأن المال محبوب لنفوس بني آدم فمن طلب منهم ما يحبونه كرهوه لذلك وأما من كان يرى المنة للسائل عليه ويرى أنه لو خرج له عن ملكه كله لم يف له بذل سؤاله وذلته له أو كان يقول لأهله ابكوا على غيركم أحسن منها عليكم ودوا بكم تحت غيركم أحسن منها عنكم فهذا نادر جداً في طباع بني آدم وقد انطوى بساط ذلك من أزمان متطاولة وأما من زهد فيما في أيدي الناس وعف عنهم فإنهم يحبونه ويكرمونه لذلك ويسود به عليهم كما قال الأعرابي لأهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بما سادهم قال احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم وما أحسن ما قال بعض السلف في وصف الدنيا وأهلها

وما هي إلا جيفة مستحيلة ❁ عليها كلاب همهن اجتذابها ❁
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها ❁ وإن تجتذبها نازعتك كلابها ❁



## الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندا ورواه مالك في الموطا عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا فأسقط أبا سعيد وله طرق يقوي بعضها بعضا. حديث أبي سعيد لم يخرجه ابن ماجه إنما خرجه الدارقطني والحاكم والبيهقي من رواية عثمان بن محمد بن عثمان بن ربيعة ثنا الدراوردي عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار من ضار ضاره الله ومن شاق شق الله عليه وقال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم وقال البيهقي تفرد به عثمان عن الدراوردي وخرجه مالك في الموطا عن عمرو بن يحيى عن أبيه مرسلا قال ابن عبد البر لم يختلف على مالك في إرسال هذا الحديث قال ولا يسند من وجه صحيح ثم خرجه من رواية عبد الملك بن معاذ النصيبي عن الدراوردي موصولا والدراوردي كان الإمام أحمد يضعف ما حدث به من حفظه ولا يعبأ به ولا شك في تقديم قول مالك على قوله وقال خالد بن سعد الأندلسي الحافظ رحمه الله لم يصح حديث لا ضرر ولا ضرار مسندا وأما ابن ماجه فخرجه من رواية فضيل بن سليمان ثنا موسى بن عقبة حدثني إسحق بن يحيى بن الوليد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى أن لا ضرر ولا ضرار وهذا من جملة صحيفة تروى بهذا الإسناد وهي منقطعة مأخوذة من كتاب قاله ابن المديني وأبو زرعة وأبو حاتم والدارقطني في موضع وقيل إسحق بن الوليد بن عبادة ولم يسمع من جده عبادة قاله الدارقطني أيضا وذكره ابن عدي في كتاب الضعفاء وقال عامة أحاديثه غير محفوظة وأبو عياش لا يعرف وخرجه ابن ماجه أيضا من وجه آخر من رواية جابر الجعفي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار وجابر الجعفي ضعفه الأكثرون وخرجه الدارقطني من رواية إبراهيم بن إسمعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة وإبراهيم ضعفه جماعة ورواية داود عن عكرمة مناكير وخرجه الدارقطني من حديث الواقدي ثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أبي الرجال عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار والواقدي متروك وشيخه مختلف في تضعيفه وخرجه الطبراني من وجهين ضعيفين أيضا عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها وخرجه الطبراني أيضا من رواية محمد بن سلمة عن ابن إسحق عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار في الإسلام وهذا إسناد مقارب وهو غريب لكن خرجه أبو داود في المراسيل من رواية عبد الرحمن بن مغراء عن ابن إسحق عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع مرسلا وهو أصح وخرجه الدارقطني من رواية أبي بكر بن عياش قال أراه عن ابن عطاء عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار ولا يمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبه على حائطه وهذا الإسناد فيه شك وابن عطاء هو يعقوب وهو ضعيف ورواه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار قال ابن عبد البر إسناده غير صحيح قلت كثير هذا يصحح حديثه الترمذي ويقول البخاري في بعض حديثه هو أصح حديث في الباب وحسن حديثه إبراهيم بن المنذر الحزامي وقال هو خير من مراسيل ابن المسيب وكذلك حسنه ابن أبي عاصم وترك حديثه آخرون منهم الإمام أحمد وغيره فهذا ما حضرنا من ذكر طرق هذا الباب وقد ذكر الشيخ رحمه الله أن بعض طرقه تقوى ببعض وهو كما قال وقد قال البيهقي في بعض أحاديث كثير بن عبد الله المزني إذا انضمت لهذا غيرها من الأحاديث التي فيها ضعف قويت وقال الشافعي في المرسل إنه إذا استند من وجه آخر أو أرسله من يأخذ العلم عن غير من يأخذ عنه المرسل الأول فإنه يقبل قال

وقال الجوزجاني



وقال الجوزجاني إذا كان الحديث المسند من رجل غير مقنع يعني لا يقنع برواياته وشد أركانه المراسيل بالطرق المقبولة عند ذوي الاختيار استعمل واكتفي به وهذا إذا لم يعارض بالمسند الذي هو أقوى منه وقد استدل أحمد بهذا الحديث وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار وقال أبو عمرو بن الصلاح هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه وقد تقبله جماهير أهل العلم واحتجوا به وقول أبي داود إنه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف والله أعلم وفي المعنى أيضا حديث أبي صرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه خرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب وخرج الترمذي بإسناد فيه ضعف عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به وقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار هذه الرواية الصحيحة ضرار بغير همزة وروي إضرار بالهمزة ووقع ذلك في بعض روايات ابن ماجه والدارقطني بل وفي بعض نسخ الموطا وقد أثبت بعضهم هذه الرواية وقال يقال ضر وأضر بمعنى وأنكرها آخرون وقالوا لا صحة لها واختلفوا هل بين اللفظتين أعني الضرر والضرار فرق أم لا فمنهم من قال هما بمعنى واحد على وجه التأكيد والمشهور أن بينهما فرقا ثم قيل إن الضرر الاسم والضرار الفعل فالمعنى أن الضرر نفسه منتف في الشرع وإدخال الضرر بغير حق كذلك وقيل الضرر أن يدخل على غيره ضررا بما ينتفع به هو والضرار أن يدخل على غيره ضررا بما لا منفعة له به كمن منع ما لا يضره ويتضرر به الممنوع ورجح هذا القول طائفة منهم ابن عبد البر وابن الصلاح وقيل الضرر أن يضر بمن لا يضره والضرار أن يضر بمن قد أضر به على وجه غير جائز وبكل حال فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما نفى الضرر والضرار بغير حق فأما إدخال الضرر على أحد بحق إما لكونه تعدى حدود الله فيعاقب بقدر جريمته أو كونه ظلم غيره فيطلب المظلوم مقابلته بالعدل فهذا غير مراد قطعا وإنما المراد إلحاق الضرر بغير حق وهذا على نوعين أحدهما أن لا يكون في ذلك غرض سوى الضرر بذلك الغير فهذا لا ريب في قبحه وتحريمه وقد ورد في القرآن النهي عن المضارة في مواضع منها في الوصية قال الله عز وجل من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المرفوع إن العبد ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضره الموت فيضار في الوصية فيدخل النار ثم تلا تلك حدود الله إلى قوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا وخرجه الترمذي وغيره بمعناه وقال ابن عباس رضي الله عنهما الإضرار في الوصية من الكبائر ثم تلا هذه الآية والإضرار في الوصية تارة يكون بأن يخص بعض الورثة بزيادة على ما فرض الله له فيتضرر بقية الورثة بتخصيصه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وتارة بأن يوصي لأجنبي بزيادة على الثلث فينقص حقوق الورثة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الثلث والثلث كثير ومتى وصى لوارث أو لأجنبي بزيادة على الثلث لم ينفذ ما وصى به إلا بإجازة الورثة وسواء قصد المضارة أو لم يقصد وأما إن قصد المضارة بالوصية لأجنبي بالثلث فإنه يأثم بقصده المضارة وهل ترد وصيته إذا ثبت ذلك بإقراره أم لا حكى ابن عطية رواية عن مالك أنها ترد وقيل إنه قياس مذهب أحمد ومنها الرجعة في النكاح قال الله تعالى فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه وقال تعالى وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا فدل ذلك على أن من كان قصده بالرجعة المضارة فإنه آثم في ذلك وهذا كما كانوا في أول الإسلام قبل حصر الطلاق في ثلاث يطلق الرجل امرأته ثم يتركها حتى تقارب انقضاء عدتها ثم يراجعها ثم يطلقها ويفعل ذلك أبدا بغير نهاية فيدع المرأة لا مطلقة ولا ممسكة فأبطل الله ذلك وحصر الطلاق في ثلاث مرات وذهب مالك إلى أن من راجع امرأته قبل انقضاء عدتها ثم طلقها من غير مسيس أنه إن قصد بذلك مضارتها بتطويل العدة لم تستأنف العدة وبنت على ما مضى وإن لم يقصد ذلك استأنفت عدة جديدة وقيل تبني مطلقا وهو قول عطاء وقتادة والشافعي في القديم وأحمد في رواية وقيل تستأنف مطلقا وهو قول الأكثرين منهم أبو قلابة والزهري والثوري وأبو حنيفة والشافعي في الجديد وأحمد في رواية وإسحق وأبو عبيد وغيرهم ومنها في الإيلاء فإن الله جعل مدة المؤلي أربعة أشهر إذا حلف الرجل على امتناع وطء زوجته

أو لأجنبي بزيادة

الوصي

فانه يضرب له مدة اربعة اشهر فان فاء ورجع الى الوطء كان ذلك توبة وان اصر على الامتناع لم يمكن من ذلك ثم فيه قولان للسلف
والخلف احدهما انها تطلق عليه بمضي هذه المدة والثاني انه يوقف فان فاء والا امر بالطلاق ولو ترك الوطء لقصد الاضرار
بغير يمين مدة اربعة اشهر فقال كثير من اصحابنا حكمه حكم المولي في ذلك وقالوا هو ظاهر كلام احمد كذا قال جماعة منهم انه اذا ترك الوطء
اربعة اشهر لغير عذر ثم طلبت الفرقة فرق بينهما بناء على ان الوطء عندنا في هذه المدة واجب واختلفوا هل يعتبر لذلك
قصد الاضرار ام لا يعتبر ومذهب مالك واصحابه اذا ترك الوطء من غير عذر فانه يفسخ نكاحه مع اختلافهم في تقدير المدة
ولو طال سفر الزوج من غير عذر وطلبت امرأته قدومه فابى فقال مالك واحمد واسحق يفرق الحاكم بينهما وقدره احمد بستة
اشهر واسحق بمضي سنتين ومنها في الرضاع قال تعالى لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده قال مجاهد في قوله تعالى لا
تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده قال لا يمنع امه ان ترضعه ليحزنها بذلك وقال عطاء وقتادة والزهري وسفيان
والسدي وغيرهم اذا رضيت بما رضي به غيرها فهي احق به وهذا هو المنصوص عن احمد ولو كانت الام في حبال الزوج وقيل
ان كانت في حبال الزوج فله منعها من ارضاعها الا ان لا يمكن ارتضاعه من غيرها وهو قول الشافعي وبعض اصحابنا
لكن انما يجوز ذلك اذا كان قصد الزوج به توفير الزوجة للاستمتاع لا مجرد ادخال الضرر عليها وقوله تعالى ولا مولود له بولده
يدخل فيه ان المطلقة اذا طلبت ارضاع ولدها باجرة مثلها لزم الاب اجابتها الى ذلك وسواء وجد غيرها او لم يوجد
هذا منصوص عن الامام احمد فان طلبت زيادة على اجرة مثلها زيادة كبيرة ووجد الاب من يرضعه باجرة المثل لم يلزم
الاب اجابتها الى ما طلبت لانها تقصد المضارة وقد نص عليه الامام احمد ايضا ومنها في البيع وقد ورد النهي عن
بيع المضطر خرجه ابو داود عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه خطب الناس فقال سيأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر
على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن بيع المضطر خرجه الاسماعيلي وزاد فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان عندك خير تعود به على اخيك والا فلا تزيدنه
هلاكا الى هلاكه وخرجه ابو يعلى الموصلي بمعناه من حديث حذيفة مرفوعا ايضا وقال عبد الله بن معقل بيع الضرورة ربا قال
حرب سئل احمد عن بيع المضطر فكرهه فقيل له كيف هو قال يجيئك وهو محتاج فتبيعه ما يساوي عشرة بعشرين وقال ابو طالب
قيل لاحمد ان ربح بالعشرة خمسة فكره ذلك وان كان المشتري مسترسلا لا يحسن ان يماكس فباعه بغبن كثير لم يجز ايضا قال احمد
الخلابة الخداع وهو ان يغبنه فيما لا يتغابن الناس في مثله يبيعه ما يساوي درهما بخمسة ومذهب مالك واحمد انه يثبت له الخيار
لذلك بالغبن ولو كان محتاجا الى نقد فلم يجد من يقرضه فاشترى سلعة بثمن الى اجل في ذمته ومقصوده بيع تلك السلعة ليأخذ
ثمنها فهذا فيه قولان للسلف ورخص احمد في رواية وقال في رواية اخشى ان يكون مضطرا فان باع السلعة من بايعها له
فاكثر السلف على تحريم ذلك وهو مذهب مالك وابي حنيفة واحمد وغيرهم

## ومن انواع الضرر في البيوع

التفريق بين الوالدة وولدها في البيع فان كان صغيرا حرم بالاتفاق وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من فرق
بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين احبته يوم القيامة فان رضيت الام بذلك ففي جوازه اختلاف ومسائل الضرر في
الاحكام كثيرة جدا وانما ذكرنا هذا على وجه المثال

## والنوع الثاني

ان يكون له غرض آخر صحيح مثل ان
يتصرف في ملكه بما فيه مصلحة له فيتعدى ذلك الى ضرر غيره او يمنع غيره من الانتفاع في ملكه توفيرا له فيتضرر الممنوع
فاما الاول وهو التصرف في ملكه بما يتعدى ضرره الى غيره فان كان على غير الوجه المعتاد مثل ان يؤجج في ارضه نارا
في يوم عاصف فيحترق ما يليه فانه متعد بذلك وعليه الضمان وان كان على الوجه المعتاد ففيه للعلماء قولان مشهوران احدهما
لا يمنع من ذلك وهو قول الشافعي وابي حنيفة وغيرهما والثاني المنع وهو قول احمد ووافقه مالك في بعض الصور فمن صور ذلك
ان يفتح كوة في بنائه العالي مشرفة على جاره او يبني بناء عاليا يشرف على جاره ولا يستره فانه يلزم بستره نص عليه احمد ووافقه
طائفة من اصحاب الشافعي قال الروياني منهم في كتاب الحلية يجتهد الحاكم في ذلك ويمنع اذا ظهر له التعنت وقصد

الفساد قال



الفساد قال وكذلك القول في اطالة البناء ومنع الشمس والقمر وخرج الخرائطي وابن عدي باسناد ضعيف عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده مرفوعا ومن حق الجار ان لا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ومنها ان يحفر بئرا بالقرب
من بئر جاره فيذهب ماؤها فانها تطم في ظاهر مذهب مالك واحمد وخرج ابو داود في المراسيل من حديث
ابي قلابة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضاروا في الحفر وذلك ان يحفر الرجل الى جنب الرجل ليذهب بمائه ومنها ان يحدث
بملكه ما يضر بملك جاره من هز او دق ونحوهما فانه يمنع منه في ظاهر مذهب احمد ومالك وهو احد الوجوه للشافعية
وكذا اذا كان يضر بالسكان كماله رائحة خبيثة ونحو ذلك ومنها ان يكون له ملك في ارض غيره ويتضرر صاحب الارض
بدخوله الى ارضه فانه يجبر على ازالته ليندفع به ضرر الدخول وخرج ابو داود في سننه من حديث ابي جعفر محمد بن علي
انه حدث عن سمرة بن جندب رضي الله عنه انه كانت له عضد من نخل في حائط رجل من الانصار ومع الرجل اهله فكان
سمرة يدخل الى نخله فيتاذى به ويشق عليه فطلب اليه ان يناقله فابى فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فطلب اليه النبي
صلى الله عليه وسلم ان يبيعه فابى فطلب اليه ان يناقله فابى قال فهبه له ولك كذا وكذا امرا رغبه فيه فابى فقال انت
مضار فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فاقلع نخله وقد روي عن ابي جعفر مرسلا قال احمد في رواية حنبل بعد ان ذكر له
هذا الحديث كل ما كان على هذه الجهة وفيه ضرر يمنع من ذلك فان اجاب والا اجبره السلطان ولا يضر باخيه في ذلك فيه
مرفق له وخرج ابو بكر الخلال من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل عن عبد الله بن سليط بن قيس عن ابيه ان رجلا من الانصار
كانت في حائطه نخلة لرجل آخر فكان صاحب النخلة لا يرمها غدوة وعشية فشق ذلك على صاحب الحائط فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب النخلة خذ منه نخلة مما يلي الحائط مكان نخلتك قال لا والله قال
فخذ مني ثنتين قال لا والله قال فهبها لي قال لا والله قال فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يعطيه نخلة مكان نخلته وخرج ابو داود في المراسيل من رواية ابن اسحق عن محمد بن يحيى بن حبان قال كانت لابي لبابة
عذق في حائط رجل فكلمه فقال انك تطأ حائطي الى عذقك فانا اعطيك مثله في حائطك واخرجه عني فابى عليه فكلم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا لبابة خذ مثل عذقك فحزها الى مالك واكفف عن صاحبك ما يكره فقال ما انا بفاعل
فقال اذهب فاخرج له مثل عذقه الى حائطه ثم اضرب فوق ذلك بجدار فانه لا ضرر في الاسلام ولا ضرار ففي هذا الحديث والذي
قبله اجباره على المعاوضة حيث كان على شريكه او جاره ضرر في شركه وهذا مثل ايجاب الشفعة لدفع ضرر الشريك
الطارئ ويستدل بذلك ايضا على وجوب العمارة على الشريك الممتنع من العمارة وعلى ايجاب البيع اذا تعذرت القسمة
وقد ورد من حديث محمد بن ابي بكر عن ابيه مرفوعا لا تعضية في الميراث الا ما احتمل القسم وابو بكر هو ابن عمرو بن
حزم قال احمد فالحديث حسن مرسل والتعضية هي القسمة وحيث تعذرت القسمة لكون المقسوم يتضرر بقسمته وطلب احد
الشريكين البيع اجبر الآخر وقسم الثمن نص عليه الامام احمد وابو عبيد وغيرهما من الائمة واما الثاني وهو منع
الجار من الانتفاع بملكه والارتفاق به فان كان ذلك يضر بمن انتفع بملكه فله المنع كمن له جدار واهن لا يحتمل ان يطرح
عليه الخشب واما ان لم يضر به فهل يجب عليه التمكين ويحرم عليه الامتناع ام لا فمن قال في القسم الاول لا يمنع المالك من
التصرف وان اضر بجاره قال هنا للجار المنع من التصرف في ملكه بغير اذنه ومن قال هناك بالمنع فاختلفوا هاهنا
على قولين احدهما المنع هاهنا وهو قول مالك والثاني انه لا يجوز المنع وهو مذهب احمد في طرح الخشب على جدار جاره ووافقه
الشافعي في القديم واسحق وابو ثور وداود وابن المنذر وعبد الملك بن حبيب المالكي وحكاه مالك عن بعض قضاة
المدينة وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يمنعن احدكم جاره ان يغرز خشبة على جداره
قال ابو هريرة ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم وقضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه على محمد بن مسلمة ان يجري
ماء جاره في ارضه وقال لتمرن به ولو على بطنك وفي الاجبار على ذلك روايتان عن الامام احمد ومذهب ابي ثور الاجبار على
اجراء الماء في ارض جاره اذا اجراه في قنى في باطن ارضه نقله عنه حرب الكرماني ومما يدخل في عموم منعه للضرر منع الماء والكلأ وفي الصحيحين
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ وفي سنن ابي داود ان رجلا قال يا نبي الله
ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الملح قال ما الشيء الذي لا يحل منعه قال ان تفعل الخير خير لك وفيه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس

شركا في ثلاثة الما والنار والكلا وذهب اكثر العلما الى انه لا يمنع الما الجاري والنابع مطلقا سوا قيل ان الما يملك
او لم يملك رضي ... لا وهذا قول ابي حنيفة والشافعي واحمد واسحق وابو عبيد وغيرهم والمنصوص عن احمد وجوب بذله مجانا بغير
عوض للشرب وسقي البهايم وسقي الزرع ومذهب ابي حنيفة والشافعي لا يجب بذله للزرع واختلفوا هل يجب بذله
مطلقا او اذا كان بقرب الكلا وكان منعه مفضيا الى منع الكلا على قولين لاصحابنا واصحاب الشافعي وفي كلام الامام احمد
ما يدل على اختصاص المنع من القرب من الكلا واما الكلا فلا يجب عنده بذل فضل الما المملوك على ... منبعه ومجاره الا
للمضطر كالمجاز في الاوعية وانما يجب عنده بذل فضل الما الذي لا يملك وعند الشافعي حكم الكلا كذلك يجوز منع فضله
الا في ارض الموات ومذهب ابي حنيفة واحمد وابو عبيد انه لا يمنع فضل الكلا مطلقا ومنهم من قال لا يمنع احد الما والكلا
الا اهل الثغور خاصة وهو قول الاوزاعي لان اهل الثغور اذا ذهب ماوهم وكلاوهم لم يقدروا ان يتحولوا الى مكانهم
من مكانهم من ورا بيضة الاسلام واهله واما النهي عن منع النار فحمله طايفة من الفقها على النهي من الاقتباس منها
دون اعيان الجمر ومنهم من حمله على منع الحجارة الموريه للنار وهو بعيد ولو حمل على الاستضاءة بالنار وبذل ما فضل عن حاجة
صاحبها لها لمن يستدفي بها او ينضج عليها طعاما ونحوه لم يبعد واما الملح فلعله يحمل على منع اخذه من المعادن
المباحه فان الملح من المعادن الظاهرة لا يملك بالاحيا ولا بالاقطاع نص عليه احمد وفي سنن ابي داود ان النبي صلى
الله عليه وسلم اقطع رجلا الملح فقيل له يا رسول الله انه بمنزلة الما العد اي النابع فانتزعه منه ومما يدخل في
عموم قوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ان الله سبحانه وتعالى لم يكلف عباده فعل ما يضرهم البتة فان ما يامرهم به هو عين الصلاح
لدينهم ودنياهم وما نهاهم عنه هو عين افسادهم في دينهم ودنياهم لكنه لم يامر عباده بشي هو ضار لهم في ابدانهم ايضا
ولهذا اسقط الطهارة بالما عن المريض وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج واسقط الصيام عن المريض والمسافر
وقال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر واسقط اجتناب محظورات الاحرام كالحلق ونحوه عمن كان مريضا
او به اذى من راسه وامر بالفدية وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاديان احب الى الله قال
الحنيفية السمحة ومن حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني ارسلت بحنيفية سمحة ومن هذا المعنى ما في الصحيحين
عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى رجلا يمشي فسال عنه فقالوا انه نذر ان يحج ماشيا فقال ان الله لغني عن مشيه فليركب
وفي رواية ان الله لغني عن تعذيب هذا نفسه وفي السنن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان اخته نذرت ان تحج ماشية
البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ان الله لا يصنع ...] شيئا فلتركب وقد اختلف العلما رضي الله عنهم في حكم من نذر ان يحج
ماشيا فمنهم من قال لا يلزمه المشي وله الركوب بكل حال وهو رواية عن الاوزاعي واحمد وقال احمد يصوم ثلاثة ايام وقال
الاوزاعي عليه كفارة يمين والمشهور انه يلزمه ذلك ان اطاقه وان عجز عنه فقيل يركب عند العجز ولا شي عليه وهو
احد قولي الشافعي وقيل بل عليه مع ذلك كفارة يمين وهو قول الثوري واحمد في رواية وقيل بل عليه دم قال طايفة
من السلف منهم عطا ومجاهد والحسن والليث واحمد في رواية وقيل يتصدق بكرا ما ركب وروي عن الاوزاعي وحكاه عن
عطا وروي عن عطا يتصدق بقدر نفقته عند البيت وقالت طايفة من الصحابة لا يجزيه الركوب بل يحج من قابل
فيمشي ما ركب ويركب ما مشى وزاد بعضهم وعليه هدي وهو قول مالك اذا كان ما ركبه كثيرا ومما يدخل تحت عمومه ايضا
ان من عليه دين لا يطالب به مع اعساره بل ينظر الى حال يساره قال تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وهو
قول جمهور العلما خلافا لشريح في قوله ان الاية مختصة بديون الربا في الجاهلية والجمهور اخذوا باللفظ العام ولا
يكلف المدين بان يقضي ما عليه من خرج من ملكه كثيابه ومسكنه المحتاج اليه وخادمه كذلك ولا يحتاج الى التجارة لنفقته
ونفقة عياله هذا مذهب الامام احمد رحمه الله تعالى

## الحديث الثالث والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال اموال قوم ودماهم ولكن البينة على المدعي واليمين على من انكر حديث
حسن رواه البيهقي وغيره هكذا وبعضه في الصحيحين اصل هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من حديث ابن جريج
عن ابن ابي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دما رجال واموالهم
ولكن اليمين على المدعى عليه وخرجاه ايضا من رواية عمرو ونافع بن عمر الجمحي عن ابن ابي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
النبي صلى الله عليه وسلم قضى ان اليمين على المدعى عليه واللفظ الذي ساقه الشيخ ساقه ابن الصلاح في الاحاديث الكليات
وقال رواه البيهقي باسناد حسن وخرج الاسماعيلي في صحيحه من رواية الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج عن ابن ابي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما

ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو يعطى الناس



ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دما رجال واموالهم ولكن البينة على الطالب
واليمين على المطلوب وروى الشافعي اخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البينة على المدعي قال الشافعي واحسبه ولا اثبته انه قال واليمين على
المدعى عليه وروى محمد بن عمر بن لبابة الفقيه الاندلسي عن عثمان بن ايوب الاندلسي ووصفه بالفضل عن غازي
بن ابي مليكة عن ابن عباس مرفوعا فذكر هذا الحديث وقال لكن البينة على من ادعى واليمين على من انكر وغازي بن
قيس اندلسي صالح كبير سمع من مالك وابن جريج وطبقتهما وسقط من هذا الاسناد ابن جريج وقد استدل
الامام احمد وابو عبيد بان النبي صلى الله عليه وسلم قال البينة على المدعي واليمين على من انكر وهذا يدل على ان هذا
اللفظ عندهما صحيح محتج به وفي المعنى احاديث كثيرة ففي الصحيحين عن الاشعث بن قيس رضي الله عنه قال
كان بيني وبين رجل خصومة في بير فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك
او يمينه قلت اذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر
لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ثم قرا هذه الاية ان الذين يشترون [بعهد الله] وايمانهم ثمنا قليلا الاية
وفي رواية لمسلم فقلت انه اذا يحلف قال ليس لك الا ذلك وخرج ايضا مسلم معناه من حديث وايل بن حجر عن
النبي صلى الله عليه وسلم وخرج الترمذي من حديث العرزمي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته
البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وقال في اسناده مقال والعرزمي يضعف في الحديث من قبل حفظه
وخرج الدارقطني من رواية مسلم بن خالد الزنجي وفيه ضعف عن ابن جريج عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال البينة على من ادعى واليمين على من انكر الا في القسامة ورواه الحافظ عن ابن جريج عن عمرو بن شعيب
مرسلا وخرج ايضا من رواية مجاهد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في خطبته يوم الفتح المدعى عليه
اولى باليمين الا ان تقوم بينة وخرجه الطبراني وعنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وفي اسناده
كلام وخرج الدارقطني من وجوه متعددة ضعيفة وروى حجاج الصواف عن حميد بن هلال عن زيد بن
ثابت قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل طلب عند رجل طلبة فان المطلوب هو اولى باليمين وخرجه
ابو عبيد واسناده ثقات الا ان حميد بن هلال ما اظنه لقي زيد بن ثابت وخرجه الدارقطني وزاد فيه بغير شهدا
وخرج النسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال جا خصمان الى النبي صلى الله عليه وسلم فادعى احدهما على الاخر
حقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمدعي اقم بينتك فقال يا رسول الله ما لي بينة فقال للاخر احلف بالله الذي لا اله الا
هو ما له عليك او عندك شي وروي ... عن عمر رضي الله عنه انه كتب الى ابي موسى رضي الله عنه ان البينة على المدعي واليمين
على من انكر وقضى بذلك زيد بن ثابت على عمر لابي بن كعب رضي الله عنه ولم ينكره وقال قتادة فصل الخطاب الذي
اوتيه داود عليه السلام هو ان البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه قال ... معنى قوله البينة على المدعي يعني
يستحق بها ما ادعى لانها واجبة يوخذ بها ومعنى قوله اليمين على المدعى عليه اي يبرا بها لانها واجبة عليه يوخذ بها
على كل حال انتهى وقد اختلف الفقها من اصحابنا والشافعية في تفسير المدعي والمدعى عليه فمنهم من قال المدعي هو
الذي يخلى وسكوته من الخصمين والمدعى عليه من لا يخلى وسكوته منهما ومنهم من قال المدعي من يطلب امرا خفيا على خلاف
الاصل او الظاهر والمدعى عليه بخلافه وبنوا على ذلك مسلة وهي اذا اسلم الزوجان الكافران قبل الدخول ثم اختلفا
فقال الزوج اسلمنا معا فنكاحنا باق وقالت الزوجة بل سبق احدنا الى الاسلام فالنكاح منفسخ فان قلنا المدعي
من يخلى وسكوته فالمراة هي المدعية فيكون القول قول الزوج لانه مدعى عليه اذ لا يخلى وسكوته وان قلنا ان المدعي
من يدعي امرا خفيا فالمدعي هنا الزوج اذ التقارن في الاسلام خلاف الظاهر فالقول قول المراة لان الظاهر
معها واما الامين اذا ادعى تلف الوديعة فقد قيل انه مدعي لان الاصل يخالف ما ادعاه وانما لم يحتج الى بينة

المدعي

لان المودع ائتمنه والاجنبي بخلافه يقتضي قبول قوله وقيل ان المدعي الذي يحتاج الى بينة هو المدعي ليعطي
بدعواه مال قوم او دماءهم كما ذكر ذلك في الحديث فاما الامين فلا يدعي ليعطي شيا وقيل بل هو مدعى عليه لانه
اذا سكت لم يترك بل لا بد له من رد الجواب والمودع ممنوع لانه اذا سكت ترك ترك ولو ادعى الامين رد الامانة
الى من ائتمنه فالاكثرون على ان قوله مقبول ايضا كدعوى التلف وقال الاوزاعي لا يقبل قوله لانه مدع وقال مالك
واحمد في رواية ان ثبت قبضه للامانة ببينة لم يقبل قوله في الرد بدون البينة ووجه بعض اصحابنا ذلك بان
الاشهاد على دفع الحقوق الثابتة بالبينة واجب فيكون تركه تفريطا فيجب به الضمان وكذلك قال طايفة منهم
في دفع مال اليتيم اليه لا بد له من بينة لان الله تعالى امر بالاشهاد عليه فيكون واجبا وقد اختلف الفقها
في هذا الباب على قولين احدهما ان البينة على المدعي ابدا واليمين على المدعى عليه وهو قول ابي حنيفة ووا
فقه طايفة من الفقها والمحدثين منهم البخاري وطردوا ذلك في كل دعوى حتى في القسامة وقالوا لا يحلف الا المدعى
عليه ولا انه لا يقضى بشاهد ويمين لان اليمين لا تكون الا على المدعى عليه واردوا اليمين لا ترد على المدعي لانها
لا تكون الا في جانب المنكر المدعى عليه واستدلوا في مسالة القسامة بما روى عن سعيد بن عبيد ثنا بشير الانصاري
عن سهل بن ابي حثمة انه اخبره ان نفرا منهم انطلقوا الى خيبر فتفرقوا فيها فوجدوا احدهم قتيلا فذكر الحديث
وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم تاتوني بالبينة على من قتله قالوا ما لنا بينة قال فيحلفون قالوا لا نرضى بايمان
اليهود فكره النبي صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه مائة من ابل الصدقة وخرجه البخاري وخرجه
مسلم مختصرا ولم يتمه ولكن هذه الرواية تعارض رواية يحيى بن سعيد الانصاري عن بشير بن يسار عن
سهل بن ابي حثمة فذكر قصة القتيل وقال فيه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمقتل عبد الله بن سهل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وهذه هي الرواية المشهورة الثابتة المخرجة
بلفظها في الصحيحين وقد ذكر الايمة الحفاظ ان رواية يحيى بن سعيد اصح من رواية سعيد بن عبيد الطائي
فانه اجل واحفظ واعلم وهو من اهل المدينة وهم اعلم بحديثهم من الكوفيين وقد ذكر الامام احمد مخالفة سعيد
بن عبيد ليحيى بن سعيد في هذا الحديث فنفض يده وقال ذاك ليس بشيء رواه على ما يقولون الكوفيون وقال
اذهب الى حديث المدنيين يحيى بن سعيد وقال النسائي لا نعلم احدا تابع سعيد بن عبيد على روايته عن بشير بن
يسار وقال مسلم في كتاب التمييز لم يحفظ سعيد على وجهه لان جميع الاخبار فيها سوال النبي صلى الله عليه وسلم
اياهم قسامة خمسين يمينا وليس في شيء من اخبارهم ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم البينة وترك سعيد القسامة
وتواطؤ الاخبار بخلافه يقضي عليه بالغلط وقد خالفه يحيى بن سعيد وقال ابن عبد البر في رواية يحيى وسعيد
بن عبيد هذه رواية اهل العراق عن بشير بن يسار ورواية اهل المدينة عنه اثبت وهم به اقعد ونقلهم اصح
عند اهل العلم قلت وسعيد بن عبيد اختصر قصة القسامة وهي محفوظة في الحديث وخرج النسائي
من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم طلب من ولي القتيل شاهدين على من قتله
فقال ومن اين اصيب شاهدين قال فتحلف خمسين قسامة قال كيف احلف على ما لم اعلم قال فتستحلف منهم خمسين
قسامة وهذا الحديث يجمع بين رواية سعيد بن عبيد ويحيى بن سعيد ويكون كل منهما ترك بعض القصة فترك
سعيد ذكر القسامة المدعين وترك يحيى ذكر البينة قبل طلب القسامة والله اعلم واما مسالة الشاهد مع
اليمين فاستدل من انكر الحكم بالشاهد واليمين بحديث شاهداك او يمينه وقوله صلى الله عليه وسلم ليس لك الا ذلك
وقد تكلم القاضي اسماعيل المالكي في هذه اللفظة وقال تفرد بها منصور عن ابي وائل وخالفه ساير الرواة وقالوا انه

للاية الكريمة



الكريمة اولا والبينة لا تنحصر في الشاهدين فقط بل تعم ساير ما يبين الحق وقال غيره يحتمل ان يريد بشاهديك
نوعين ليشهدا ان للمدعي بصحة دعواه يتبين بهما الحق فيدخل في ذلك شهادة الرجلين وشهادة الرجل مع
المراتين وشهادة الواحد مع اليمين وقد اقام الله سبحانه ايمان المدعي مقام الشهود في اللعان وقوله في
تمام الحديث ليس لك الا ذلك لم يرد به النفي العام بل النفي الخاص وهو الذي اراده المدعي وهو ان يقبل
قوله بغير بينة تمنعه من ذلك وابى ذلك عليه وكذلك قوله في الحديث الاخر ولكن اليمين على المدعى عليه انما اريد
بها اليمين المجردة عن الشهادة والحديث يدل على ذلك وهو قوله لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دما
رجال واموالهم فدل على ان قوله اليمين على المدعى عليه انما هي اليمين القاطعة للمنازعة مع عدم البينة و
اما اليمين المثبتة للحق مع وجود الشهادة فهذا نوع اخر وقد ثبت بسنة اخرى واما رد اليمين على المدعي
المشهور عن احمد موافقة ابي حنيفة وانها لا ترد واستدل الامام احمد بحديث اليمين على المدعى عليه وقال في رواية
ابي طالب عنه ما هو ببعيد ان يقال له تحلف وتستحق واختار ذلك من متاخري الاصحاب وهو قول مالك والشا
فعي وابي عبيد وروي عن طائفة من الصحابة وقد ورد فيه حديث مرفوع خرجه الدارقطني وفي اسناده نظر قال ابو عبيد
ليس هذا ازالة لليمين عن موضعها فان الازالة ان لا يقضى باليمين على المطلوب فاما اذا قضى بها عليه فرضي بيمين صاحبه كان
هو الحاكم على نفسه بذلك لانه لو شاء لحلف وبرئ ويبطل عنه دعواه والقول الثاني في المسالة انه يرجح جانب
اقوى المتداعيين ويجعل اليمين في جانبه هذا مذهب مالك وكذا ذكر القاضي ابو يعلى في خلافه انه مذهب احمد
وعلى هذا تتوجه المسايل التي تقدم ذكرها من الحكم بالقسامة والشاهد واليمين فان جانب المدعي في القسامة
لما قوي باللوث جعلت اليمين في جانبه وحكم له بها وكذلك المدعي اذا اقام شاهدا فانه قوي جانبه فحلف
معه وقضي له وهولاء لهم في الجواب عن قوله البينة طريقان احدهما ان هذا اخص من هذا العموم بالدليل
والثاني ان قوله البينة على المدعي ليس بعام لان المراد المدعي المعهود وهو من لا حجة له سوى الدعوى كما
في قوله لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دما رجال واموالهم فاما المدعي الذي له حجة تقوي دعواه فليس
داخلا في هذا الحديث وطريق ثالث وهو ان البينة كل ما بين صحة دعوى المدعي ويشهد بصدقه فاللوث
مع القسامة بينة والشاهد مع اليمين بينة وطريق رابع سلكه بعضهم وهو الطعن في صحة هذه
اللفظة اعني قوله البينة على المدعي وقالوا انما الثابت هو قوله اليمين على المدعى عليه وقوله لو يعطى الناس
بدعواهم لادعى قوم دما قوم واموالهم يدل على ان مدعي الدم والمال لا بد له من بينة تدل على ما ادعاه ويدخل في
عموم ذلك ان من ادعى على رجل انه قتل مورثه وليس معه الا قول المقتول عند موته جرحني فلان انه لا يكتفى
بذلك ولا يكون بمجرده لوثا وهذا قول الجمهور خلافا للمالكية فانهم جعلوه لوثا يقسم معه الاولياء ويستحقون الدم
ويدخل في عمومه ايضا من قذف زوجته ولاعنها فانه لا يباح دمها بمجرد لعانه وهذا قول الاكثرين خلافا
للشافعي واختاره قول الجوزجاني لقوله عز وجل ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذ بين
والاولون منهم من حمل العذاب على الحبس وقالوا ان لم تلاعن حبست حتى تقر او تلاعن ويدخل فيه ما لو ادعت امراة
على رجل انه استكرهها على الزنا فالجمهور على انه لا يثبت بدعواها عليه شيء وقال اشهب من المالكية لها الصداق
بيمينها وقال غيره منهم لها الصداق بغير يمين هذا كله اذا كانت ذات قدر وادعت ذلك على متهم تليق به الد
عوى فان كان المرمي بذلك من اهل الصلاح ففي حدها للقذف عن مالك روايتان وقد كان شريح واياس بن
معاوية يحكمان في الاموال المتنازع فيها بمجرد القراين الدالة على صدق احد المتداعيين وقضى شريح في اولاد هرة
قد تداعاها امراتان كل منهما تقول هي ولد هرتي قال شريح القها مع هذه فان هي قرت ودرت واسبطرت فهي لها

وان هو قرت وفرت دار دارت فلبسها قال ابن قتيبة قوله استطارت فيه لها يريد امتدت للارضاع وارتابت
اقشعرت وتنفست وكان يقضي بنحو ذلك ابو بكر الشامي من الشافعية ورجح قوله ابن عقيل من اصحابنا وقد روي
عن الشافعي واحمد استحسان قول القافة في سرقة الاموال والاخذ بذلك ونقل ابن منصور عن احمد اذا قال
صاحب الزرع افسدت غنمك زرعي بالليل ينظر بالاثر فان لم يكن اثر غنمه في الزرع لا بد لصاحب الزرع ان يجي
ببينة قال اسحق بن راهويه كما قال احمد لانه مدع وهذا يدل على اتفاقهما على الاكتفا برؤية اثر الغنم وان
البينة انما تطلب عند عدم الاثر وقوله واليمين على المدعا عليه يدل على ان كل من ادعى عليه دعوى فانكر فان عليه
اليمين وهذا قول اكثر الفقها وقال مالك انما تجب اليمين على المنكر اذا كان بين المتداعيين نوع مخالطة خوفا من
ان يبتذل السفها الروسا بطلب ايمانهم وعنده لو ادعى على رجل انه غصبه او سرق منه ولم يكن المدعا عليه متهما
بذلك لم يستحلف المدعى عليه وحكى اصحابه عن القاسم بن محمد وحميد بن عبد الرحمن وحكاه بعضهم عن فقها المدينة السبع
فان كان من اهل الفضل او ممن لا يشار اليه بذلك ادب المدعى عند مالك ويستدل بقوله اليمين على المدعى عليه على ان
المدعي لا يمين عليه وانما عليه البينة وهو قول الاكثرين وروي عن علي رضي الله عنه انه احلف المدعى مع بينته ان شهوده
شهدوا بحق وفعله ايضا شريح وعبد الله بن عتبة بن مسعود وابن ابي ليلى وسوار العنبري وعبيد الله بن الحسن
ومحمد بن عبد الله الانصاري وروي عن النخعي ايضا وقال اسحق اذا استراب وجب ذلك وسال مهنا الامام
احمد عن هذه المسلة فقال احمد قد فعله علي فقال ايستقيم هذا فقال بل فعله علي فاثبت القاضي هذه رواية
عن احمد لكنه حملها على الدعوى على الغايب والصبي وهذا لا يصح لكن عليا رضي الله عنه انما احلف المدعى مع بينته
على الحاضر بعد وهولاء يقولون هذه اليمين لتقوية الدعوى اذا ضعفت باسترابة الشهود وكان اليمين
مع الشاهد الواحد وكان بعض المتقدمين يحلف الشهود اذا استرابهم ايضا ومنهم من سوار بن عبد الله العنبري
قاضي البصرة وجوز ذلك القاضي ابو يعلى من اصحابنا لوالي المظالم دون القضاة وقد قال ابن عباس رضي الله
عنهما في المراة الشاهدة على الرضاع انها تستحلف وخالفه الامام احمد وقد دل القران على استحلاف الشهود
عند الارتياب بشهادتهم بالوصية في السفر في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين
الوصية اثنان ذوا عدل منكم الى قوله فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله
انا اذا لمن الاثمين وهذه الاية لم ينسخ العمل بها عند جمهور السلف وقد عمل بها ابو موسى الاشعري وابن مسعود
وافتى بها علي وابن عباس رضي الله عنهم وذهب شريح والنخعي وابن ابي ليلى وسفيان والاوزاعي واحمد وابو عبيد وغيرهم
قالوا تقبل شهادة الكفار في وصية المسلمين في السفر ويستحلفان مع شهادتهما وهل يمينهما من باب تكميل
الشهادة وللحكم بشهادتهما وان اليمين اولى من باب استظهارهما عند الريبة هذا محتمل واصحابنا جعلوها شرطا
وهو ظاهر ما روي عن ابي موسى رضي الله عنه وغيره وقد ذهب طايفة من السلف الى ان اليمين مع الشاهد الواحد هو
من باب الاستظهار فان راى الحاكم الاكتفا بالشاهد الواحد لبروز عدالته وظهور صدقه اكتفى بشهادته دون
يمين وقوله تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما يدل على انه اذا ظهر خلل في الشهادة للكفار حلف اوليا الميت على خيانتهما وكذبهما
واستحقوا ما حلفوا عليه وهذا قول مجاهد وغيره من السلف ووجه ذلك ان اليمين في جانب المتداعيين يحلفون
مع اللوث ويستحقون كما تحلف الاوليا في القسامة مع اللوث ويستحقون بذلك الدم والدم ايضا عند مالك
واحمد وغيرهما وقضى ابن مسعود في رجل سافر فحضره الموت فاوصى الى رجلين من المسلمين معه وسلمهما ما معه من
المال واشهد على وصيته كفارا ثم قدم الموصيان فدفعا بعض المال الى الورثة وكتما بعضه ثم قدم الكفار
فشهدوا عليهم بالكتان من المال فدعا الوصيين المسلمين فاستحلفهما ما دفع اليكما اكثر مما دفعتماه ثم دعا الكفار

فشهدوا وحلفوا



فشهدوا وحلفوا على شهادتهم ثم امر اوليا الميت ان يحلفوا انما شهدت اليهود والنصارى حق فحلفوا فقضى
على الوصيين بما حلفوا عليه وكان ذلك في خلافة عثمان وتاول ابن مسعود الاية على ذلك فكانت قابل بين الاوصيا و
الشهود الكفار فاسقطها وبقي مع الورثة شهادة الكفار فحلفوا معها واستحقوا لان جانبهم ترجح بشهادة الكفار
لهم فجعل اليمين مع اقوى المتداعيين وقضى بها واختلف الفقها هل يستحلف في جميع حقوق الادميين كقول
الشافعي ورواية عن احمد او لا يستحلف الا فيما يصح بذله كما هو المشهور عن احمد او لا يستحلف الا في دعوى تحتاج
الى شاهدين كما حكي عن مالك واما حقوق الله عز وجل فمن العلما من قال لا يستحلف فيها بحال وهو قول اصحابنا
وغيرهم وقال ابو حنيفة ومالك والليث والشافعي اذا اتهم فانه يستحلف وكذا حكي عن الشافعي فيمن تزوج من لا
تحل له ثم ادعى الجهل انه يحلف على دعواه وكذا قال اسحق في طلاق السكران انه يحلف انه ما كان يعقل وفي طلا
ق الناسي انه يحلف على نسيانه وكذا قال القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله في رجل قال لامراته انت طالق وحلف
انه ما اراد به الثلاث وترد اليه وخرج الطبراني من رواية ابي هارون العبدي عن ابي سعيد الخدري قال كان اناس
من الاعراب ياتون بلحم فكان في انفسنا منه شي فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجهدوا ايمانهم انهم ذبحوها
ثم ذكروا اسم الله عليها وكلوها وابو هارون ضعيف جدا واما المؤتمن في حقوق الادميين حيث قبل قوله فهل عليه
يمين ام لا فيه ثلاثة اقوال للعلما احدها لا يمين عليه لانه صدقه بائتمانه ولا يمين مع التصديق وبالقياس على
الحاكم وهذا قول الحارث العكلي والثاني عليه اليمين لانه منكر فيدخل في عموم قوله واليمين على من انكر وهو قول
شريح وابي حنيفة والشافعي ومالك في رواية واكثر اصحابنا والثالث لا يمين عليه الا ان يتهم وهذا نص احمد وقول
مالك في رواية لما تقدم من ائتمانه واما اذا قامت قرينة تنافي حال الائتمان فقد اختل معنى الائتمان وقوله
البينة على المدعي واليمين على من انكر انما اريد به اذا ادعى على رجل ما يدعيه لنفسه وينكر انه لمن ادعاه عليه ولهذا قال في
اول الحديث لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دما قوم واموالهم لكن البينة على المدعي فاما من ادعى ما ليس له مدع لنفسه
منكر لدعواه فهذا اسهل من الاول ولابد للمدعي هنا من بينة ولكن يكتفى من البينة هنا بما لا يكتفى بها في الدعوى على المدعى
لنفسه المنكر ويشهد لذلك مسايل منها اللقطة اذا جا من وصفها فانها تدفع اليه من غير بينة بالاتفاق لكن منهم من يقول يجوز
الدفع اذا غلب على الظن صدقه ولا يجب كقول الشافعي وابي حنيفة ومنهم من يقول يجب دفعها بذكر الوصف المطابق
كقول مالك واحمد ومنها الغنيمة اذا جا من يدعي منها شيا وانه كان له واستولى عليه الكفار واقام بينة على ذلك انه له
اكتفي بدون ما يكون ذلك كما احمد وقيل له فيريد على ذلك بينة فقال لا بد من بيان يدل على انه له وان علم ذلك دفع اليه الامر
وروى الخلال باسناده عن الركين بن الربيع عن ابيه قال حسر لابي فرسين بعين التمر فراهما في مربط سعد فقال فرسي فقال
سعد الك بينة قال لا ولكن ادعوه فيحمحم فدعاه فحمحم فاعطاه اياه وهذا يحتمل انه كان لحق بالعدو ثم ظهر عليه
المسلمون ويحتمل انه عرف انه ضال فوضع بين الدواب الضالة فيكون كاللقطة ومنها المغصوب اذا علم ظلم الولاة
وطلب ردها من بيت المال قال ابو الزناد كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم الى اهلها بغير البينة القاطعة كان
يكتفي باليسير اذا عرف وجه مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشم الولاة قبله على الناس
ولقد انفد بيت مال العراق في رد المظالم حتى حمل اليها من الشام وذكر اصحابنا ان الاموال المغصوبة مع قطاع الطريق
واللصوص يكتفى من مدعيها بالصفة كاللقطة ذكره القاضي في خلافه وانه ظاهر كلام احمد

## الحديث الرابع والثلاثون

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم
يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان رواه مسلم هذا الحديث خرجه مسلم من رواية قيس بن مسلم عن طارق بن
شهاب عن ابي سعيد ومن رواية اسمعيل بن رجا عن ابيه عن ابي سعيد وعنده في حديث طارق قال اول من بدا بالخطبة يوم العيد
قبل الصلاة مروان فقام اليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه
ثم روى هذا الحديث وقد روي معناه من وجوه اخر فخرج مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي بعثه الله في امة قبلي

الا كان له حواريون من امته واصحاب ياخذون بسنته ويقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون
ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن
وليس وراء ذلك حبة خردل من ايمان وروى المرادي عن عمرو بن الحارث عن جابر بن زيد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
سيصيب امتي في اخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لا ينجو منه الا رجل عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه ويده وقلبه فذلك الذي سبقت له السوابق
ورجل عرف دين الله فصدق به والاول عليه سابقة ورجل عرف دين الله فسكت فان راى من يعمل الخير احبه عليه وان راى من يعمل بباطل
ابغضه عليه فذلك الذي ينجو على ابطانه كله وهذا غريب واسناده منقطع وخرج الاسماعيلي من حديث ابي هارون العبدي
وهو ضعيف جدا عن مولى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال توشك هذه الامة ان تهلك الا ثلاثة نفر رجل انكر بلسانه
وبيده وبقلبه فان جبن بيده فبلسانه وقلبه فان جبن بلسانه وبيده فبقلبه وخرج ايضا من رواية الاوزاعي عن عمير بن هانئ
عن علي رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول سيكون بعدي فتن لا يستطيع المؤمن ان يغير فيها بيد ولا بلسان قلت يا رسول الله كيف
ذلك قال ينكرونه بقلوبهم قلت يا رسول الله وهل ينقص ذلك ايمانهم شيئا قال لا الا كما ينقص القطر من الصفا وهذا الاسناد
منقطع وخرج الطبراني معناه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد ضعيف فدلت هذه الاحاديث
كلها على وجوب انكار المنكر بحسب القدرة عليه وان انكاره بالقلب لا بد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الايمان من قلبه وقد
روي عن ابي جحيفة قال قال علي رضي الله عنه ان اول ما تغلبون عليه الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فمن لم يعرف
قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله وسمع ابن مسعود رضي الله عنه رجلا يقول هلك من لم يامر بالمعروف ولم ينه عن
المنكر فقال ابن مسعود هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر يشير الى ان معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن احد فمن لم
يعرفه هلك واما الانكار باللسان واليد فانما يجب بحسب الطاقة وقال ابن مسعود رضي الله عنه يوشك من عاش منكم ان يرى منكرا لا يستطيع له غير
ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وفي سنن ابي داود عن العرس بن عميرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض كان من
شهدها فكرهها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها فمن شهد الخطيئة فكرهها بقلبه كان كمن لم يشهدها اذا
عجز عن انكارها بلسانه ويده ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على انكارها ولم ينكرها لان الرضا بالخطايا من اقبح المحرمات
ويفوت به انكار الخطيئة بالقلب وهو فرض على كل مسلم لا يسقط عن احد بحال من الاحوال وخرج ابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكانه حضرها وهذا
مثل الذي قبله فتبين بهذا ان الانكار بالقلب فرض على كل مسلم في كل حال واما الانكار باليد واللسان فبحسب القدرة كما
في حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا فلا يغيروا الا
يوشك ان يعمهم الله بعقاب وخرجه ابو داود بهذا اللفظ وقال مرة ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اكثر ممن يعمله
وخرج ايضا من حديث جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون
ان يغيروا عليه فلا يغيروا الا اصابهم الله بعقاب قبل ان يموتوا وخرجه الامام احمد ولفظه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اعز
واكثر ممن يعمله فلم يغيروه الا عمهم الله بعقاب وخرج ايضا من حديث عدي بن عميرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكرونه واذا فعلوا ذلك
عذب الله الخاصة والعامة وخرج ايضا هو وابن ماجه من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الله ليسال العبد يوم القيامة حتى يقول ما منعك اذا رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب
رجوتك وفرقت الناس فاما ما خرجه الترمذي وابن ماجه من حديث ابي سعيد ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في خطبته الا
لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق اذا علمه وبكى ابو سعيد وقال قد والله راينا اشيا فهبناها وخرجه الامام احمد وزاد
فيه فانه لا يقرب من اجل ولا يباعد من رزق ان يقال بحق او يذكر بعظيم وكذلك خرج الامام احمد وابن ماجه من حديث ابي سعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يحقرن احدكم نفسه قالوا يا رسول الله كيف يحقر احدنا نفسه قال يرى امر الله عليه فيه مقال ثم لا يقول الله فيه فيقول الله
له يوم القيامة ما منعك ان تقول في كذا وكذا فيقول خشية الناس فيقول اياي كنت احق ان تخشى فهذان الحديثان محمولان على ان يكون المانع له من الانكار مجرد



الهيبة دون الخوف المسقط للانكار قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس رضي الله عنهما امر السلطان بالمعروف وانهاه عن المنكر قال
ان خفت ان يقتلك فلا ثم عدت فقال لي مثل ذلك ثم عدت فقال لي مثل ذلك وقال ان كنت لا بد فاعلا ففيما بينك وبينه
وقال طاوس اتى رجل ابن عباس فقال الا اقوم الى هذا السلطان فامره وانهاه قال لا تكن له فتنة قال افرايت ان امرني
بمعصية الله قال ذلك الذي تريد فكن حينئذ رجلا وقد ذكرنا حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي فيه يخلف من بعدهم خلوف فمن
جاهدهم بيده فهو مؤمن الحديث وهذا يدل على جهاد الامرا باليد وقد استنكر الامام احمد هذا الحديث في رواية ابي داود
وقال هو خلاف الاحاديث التي امر فيها بالصبر على جور الائمة وقد يجاب عن ذلك بان التغيير باليد لا يستلزم القتال وقد نص على ذلك
احمد ايضا في رواية صالح فقال التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح وحينئذ فجهاد الامرا باليد ان يزيل بيده ما فعلوه من المنكرات
مثل ان يريق خمورهم او يكسر الات الملاهي التي لهم ونحو ذلك او يبطل بيده ما امروا به من الظلم ان كان له قدرة على ذلك وكل ذلك جائز
وليس هو من باب قتالهم ولا من الخروج عليهم الذي ورد النهي عنه فان هذا اكثر ما يخشى منه ان يقتل الامر وحده واما الخروج عليهم
بالسيف فيخشى منه الفتن التي تؤدي الى سفك دما المسلمين نعم ان خشي في الاقدام على الانكار على الملوك ان يؤذي اهله او جيرانه لم ينبغ
له التعرض لهم حينئذ لما فيه من تعدي الاذى الى غيره كذلك قال الفضيل بن عياض وغيره ومع هذا متى خافهم على نفسه السيف او
السوط او الحبس او القيد او النفي او اخذ المال او نحو ذلك من الاذى سقط امرهم ونهيهم وقد نص الائمة على ذلك منهم مالك واحمد واسحق
وغيرهم قال احمد لا يتعرض للسلطان فان سيفه مسلول وقال ابن شبرمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد يجب على الواحد ان
يصابر فيه الاثنين ويحرم عليه الفرار منهما ولا يجب عليه مصابرة اكثر من ذلك فان خاف السب او سماع الكلام السيء لم يسقط عنه
الانكار بذلك نص عليه الامام احمد وان احتمل الاذى وقوي عليه فهو افضل نص عليه احمد ايضا وقيل له اليس قد جاء عن النبي صلى الله
عليه وسلم ليس للمؤمن ان يذل نفسه ان يعرضها من البلا ما لا طاقة له به قال ليس هذا من ذاك ويدل على ما قاله احمد ما خرجه ابو داود وابن ماجه والترمذي
من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر وخرج ابن ماجه معناه من حديث ابي امامة
وفي مسند البزار باسناد فيه جهالة عن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي الشهدا اكرم على الله قال رجل قام الى امام جائر
فامره بمعروف ونهاه عن منكر فقتله وقد روي معناه من وجوه اخر كلها فيها ضعف واما حديث لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه
فانما يدل على انه اذا علم انه لا يطيق الاذى ولا يصبر عليه فانه لا يتعرض حينئذ للامر وهذا حق وانما الكلام فيمن علم من نفسه الصبر
كذلك قاله الائمة كسفيان واحمد والفضيل بن عياض وغيرهم وقد روي عن احمد ما يدل على الاكتفا بالانكار بالقلب قال في رواية ابي
داود نحن نرجو ان انكر بقلبه فقد سلم وان انكر بيده فهو افضل وهذا محمول على انه يخاف كما صرح بذلك في رواية غير واحد وقد
حكى القاضي ابو يعلى روايتين عن احمد في وجوب انكار المنكر على من يعلم انه لا يقبل منه وصحح القول بوجوبه وهو قول اكثر العلما
وقد قيل لبعض السلف في هذا فقال يكون لك معذرة وهذا كما اخبر الله عن الذين انكروا على المعتدين في السبت
انهم قالوا لمن قال لهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون وقد ورد ما يستدل
به على سقوط الامر والنهي عند عدم القبول والانتفاع به ففي سنن ابي داود وابن ماجه والترمذي عن ابي ثعلبة الخشني رضي
الله عنه انه قيل له كيف تقول في هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال اما والله لقد
سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا
مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع عنك امر العوام وفي سنن ابي داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنهما قال بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا رايتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا
هكذا وشبك بين اصابعه فقمت اليه فقلت كيف افعل عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ بما تعرف
ودع ما تنكر وعليك بامر خاصة نفسك ودع عنك امر العامة وكذلك روي عن طائفة من الصحابة في قوله تعالى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم قالوا لم يات تاويلها بعد انما تاويلها في اخر الزمان وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا اختلفت القلوب والاهوا
والبستم شيعا وذاق بعضكم باس بعض فيامر الانسان حينئذ نفسه حينئذ تاويل هذه الاية وعن ابن عمر قال هذه الاية لقوم

يحملون ممن بعدنا ان لا تلوموا من لا يقبل منهم وقال جبير بن نفير قال جماعة من الصحابة قالوا اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وعن مكحول رحمه الله قال لم يات تاويلها بعد اذا هاب الواعظ وانكر الموعوظ فعليك حينئذ بنفسك لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وعن الحسن رحمه الله انه كان اذا تلا هذه الاية قال يا لها من ثقة ما اوثقها ومن سعة ما اوسعها وهذا كله قد يحمل على ان من عجز عن الامر بالمعروف او خاف الضرر سقط عنه وكلام ابن عمر يدل على ان من علم انه لا يقبل منه لم يجب عليه كما حكي رواية عن احمد وكذا قال الاوزاعي مر من ترى ان يقبل منك وقوله صلى الله عليه وسلم في الذي ينكر بقلبه وذلك اضعف الايمان يدل على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الايمان ويدل على ان من قدر على خصلة من خصال الايمان وفعلها كان افضل ممن تركها عجزا عنها ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حق النسا اما نقصان دينها فانها تمكث الايام والليالي لا تصلي يشير الى ايام الحيض مع انها ممنوعة من الصلاة حينئذ وقد جعل ذلك نقصا في دينها فدل على ان من قدر على واجب وفعله فهو افضل ممن عجز عنه وتركه وان كان معذورا في تركه والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا يدل على ان الانكار متعلق بالرؤية فلو كان مستورا فلم يره ولكن علم به فالمنصوص عن احمد في اكثر الروايات انه لا يتعرض له ولا يفتش عما استراب به وعنه في رواية اخرى انه يكشف المغطا اذا تحققه ولو سمع صوت غنا محرم او الات الملاهي وعلم المكان الذي هي فيه فانه ينكرها لانه قد تحقق المنكر وعلم موضعه فهو كما لو راه نص عليه احمد وقال اذا لم يعلم مكانه فلا شي عليه واما تسور الجدران على من علم اجتماعهم على منكر فقد انكره الايمة مثل سفيان الثوري وغيره وهو داخل في التجسس المنهي عنه وقد قيل لابن مسعود ان فلانا تقطر لحيته خمرا فقال نهانا الله عن التجسس وقال القاضي ابو يعلى في كتاب الاحكام السلطانية ان كان في المنكر الذي غلب على الظن الاستسرار به باخبار ثقة عنه انتهاك حرمة يفوت استداركها كالزنا والقتل جاز التجسس والاقدام على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم وان كان دون ذلك في الرتبة لم يجز التجسس عليه ولا الكشف عنه والمنكر الذي يجب انكاره ما كان مجمعا عليه فاما المختلف فيه فمن اصحابنا من قال لا يجب انكاره على من فعله مجتهدا فيه او مقلدا لمجتهد تقليدا سايغا واستثنى القاضي في الاحكام السلطانية ما ضعف فيه الخلاف وكان ذريعة الى محظور متفق عليه كربا النقد المتفق على تحريمه وكنكاح المتعة فانه ذريعة الى الزنا وذكر عن اسحاق بن شاقلا انه ذكر ان المتعة هي الزنا صراحا وعن ابن بطة انه قال لا يفسخ نكاح حكم به قاض الا ان يكون قد تاول فيه تاويلا الا ان يكون قضى لرجل بعقد متعة او طلق ثلاثا في لفظ واحد وحكم بالمراجعة من غير زوج فحكمه مردود وعلى فاعله العقوبة والمنصوص عن احمد الانكار على اللاعب بالشطرنج وتاوله القاضي على من لعب بها بغير اجتهاد او تقليد سايغ وفيه نظر فان المنصوص عنه انه يحد شارب النبيذ المختلف فيه واقامة الحد ابلغ مراتب الانكار مع انه لا يفسق بذلك عنده فدل على انه ينكر كل مختلف فيه ضعف الخلاف فيه لدلالة السنة على تحريمه ولا يخرج فاعله المتاول من العدالة بذلك والله اعلم وكذلك نص احمد على الانكار على من لا يتم صلاته ولا يقيم صلبه من الركوع والسجود مع وجود الاختلاف في وجوب ذلك واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل عليه رجا ثوابه وتارة خوف العقاب في تركه وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه وتارة النصيحة للمومنين والرحمة لهم ورجا انقاذهم مما اوقعوا انفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والاخرة وتارة يحمل عليه الاجلال لله واعظامه ومحبته وانه اهل ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وان يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والاموال كما قال بعض السلف وددت ان الخلق كلهم اطاعوا الله وان لحمي قرض بالمقاريض وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رحمهما الله يقول لابيه وددت اني غلت بي وبك القدور في الله عز وجل ومن لحظ هذا المقام والذي قبله هان عليه كل ما لقي من الاذى في الله عز وجل وربما دعا لمن اذاه كما قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما ضربه قومه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وبكل حال ينبغي الرفق بالانكار قال سفيان الثوري رحمه الله لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا من كان فيه خصال ثلاث رفيق بما يامر رفيق بما ينهى عدل بما يامر عدل بما ينهى عالم بما يامر عالم بما ينهى وقال احمد الناس يحتاجون الى مداراة ورفق بالامر بالمعروف بلا غلظة الا رجل معلن بفسق فلا حرمة له قال وكان اصحاب ابن مسعود اذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون يقولون مهلا رحمكم الله وقال احمد يامر بالمعروف بالرفق والخضوع فان اسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد ان ينتصر لنفسه

## الحديث الخامس





## والثلاثون

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم

هذا الحديث خرجه مسلم من رواية ابي سعيد مولى عبد الله بن عامر بن كريز عن ابي هريرة وابو سعيد هذا لا يعرف اسمه وقد روى عنه غير واحد وذكره ابن حبان في ثقاته وقال ابن المديني هو مجهول وقد روى هذا الحديث سفيان الثوري فقال فيه عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة ووهم في قوله سعيد بن يسار انما هو ابو سعيد مولى ابن كريز قاله احمد ويحيى والدارقطني وقد روي بعضه من وجه اخر خرجه الترمذي من رواية ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ههنا بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم وخرج ابو داود قوله كل المسلم على المسلم الى اخره وخرجاه في الصحيحين من رواية الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وخرجاه من وجوه اخر عن ابي هريرة وخرج الامام احمد من حديث واثلة بن الاسقع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله والتقوى ههنا واومى بيده الى القلب وحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم وخرج ابو داود اخره فقط وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وخرج الامام احمد ولفظه المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم وفي الصحيحين عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ويروى بمعناه من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعا وموقوفا فقوله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا يعني لا يحسد بعضكم بعضا والحسد مركوز في طباع البشر وهو ان الانسان يكره ان يفوقه احد من جنسه في شي من الفضايل ثم ينقسم الناس بعد هذا الى اقسام فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل ثم منهم من يسعى في نقل ذلك الى نفسه ومنهم من يسعى في ازالته عن المحسود فقط من غير نقل الى نفسه وهو شرهما واخبثهما وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه وهو كان ذنب ابليس حيث حسد ادم عليه السلام لما راه قد فاق على الملايكة بان خلقه الله بيده واسجد له ملايكته وعلمه اسما كل شي واسكنه في جواره فما زال يسعى في اخراجه من الجنة حتى اخرج منها ويروى عن ابن عمر رضي الله عنهما ان ابليس قال لنوح عليه السلام اثنتان بهما اهلك بني ادم الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص ابيح ادم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص خرجه ابن ابي الدنيا وقد وصف الله عز وجل اليهود بالحسد في مواضع من كتابه القران كقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق وقوله تعالى ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وخرج الامام احمد والترمذي من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تومنوا حتى تحابوا الا انبيكم بشي اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم وخرج ابو داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب او قال العشب وخرج الحاكم وغيره من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيصيب امتي داء الامم قالوا يا نبي الله ما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج وقسم اخر من الناس اذا حسد غيره لم يعمل بمقتضى حسده ولم يبغ على المحسود بقول ولا فعل وقد روي عن الحسن انه لا ياثم بذلك وروي مرفوعا من وجوه ضعيفة وهذا على نوعين احدهما ان لا يمكنه ازالة الحسد من نفسه فيكون مغلوبا على ذلك فلا ياثم به والثاني من يحدث نفسه بذلك اختيارا ويعيده ويبديه في نفسه مستروحا الى تمني زوال نعمة اخيه فهذا شبيه بالعزم على المعصية وفي العقاب على ذلك اختلاف بين العلما وربما يذكر في موضع اخر ان شا الله تعالى لكن هذا يبعد ان يسلم من البغي على المحسود ولو بالقول فياثم بذلك وقسم اخر اذا حسد لم يتمن زوال نعمة المحسود بل يسعى في اكتساب مثل فضايله ويتمنى ان يكون مثله فان كانت الفضايل دنيوية فلا خير في ذلك كما قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وان كانت فضايل دينية فهو حسن وقد تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الشهادة في سبيل الله عز وجل وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فهو ينفق منه اناء الليل واناء النهار ورجل اتاه الله القران فهو يقوم به اناء الليل واناء النهار وهذا هو الغبطة وسماه حسدا من باب الاستعارة وقسم اخر اذا وجد من نفسه الحسد سعى في ازالته وفي

الاحسان الى المحسود باسداء الاحسان اليه والدعاء له ونشر فضايله وفي ازالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يبدله بمحبته ان يكون
اخوه المسلم خيرا منه وافضل وهذا من اعلى درجات الايمان وصاحبه هو المومن الكامل الذي يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقد سبق الكلام
على هذا في تفسير حديث لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه قوله صلى الله عليه وسلم ولا تناجشوا فسره كثير من العلما بالنجش
في البيع وهو ان يزيد في السلعة من لا يريد شراها اما لنفع البايع بزيادة الثمن له او باضرار المشتري بتكثير الثمن
عليه وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن النجش وقال ابن ابي اوفى الناجش اكل الربا خاين ذكره
البخاري وقال ابن عبد البر اجمعوا ان فاعله عاص لله تعالى اذا كان بالنهي عالما واختلفوا في البيع فمنهم من قال انه فاسد وهو رواية
عن احمد اختارها طايفة من اصحابه ومنهم من قال ان كان الناجش البايع او من واطاه البايع على النجش فسد لان النهي هنا
يعود على العاقد نفسه وان لم يكن كذلك لم يفسد لانه يعود الى اجنبي وكذا حكي عن الشافعي انه علل صحة البيع بان البايع غير
الناجش واكثر الفقها على ان البيع صحيح مطلقا وهو قول ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد في رواية عنه الا ان مالكا واحمد
اثبتا للمشتري الخيار اذا لم يعلم بالحال وغبن غبنا فاحشا يخرج عن العادة وقدره مالك وبعض اصحاب احمد بثلث الثمن
فان اختار المشتري حينئذ الفسخ فله ذلك وان اراد الامساك فانه يحط ما غبن به من الثمن ذكره اصحابنا ويحتمل ان يفسر التناجش حينئذ م
المنهي عنه في هذا الحديث بما هو اعم من ذلك فان اصل النجش في اللغة اثارة الشي بالمكر والحيلة والمخادعة ومنه سمي الناجش
في البيع ناجشا ويسمى الصايد في اللغة ناجشا لانه يثير الصيد بحيلته عليه وخداعه له وحينئذ فيكون المعنى لا تتناجشوا ولا
يعامل بعضكم لبعض بالمكر والخداع وانما يراد بالمكر ايصال الاذى الى المسلم اما بطريق الاصالة واما اجتلاب نفعه بذلك ويلزم منه
وصول الضرر اليه ودخوله عليه وقد قال الله تعالى ولا يحيق المكر السي الا باهله وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار وقد ذكرنا فيما تقدم حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه المرفوع ملعون من ضار مسلما او مكر به
خرجه الترمذي فيدخل على هذا التقدير في التناجش المنهي عنه جميع انواع المعاملات بالغش ونحوه كتدليس العيوب
وكتمانها وغش المبيع الجيد بالردي وغبن المسترسل الذي لا يعرف المماكسة وقد وصف الله تعالى في كتابه الكفار والمنافقين
بالمكر بالانبيا واتباعهم وما احسن قول ابي العتاهية ❁ ليس دنيا الا بدين ❁ وليس الدين الا مكارم الاخلاق ❁
انما المكر والخديعة في النار ❁ هما من خصال اهل النفاق ❁ وانما يجوز المكر بمن يجوز ادخال الاذى عليه وهم الكفار المحاربون كما
قال النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة قوله صلى الله عليه وسلم ولا تباغضوا نهى المسلمين عن التباغض بينهم في غير الله بل
على اهوا النفوس فان المسلمين جعلهم الله اخوة والاخوة يتحابون بينهم ولا يتباغضون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تدخلون الجنة
حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شي اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم خرجه مسلم وقد ذكرنا فيما تقدم
احاديث في النهي عن التباغض والتحاسد وقد حرم الله على المومنين ما يوقع بينهم العداوة والبغضا كما قال تعالى انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون وامتن على عباده بالتاليف بين
قلوبهم كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال تعالى هو الذي ايدك
بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ولهذا المعنى حرم المشي
بالنميمة لما فيها من ايقاع العداوة والبغضا ورخص في الكذب في الاصلاح بين الناس ورغب في الاصلاح بينهم كما قال تعالى
لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما
وقال تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وقال تعالى فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وخرج الامام احمد
وابو داود والترمذي من حديث ابي الدردا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة
قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقة وخرج الامام احمد من حديث اسما بنت
يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا انبيكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال المشاون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العنت واما
البغض في الله فهو من اوثق عرى الايمان وليس داخلا في النهي ولو ظهر لرجل من اخيه شر فابغضه عليه وكان الرجل معذورا فيه في نفس الامر
اثيب المبغض له وان عذر اخوه كما قال عمر رضي الله عنه انا كنا نعرفكم اذ رسول الله بين اظهرنا اذ ينزل الوحي واذ ينبينا الله باخباركم
الا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انطلق به وانقطع الوحي فانما نعرفكم بما نخبركم الا من اظهر منكم لنا خيرا ظننا به خيرا فاحببناه عليه
ومن اظهر منكم شرا ظننا به شرا وابغضناه عليه سرايركم بينكم وبين ربكم عز وجل وقال الربيع بن خثيم لو رايت رجلا يظهر خيرا
ويسر شرا احببته عليه اجرك الله على الخير ولو رايت رجلا يظهر شرا ويسر خيرا ابغضته عليه اجرك الله على بغضك الشر ولما كثر اختلاف الناس في مسايل الدين وكثر تفرقهم

كثر بسبب ذلك

٧٤

كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم وكل منهم يظهر انه يبغض لله وقد يكون في نفس الامر معذورا وقد لا يكون معذورا بل يكون متبعا لهواه مقصرا في البحث
عن معرفة ما يبغض عليه فان كثيرا من البغض كذلك انما يقع لمخالفة متبوع يظن انه لا يقول الا الحق فيما خولف فيه وهذا الظن قد يخطي
ويصيب وقد يكون الحامل على الميل مجرد الهوى والالف او العادة وكل هذا يقدح في ان يكون هذا البغض لله فالواجب
على المومن ان ينصح لنفسه ويتحرز في هذا غاية التحرز وما اشكل منه فلا يدخل نفسه فيه خشية ان يقع فيما نهي عنه من البغض المحرم
وهاهنا امر خفي ينبغي التفطن له وهو ان كثيرا من ائمة الدين قد يقول قولا مرجوحا ويكون مجتهدا فيه ماجورا على
اجتهاده فيه موضوعا عنه خطاوه فيه ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة لانه قد لا ينتصر لهذا القول
الا لكون متبوعه قد قاله بحيث انه لو قاله غيره من ائمة الدين لما قبله ولا انتصر له ولا والى من وافقه ولا عادى من خالفه وهو مع هذا
يظن انه انما ينتصر للحق بمنزلة متبوعه وليس كذلك فان متبوعه انما كان قصده الانتصار للحق وان اخطا في اجتهاده واما هذا وان لم
التابع فقد شاب انتصاره لما يظنه الحق ارادة علو متبوعه وظهور كلمته وانه لا ينسب الى الخطا وهذه دسيسة تقدح في قصد الانتصار
للحق فافهم هذا فانه مهم عظيم والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم قوله صلى الله عليه وسلم ولا تدابروا قال ابو عبيد التدابر
المصارمة والهجران ماخوذ من ان يولي الرجل صاحبه دبره ويعرض عنه بوجهه وهو التقاطع وخرج مسلم من حديث انس رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم الله وخرجه ايضا بمعناه من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين عن ابي ايوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق
ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام وخرج ابو داود من حديث ابي خراش السلمي عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من هجر اخاه سنة فهو كسفك دمه وكل هذا في التقاطع للامور الدنيوية فاما لاجل الدين فتجوز الزيادة على الثلاث
نص عليه احمد واستدل بقصة الثلاثة الذين خلفوا وامر النبي صلى الله عليه وسلم بهجرانهم لما خاف منهم النفاق واباح هجران اهل
البدع المغلظة والدعاة الى الاهوا وذكر الخطابي ان هجر الوالد لولده والزوج لزوجته وما كان في معنى ذلك تاديبا تجوز الزيادة
فيه على الثلاث لان النبي صلى الله عليه وسلم هجر نساه شهرا واختلفوا هل ينقطع الهجران بالسلام فقالت طايفة ينقطع روي عن
الحسن ومالك في رواية ابن وهب وقاله طايفة من اصحابنا وخرج ابو داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يحل لمومن ان يهجر مومنا فوق ثلاث فان مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه فان رد عليه السلام فقد اشتركا في الاجر وان لم يرد عليه فقد باء
بالاثم وخرج المسلم من الهجرة ولكن هذا فيما اذا امتنع الاخر من الرد عليه فاما مع الرد اذا كان بينهما قبل الهجرة مودة ولم يعودا
اليها ففيه نظر وقد قال احمد في رواية الاثرم وسيل عن السلام يقطع الهجران فقال قد يسلم عليه وقد صد عنه ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
يقول يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا فاذا كان قد عوده ان يكلمه او يصافحه وكذلك روي عن مالك انه لا تنقطع الهجرة بدون العود
الى المودة وفرق بعضهم بين الاقارب والاجانب فقال في الاجانب تزول الهجرة بينهم بمجرد السلام بخلاف الاقارب وانما قال هذا
لوجوب صلة الرحم قوله صلى الله عليه وسلم ولا يبع بعضكم على بيع بعض قد تكاثر النهي عن ذلك ففي الصحيحين عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبيع الرجل على بيع اخيه ولا يخطب على خطبة اخيه وفي رواية لمسلم لا يسوم الرجل على سوم اخيه ولا يخطب
على خطبته وخرجاه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبيع الرجل على بيع اخيه ولا يخطب على خطبته الا ان ياذن له و
لفظ لمسلم وخرج مسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم ... المومن اخو المومن فلا
يحل للمومن ان يبتاع على بيع اخيه ولا يخطب على خطبة اخيه حتى يذر وهذا دليل على ان هذا حق للمسلم على المسلم فلا يساويه الكافر
في ذلك بل يجوز للمسلم ان يبتاع على بيع الكافر ويخطب على خطبته وهو قول الاوزاعي واحمد كما لا يثبت للكافر على المسلم حق الشفعة
عنده وكثير من الفقها ذهبوا الى ان النهي عام في حق المسلم والكافر واختلفوا هل النهي للتحريم او التنزيه فمن اصحابنا من قال هو للتنزيه
دون التحريم والصحيح الذي عليه جمهور العلما انه للتحريم واختلفوا هل يصح البيع على بيع اخيه والنكاح على خطبته فقال ابو حنيفة
والشافعي واكثر اصحابنا يصح وقال مالك في النكاح انه اذا لم يدخل بها فرق بينهما وان دخل بها لم يفرق وقال ابو بكر من اصحابنا
في البيع والنكاح انه باطل بكل حال وحكاه عن احمد ومعنى البيع على بيع اخيه ان يكون قد باع منه شيا فيبذل للمشتري سلعته
ليشتريها ويفسخ بيع الاول وهل يختص ذلك بما اذا كان البذل في مدة الخيار بحيث يتمكن المشتري من الفسخ فيه ام هو عام
في مدة الخيار وبعدها فيه اختلاف بين العلما حكاه احمد وابن حرب ومال الى القول بانه عام في الحالين وهو قول طايفة من اصحابنا

ومنهم من خصه بما اذا كان ذلك في مدة الخيار وهو ظاهر كلام احمد في رواية ابن مشيش وبعض اصحاب الشافعي والاول اظهر لان المشتري
وان لم يتمكن من الفسخ بنفسه بعد انقضا الخيار فانه اذا رغب في رد السلعة الاولى الى بايعها فانه يتسبب الى ردها عليه
بانواع من الطرق المقتضية لضرره ولو بالالحاح عليه في المسئلة وما ادى الى الاضرار بالمسلم كان محرما والله اعلم **قوله** صلى
الله عليه وسلم وكونوا عباد الله اخوانا هذا ذكره النبي صلى الله عليه وسلم كالتعليل لما تقدم وفيه اشارة انهم اذا تركوا التحاسد والتناجش
والتباغض والتدابر وبيع بعضهم على بيع بعض كانوا اخوانا وفيه امر باكتساب ما يصير المسلمون به اخوانا على الاطلاق وذلك
يدخل فيه اداء حقوق المسلم على المسلم من رد السلام وتشميت العاطس وعيادة المريض وتشييع الجنازة واجابة الدعوة والابتداء
بالسلام عند اللقا والنصح بالغيب وفي الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدر وخرجه غيره
ولفظه تهادوا وتحابوا وفي مسند البزار عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تهادوا فان الهدية تسل السخيمة وروى مالك عن عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه يرفعه قال تصافحوا فانه يذهب الشحنا وتهادوا وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال مجاهد رحمه الله بلغني انه اذا
تراءى المتحابان فضحك احدهما الى الآخر وتبسم تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر فقال فقيل له ان هذا اليسير من
العمل قال تقول يسير والله سبحانه وتعالى يقول لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم
**وقوله** صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره هذا ماخوذ من قوله عز وجل انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين
اخويكم فاذا كان المؤمنون اخوة امروا فيما بينهم بما يوجب تالف القلوب واجتماعها ونهوا عما يوجب تنافر القلوب واختلافها
وهذا من ذلك وايضا فان الاخ من شانه ان يوصل الى اخيه النفع ويكف عنه الضرر ومن اعظم الضرر الذي يجب كفه عن الاخ المسلم الظلم
وهذا لا يختص بالمسلم بل هو محرم في حق كل احد وقد سبق الكلام على الظلم مستوفيا عند ذكر حديث ابي ذر الالهي يا عبادي اني
حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ومن ذلك خذلان المؤمن لاخيه فان المؤمن مامور ان ينصر اخاه كما قال صلى الله عليه وسلم
انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل يا رسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تمنعه عن الظلم فذلك نصرك اياه خرجه البخاري
بمعناه من حديث انس وخرجه مسلم من حديث جابر وخرج ابو داود من حديث ابي طلحة الانصاري وجابر بن عبد الله
رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من امرئ مسلم يخذل امرا مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن
يحب فيه نصرته وما من امرئ مسلم ينصر امرا مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله في موطن يحب
فيه نصرته وخرج الامام احمد من حديث ابي امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اذل عنده مؤمن فلم ينصره و
هو يقدر على ان ينصره اذله الله على رؤس الخلائق يوم القيمة وخرج البزار من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من نصر اخاه بالغيب وهو يستطيع نصره نصره الله في الدنيا والآخرة ومن ذلك كذب المسلم لاخيه
فلا يحل له ان يحدثه فيكذبه بل لا يحدثه الا صدقا وفي مسند الامام احمد عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت به كاذب ومن ذلك احتقار المسلم لاخيه المسلم وهو ناشي عن
الكبر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الكبر بطر الحق وغمط الناس خرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وخرجه الامام احمد وفي
رواية له الكبر سفه الحق وازدراء الناس وفي رواية بطر الحق وغمص الناس وفي رواية وزاد فلا يراهم شيئا وغمص الناس
الطعن عليهم وازدراؤهم وقال عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن
خيرا منهن فالمتكبر ينظر الى نفسه بعين الكمال والى غيره بعين النقص فيحتقرهم ويزدريهم ولا يراهم اهلا لان يقوم بحقوقهم ولا ان يقبل
من احد منهم الحق اذا اورده عليه **قوله** صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات فيه اشارة
الى ان كرم الخلق عند الله بالتقوى فرب من يحقره الناس لضعفه وقلة حظه من الدنيا وهو اعظم قدرا عند الله
ممن له قدر في الدنيا فان الناس انما يتفاوتون بحسب التقوى كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وسئل النبي صلى الله عليه وسلم
من اكرم الناس قال اتقاهم لله عز وجل وفي حديث الكرم التقوى والتقوى اصلها في القلب كما قال تعالى ومن يعظم شعائر الله
فانها من تقوى القلوب وقد سبق ذكر المعنى في حديث ابي ذر الالهي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى
قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا واذا كان اصل التقوى في القلوب فلا يطلع احد على حقيقتها الا الله عز وجل
كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وحينئذ فقد يكون كثير ممن له صورة حسنة





او مال او جاه او رياسة في الدنيا قلبه خرابا من التقوى ويكون من ليس له شيء من ذلك قلبه مملوا من التقوى فيكون اكرم عند الله من رجل
بل ذلك هو الاكثر وقوعا كما في الصحيحين عن حارثة بن وهب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف
متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر وفي المسند عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اما اهل الجنة فكل ضعيف متضعف اشعث ذو طمرين لو اقسم على الله لابره واما اهل النار فكل جعظري جواظ
جماع مناع ذي تبع وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت
بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم فقال الله عز وجل للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء
من عبادي وقال للنار انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي وخرجه الامام احمد من حديث ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال افتخرت الجنة والنار فقالت النار يا رب يدخلني الجبابرة والمتكبرون وقالت الجنة يا رب يدخلني الفقراء
الضعفاء والمساكين وذكر الحديث وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لرجل عنده جالس ما رايك في هذا قال رجل من اشراف الناس هذا والله حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع قال
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايك في هذا قال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا
حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال ان لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء
الارض مثل هذا وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة قال تخفض رجالا
في الدنيا مرتفعين وترفع رجالا كانوا في الدنيا مستخفضين **قوله** صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه
المسلم يعني يكفيه من الشر احتقار اخيه المسلم فانه انما يحتقر اخاه المسلم لتكبره عليه والكبر من اعظم خصال الشر وفي صحيح مسلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وفيه ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال العز ازاره والكبرياء
رداؤه فمن ينازعني عذبته فمنازعة الله في صفاته التي لا تليق بالمخلوق كفى بها شرا وفي صحيح ابن حبان رحمه الله عن
فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يسال الله عنهم رجل ينازع الله ازاره ورجل ينازع الله رداءه
فان رداءه الكبرياء وازاره العز ورجل في شك من امر الله والقنوط من رحمة الله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا قال الرجل هلك الناس فهو اهلكهم قال مالك اذا قال ذلك تحزنا لما يرى في الناس يعني في دينهم فلا ارى به باسا
واذا قال ذلك عجبا بنفسه وتصاغرا للناس فهو المكروه الذي نهي عنه ذكره ابو داود في سننه **قوله** صلى الله عليه وسلم
كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه هذا مما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب به في المجامع العظيمة فانه خطب به في حجة الوداع
يوم النحر ويوم عرفة واليوم الثاني من ايام التشريق وقال ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا
في بلدكم هذا وفي رواية للبخاري واعراضكم وابشاركم وفي رواية فاعادها مرارا ثم رفع راسه فقال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت
وفي رواية قال الا ليبلغ الشاهد الغائب وفي رواية للبخاري فان الله حرم عليكم دماءكم واموالكم واعراضكم الا بحقها وفي رواية دماؤكم
واموالكم واعراضكم عليكم حرام مثل هذا اليوم في هذا البلد الى يوم القيمة حتى دفعة يدفعها مسلم مسلما يريد بها سوءا حرام وفي
رواية قال المؤمن حرام على المؤمن كحرمة هذا اليوم لحمه عليه حرام ان ياكله ويغتابه بالغيب وعرضه عليه حرام ان يخرقه ووجهه
عليه حرام ان يلطمه ودمه عليه حرام ان يسفكه وحرام عليه ان يدفعه دفعا تعنيه وفي سنن ابي داود عن نفر من الصحابة رضي
الله عنهم انهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم فنام رجل منهم فانطلق بعضهم الى حبل معه فاخذها ففزع فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وخرج الامام ابو داود والترمذي عن السايب بن يزيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياخذ
احدكم عصا اخيه لاعبا جادا فاذا اخذ عصا اخيه فليردها عليه قال ابو عبيد يعني ان ياخذ متاعه لا يريد سرقته انما يريد ادخال
الغيظ عليه فهو لاعب في مذهب السرقة جاد في ادخال الاذى والروع عليه وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث فان ذلك يحزنه ولفظه لمسلم وخرج الطبراني من حديث ابن عمر رضي
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يتناجى اثنان دون الثالث فان ذلك يؤذي المؤمن والله يكره اذى المؤمن وخرج الامام
احمد من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة

اخيه المسلم طلبا لله عز وجل عورته حتى يفضحه في بيته وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الغيبة فقال
ذكرك اخاك بما يكره قال افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته فتضمنت هذه
النصوص كلها ان المسلم لا يحل ايصال الاذى اليه بوجه من الوجوه من قول او فعل بغير حق وقد قال الله سبحانه وتعالى والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وانما جعل الله المؤمنين اخوة ليتعاطفوا ويتراحموا وفي الصحيحين
عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي رواية لهما المسلمون كرجل واحد اذا اشتكى راسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي
رواية لهما المسلمون كرجل واحد اذا اشتكى عينه اشتكى كله وفي الصحيحين عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن
للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وخرج ابو داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن مرآة المؤمن
المؤمن اخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه وخرجه الترمذي ولفظه ان احدكم مرآة اخيه فان راى به اذى فليمطه عنه
قال رجل لعمر بن عبد العزيز اجعل كبير المسلمين عندك ابا وصغيرهم ابنا واوسطهم اخا فاي ذلك تحب ان تسيء اليه ومن كلام يحيى بن
معاذ الرازي رحمه الله ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة اذا لم تنفعه فلا تضره وان لم تفرحه فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه

٣٦ **الحديث السادس والثلاثون** عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه
كربة من كرب يوم القيمة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة والله في عون العبد ما
كان العبد في عون اخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب
الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه رواه
مسلم هذا الحديث خرجه مسلم من رواية الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة واعترض عليه غير واحد من الحفاظ في تخريجه منهم ابو الفضل الهروي
والدارقطني فان اسباط بن محمد رواه عن الاعمش قال حدثت عن ابي صالح فتبين ان الاعمش لم يسمعه من ابي صالح ولم يذكر من حدثه به
ورجح الترمذي وغيره هذه الرواية وزاد بعض اصحاب الاعمش في متن الحديث ومن اقال مسلما اقال الله عثرته يوم القيمة وخرجا في الصحيحين
من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته
ومن فرج عن مسلم فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيمة وخرج الطبراني من حديث كعب
بن عجرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مؤمن كربة من كرب نفس الله عنه كربة يوم القيمة ومن ستر عورته ستر الله عورته
ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته وخرج الامام احمد من حديث مسلمة بن مخلد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
ستر مؤمنا في الدنيا ستره الله في الدنيا والاخرة ومن نجى مكروبا فك الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن كان في حاجة اخيه كان الله
في حاجته فقوله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة هذا يرجع الى ان
الجزاء من جنس العمل وقد تكاثرت النصوص بهذا المعنى كقوله صلى الله عليه وسلم انما يرحم الله من عباده الرحماء وقوله ان الله يعذب
الذين يعذبون الناس في الدنيا والكربة هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الكرب وتنفيسها ان يخفف عنه منها ماخوذ من
تنفيس الخناق كانه يرخى له الخناق حتى ياخذ نفسا والتفريج اعظم من ذلك وهو ان يزيل عنه الكربة فتنفرج عنه كربته ويزول
عنه همه وغمه فجزاء التنفيس التنفيس وجزاء التفريج التفريج كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقد جمع بينهما في حديث كعب بن عجرة
رضي الله عنه وخرج الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري مرفوعا ايما مؤمن اطعم مؤمنا على جوع اطعمه الله يوم القيمة من ثمار
الجنة وايما مؤمن سقى مؤمنا على ظما سقاه الله يوم القيمة من الرحيق المختوم وايما مؤمن كسا مؤمنا على عري كساه الله من
خضر الجنة وخرجه الامام احمد بالشك في رفعه وقيل ان الصحيح وقفه وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
يحشر الناس يوم القيمة اعرى ما كانوا قط واجوع ما كانوا قط واظما ما كانوا قط وانصب ما كانوا قط فمن كسا لله عز وجل
كساه الله ومن اطعم لله عز وجل اطعمه الله عز وجل ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن عفا لله عز وجل اعفاه الله وخرج
البيهقي من حديث انس رضي الله عنه مرفوعا ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيمة على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار
يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك من انت فيقول انا الذي مررت بي في دار الدنيا فاستسقيتني شربة من ماء فسقيتك قال قد
عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك قال فيسال الله عز وجل ويقول شفعني فيه فيامر به فيخرجه من النار وقوله كربة من كرب يوم القيمة

فقوله صلى الله عليه وسلم ... الناس

ولم يقل كرب الدنيا



ولم يقل كربة من كرب الدنيا والاخرة كما قال في التيسير والستر وقد قيل في مناسبة ذلك ان الكرب هي الشدائد العظيمة وليس كل
احد يحصل له ذلك في الدنيا بخلاف الاعسار والعورات المحتاجة الى الستر فان احدا لا يكاد يخلو في الدنيا من ذلك ولو
بتعسر بعض الحاجات المهمة وقيل لان كرب الدنيا بالنسبة الى كرب الاخرة كلا شيء فادخر الله جزاء تنفيس الكرب عنده لينفس به كرب
الاخرة ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو
الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا ترون
من يشفع لكم الى ربكم وذكر حديث الشفاعة خرجاه بمعناه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وخرجا من حديث عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا قالت فقلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد
من ان يهمهم ذلك وخرجا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه
الى انصاف اذنيه وخرجا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض
سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ اذانهم ولفظه للبخاري ولفظ مسلم ان العرق ليذهب في الارض سبعين باعا وانه ليبلغ
افواه الناس او الى اذانهم وخرج مسلم من حديث المقداد بن الاسود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تدنو الشمس من العباد حتى
تكون قدر ميل او ميلين فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر اعمالهم فمنهم من ياخذه الى عقبيه ومنهم من ياخذه الى ركبتيه
ومنهم من ياخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما وقال ابن مسعود رضي الله عنه الارض كلها يوم القيمة نار والجنة من ورائها
ترى اكوابها وكواعبها فيعرق الرجل حتى يرشح عرقه في الارض قدر قامة ثم يرتفع حتى يبلغ انفه وما مسه الحساب
قالوا مم ذلك يا ابا عبد الرحمن قال مما يرى الناس يصنع بهم وقال ابو موسى رضي الله عنه الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيمة
واعمالهم تظلهم او تضحيهم وفي المسند من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين
الناس قوله صلى الله عليه وسلم ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة هذا ايضا يدل على ان الاعسار قد يحصل في
الاخرة وقد وصف الله يوم القيمة بانه عسير وانه على الكافرين غير يسير فدل على انه يسير على غيرهم وقال تعالى وكان يوما على الكافرين
عسيرا والتيسير على المعسر في الدنيا من جهة المال يكون باحد امرين اما بانظاره الى الميسرة وذلك واجب كما قال تعالى
وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وتارة بالوضع عنه ان كان غريما والا فباعطائه ما يزول به اعساره وكلاهما له فضل عظيم
وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تاجر يداين الناس فاذا راى معسرا قال لصبيانه تجاوزوا
عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه وفيهما عن حذيفة وابي مسعود الانصاري رضي الله عنهما سمعا النبي صلى الله عليه وسلم
يقول مات رجل فقيل له ما كنت تعمل فقال كنت ابايع الناس فاتجوز عن الموسر واخفف عن المعسر وفي رواية قال كنت انظر
المعسر واتجوز في السكة او قال في النقد فغفر له وخرجه مسلم من حديث ابي مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه فقال
الله انا احق بذلك منك تجاوزوا عن عبدي وخرج ايضا من حديث ابي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان
ينجيه الله من كرب يوم القيمة فلينفس عن معسر او يضع عنه وخرج ايضا من حديث ابي اليسر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اراد ان تستجاب دعوته وان تكشف كربته فليفرج عن معسر قوله صلى الله عليه وسلم ومن ستر مسلما ستره الله
في الدنيا والاخرة هذا مما تكاثرت النصوص بمعناه وخرج ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من ستر عورة اخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيمة ومن كشف عورة اخيه المسلم كشف الله عورته
حتى يفضحه بها في بيته وخرج الامام احمد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ستر عورة
مؤمن في الدنيا على عورته ستره الله عز وجل يوم القيمة وقد روي عن بعض السلف انه قال ادركت قوما لم يكن لهم عيوب
فذكروا عيوب الناس فذكر الناس لهم عيوبا وادركت اقواما كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم
او كما قال وشاهد هذا حديث ابي برزة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه
لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته وخرج الامام احمد

وابو داود وخرج الترمذي معناه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. واعلم ان الناس على ضربين احدهما من كان مستورا لا يعرف بشي من المعاصي فاذا وقعت منه هفوة او زلة فانه لا يجوز كشفها ولا هتكها ولا التحدث بها لان ذلك غيبة محرمة وهذا هو الذي وردت فيه النصوص وفي ذلك قد قال الله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والمراد اشاعة الفاحشة على المؤمن المستتر فيما وقع منه او اتهم به وهو بري منه كما في قصة الافك قال بعض الوزرا الصالحين لبعض من يامر بالمعروف اجتهد ان تستر العصاة فان ظهور معاصيهم عيب في اهل الاسلام واولى الامور ستر العيوب ومثل هذا لو جاء تائبا نادما واقر بحد ولم يفسره لم يستفسر بل يومر بان يرجع ويستر نفسه كما امر النبي صلى الله عليه وسلم ماعزا والغامدية وكما لم يستفسر الذي قال اصبت حدا فاقمه علي ومثل هذا لو اخذ بجريمته ولم يبلغ الامام فانه يشفع له حتى لا يبلغ الامام وفي مثل هذا جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم خرجه ابو داود والنسائي من حديث عائشة رضي الله عنها والثاني من كان مشتهرا بالمعاصي معلنا بها ولا يبالي بما ارتكب منها ولا بما قيل له فهذا هو الفاجر المعلن وليس له غيبة كما نص على ذلك الحسن البصري وغيره ومثل هذا لا باس بالبحث عن امره لتقام عليه الحدود صرح بذلك بعض اصحابنا واستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم واغد يا انيس على امراة هذا فان اعترفت فارجمها ومثل هذا لا يشفع له اذا اخذ ولو لم يبلغ السلطان بل يترك حتى يقام عليه الحد لينكف شره ويرتدع به امثاله قال مالك من لم يعرف منه اذى الناس وانما كانت منه زلة فلا باس ان يشفع له ما لم يبلغ الامام واما من عرف بشر او فساد فلا احب ان يشفع له احد ولكن يترك حتى يقام عليه الحد حكاه ابن المنذر وغيره وكره الامام احمد رفع الفساق الى السلطان بكل حال وانما كرهه لانهم غالبا لا يقيمون الحدود على وجهها ولهذا قال ان علمت انه يقيم الحد فارفعه ثم ذكر انهم ضربوا رجلا فمات يعني لم يكن قتله جائزا ولو تاب احد من الضرب الاول كان الافضل له ان يتوب فيما بينه وبين الله ويستر على نفسه واما الضرب الثاني فقيل انه كذلك وقيل بل الاولى له ان ياتي الامام ويقر على نفسه بما يوجب الحد حتى يطهره قوله صلى الله عليه وسلم والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته وقد سبق شرح الحديث الخامس والعشرين والسادس فضل قضاء الحوائج والسعي بها وخرج الطبراني من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعا افضل الاعمال ادخال السرور على المومن كسوت عورته او اشبعت جوعته او قضيت له حاجة وبعث الحسن البصري قوما من اصحابه في قضاء حاجة لرجل وقال لهم مروا بثابت البناني فخذوه معكم فاتوا ثابتا فقال انا معتكف فرجعوا الى الحسن فاخبروه فقال قولوا له يا اعمش اما تعلم ان مشيك في حاجة اخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة فرجعوا الى ثابت فترك اعتكافه وذهب معهم وخرج الامام احمد من حديث ابنة لخباب بن الارت رضي الله عنه وعنها قالت خرج خباب في سرية فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهدنا حتى يحلب عنزا لنا في جفنة لنا فتمتلي حتى تفيض فلما قدم خباب حلبها فعاد حلابها الى ما كان وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يحلب للحي اغنامهم فلما استخلف قالت جارية الان لا يحلبها فقال بلى واني لارجو ان لا يغيرني ما دخلت فيه عن شي كنت افعله وكانوا انما كانوا يقومون بالحلاب لان العرب كانت لا تحلب النسا منهم وكانوا يستقبحون ذلك فكان الرجال اذا غابوا احتاج النسا الى من يحلب لهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للقوم لا تسقوني حلب امراة وكان عمر رضي الله عنه يتعاهد الارامل يستقي لهن الما بالليل وراه طلحة بالليل يدخل بيت امراة فدخل اليها طلحة نهارا فاذا هي عجوز عميا مقعدة فسالها ما يصنع هذا الرجل عندك قالت هذا منذ كذا وكذا يتعاهدني ياتيني بما يصلحني ويخرج عني الاذى فقال طلحة ثكلتك امك طلحة اعثرات عمر تتبع وكان ابو وائل يطوف على نسا الحي وعجائزهم كل يوم فيشتري لهم حوائجهم وما يصلحهم وقال مجاهد رحمه الله تعالى صحبت ابن عمر في السفر لاخدمه فكان يخدمني وكان كثير من الصالحين يشترط على اصحابه في السفر ان يخدمهم وصحب رجل قوما في الجهاد فاشترط عليهم ان يخدمهم فكان اذا اراد احد منهم ان يغسل راسه او ثوبه قال هذا من شرطي فيفعله فمات فجردوه للغسل فراوا على يده مكتوبا من اهل الجنة فنظروا فاذا هي كتابة بين الجلد واللحم وفي الصحيحين عن انس رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر قال فنزلنا منزلا في يوم حار اكثرنا ظلا صاحب الكسا ومنا من يتقي الشمس بيده فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الابنية وسقوا الركاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم بالاجر ويروى عن رجل من اسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بطعام في بعض اسفاره فاكل منه واكل اصحابه وقبض الاسلمي يده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك قال اني صائم قال فما حملك على ذلك قال معي ابنان لي رجلان يرحلان لي ويخدماني فقال ما زال لهم الفضل عليك بعد خرجه في مراسيل ابي داود





عن ابي قلابة رضي الله عنه ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدموا يثنون على صاحب لهم خيرا قالوا ما راينا مثل فلان قط ما كان في مسير الا كان في قراءة ولا نزلنا منزلا الا كان في صلاة قال فمن كان يكفيه ضيعته حتى ذكر ومن كان يعلف جمله او دابته قالوا نحن قال فكلكم خير منه قوله صلى الله عليه وسلم ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وقد روى هذا المعنى ايضا ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم وسلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي وهو المشي بالاقدام الى مجالس العلم ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المودية الى حصول العلم مثل حفظه ومدارسته ومذاكرته ومطالعته وكتابته والتفهم له ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها الى العلم وقوله سهل الله له به طريقا الى الجنة قد يراد بذلك ان الله يسهل له العلم الذي طلبه وسلك طريقه وييسره عليه فان العلم طريق موصل الى الجنة وهذا كقوله ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر قال بعض السلف هل من طالب علم فيعان عليه وقد يراد ايضا ان الله ييسر لطالب العلم اذا قصد بطلبه وجه الله الانتفاع به والعمل بمقتضاه فيكون سببا لهدايته ولدخول الجنة بذلك وقد ييسر الله لطالب العلم علوما اخر ينتفع بها وتكون موصلة له الى الجنة وقد دل على ذلك قوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم وقد يدخل في ذلك ايضا تسهيل طريق الجنة الحسي يوم القيامة وهو الصراط وما قبله وما بعده من الاهوال فييسر ذلك على طالب العلم للانتفاع به فان العلم يدل على الله من اقرب الطرق اليه فمن سلك طريقه ولم يعوج عنه وصل الى الله والى الجنة من اقرب الطرق واسهلها فسهلت عليه الطرق الموصلة الى الجنة كلها في الدنيا والاخرة فلا طريق الى معرفة الله والى الوصول الى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الاخرة الا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه فهو الدليل عليه وبه يهتدى في ظلمات الجهل والشبه والشكوك ولهذا سمى الله كتابه نورا لانه يهتدى به في الظلمات قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ومثل النبي صلى الله عليه وسلم حملة العلم الذي جاء به بالنجوم الذي يهتدى بها في الظلمات خرج الامام احمد من حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداة وما دام العلم باقيا في الارض فالناس على هدى وبقاء العلم بقاء حملته فاذا ذهب حملته ومن يقوم به وقع الناس في الضلال كما في الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء فاذا لم يبق عالم اتخذ الناس روسا جهالا فسيلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوما رفع العلم فقيل له كيف يذهب العلم وقد قرانا القران واقراناه نساءنا وابناءنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما تغني عنهم فسيل عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن هذا الحديث فقال لو شئت لاخبرتك باول علم يرفع من الناس الخشوع وانما قال عبادة هذا لان العلم قسمان احدهما ما كان ثمرته في قلب الانسان وهو العلم بالله واسمائه وصفاته وافعاله المقتضي لخشيته ومهابته واجلاله والخضوع له ومحبته ورجائه ودعائه والتوكل عليه ونحو ذلك فهذا هو العلم النافع كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان اقواما يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع وقال الحسن العلم علمان علم على اللسان فذاك حجة الله على ابن ادم وهو كما في الحديث القران حجة لك او عليك فاول ما يرفع من العلم العلم النافع وهو العلم الباطن الذي يخالط القلوب ويصلحها ويبقى علم اللسان حجة فيتهاون الناس به ولا يعملون بمقتضاه لا حملته ولا غيرهم ثم يذهب هذا العلم بذهاب حملته فلا يبقى الا القران في المصاحف وليس ثم من يعلم معانيه ولا حدوده ولا احكامه ثم يسرى به في اخر الزمان فلا يبقى في المصاحف ولا في القلوب منه شي بالكلية وبعد ذلك تقوم الساعة كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة الا على شرار الناس وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة وفي الارض احد يقول الله الله قوله صلى الله عليه وسلم وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده هذا يدل على استحباب الجلوس في المسجد لتلاوة القران ومدارسته وهذا ان حمل على تعلم القران وتعليمه فلا خلاف في استحبابه وفي صحيح البخاري عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه قال ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه فذلك الذي اقعدني مقعدي هذا وكان قد علم القران في زمن عثمان رضي الله عنه حتى بلغ الحجاج بن يوسف وان حمل على ما هو اعم من ذلك دخل فيه الاجتماع في المساجد على دراسة القران مطلقا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم احيانا يامر من يقرا القران ليستمع قراءته كما امر ابن مسعود ان يقرا عليه وقال اني احب ان اسمعه من غيري وكان عمر رضي الله عنه يامر من يقرا عليه وعلى اصحابه وهم يستمعون فتارة يامر ابا موسى وتارة يامر عقبة بن عامر وسيل ابن عباس رضي الله عنهما اي العمل

قال ذكر الله قال وما جلس قوم في بيت يتعاطون فيه كتاب الله فيما بينهم ويتدارسونه الا اظلتهم الملائكة باجنحتها وكانوا اضياف الله ما داموا فيه حتى يخوضوا في حديث غيره وروي مرفوعا والموقوف اصح وروى يزيد الرقاشي عن انس رضي الله عنه قال كانوا اذا صلوا الغداة قعدوا حلقا حلقا يقرؤون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن ويذكرون الله عز وجل وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم صلوا صلاة الغداة ثم قعدوا في مصلاهم يتعاطون كتاب الله ويتدارسونه الا وكل الله بهم ملائكة يستغفرون لهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا يدل على استحباب الاجتماع بعد صلاة الغداة لمدارسة القرآن ولكن عطية فيه ضعف وقد روى حرب الكرماني باسناده عن الاوزاعي انه سئل عن المدارسة بعد صلاة الصبح فقال اخبرني حسان بن عطية ان اول من احدثها في مسجد دمشق هشام بن اسمعيل المخزومي في خلافة عبد الملك بن مروان فاخذ الناس بذلك وباسناده عن سعيد بن عبد العزيز وابراهيم بن سليمان انهما كانا يدرسان القرآن بعد صلاة الصبح ببيروت والاوزاعي في المسجد لا يغير عليهم وذكر حرب انه رأى اهل دمشق واهل حمص واهل مكة واهل البصرة يجتمعون على القراءة بعد صلاة الصبح لكن اهل الشام يقرؤون كلهم جملة واحدة من سورة واحدة باصوات عالية واهل البصرة يجتمعون فيقرأ احدهم عشر آيات والناس ينصتون ثم يقرأ آخر عشرا حتى يفرغوا قال حرب وكل ذلك حسن جميل وقد انكر ذلك مالك على اهل الشام قال زيد بن عبيد الدمشقي قال لي مالك بن انس رحمه الله بلغني انكم تجلسون حلقا تقرؤون فاخبرته بما كان يفعل اصحابنا فقال مالك عندنا كان المهاجرون والانصار ما نعرف هذا قلت هذا ظريف وطريقه جل يقرأ ويجتمع الناس حوله فقال هذا من غير رأيي وقال ابو مصعب واسحق بن محمد الفروي سمعنا مالك بن انس يقول الاجتماع بكرة بعد صلاة الفجر لقراءة القرآن بدعة ما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا العلماء بعدهم على هذا كانوا اذا صلوا يخلو كل بنفسه ويقرأ ويذكر الله عز وجل ثم ينصرفون من غير ان يكلم بعضهم بعضا اشتغالا بذكر الله عز وجل فهذه كلها محدثة وقال ابن وهب سمعت مالكا يقول لم تكن القراءة في المسجد من امر الناس القديم واول من احدث ذلك الحجاج بن يوسف قال مالك وانا اكره ذلك الذي يقرأ في المسجد في المصحف وقد روى هذا كله ابو بكر النيسابوري في كتاب مناقب مالك رحمه الله واستدل الاكثرون على استحباب الاجتماع لمدارسة القرآن في الجملة بالاحاديث الدالة على استحباب الاجتماع للذكر والقرآن افضل انواع الذكر ففي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا فيسالهم ربهم وهو اعلم بهم ما يقول عبادي قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول هل راوني فيقولون لا والله ما راوك فيقول كيف لو راوني فيقولون لو راوك كانوا اشد لك عبادة واشد لك تمجيدا وتحميدا واكثر لك تسبيحا فيقول فما يسالوني قال يسالونك الجنة فيقول هل راوها فيقولون لا والله يا رب ما راوها فيقول كيف لو انهم راوها فيقولون لو انهم راوها كانوا اشد عليها حرصا واشد لها طلبا واشد فيها رغبة قال فمم يتعوذون فيقولون من النار فيقول وهل راوها فيقولون لا والله يا رب ما راوها فيقول كيف لو راوها فيقولون لو راوها كانوا اشد منها فرارا واشد لها مخافة فيقول تعالى اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم وفي صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من اصحابه رضي الله عنهم فقال ما اجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن علينا به فقال آلله ما اجلسكم الا ذلك قالوا آلله ما اجلسنا الا ذلك قال اما اني لم استحلفكم تهمة لكم انه اتاني جبريل عليه السلام فاخبرني ان الله عز وجل يباهي بكم الملائكة وخرج الحاكم من حديث معاوية رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوما فدخل المسجد فاذا هو بقوم قعود فقال ما اقعدكم قالوا صلينا الصلاة المكتوبة ثم قعدنا نتذاكر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا ذكر شيئا تعاظم ذكره وفي المعنى احاديث اخر متعددة وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان جزاء الذين يجلسون في بيت الله يتدارسون كتاب الله اربعة احدها تنزل السكينة عليهم وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كان رجل يقرا سورة الكهف وعنده فرس فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة تنزلت للقرآن وفيهما ايضا عن ابي سعيد رضي الله عنه ان اسيد بن حضير رضي الله عنه بينما هو ليلة يقرا في مربده اذ جالت فرسه فقرا ثم جالت اخرى فقرا ثم جالت ايضا فقال اسيد فخشيت ان تطا يحيى فقمت اليها فاذا مثل الظلة فوق راسي فيها امثال السرج عرجت في الجو حتى ما اراها قال فغدوت على النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرات لاصبحت يراها الناس ما تستتر منهم واللفظ لمسلم فيهما وروى ابن المبارك عن يحيى بن ايوب عن عبيد الله بن زحر عن سعد بن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في مجلس فرفع بصره الى السماء ثم طاطا بصره ثم رفعه فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ان هؤلاء القوم كانوا يذكرون الله يعني اهل المجلس امامه فنزلت عليهم السكينة

تحملها الملائكة



تحملها الملائكة كالقبة فلما دنت منهم تكلم رجل منهم بباطل فرفعت عنهم هذا مرسل والثاني غشيان الرحمة قال الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وخرج الحاكم من حديث سلمان رضي الله عنه انه كان في عصابة يذكرون الله فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كنتم تقولون فاني رايت الرحمة تنزل عليكم فاردت ان اشارككم فيها وخرج البزار من حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا اتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم الى السماء الى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون ربنا اتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسالونك لآخرتهم ودنياهم فيقول تبارك وتعالى غشوهم برحمتي فيقولون ربنا ان فيهم فلانا الخطاء انما اعتنقهم اعتناقا فيقول تعالى غشوهم برحمتي والثالث ان الملائكة تحف بهم وهذا مذكور في هذه الاحاديث التي ذكرناها وفي حديث ابي هريرة المتقدم فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا وفي رواية للامام احمد على بعضهم على بعض حتى يبلغوا العرش وقال خالد بن معدان يرفع الحديث ان لله ملائكة في الهوى يسيحون بين السماء والارض فاذا سمعوا من يذكر الله قالوا رويدا زادكم الله فينشرون اجنحتهم حولهم حتى يصعد كلامهم الى العرش خرجه الخلال في كتاب السنة الرابع ان الله يذكرهم فيمن عنده وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وهذه الخصال الاربع لكل مجتمعين على ذكر الله عز وجل كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه وابي سعيد رضي الله عنه كلاهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لاهل ذكر الله اربعا تنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده وقد قال الله سبحانه وتعالى فاذكروني اذكركم وذكر الله لعبده هو ثناؤه عليه في الملا الاعلى بين الملائكة ومباهاتهم به وتنويهه بذكره قال الربيع بن انس ان الله ذاكر من ذكره وزائد من شكره ومعذب من كفره وقال الله سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وصلاة الله على عبده هو ثناؤه عليه بين ملائكته وتنويهه بذكره كذا قال ابو العالية ذكره البخاري في صحيحه وقال رجل لابي امامة رايتك في المنام كان الملائكة تصلي عليك كلما دخلت وكلما خرجت وكلما قمت وكلما جلست فقال ابو امامة وانتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة ثم قرا يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته خرجه الحاكم قوله صلى الله عليه وسلم ومن بطا به عمله لم يسرع به نسبه معناه ان العمل هو الذي يبلغ العبد درجات الآخرة كما قال تعالى ولكل درجات مما عملوا فمن ابطا به عمله ان يبلغ به المنازل العالية عند الله لم يسرع به نسبه فيبلغه تلك الدرجات فان الله تعالى رتب الجزاء على الاعمال لا على الانساب كما قال تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقد امر الله سبحانه وتعالى بالمسارعة الى مغفرته ورحمته بالاعمال كما قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين الآيتين وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون قال ابن مسعود رضي الله عنه يامر الله عز وجل بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس على قدر اعمالهم زمرا زمرا اوائلهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم كمر البهائم حتى يمر الرجل سعيا وحتى يمر الرجل مشيا حتى يمر آخرهم يتلبط على بطنه فيقول يا رب لم بطات بي فيقول اني لم ابطئ بك انما ابطا بك عملك وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين يا معشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت لا اغني عنك من الله شيئا وفي رواية خارج الصحيح ان اوليائي منكم المتقون الا لا ياتي الناس بالاعمال وتاتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون يا محمد فاقول قد بلغت وخرج ابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اوليائي المتقون وان كان نسب اقرب من نسب لا ياتي الناس بالاعمال وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا وهكذا واعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلا عطفيه وخرج البزار من حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر اجمع لي قومك يعني قريشا فجمعهم فقال ان اوليائي منكم المتقون فان كنتم اولئك فذاك والا فانظروا لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتاتون بالاثقال فيعرض عنكم وخرجه ايضا الحاكم مختصرا وصححه وفي المسند عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن خرج يوصيه ثم التفت فاقبل بوجهه الى المدينة فقال ان اولى الناس بي المتقون

من كانوا وحيث كانوا وخرجه الطبراني وزاد فيه ان اهل بيتي هولاء يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي منكم
المتقون من كانوا وحيث كانوا ويشهد لهذا كله ما في الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء وانما وليي الله وصالح المومنين يشير الى ان ولايته صلى الله عليه وسلم لا تنال بالنسب والقرب
وانما تنال بالايمان والعمل الصالح فمن كان اكمل ايمانا وعملا فهو اعظم ولاية له سواء كان له منه نسب قريب او لم يكن وفي هذا المعنى يقول بعضهم
لعمرك ما الانسان الا بدينه * فلا تترك التقوى اتكالا على النسب * لقد رفع الاسلام سلمان فارس * وقد وضع الشرك الشقي ابا لهب *

## الحديث السابع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال ان
الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر
حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة
واحدة رواه البخاري ومسلم هذا الحديث خرجاه من رواية الجعد ابي عثمان حدثنا ابو رجاء العطاردي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وفي رواية لمسلم زيادة في آخر الحديث وهي او محاها الله ولا يهلك على الله الا هالك وفي المعنى احاديث متعددة فخرجا
في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اذا اراد عبدي ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها
فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة وان اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة وان عملها فاكتبوها
له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وهذا لفظ البخاري وفي رواية لمسلم قال الله عز وجل اذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة
ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها بعشر امثالها واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها
بمثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له
بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب
بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصيام فانه لي وانا اجزي
به يدع شهوته وطعامه وشرابه من اجلي وفي رواية لمسلم بعد قوله الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله وفي صحيح مسلم عن ابي
ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر امثالها وازيد ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها او
اغفر وفي صحيح مسلم ايضا عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من هم بحسنة فلم يعملها كتب الله له حسنة فان عملها
كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيء فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة وفي المسند عن خريم بن فاتك
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله انه قد اشعرها قلبه وحرص عليها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة لم تكتب
عليه ومن عملها كتبت له واحدة ولم تضاعف عليه ومن عمل حسنة كانت له بعشر امثالها ومن انفق نفقة في سبيل الله كانت
بسبعمائة ضعف وفي المعنى احاديث اخر متعددة فتضمنت هذه النصوص كتابة الحسنات والسيئات والهم بالحسنة والسيئة
فهذه اربعة انواع **النوع الاول** عمل الحسنات فتضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة
فمضاعفة الحسنات بعشر امثالها لازم لكل الحسنات وقد دل عليه قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها واما زيادة
المضاعفة على العشر لمن يشاء الله ان يضاعف له فدل عليه قوله عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم فدلت هذه الاية على ان النفقة في سبيل الله
تضاعف بسبعمائة ضعف وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال يا رسول الله هذه في
سبيل الله فقال لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة وفي المسند باسناد فيه نظر عن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من انفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ومن انفق على نفسه واهله او عاد مريضا او ماز اذى فالحسنة بعشر امثالها
وخرج ابو داود من حديث سهل بن معاذ عن ابيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصلاة والصيام والذكر
يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف وقد روى ابن ابي حاتم باسناد فيه ضعف عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ارسل نفقة في سبيل الله واقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ثم تلى هذه الاية والله يضاعف
لمن يشاء وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر قال لما نزلت هذه الاية مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فانزل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وخرج الامام احمد من حديث علي بن زيد
بن جدعان عن ابي عثمان النهدي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليضاعف الحسنة الفي الف حسنة
ثم تلى ابو هريرة رضي الله عنه وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما وقال اذا قال الله اجرا عظيما فمن يقدر قدره وروي عن ابي هريرة
موقوفا وخرج الترمذي من حديث ابن عمر مرفوعا من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة ومن حديث تميم الداري رضي الله عنه مرفوعا
من قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحدا احدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا احد عشر مرات كتب الله له اربعين
الف الف حسنة وفي كلا الاسنادين ضعف وخرج الطبراني باسناد فيه ضعف ايضا عن ابن عمر عن عباس قال سبحان الله كتب له مائة الف
واربعة وعشرين الف حسنة وقوله في حديث ابي هريرة الا الصيام فانه لي وانا اجزي به يدل على ان الصيام لا يعلم قدر مضاعفة ثوابه الا الله
عز وجل لانه افضل انواع الصبر انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقد روي هذا المعنى عن طائفة من السلف منهم كعب وغيره وقد ذكرنا
فيما سبق في شرح حديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ان مضاعفة الحسنات زيادة على العشر تكون بحسب حسن الاسلام
كما جاء ذلك مصرحا في حديث ابي هريرة وغيره وتكون بحسب كمال الاخلاص وبحسب فضل ذلك العمل في نفسه وبحسب الحاجة اليه وقد ذكرنا
من حديث ابن عمر ان قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها نزلت في الاعراب وان قوله وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما
نزلت في المهاجرين **النوع الثاني** عمل السيئات فتكتب السيئة بمثلها من غير مضاعفة كما قال تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
وهم لا يظلمون وقوله كتبت له سيئة واحدة اشارة الى انها غير مضاعفة كما صرح به في حديث اخر لكن السيئة تعظم احيانا بشرف
الزمان والمكان كما قال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين
القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية فلا تظلموا فيهن انفسكم في كلهن ثم اختص من
ذلك اربعة اشهر فجعلهن حرما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن اعظم والعمل الصالح والاجر اعظم وقال قتادة في هذه الاية اعلموا
ان الظلم في الاشهر الحرم اعظم خطيئة ووزرا فيما سوى ذلك وان كان الظلم في كل حال عظيما ولكن الله تعالى يعظم من امره ما يشاء وقد
روي في حديثين مرفوعين ان السيئات تضاعف في رمضان ولكن اسنادهما لا يصح وقال الله تعالى الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن
الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج قال ابن عمر رضي الله عنهما الفسوق ما اصيب من معاصي الله صيدا كان او غيره وعنه قال الفسوق
اتيان معاصي الله في الحرم وقال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وكان جماعة من الصحابة يتقون سكنى الحرم خشية
ارتكاب الذنوب فيه منهم ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم وكذلك كان عمر بن عبد العزيز يفعل وكان عبد الله بن
عمرو بن العاص يقول الخطيئة فيه اعظم وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لان اخطئ سبعين خطيئة يعني بغير مكة احب الي من ان اخطئ
خطيئة واحدة بمكة وعن مجاهد قال تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقال ابن جريج بلغني ان الخطيئة بمكة مائة خطيئة
والحسنة على نحو ذلك وقال اسحاق بن منصور قلت لاحمد في شيء من الحديث ان السيئة تكتب باكثر من واحدة قال لا ما سمعت الا بمكة لتعظيم
البلد ولو ان رجلا بعدن ابين هم وقال اسحاق بن راهويه كما قال احمد وقوله ولو ان رجلا بعدن ابين هم هو من قول ابن مسعود رضي
الله عنه وسنذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى وقد تضاعف السيئات بشرف فاعلها وقوة معرفته بالله وقربه منه فان من عصى السلطان
على بساطه اعظم جرما ممن عصاه على بعد ولهذا توعد الله خاصة عباده على المعصية بمضاعفة الجزاء وان كان قد عصمهم منها ليبين
فضله عليهم بعصمتهم من ذلك كما قال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
وقال تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا
نوتها اجرها مرتين وكان علي بن الحسين يتاول في آل النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم مثل ذلك لقربهم من النبي صلى الله عليه وسلم **النوع
الثالث** الهم بحسنة فتكتب حسنة كاملة وان لم يعملها كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وفي حديث ابي هريرة الذي خرجه
مسلم كما تقدم اذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة والظاهر ان المراد بالتحدث حديث النفس وهو الهم وفي حديث
خريم بن فاتك من هم بحسنة فعلم الله انه قد اشعرها قلبه وحرص عليها كتبت له حسنة وهذا يدل على ان المراد بالهم هنا هو العزم المصمم
الذي يوجد معه الحرص على العمل لا مجرد الخطرة التي تخطر ثم تنفسخ من غير عزم ولا تصميم قال ابو الدرداء رضي الله عنه من اتى فراشه وهو
ينوي ان يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وروي عنه مرفوعا وخرجه ابن ماجه مختصرا قال الدارقطني المحفوظ
الموقوف وروي معناه من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن سعيد بن المسيب قال من هم بصلاة او صيام او حج او عمرة

او عزو وحيل بينه وبين ذلك بلغه الله ما نواه وقال ابو عمران الجوني ينادى الملك اكتب لفلان كذا وكذا فيقول يا رب انه لم يعمله فيقول انه نواه قال زيد بن اسلم كان رجل يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا ازال منه عاملا لله فاني لا احب ان تاتي علي ساعة من الليل والنهار الا وانا عامل لله عز وجل فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كفاعله ومتى اقترن بالنية قول او سعي تاكد الجزاء والتحق صاحبه بالعامل كما روى ابو كبشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الدنيا لاربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بافضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فاجرهما سوا وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا باخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سوا خرجه الامام احمد والترمذي وهذا لفظه وابن ماجه فقد حمل قوله فهما في الاجر سوا على استوائهما في اصل اجر العمل دون مضاعفته فالمضاعفة يختص بها من عمل العمل دون من نواه ولم يعمله فانهما لو استويا من كل وجه لكتب لمن هم بحسنة ولم يعملها عشر حسنات وهو خلاف النصوص كلها ويدل على ذلك قوله تعالى فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره القاعدون المفضل عليهم المجاهدون درجة هم القاعدون من اهل الاعذار والقاعدون المفضل عليهم المجاهدون درجات هم القاعدون من غير اهل الاعذار

**النوع الرابع**

الهم بالسيئات من غير عمل لها ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما انها تكتب له حسنة كاملة وكذلك في حديث ابي هريرة وانس وغيرهما رضي الله عنهما انها تكتب حسنة وفي حديث ابي هريرة قال انما تركها من جراي يعني من اجلي وهذا يدل على ان المراد من قدر على ما هم به من المعصية فتركها لله عز وجل وهذا لا ريب في انه تكتب له بذلك حسنة لان تركه للمعصية بهذا القصد عمل صالح فاما ان هم بمعصية ثم ترك عملها خوفا من المخلوقين او مراءاة لهم فقد قيل انه يعاقب على تركها بهذه النية لان تقديم خوف المخلوقين على خوف الله محرم وكذلك قصد الرياء للمخلوقين محرم فاذا اقترن به ترك المعصية لاجله عوقب على هذا الترك وقد خرج ابو نعيم باسناد ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا صاحب الذنب لا تامنن سوء عاقبته ولما يتبع الذنب اعظم من الذنب اذا عملته وذكر كلاما وقال وخوفك من الريح اذا حركت ستر بابك وانت على الذنب لا يضطرب فوادك من نظر الله اليك اعظم من الذنب اذا عملته كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله كانوا يقولون ترك العمل للناس رياء والعمل لهم شرك واما ان سعى في حصولها بما امكنه ثم حال بينه وبينها القدر فقد ذكر جماعة انه يعاقب عليها حينئذ لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تكلم به او تعمل ومن سعى في حصول المعصية جهده ثم عجز عنها فقد عمل وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقوله ما لم تكلم به او تعمل يدل على ان الهام بالمعصية اذا تكلم بما هم به بلسانه انه يعاقب على الهم حينئذ لانه قد عمل بجوارحه معصية وهو التكلم باللسان ويدل على ذلك حديث الذي قال لو ان لي مالا لعملت فيه ما عمل فلان يعني الذي يعصي الله في ماله قال فهما في الوزر سوا ومن المتاخرين من قال لا يعاقب على التكلم بما هم به ما لم تكن المعصية التي هم بها قولا محرما كالقذف والغيبة والكذب فاما ما كان متعلقها العمل بالجوارح فلا ياثم بمجرد التكلم بما هم به وهذا قد يستدل له بحديث ابي هريرة المتقدم واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها ولكن المراد بالحديث هنا حديث النفس جمعا بينه وبين قوله ما لم تكلم به او تعمل وحديث ابي كبشة يدل على ذلك فان قول القائل بلسانه لو ان لي مالا لعملت فيه بالمعاصي كما عمل فلان ليس هو العمل بالمعصية التي هم بها وانما اخبر عما هم به فقط مما متعلقه انفاق المال وليس له مال بالكلية وايضا فالكلام بذلك محرم فكيف يكون معفوا عنه غير معاقب عليه واما ان انفسخت نيته وفترت عزيمته من غير سبب منه فهل يعاقب على ما هم به من المعصية ام لا هذا على قسمين احدهما ان يكون الهم بالمعصية خاطرا خطر ولم يساكنه صاحبه ولم يعقد قلبه عليه بل كرهه ونفر منه فهذا معفو عنه وهو كالوساوس الردية التي سئل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ذاك صريح الايمان ولما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شي قدير شق ذلك على المسلمين وظنوا دخول هذه الخواطر فيه فنزلت الاية التي بعدها وفيها قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فبينت ان ما لا طاقة لهم به فهو غير مؤاخذ به ولا مكلف به وقد سمى ابن عباس وغيره ذلك نسخا ومرادهم ان هذه الاية ازالت الايهام الواقع في النفوس من الاية الاولى وبينت ان المراد بالاية الاولى العزائم المصمم عليها ومثل هذا كانوا يسمونه نسخا

**القسم الثاني**

العزائم المصممة التي تقع في النفوس وتدوم ويساكنها صاحبها فهذا ايضا نوعان احدهما ما كان عملا مستقلا بنفسه من اعمال القلوب كالشك في الوحدانية او النبوة او البعث وغير ذلك من اصول الكفر والنفاق واعتقاد

تكذيب ذلك



تكذيب ذلك فهذا كله يعاقب عليه العبد ويصير بذلك كافرا ومنافقا وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه حمل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله على مثل هذا وروي عنه انه حملها على كتمان الشهادة لقوله تعالى ومن يكتمها فانه اثم قلبه ويلتحق بهذا القسم سائر المعاصي المتعلقة بالقلوب كمحبة ما يبغضه الله او بغض ما يحبه والكبر والعجب والحسد وسوء الظن بالمسلم من غير موجب مع انه قد روي عن سفيان انه قال في سوء الظن اذا لم يترتب عليه قول او فعل فهو معفو عنه وكذلك روي عن الحسن انه قال في الحسد ولعل هذا محمول على قولهما على ما يجده الانسان في نفسه ولا يمكنه دفعه فهو يكرهه ويدفعه عن نفسه ولا يندفع الا على ما يساكنه ويستروح اليه ويعيد حديث نفسه ويبديه والنوع الثاني ما لم يكن من اعمال القلوب بل كان من اعمال الجوارح كالزنا والسرقة وشرب الخمر والقتل والقذف ونحو ذلك اذا اصر العبد على ارادة ذلك والعزم عليه ولم يظهر له اثر في الخارج اصلا فهذا في المؤاخذة به قولان مشهوران للعلماء احدهما يؤاخذ به قال ابن المبارك رحمه الله عليه سالت سفيان الثوري ايؤاخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما اخذ بها ورجح هذا القول كثير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من اصحابنا وغيرهم واستدلوا له بنحو قوله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وبنحو قول النبي صلى الله عليه وسلم الاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس وحملوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم تكلم به او تعمل على الخطرات وقالوا ما ساكنه العبد وعقد قلبه عليه فهو من كسبه وعمله فلا يكون معفوا عنه ومن هؤلاء من قال انه يعاقب عليه بالهموم في الدنيا والغموم وروي ذلك عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا وموقوفا وفي صحته نظر وقيل بل يحاسب العبد به يوم القيمة فيوقفه الله عليه ثم يعفو عنه ولا يعاقبه به فتكون عقوبته المحاسبة وهذا مروي عن ابن عباس والربيع بن انس رضي الله عنه وهو اختيار ابن جرير واحتج له بحديث ابن عمر في النجوى وذلك ليس فيه عموم فانه وارد في الذنوب المستورة في الدنيا لا في وساوس الصدور والقول الثاني لا يؤاخذ بمجرد النية مطلقا ونسب ذلك الى نص الشافعي وهو قول ابن حامد من اصحابنا عملا بالعمومات وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على مثل هذا القول وفيه قول ثالث انه لا يؤاخذ بالهم بالمعصية الا بان يهم بارتكابها في الحرم كما روى السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ما من عبد يهم بخطيئة فلم يعملها فتكتب عليه ولو هم بقتل انسان عند البيت وهو بعدن ابين الا اذاقه الله من عذاب اليم وقرا عبد الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم خرجه الامام احمد وغيره وقد رواه عن السدي شعبة وسفيان فرفعه شعبة ووقفه سفيان والقول قول سفيان في وقفه وقال الضحاك ان الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بارض اخرى فتكتب عليه ولم يعملها وقد تقدم عن اسحق واحمد ما يدل على مثل هذا القول وكذلك حكاه القاضي ابو يعلى عن احمد وروى احمد في رواية المروزي حديث ابن مسعود هذا ثم قال احمد يقول ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال احمد لو ان رجلا بعدن ابين هم بقتل رجل في الحرم هذا قول الله سبحانه وتعالى نذقه من عذاب اليم هكذا قال ابن مسعود رحمه الله وقد رد بعضهم هذا الى ما تقدم من المعاصي التي متعلقها القلب وقال الحرم يجب احترامه وتعظيمه بالقلوب والعقوبة على ترك هذا الواجب وهذا لا يصح فان حرمة الحرم ليست باعظم من حرمة محرمه سبحانه وتعالى والعزم على معصية الله عزم على انتهاك محارمه ولكن لو عزم على ذلك قصدا لانتهاك حرمة الحرم واستخفافا بحرمته فهذا كالو عزم على معصية لقصد الاستخفاف بحرمة الخالق عز وجل فيكفر بذلك وانما ينتفي الكفر عنه اذا كان همه بالمعصية لمجرد نيل شهوته وغرض نفسه مع ذهوله عن قصد مخالفة الله عز وجل والاستخفاف بنهيه وبنظره ومتى اقترن العمل بالهم فانه يعاقب عليه سواء كان الفعل متاخرا او متقدما فمن فعل محرما مرة ثم عزم على فعله متى قدر عليه فهو مصر على المعصية ويعاقب على هذه النية وان لم يعملها الا بعد سنين عديدة وبذلك فسر ابن المبارك وغيره الاصرار على المعصية وبكل حال فالمعصية انما تكتب بمثلها من غير مضاعفة فتكون العقوبة على المعصية ولا ينضم اليها الهم بها اذ لو ضم الى المعصية الهم بها لعوقب على عمل المعصية عقوبتين ولا يقال فهذا يلزم مثله في عمل الحسنة فانها اذا عملها بعد الهم بها اثيب على الحسنة دون الهم بها لانا نقول هذا ممنوع فان من عمل حسنة كتبت له عشر امثالها فيجوز ان تكون بعض هذه الامثال جزاء للهم بالحسنة والله اعلم. وقوله في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في رواية مسلم او محاها الله يعني ان عمل السيئة اما ان تكتب لعاملها سيئة واحدة او يمحوها الله بما شاء من الاسباب كالتوبة والاستغفار وعمل الحسنات وقد سبق الكلام على ما تمحى به السيئات في شرح حديث ابي ذر اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وقوله بعد ذلك ولا يهلك على الله الا هالك يعني بعد هذا الفضل العظيم من الله والرحمة الواسعة منه بمضاعفة الحسنات والتجاوز عن السيئات لا يهلك على الله الا من هلك والقى بيده الى التهلكة وتجرا على السيئات ورغب عن الحسنات واعرض عنها ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه ويل لمن غلب وحداته عشراته وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا هلك من غلب واحده عشرا

عز وجل

رضي الله عنهما مرفوعا هلك من غلب واحده عشرا

وخرج الامام احمد وابو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان
لا يحصيهما رجل مسلم الا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله في دبر كل صلاة عشرا ويحمد عشرا ويكبر عشرا قال فتلك
مائة وخمسون باللسان والف وخمسمائة في الميزان واذا اخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده مائة فتلك مائة في اللسان والف في
الميزان فايكم يعمل في اليوم والليلة الفين وخمسمائة سيئة وفي المسند عن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدع احدكم ان
يعمل لله الف حسنة حين يصبح يقول سبحان الله وبحمده مائة مرة فانها الف حسنة فانه لن يعمل ان شاء الله مثل ذلك في يومه من الذنوب ويكون ما عمل
من خير سوى ذلك وافرا **الحديث الثامن والثلاثون** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال
من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه رواه
البخاري هذا الحديث تفرد باخراجه البخاري من دون بقية اصحاب الكتب خرجه عن محمد بن عثمان بن كرامة ثنا خالد بن مخلد قال
ثنا سليمان بن بلال قال حدثني شريك بن عبد الله بن ابي نمر عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث بطوله وزاد في اخره
وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته وهو من غرائب الصحيح تفرد به ابن كرامة عن خالد وليس
هو في مسند احمد مع ان خالد بن مخلد القطواني تكلم فيه الامام احمد وغيره وقالوا له مناكير وعطاء الذي في اسناده قيل انه ابن ابي رباح
وقيل انه ابن يسار وانه وقع في بعض نسخ الصحيح منسوبا كذلك وقد روي هذا الحديث من وجوه اخر لا تخلو كلها من مقال فرواه عبد الواحد
بن ميمون ابو حمزة مولى عروة بن الزبير عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من اذى لي وليا فقد استحل
محاربتي وما تقرب الي عبدي بمثل اداء فرائضي وان عبدي ليتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت عينه التي يبصر بها ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به ان دعاني اجبته وان سالني اعطيته وما ترددت
عن شيء انا فاعله ترددي عن موته وذلك انه يكره الموت وانا اكره مساءته خرجه ابن ابي الدنيا وغيره وخرجه الامام احمد بمعناه
وذكر ابن عدي انه تفرد به عبد الواحد هذا عن عروة وعبد الواحد هذا قال فيه البخاري منكر الحديث ولكن خرجه الطبراني ثنا هارون
بن كامل ثنا سعيد بن ابي مريم ثنا ابراهيم بن سويد المدني حدثني ابو حزرة اخبرني يعقوب بن مجاهد اخبرني عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم
فذكره وهذا اسناده جيد ورواته كلهم ثقات مخرج لهم في الصحيح سوى شيخ الطبراني فانه لا يحضرني الان معرفة حاله ولعل الراوي
قال ثنا ابو حمزة يعني عبد الواحد بن ميمون فتخيل للسامع انه قال ابو حزرة ثم سماه من عنده بناء على وهمه والله اعلم وخرج الطبراني
وغيره من رواية عثمان بن ابي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل
من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضت عليك ولا يزال عبدي يتحبب الي
بالنوافل حتى احبه فاكون قلبه الذي يعقل به ولسانه الذي ينطق به وبصره الذي يبصر به فاذا دعاني اجبته واذا سالني
اعطيته واذا استنصرني نصرته واحب عبادة عبدي الي النصيحة عثمان وعلي بن يزيد ضعيفان وقال ابو حاتم الرازي في هذا الحديث
هو منكر جدا وقد روي من حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد ضعيف خرجه الاسماعيلي في مسند علي وروي من حديث
ابن عباس رضي الله عنهما باسناد ضعيف خرجه الطبراني وفيه زيادات في لفظه ورويناه من وجه اخر عن ابن عباس وهو ضعيف ايضا وخرج
الطبراني من حديث الحسن بن يحيى الخشني عن صدقة بن عبد الله الدمشقي عن هشام الكناني عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
عن جبريل عليه السلام عن ربه تعالى قال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما ترددت عن شيء انا فاعله ما ترددت في قبض
روح عبدي المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يريد بابا من العبادة فاكفه عنه لا يدخله عجب
فيفسده ذلك وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتنفل الي حتى احبه ومن احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا
ومؤيدا دعاني فاجبته وسالني فاعطيته ونصح لي فنصحت له وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده
ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو بسطت له لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده
ذلك اني ادبر عبادي بعلمي بما في قلوبهم اني عليم خبير والخشني وصدقة ضعيفان وهشام لا يعرف وسئل ابن معين عن هشام هذا
من هو قال لا احد يعني انه لا يعتبر به وقد خرج البزار بعض هذا الحديث من طريق صدقة عن عبد الكريم الجزري عن انس وخرج الطبراني

من حديث الاوزاعي



من حديث الاوزاعي عن عبدة بن ابي لبابة ثني زر بن حبيش سمعت حذيفة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اوحى الي
يا اخا المرسلين ويا اخا المنذرين انذر قومك ان لا يدخلوا بيتا من بيوتي ولاحد عندهم مظلمة فاني العنه ما دام قائما بين يدي
يصلي حتى يرد تلك الظلامة الى اهلها فاكون سمعه الذي يسمع به واكون بصره الذي يبصر به ويكون من اوليائي واصفيائي و
يكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة وهذا اسناد جيد وهو غريب جدا ولنرجع الى شرح حديث ابي هريرة
رضي الله عنه الذي رواه البخاري وقد قيل انه اشرف حديث روي في ذكر الاولياء فقوله عز وجل من عادى لي وليا فقد اذنته
بالحرب يعني فقد اعلمته باني محارب له حيث كان محاربا لي بمعاداة اوليائي ولهذا جاء في حديث عائشة فقد استحل محاربتي
وفي حديث ابي امامة وغيره فقد بارزني بالمحاربة وخرج ابن ماجه باسناد ضعيف عن معاذ بن جبل رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ان يسير الرياء شرك وان من عادى اولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الابرار الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم
يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة فاولياء الله تجب موالاتهم وتحرم
معاداتهم كما ان اعداءه تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم قال الله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا الى قوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وروى الامام احمد في كتاب الزهد باسناده عن وهب بن منبه قال ان
الله عز وجل قال لموسى عليه السلام لما كلمه اعلم ان من اهان لي وليا او اخافه فقد بارزني بالمحاربة وعرض نفسه ودعاني لها وانا
اسرع شيء الى نصرة اوليائي افيظن الذي يحاربني ان يقوم لي او يظن الذي يعاجزني ان يعجزني ام يظن الذي يبارزني ان يسبقني
او يفوتني وكيف وانا الثائر لهم في الدنيا والاخرة فلا اكل نصرتهم الى غيري واعلم ان جميع المعاصي محاربة لله عز وجل
قال الحسن ابن ادم هل لك من محاربة الله من طاقة فان من عصى الله فقد حاربه لكن كلما كان الذنب اقبح كان اشد محاربة لله و
لهذا سمى الله اكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله ولرسوله لعظم ظلمهم لعباده وسعيهم بالفساد في بلاده وكذلك معاداة اوليائه
فانه سبحانه يتولى نصرة اوليائه ويحبهم ويؤيدهم فمن عاداهم فقد عادى الله وحاربه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الله الله في
اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه خرجه الترمذي وغيره وقوله تعالى
وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه لما ذكر ان معاداة اوليائه محاربة له
ذكر بعد ذلك وصف اوليائه الذين تحرم معاداتهم وتجب موالاتهم فذكر ما يتقرب به اليه واصل الولاية القرب واصل العداوة البعد
فاولياء الله هم الذين يتقربون اليه بما يقربهم منه واعداؤه هم الذين ابعدهم عنه باعمالهم المقتضية لطردهم وابعادهم منه فقسم اولياءه
المقربين الى قسمين احدهما من تقرب اليه باداء الفرائض ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات لان ذلك كله من فرائض الله التي افترضها
على عباده والثاني من تقرب اليه بعد الفرائض بالنوافل فظهر بذلك انه لا طريق يوصل الى التقرب الى الله وولايته ومحبته سوى
طاعته التي شرعها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فمن ادعى ولاية الله والتقرب اليه ومحبته بغير هذه الطريق تبين انه كاذب في دعواه
كما كان المشركون يتقربون الى الله بعبادة من يعبدونه من دونه كما حكى الله عنهم انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكما حكى عن
اليهود والنصارى انهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه مع اصرارهم على تكذيب رسله وارتكاب نواهيه وترك فرائضه فلذلك ذكر
في هذا الحديث ان اولياء الله على درجتين احدهما المتقربون الى الله باداء الفرائض وهذه درجة المقتصدين اصحاب اليمين
واداء الفرائض افضل الاعمال كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله والورع عما حرم الله وصدق النية
فيما عند الله عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله افضل العبادة اداء الفرائض واجتناب المحارم وذلك ان الله عز وجل انما
افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم منه ويوجب لهم رضوانه ورحمته واعظم فرائض البدن التي تقرب اليه الصلاة كما قال تعالى واسجد
واقترب وقال النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وقال اذا كان احدكم يصلي فانما يناجي ربه او ربه بينه وبين
القبلة وقال ان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت ومن الفرائض المقربة الى الله عز وجل عدل الراعي في رعيته سواء كانت
رعية عامة كالحاكم او خاصة كعدل احاد الناس في اهله وولده كما قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته وفي صحيح مسلم
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين
يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا وفي الترمذي عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان احب العباد الى الله يوم القيامة
وادناهم اليه مجلسا امام عادل **الدرجة الثانية** درجة السابقين المقربين وهم الذين تقربوا الى الله بعد الفرائض بالاجتهاد
في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع وذلك يوجب للعبد محبة الله كما قال ولا يزال عبدي يتقرب الي

بالنوافل فحينئذ احبه من احبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بخدمته وذكره فاوجب ذلك له القرب منه والزلفى لديه والحظوة عنده
كما قال تعالى من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ففي هذه الآية اشارة الى ان من اعرض عن حبنا وتولى عن قربنا لم نبال به و
استبدلنا به من هو اولى بهذه المنحة منه واحق فمن اعرض عن الله فما له من الله بدل ولله منه ابدال ❊ مالي شغل سواه ❊ مالي شغل بما يحرف
عن هواه قلبي عذل ❊ ما اصنع ان جفا وخاب الامل ❊ مني بدل ومنه مالي بدل ❊ وفي بعض الآثار يقول الله عز وجل يا ابن ادم اطلبني
تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وكان ذو النون يردد هذه الابيات بالليل كثيرا ❊ اطلبوا لانفسكم مثل ما وجدت انا
قد وجدت لي سكنا ليس في هواه عنا ❊ ان بعدت قربني وان قربت منه دنا ❊ من فاته الله فلو حصلت له الجنة بحذافيرها لكان مغبونا
فكيف اذا لم يحصل له الا النزر اليسير الحقير من دار كلها لا تعدل جناح بعوضة ❊ من فاته ان يراك يوما فكل اوقاته فوات ❊ وحيث ما
كنت من بلاد ❊ فلي الى وجهك التفات ❊ ثم ذكر اوصاف الذين يحبهم ويحبونه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يعني انهم
يعاملون المؤمنين بالذلة واللين وخفض الجناح اعزة على الكافرين يعني انهم يعاملون الكافرين بالعزة والشدة عليهم والاغلاظ لهم فلما
احبوا الله احبوا اولياءه الذين يحبونه فعاملوهم بالمحبة والرافة والرحمة وابغضوا اعداءه الذين يعادونه فعاملوهم بالشدة والغلظة
كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى يجاهدون في سبيل الله فان من تمام المحبة مجاهدة اعداء المحبوب وايضا
فالجهاد في سبيل الله دعاء للمعرضين عن الله بالرجوع اليه بالسيف والسنان بعد دعائهم اليه بالحجة والبرهان فالمحب لله
يحب اجتلاب الخلق كلهم الى بابه فمن لم يجب الدعوة اليه باللين والرفق احتاج الى الدعوة بالشدة والعنف عجب ربك من قوم
يقادون الى الجنة بالسلاسل ولا يخافون لومة لائم لا هم للمحب غير ما يرضي حبيبه رضي من رضي وسخط من سخط من خاف الملامة في هوى
من يحبه فليس بصادق ❊ وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ❊ متاخر عنه ولا متقدم ❊ اجد الملامة في هواك لذيذة
حبا لذكرك فليلمني اللوم ❊ قوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني درجة الذين يحبهم ويحبونه باوصافهم المذكورة
والله واسع عليم واسع العطاء عليم بمن يستحق الفضل فيمنحه ومن لا يستحقه فيمنعه ويروى ان داود عليه الصلاة والسلام كان
يقول اللهم اجعلني من احبابك فانك اذا احببت عبدا غفرت ذنبه وان كان عظيما وقبلت عمله وان كان يسيرا وكان داود عليه
السلام يقول في دعائه اللهم اني اسالك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي ومن الماء
البارد وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتاني ربي عز وجل يعني في المنام فقال لي يا محمد قل اللهم اني اسالك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني
حبك وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك اللهم ما رزقتني مما احب فاجعله قوة لي فيما تحب
اللهم ما زويت عني مما احب فاجعله فراغا لي فيما تحب وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو اللهم اجعل حبك احب الاشياء الي وخشيتك
اخوف الاشياء عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك واذا اقررت اعين اهل الدنيا [بدنياهم] فاقرر عيني من عبادتك فاهل هذه
الدرجة من المقربين ليس لهم هم الا فيما يقربهم ممن يحبهم ويحبونه قال بعض السلف العمل على المخافة قد يغيره الرجاء والعمل على الحب لا تدخله
الفتور ومن كلام بعضهم اذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسام محبوك من مناجاتك وذكرك قال فرقد السبخي قرات في بعض
الكتب من احب الله لم يكن عنده شيء اثر من هواه ومن احب الدنيا لم يكن عنده شيء اثر من هوى نفسه والمحب لله امير مؤمر على الامراء زمرته
اول الزمر يوم القيامة ومجلسه اقرب المجالس فيما هنالك والمحبة منتهى القربة والاجتهاد ولن يسام المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل يحبونه
ويحبون ذكره ويحببونه الى خلقه يمشون بين عباده بالنصائح ويخافون عليهم من اعمالهم يوم تبدو الفضائح اولئك اولياء الله واحباؤه
واهل صفوته اولئك لا راحة لهم دون لقائه قال فتح الموصلي المحب لا يجد مع حب الله عز وجل للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين وقال محمد
بن النضر الحارثي ما كاد يمل القربة الى الله عز وجل محب لله عز وجل وما كاد يسام من ذلك وقال بعضهم المحب لله طائر القلب كثير الذكر متسبب
الى رضوانه بكل سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل دوبا دوبا وشوقا شوقا وانشد بعض السلف ❊ وكن لربك ذا حب لتخدمه
ان المحبين للاحباب خدام ❊ واخر تشاحن ❊ ما للمحب سوى ارادة حبه ❊ ان المحب بكل بر يضرع ❊ ومن اعظم ما يتقرب به الى الله
من النوافل كثرة تلاوة كتابه وسماعه بتدبر وتفكر وتفهم قال خباب بن الارت رضي الله عنه لرجل تقرب الى الله ما استطعت واعلم انك لن تتقرب
اليه بشيء هو احب اليه من كلامه وفي الترمذي عن ابي امامة رضي الله عنه مرفوعا ما تقرب العباد الى الله عز وجل بمثل ما خرج منه يعني القران لا شيء
للمحبين احلى من كلام محبوبهم فهو لذة قلوبهم وغاية مطلوبهم قال عثمان رضي الله عنه لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم وقال
ابن مسعود رضي الله عنه من احب القران فهو يحب الله ورسوله قال بعض العارفين لمريد اتحفظ القران قال لا فقال واغوثاه بالله مريد لا يحفظ القران فبم يتنعم



فيما يترنم فيما يناجي ربه عز وجل وكان بعضهم يكثر تلاوة القران ثم اشتغل عنه بغيره فرأى في المنام قائلا يقول لي ان كنت تزعم حبي فلم جفوت
كتابي اما تاملت ما فيه من لطيف عتابي ❊ ومن ذلك كثرة ذكر الله عز وجل الذي يتواطأ عليه القلب واللسان وفي مسند البزار عن معاذ رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله اخبرني بافضل الاعمال واقربها الى الله عز وجل قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في
ملا خير منهم وفي حديث اخر انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال عز وجل اذكروني اذكركم ولما سمع النبي صلى الله عليه وسلم الذين يرفعون اصواتهم
بالتكبير والتهليل وهم معه في سفر قال انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وفي رواية وهو اقرب الى احدكم من اعناق
رواحلكم ❊ ومن ذلك محبة اولياء الله واحبابه فيه ومعاداة اعدائه فيه وفي سنن ابي داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل قالوا يا رسول الله من هم قال هم
قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس ثم تلا هذه الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويروى نحوه من حديث ابي مالك الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
وفي حديثه يغبطهم الانبياء والشهداء لقربهم ومقعدهم من الله عز وجل وفي المسند عن عمرو بن الجموح رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجد العبد صريح الايمان
حتى يحب لله ويبغض لله فاذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولاية من الله ان اوليائي من عبادي واحبابي من خلقي الذين يذكرون بذكري و
اذكر بذكرهم وسيل المرتعش بماذا تنال المحبة قال بموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه واصله الموافقة وفي الزهد للامام احمد عن عطاء بن يسار قال
قال موسى عليه السلام يا رب من اهلك الذين تظلهم في ظل عرشك قال يا موسى هم البرية ايديهم الطاهرة قلوبهم الذين يتحابون بجلالي الذين اذا
ذكرت ذكروا بي واذا ذكروا ذكرت بذكرهم الذين يسبغون الوضوء في المكاره وينيبون الى ذكري كما تنيب النسور الى وكورها ويكلفون بحبي كما
يكلف الصبي بالناس ويغضبون لمحارمي اذا استحلت كما يغضب النمر اذا حرب ❊ قوله تعالى فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفي بعض الروايات وقلبه الذي يعقل به ولسانه الذي ينطق به المراد بهذا الكلام ان من
اجتهد في التقرب الى الله عز وجل بالفرائض ثم بالنوافل قربه الله اليه ورقاه من درجة الايمان الى درجة الاحسان فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة
كانه يراه فيمتلئ قلبه بمعرفة الله ومحبته وعظمته ومهابته واجلاله والانس به والشوق اليه حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدا له بعين البصيرة
كما قيل ❊ ساكن في القلب يعمره ❊ لست انساه فاذكره ❊ غاب عن سمعي وعن بصري ❊ فسويدا القلب تبصره ❊ قال الفضيل رحمه الله ان الله عز وجل
يقول كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها انا مطلع على احبابي وقد مثلوا بين اعينهم وخاطبوني
على المشاهدة وكلموني بحضور غدا اقر اعينهم في جناني ولا يزال هذا الذي في قلوب المحبين يقوى حتى تمتلئ قلوبهم به فلا يبقى في قلوبهم
غيره ولا تستطيع جوارحهم ان تنبعث الا بموافقة ما في قلوبهم ومن كان بهذا الحال هذا قيل فيه ما بقي في قلبه الا الله والمراد معرفته ومحبته وذكره
وا وهذا المعنى الاسرائيلي المشهور يقول الله عز وجل ما وسعني سمائي ولا ارضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن ❊ وقال بعض العارفين
احذروه فانه غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده غيره ❊ فقال بعضهم في هذا المعنى ❊ ليس للناس موضع في فؤادي ❊ زاد فيه هواك حتى امتلا
وقال اخر ❊ قد تسع قلبي على اتساعهم ❊ فالحب سواهم فيه متسع ❊ والى هذا المعنى اشار النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته لما قدم المدينة
فقال احبوا الله من كل قلوبكم كما ذكره ابن اسحق في سيرته فمتى امتلا القلب بعظمة الله محا ذلك من القلب كل ما سواه ولم يبق للعبد شيء
من نفسه وهواه ولا ارادة الا لما يريد منه مولاه فحينئذ لا ينطق العبد الا بذكره ولا يتحرك الا بامره فان نطق نطق بالله وان سمع سمع
بالله وان نظر نظر به وان بطش بطش به فهذا هو المراد بقوله عز وجل كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها
ورجله التي يمشي بها ومن اشار الى غير هذا فانما يشير الى الالحاد من الحلول والاتحاد والله ورسوله بريان منه ومن هنا كان بعض السلف
كسليمان التيمي يرون انه لا يحسن ان يعصي الله ووصت امراة من السلف اولادها فقالت لهم تعودوا حب الله وطاعته فان المتقين
الفوا الطاعة فاستوحشت جوارحهم من غيرها فان عرض لهم الملعون بمعصية مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون ومن
هذا المعنى قول علي رضي الله عنه انا كنا نرى ان شيطان عمر ليهابه ان يامره بالخطية وقد اشرنا فيما سبق الى ان هذا من اسرار التوحيد الخاص
فان معنى لا اله الا الله ان لا يؤله غيره حبا ورجاء وخوفا وطاعة فاذا تحقق القلب بالتوحيد التام لم يبق فيه محبة لغير ما يحبه الله ولا كراهة
لغير ما يكرهه الله ومن كان كذلك لم تنبعث جوارحه الا بطاعة الله وانما تنشا الذنوب من محبة ما يكرهه الله او كراهة ما يحبه الله وذلك ينشا
من تقديم هوى النفس على محبة الله وخشيته وذلك يقدح في كمال التوحيد الواجب فيقع العبد بسبب ذلك في التفريط في بعض الواجبات
وارتكاب بعض المحظورات فاما من تحقق قلبه بتوحيد الله فلا يبقى له هم الا في الله وفيما يرضيه وقد ورد في الحديث مرفوعا من اصبح وهمه غير الله

فليتمنَّ ما شاء وخرج الإمام أحمد من حديث أبي بن كعب موقوفا قال من أصبح وأكبر همه غير الله فليس من الله وقال بعض العارفين
من أخبرك أن وليه له هم في غيره فلا تصدقه كان داود الطائي ينادي بالليل همك عطل علي الهموم وخالف بيني وبين السهاد
وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني اللذات وحال بيني وبين الشهوات فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب وفي هذا المعنى يقول بعضهم
قالوا تشاغل عنا واصطفى بدلا منا وذلك فعل الخائن السالي وكيف أشغل قلبي عن محبتكم بغير ذكركم يا كل أشغالي

**قوله ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وفي الرواية الأخرى إن دعاني**

أجبته وإن سألني أعطيته يعني أن هذا المحبوب المقرب له عند الله منزلة خاصة تقتضي أنه إذا سأل الله شيئا أعطاه إياه وإن
استعاذ به من شيء أعاذه منه وإن دعاه أجابه فيصير مجاب الدعوة لكرامته على ربه عز وجل وقد كان كثير من السلف الصالح
معروفا بإجابة الدعوة وفي الصحيح أن الربيع بنت النضر كسرت ثنية جارية فعرضوا عليهم الأرش فأبوا فطلبوا منهم العفو
فأبوا فقضى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال أنس بن النضر أتكسر ثنية الربيع والذي بعثك بالحق لا
تكسر ثنيتها فرضي القوم وأخذوا الأرش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره وفي صحيح الحاكم
عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك
رضي الله عنه وإن البراء لقي زحفا من المشركين فقال له المسلمون أقسم على ربك فقال أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم
فمنحوا أكتافهم ثم التقوا مرة أخرى فقالوا له أقسم على ربك فقال أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك
صلى الله عليه وسلم فمنحوا أكتافهم وقتل البراء رضي الله عنه وروى ابن أبي الدنيا بإسناد له أن النعمان بن قوقل قال يوم أحد اللهم
إني أقسم عليك أن أقتل فأدخل الجنة فقتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن النعمان أقسم على الله فأبره وروى أبو نعيم بإسناده
عن سعد أن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال يوم أحد يا رب إذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده
أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك فأقول
فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط وكان سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه مجاب الدعوة فكذب عليه رجل فقال اللهم إن كان كاذبا فأعم بصره وأطل عمره وعرضه للفتن فأصاب الرجل
ذلك كله فكان يتعرض للجواري في السكك ويقول شيخ كبير فقير مفتون أصابتني دعوة سعد ودعا على رجل سمعه يشتم عليا
رضي الله عنه فما برح من مكانه حتى جاء بعير ناد فخبطه بيديه ورجليه حتى قتله ونازعت امرأة سعيد بن زيد في أرض
له فادعت أنه أخذ منها أرضها فقال اللهم إن كانت كاذبة فأذهب بصرها واقتلها في أرضها فعميت وبينما هي ذات
يوم أو قال ليلة تمشي في أرضها إذ وقعت في بئر فماتت وكان العلاء بن الحضرمي في سرية فعطشوا فصلى فقال اللهم يا عليم
يا حليم يا علي يا عظيم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ ولا تجعل لأحد فيه
نصيبا غيرنا فساروا قليلا فوجدوا نهرا من ماء السماء يتدفق فشربوا وملأوا أوعيتهم ثم ساروا فرجع أصحابه إلى موضع
النهر فلم يروا شيئا وكأنه لم يكن في موضعه ماء قط وشكي إلى أنس بن مالك رضي الله عنه عطش أرضه بالبصرة فتوضأ وخرج إلى البرية
فصلى ركعتين ودعا فجاء المطر فسقى أرضه ولم يجاوز المطر أرضه واحترقت خصاص بالبصرة في زمن أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه وبقي في وسطها خص لم يحترق فقال أبو موسى لصاحب الخص ما بال خصك لم يحترق فقال إني أقسمت على ربي
أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضي الله عنه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن في أمتي رجالا طلسا رؤوسهم دنسا ثيابهم
لو أقسموا على الله لأبرهم وكان أبو مسلم الخولاني مشهورا بإجابة الدعوة فكان يمر به الظبي فيقول له الصبيان ادع الله لنا
يحبس علينا هذا الظبي فيدعو الله فيحبسه حتى يأخذوه بأيديهم ودعا على امرأة أفسدت عليه عشرة امرأته بذهاب
بصرها فذهب بصرها في الحال فجاءته فجعلت تناشده الله وتطلب إليه فرحمها ودعا الله فرد عليها بصرها ورجعت
امرأته إلى حالها معه وكذب رجل على مطرف بن الشخير فقال له مطرف إن كنت كاذبا فعجل الله حتفك فمات الرجل مكانه
وكان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن البصري فيؤذيهم فلما زاد أذاه قال الحسن اللهم قد علمت أذاه لنا فاكفناه بما شئت
فخر الرجل من قامته فما حمل إلى أهله إلا ميتا على سريره وكان صلة بن أشيم في سرية فذهبت بغلته بثقلها وارتحل
الناس وقام يصلي وقال اللهم إني أقسم عليك أن ترد علي بغلتي وثقلها فجاءت حتى قامت بين يديه وكان مرة [illegible]
فجاع فاستطعم الله فسمع وجبة خلفه فإذا هو بثوب أو منديل فيه دوخلة رطب طري فأكل منه وبقي الثوب عند امرأته





معاذة العدوية وكانت من الصالحات وكان محمد بن المنكدر في غزاة فقال له رجل من رفقائه أشتهي جبنا رطبا فقال محمد
بن المنكدر استطعموا الله يطعمكم فإنه القادر فدعا القوم فلم يسيروا إلا قليلا حتى رأوا مكتلا مخيطا فإذا
هو جبن رطب فقال بعض القوم لو كان عسلا فقال ابن المنكدر إن الذي أطعمكم جبنا ههنا قادر أن يطعمكم عسلا فا
استطعموه فدعوا فساروا قليلا فوجدوا ظرف عسل على الطريق فنزلوا فأكلوا وكان حبيب العجمي أبو محمد رحمه الله معروفا
بإجابة الدعوة دعا لغلام أقرع الرأس وجعل يبكي ويمسح بدموعه رأس الغلام فما قام حتى اسود شعر رأسه وعاد
كأحسن الناس شعرا وأتي برجل زمن في محمل فدعا له فقام الرجل على رجليه فحمل محمله على عنقه ورجع إلى عياله واشترى
في مجاعة طعاما كثيرا فتصدق به على المساكين ثم خاط أكيسة فوضعها تحت فراشه ثم دعا الله فإذا هي قدر حقوقهم
فدفعها إليهم وكان رجل يعبث به كثيرا فدعا عليه فبرص وكان مرة عند مالك بن دينار فجاء رجل فأغلظ لمالك من أجل
دراهم قسمها مالك فلما طال ذلك من أمره رفع حبيب يديه إلى السماء فقال اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت
فسقط الرجل على وجهه ميتا وخرج قوم غزاة في سبيل الله وكان لبعضهم حمار فمات فارتحل أصحابه فقام فتوضأ وصلى وقال
اللهم إني خرجت مجاهدا في سبيلك وابتغاء مرضاتك وأشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور فأحي لي حماري ثم قام
فضرب الحمار فقام الحمار ينفض أذنيه فركبه ولحق أصحابه ثم باع الحمار بالكوفة بعد ذلك وخرجت سرية في سبيل الله فا
أصابهم برد شديد حتى كادوا أن يهلكوا فدعوا الله عز وجل وإلى جانبهم شجرة عظيمة فإذا هي تلتهب نارا فجففوا
ثيابهم ودفئوا بها حتى طلعت الشمس عليهم وانصرفوا وردت الشجرة على هيئتها وخرج أبو قلابة حاجا فتقدم أصحابه
في يوم صائف فأصابه عطش شديد فقال اللهم إنك قادر على أن تذهب عطشي من غير فطر فأظلته سحابة فأمطرت
عليه حتى بلت ثوبه وذهب العطش عنه فنزل فحوض حياضا فملأها فانتهى إلى أصحابه فشربوا وما أصاب أصحابه من
ذلك المطر شيئا ومثل هذا كثير جدا ويطول استقصاؤه وأكثر من كان مجاب الدعوة من السلف كان يصبر على البلاء و
يختار ثوابه ولا يدعو لنفسه بالفرج منه وقد روي أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان يدعو للناس لمعرفتهم بإجابة دعوته
فقيل له لو دعوت الله لبصرك وكان قد ضر فقال قضاء الله أحب إلي من بصري وابتلي بعضهم بالجذام فقيل له بلغنا
أنك تعرف الاسم الأعظم فلو سألته أن يكشف ما بك فقال يا ابن أخي إنه هو الذي ابتلاني وأنا أكره أن أراده وقيل لإبراهيم
التيمي وهو في سجن الحجاج لو دعوت الله تعالى فقال أكره أن أدعوه أن يفرج عني ما لي فيه أجر وكذلك سعيد بن جبير صبر
على أذى الحجاج حتى قتله وكان مجاب الدعوة كان له ديك يقوم بالليل بصياحه إلى الصلاة فلم يصح ليلة في وقته فلم يقم
سعيد إلى الصلاة فشق عليه فقال ما له قطع الله صوته فما صاح الديك بعد ذلك فقالت له أمه يا بني لا تدع بعد ذلك على
شيء وذكر لرابعة رجل له منزلة عند الله وهو يقتات مما يلتقط من المنبوذات على المزابل فقال رجل ما ضر هذا
أن يدعو الله أن يغنيه عن هذا فقالت رابعة إن أولياء الله عز وجل إذا قضى لهم قضاء لم يتسخطوه وكان حيوة
بن شريح ضيق العيش جدا فقيل له لو دعوت الله أن يوسع عليك فأخذ حصاة من الأرض فقال اللهم اجعلها ذهبا
فصارت تبرة في كفه ثم قال ما خير في الدنيا إلا الآخرة ثم قال هو أعلم بما يصلح عباده وربما عامل المجاب الدعوة بما يعلم
الله له الخيرة في غيره فلا يجيبه إلى سؤاله ويعوضه عنه بما هو خير له إما في الدنيا وإما في الآخرة وقد تقدم في حديث أنس المرفوع
إن الله عز وجل يقول إن من عبادي من يسألني بابا من العبادة فأكفه عنه كيلا يدخله العجب وخرج الطبراني من حديث سالم
بن الجعد عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من أمتي من لو جاء أحدكم يسأله دينارا لم يعطه ولو سأله درهما لم يعطه
ولو سأله فلسا لم يعطه ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وخرجه غيره من حديث
سالم مرسلا وزاد فيه ولو سأل الله شيئا من الدنيا ما أعطاه إياه تكرمة له **قوله** وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي
عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته المراد بهذا أن الله تعالى قضى على عباده بالموت كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت
والموت هو مفارقة الروح للجسد ولا يحصل ذلك إلا بألم عظيم جدا وهو أعظم الآلام التي تصيب العبد في الدنيا قال عمر لكعب أخبرني
عن الموت فقال يا أمير المؤمنين هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم فليس منه عرق ولا مفصل إلا ورجل شديد الذراعين
فهو يعالجها ينزعها فبكى عمر رضي الله عنه ولما احتضر عمرو بن العاص رضي الله عنه سأله ابنه عن صفة الموت فقال والله لكأن جنبي في تخت
ولكأني أتنفس من سم إبرة وكأن غصن شوك يجر به من قدمي إلى هامتي وقيل لرجل عند الموت كيف تجدك قال أجدني أجتذب

احتذا ابا وكان الحجاج مختلفا في وجعي وكان جوفي في تنور محمى يلتهب من تحت وقيل لاخر كيف تجدك قال اجدني كان السموات
مطبقة على الارض علي واجد نفسي كانها تخرج من ثقب ابرة فلما كان الموت بهذه الشدة والله قد حتم على عباده كلهم ولا بد لهم منه
وهو تعالى يكره اذى المؤمن ومساءته سمي ذلك ترددا في حق المؤمن فاما الانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا يقبضون حتى يخيروا
قال الحسن لما كرهت الانبيا الموت هون الله عليهم بلقاء الله وبكل ما احبوا من تحفة وكرامة حتى ان نفس احدهم لتنزع من
بين جنبيه وهو يحب ذلك لما قد مثل له وقد قالت عائشة رضي الله عنها ما اغبط احدا يهون الموت عليه بعد الذي رايت من شدة
موت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح فيمسح وجهه بالما يقول اللهم اعني على
سكرات الموت قالت وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات وجاء في حديث مرسل انه صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انك
تاخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وقد كان بعض السلف يستحب ان يجتهد عند
الموت كما قال عمر بن عبد العزيز ما احب ان يهون علي سكرات الموت انه لاخر ما يكفر به عن المؤمن وقال النخعي كانوا يستحبون
ان يجهدوا عند الموت وكان بعضهم يخشى من تشديد الموت ان يفتتن واذا اراد الله عز وجل ان يهون على العبد الموت هونه عليه
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شي احب اليه مما امامه فاحب لقاء
الله واحب الله لقاءه قال ابن مسعود رضي الله عنه اذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال له ان ربك يقرئك السلام وقال محمد بن كعب
يقول ملك الموت السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام ثم تلا الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وقال زيد
بن اسلم تاتي الملائكة المؤمن اذا احتضر تقول لا تخف مما انت قادم عليه فيذهب الله خوفه ولا تحزن على الدنيا وابشر بالجنة فيموت
وقد جا به البشرى وخرج البزار من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اظنه يموت عنده
المؤمن من احدكم بكر من حتى يقبض على فراشه وقال زيد بن اسلم رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله اهل
المعافاة في الدنيا والاخرة وقال ثابت البناني رحمه الله ان لله عبادا يضن بهم في الدنيا عن القتل والاوجاع يطيل اعمارهم
ويحسن ارزاقهم ويميتهم على فراشهم ويطبعهم بطابع الشهدا وخرجه ابن ابي الدنيا والطبراني مرفوعا من وجوه ضعيفة وفي بعض
الفاظها ان لله ظنائن من خلقه يابى بهم عن البلا يحييهم في عافية ويميتهم في عافية ويدخلهم الجنة في عافية قال ابن مسعود رضي الله عنه
وغيره ان موت الفجاة تخفيف وكان ابو ثعلبة الخشني رضي الله عنه يقول اني لارجوا ان لا يخنقني الله كما اراكم تخنقون عند الموت
فكان ليلة في داره فسمعوه ينادي يا عبد الرحمن وكان عبد الرحمن قد قتل مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى مسجد بيته فصلى فقبض
وهو ساجد رضي الله عنه وقبض جماعة من الصحابة في الصلاة وهم سجود وكان بعضهم يقول انا لا اموت كما تموتون ولكن ادعى
فاجيب فكان يوما قاعدا مع اصحابه فقال لبيك ثم خر ميتا وكان بعضهم جالسا مع اصحابه فسمعوا صوتا يقول يا فلان اجب فهذا
والله اخر ساعاتك من الدنيا فوثب فقال والله هذا حادي الموت فودع اصحابه وسلم عليهم ثم انطلق نحو الصوت وهو يقول سلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين ثم انقطع عنهم فتتبعوا اثره فوجدوه ميتا رحمة الله عليه وكان بعضهم جالسا يكتب في مصحف فوضع القلم من يده ورفع يديه يدعو
ثم مات رحمه الله دايما بمنه وكرمه

## الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله تجاوز لي عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما هذا الحديث خرجه ابن ماجه
من طريق الاوزاعي عن عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وخرجه ابن حبان في صحيحه والدارقطني وعندهما عن الاوزاعي عن عطا
عن عبيد بن عمير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اسناد صحيح في ظاهر الامر ورواته كلهم محتج بهم في الصحيحين وقد خرجه الحاكم
وقال على شرطهما كذا قال ولكن له علة وقد انكره الامام احمد جدا وقال ليس يروى فيه الا عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لاحمد ان الوليد
بن مسلم روى عن مالك عن نافع عن ابن عمر مثله فانكره ايضا وذكر لابي حاتم الرازي حديث الاوزاعي وحديث مالك وقيل له ان الوليد
روى ايضا عن ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله فقال ابو حاتم هذه احاديث منكرة كانها
موضوعة وقال لم يسمع الاوزاعي هذا الحديث من عطا انما سمعه من رجل لم يسمه اتوهم انه عبد الله بن عامر او اسمعيل بن مسلم قال
ولا يصح هذا الحديث ولا يثبت اسناده قلت وقد روي عن الاوزاعي عن عطا عن عبيد بن عمير مرسلا من غير ذكر ابن عباس وروى يحيى بن سليم عن
ابن جريج قال قال عطا بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لامتي عن الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه خرجه
الجوزجاني وهذا المرسل اشبه وقد روي من وجه اخر عن ابن عباس مرفوعا رواه مسلم بن خالد الزنجي عن سعيد العلاف عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تجوز لامتي عن ثلاث عن الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه خرجه الجوزجاني وسعيد العلاف هو سعيد بن ابي صالح
قال احمد هو مكي قيل له كيف حاله قال لا ادري وما علمت احدا روى عنه غير مسلم بن خالد قال احمد ليس هذا مرفوعا انما هو عن ابن عباس قوله نقل ذلك
عنه مهنا ومسلم بن خالد ضعفوه وروي من وجه ثالث من رواية بقية بن الوليد عن علي الهمداني عن ابي جمرة عن ابن عباس مرفوعا خرجه حرب
والرواية بقية عن مشايخه المجاهيل لا تساوي شيئا وروي من وجه رابع خرجه ابن عدي من طريق عبد الرحيم بن زيد العمي عن ابيه عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس



عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن هذا ضعيف وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه اخر وقد تقدم
ان الوليد بن مسلم روى عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعا وصححه الحاكم اعني غيره وهو عند حذاق الحفاظ باطل على مالك كما انكره الامام احمد وابو حاتم
وكانا يقولان عن الوليد انه كثير الخطا ونقل ابو عبيد الاجري عن ابي داود قال روى الوليد بن مسلم عن مالك عشرة احاديث ليس لها اصل
منها عن نافع اربعة قلت والظاهر ان منها هذا الحديث والله اعلم وخرجه الجوزجاني من رواية يزيد بن ربيعة سمعت ابا الاشعث
يحدث عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز عن امتي عن ثلاث عن الخطا والنسيان وما اكرهوا عليه ويزيد
بن ربيعة ضعيف جدا وخرج ابن ابي حاتم من رواية ابي بكر الهذلي عن شهر بن حوشب عن ام الدردا رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تجاوز لامتي عن ثلاث عن الخطا والنسيان والاستكراه قال ابو بكر فذكرت ذلك للحسن فقال اجل اما تقرا بذلك قرانا ربنا
لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا وابو بكر الهذلي متروك الحديث وخرج ابن ماجه ولكن عنده عن شهر عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لي عن امتي عن الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه ولم يذكر كلام الحسن واما الحديث المرسل
عن الحسن فرواه عنه هشام بن حسان ورواه منصور وعوف عن الحسن من قوله لم يرفعه ورواه عنه حفص بن الحسن عن ابي
عن الحسن عن ابي بكرة مرفوعا وحفص وابوه ضعيفان وقال محمد بن نصر ليس لهذا الحديث اسناد يحتج بمثله وفي صحيح مسلم
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت قوله ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال الله قد فعلت وعن العلا
عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه انها لما نزلت قال نعم وليس واحد منهما مصرحا برفعه وخرج الدارقطني من رواية ابن جريج
عن عطا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز عن امتي ما حدثت به انفسها وما استكرهوا عليه
الا ان يتكلموا به او يعملوا وهذا اللفظ غريب وقد خرجه النسائي ولم يذكر الاكراه وكذا روي عن ابن عيينة عن مسعر عن قتادة عن زرارة
بن ابي اوفى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وزاد فيه وما استكرهوا عليه خرجه ابن ماجه وقد انكرت هذه الزيادة
على ابن عيينة ولم يتابع عليها احد والحديث مخرج من رواية قتادة في الصحيحين والسنن والمسانيد بدونها ولنرجع الى

## شرح حديث المرفوع

فقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي الخطا الى اخره فتقديره ان الله رفع لي عن امتي الخطا
او ترك ذلك عنهم فان تجاوز لا يتعدى بنفسه وقوله الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاما الخطا والنسيان
فقد صرح القران بالتجاوز عنهما قال تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا وقال تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما
تعمدت قلوبكم وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله
اجران وان حكم فاجتهد فاخطا فله اجر وقال الحسن لولا ما ذكر الله من امر هذين الرجلين يعني داود وسليمان
لرايت ان القضاة قد هلكوا فانه تعالى اثنى على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده يعني قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الاية

واما الاكراه فقد صرح القران ايضا بالتجاوز عنه قال تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقال لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اوليا من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شي الا ان تتقوا منهم تقاة ونحن نتكلم ان شا الله في هذا الحديث في فصلين
احدهما في حكم الخطا والنسيان والثاني في حكم الاكراه

## الفصل الاول

في حكم الخطا والنسيان الخطا هو ان يقصد
بفعله شيئا فيصادف فعله غير ما قصده مثل ان يقصد قتل كافر فيصادف قتله مسلما والنسيان ان يكون ذاكرا لشي فينساه عند الفعل
وكلاهما معفو عنه يعني انه لا اثم فيه ولكن رفع الاثم لا ينافي ان يترتب على نسيانه حكم كما ان من نسي الوضوء وصلى ظانا انه متطهر فلا اثم
عليه بذلك ثم ان تبين له انه كان صلى محدثا فان عليه الاعادة ولو ترك التسمية على الوضوء نسيانا وقلنا بوجوبها فهل يجب عليه اعادة الوضوء
فيه روايتان عن احمد وكذا لو ترك التسمية على الذبيحة نسيانا فيه عنه روايتان واكثر الفقها على انها تؤكل ولو ترك الصلاة نسيانا ثم
ذكر فان عليه القضا كما قال صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك ثم تلا اقم الصلاة لذكري
ولو صلى حاملا في صلاته نجاسة لا يعلم بها ثم علم بها بعد صلاته او في اثنائها فازالها فهل يعيد صلاته ام لا فيه روايتان عن احمد وقد
روي انه خلع نعليه في صلاته واتمها وقال ان جبريل اخبرني ان فيهما اذى ولم يعد صلاته ولو تكلم في صلاته ناسيا انه في صلاة ففي بطلان
صلاته بذلك قولان مشهوران هما روايتان عن احمد ومذهب الشافعي انها لا تبطل بذلك ولو اكل في صومه ناسيا فالاكثر على انه لا يبطل صومه
عملا بقوله صلى الله عليه وسلم من اكل او شرب ناسيا فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وقال مالك عليه الاعادة لانه بمنزلة من ترك الصيام ناسيا
والجمهور يقولون قد اتى بنية الصيام وانما ارتكب بعض محظوراته ناسيا فيعفى عنه ولو جامع ناسيا فهل حكمه حكم الاكل ناسيا ام لا فيه
قولان احدهما وهو المشهور عن احمد انه يبطل صيامه بذلك وعليه القضا وفي الكفارة عنه روايتان والثاني لا يبطل صومه بذلك كالاكل
وهو مذهب الشافعي وحكي رواية عن احمد وكذا الخلاف في الجماع في الاحرام ناسيا هل يبطل بذلك النسك ام لا ولو حلف لا يفعل شيئا ففعله
ناسيا ليمينه او مخطيا ظانا انه غير المحلوف عليه فهل يحنث في يمينه ام لا فيه ثلاثة اقوال هي ثلاث روايات عن احمد احدها انه لا يحنث
بكل حال ولو كانت اليمين بالطلاق والعتاق وانكر هذه الرواية عن احمد الخلال وقال هي سهو من ناقلها وهو قول الشافعي في احد قوليه
واسحق وابي ثور وروي عن عطا قال اسحق ويستحلف انه كان ناسيا ليمينه والثاني يحنث بكل حال وهو قول جماعة
من السلف ومالك والثالث يفرق بين ان يكون يمينه بطلاق او عتاق او بغيرها وهو المشهور عن احمد وهو قول ابي عبيد وكذا قال الاوزاعي

في الطلاق وقال انما الحديث الذي جاء في العفو عن الخطأ والنسيان ما دام ناسيا واقام على امراته فلا اثم عليه فاذا ذكر فعليه اعتزال امراته فان وطئها بعد ذلك [illegible] وحكى ابراهيم الحربي اجماع التابعين على وقوع الطلاق بالناسي ولو قتل مؤمنا خطأ فان عليه الكفارة والدية بنص الكتاب وكذا لو اتلف مال غيره خطأ يظن انه لنفسه وكذا قال الجمهور في المحرم يقتل الصيد خطأ او ناسيا ان عليه جزاؤه ومنهم من قال لا جزاء عليه الا ان يكون متعمدا لقتله تمسكا بقوله عز وجل ومن قتله منكم متعمدا الآية وهو رواية عن احمد واجاب الجمهور عن الآية بانه رتب على قتله متعمدا الجزاء والانتقام من الله عز وجل ومجموعهما يختص بالعامد واذا انتفى العمد انتفى الانتقام وبقي الجزاء ثابتا بدليل آخر والله اعلم ان الناسي والمخطئ انما عفي عنهما بمعنى رفع الاثم عنهما لان الاثم مرتب على المقاصد والنيات والناسي والمخطئ لا قصد لهما فلا اثم عليهما واما رفع الاحكام عنهما فليس مرادا من هذه النصوص فيحتاج في ثبوتها ونفيها الى دليل آخر

## الفصل الثاني

في حكم المكره وهو نوعان احدهما من لا اختيار له بالكلية ولا قدرة له على الامتناع كمن حمل كرها الى مكان حلف على الامتناع من دخوله او حمل كرها او ضرب به غيره حتى مات ذلك الغير ولا قدرة له على الامتناع او اضطجعت المرأة ثم زنا بها من غير قدرة لها على الامتناع فهذا لا اثم عليه بالاتفاق ولا يترتب عليه حنث في يمينه عند جمهور العلماء وقد حكي عن بعض السلف كالنخعي فيه خلاف ووقع مثله في كلام بعض اصحاب الشافعي واحمد والصحيح عندهم انه لا يحنث قال وروي عن الاوزاعي في امرأة حلفت على شيء واحنثها زوجها كرها ان الكفارة عليه وعن احمد رواية كذلك فيمن اذا وطئ امرأته كرها في صيامها ان كفارتها عليه والمشهور عنه انه يفسد صومها بذلك وجها

والنوع الثاني من اكره بضرب او غيره حتى فعل فهذا الفعل يتعلق به التكليف فانه يمكنه ان لا يفعل فهو مختار للفعل لكن ليس غرضه نفس الفعل بل دفع الضرر عنه فهو مختار من وجه غير مختار من وجه ولهذا اختلف الناس هل هو مكلف ام لا واتفق العلماء على انه لو اكره على قتل معصوم لم يبح له ان يقتله فانه انما يقتله باختياره افتداء لنفسه من القتل هذا اجماع من العلماء المعتد بهم وكان في زمن الامام احمد يخالف فيه من لا يعتد به فاذا قتله في هذه الحال فالجمهور على انهما يشتركان في وجوب القود المكره والمكره لاشتراكهما في القتل وهو قول مالك والشافعي في المشهور واحمد وقيل يجب على المكره وحده لان المكره صار كالآلة وهو قول ابي حنيفة واحد قولي الشافعي وروي عن زفر كالاول وروي عنه انه يجب على المكره لمباشرته وليس هو كالآلة لانه آثم بالاتفاق وقال ابو يوسف لا قود على واحد منهما وخرجه بعض اصحابنا وجها من الرواية التي لا يوجب فيها قتل الجماعة بالواحد واولى ولو اكره بالضرب ونحوه على اتلاف مال الغير المعصوم فهل يباح له ذلك فيه وجهان لاصحابنا فان قلنا يباح له ذلك فضمن المالك رجع بما ضمنه على المكره [illegible] المباشر وحده وهو ضعيف ولو اكره على شرب الخمر او غيره من الافعال المحرمة ففي اباحته بالاكراه قولان احدهما يباح بذلك استدلالا بقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم وهذه نزلت في عبد الله بن ابي سلول كانت له اماء يكرههن على الزنا وحملا بيانا ذلك وهذا قول الجمهور كالشافعي وابي حنيفة والمشهور عن احمد وروي نحوه عن الحسن ومكحول ومسروق وعن عمر بن الخطاب ما يدل عليه واختلفوا في اكراه الرجل على الزنا فمنهم من قال يصح اكراهه عليه ولا اثم وهو قول الشافعي وابن عقيل من اصحابنا ومنهم من قال لا يصح اكراهه وعليه الاثم وهو قول ابي حنيفة ومنصوص احمد وروي عن الحسن والقول الثاني ان التقية في الاقوال ولا تقية في الافعال ولا اكراه عليها روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وابي العالية وابي الشعثاء والربيع بن انس والضحاك وهو رواية عن احمد وروي عن سحنون ايضا وعلى هذا فلو شرب الخمر او سرق مكرها حد على الاول ولو شرب الخمر مكرها ثم طلق او اعتق فهل يكون حكمه حكم المختار لشربها ام لا يكون طلاقه وعتاقه لغوا فيه لاصحابنا وجهان وروي عن الحسن فيمن قيل له اسجد لصنم والا قتلناك قال ان كان الصنم تجاه القبلة فليسجد ويجعل نيته لله عز وجل وان كان الى غير القبلة فلا يفعل وان قتلوه قال ابن حبيب المالكي وهذا قول الحسن قال ابن عطية وما يمنعه ان يجعل نيته لله عز وجل وان كان الى غير قبلة [illegible] في كتاب الله فاينما تولوا فثم وجه الله وفي الشرع اباحة التنفل للمسافر الى غير القبلة واما الاكراه على الاقوال فاتفق العلماء على صحته وان من اكره على قول محرم اكراها معتبرا ان له ان يفتدي نفسه به ولا اثم عليه وقد دل عليه قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار ان عادوا فعد وكان المشركون قد عذبوه حتى يوافقهم على ما يريدونه من قول الكفر ففعل وأتى النبي صلى الله عليه وسلم انه اوصى طائفة من اصحابه فقال لا تشركوا بالله شيئا وان قطعتم وحرقتم فالمراد الشرك بالقلوب كما قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وقال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وسائر الاقوال يتصور عليها الاكراه فاذا اكره بغير حق على قول من الاقوال لم يترتب عليه حكم من الاحكام وكان لغوا فان كلام المكره صدر منه وهو غير راض به فلذلك عفي عنه ولم يؤاخذ به في احكام الدنيا والآخرة وبهذا فارق الناسي والجاهل وسواء في ذلك العقود كالبيع والنكاح او الفسوخ كالخلع

على الطلاق

(هامش: وان قلنا لا يباح له ذلك فالضمان عليهما معا [illegible] القود وقيل على المكره)

(هامش: والى الشعثاء مكرها)

(هامش: صحح)



على الطلاق والعتاق وكذلك الايمان والنذور وهذا قول جمهور العلماء وهو قول مالك والشافعي واحمد وفرق ابو حنيفة بين ما يقبل الفسخ عنده ويثبت فيه الخيار ونحوه فقال لا يلزم مع الاكراه وما لا يقبل ذلك كالنكاح والطلاق والعتاق والايمان فالزم به مع الاكراه ولو حلف لا يفعل شيئا ففعله مكرها فعلى قول ابي حنيفة يحنث واما على قول الجمهور ففيه قولان احدهما لا يحنث كما لا يحنث اذا فعل ذلك كرها ولم يقدر على الامتناع كما سبق وهذا قول الاكثرين منهم والثاني يحنث هاهنا لانه فعله باختياره بخلاف ما اذا حمل ولم يمكنه الامتناع وهو رواية عن احمد وقول للشافعي ومن اصحابه كالقفال من فرق بين اليمين بالطلاق والعتاق وغيرهما كما قلنا نحن في الناسي وخرجه بعض اصحابنا وجها لنا ولو اكره على اداء مال الغير بغير حق فباع عقاره ليؤدي ثمنه فهل يصح الشراء منه ام لا فيه روايتان عن احمد وعنه رواية ثالثة ان باعه بثمن المثل اشتري منه وان باعه بدونه لم يشتر منه ومتى رضي المكره بما اكره عليه لحدوث رغبة له فيه بعد الاكراه والاكراه قائم صح ما صدر منه من العقود وغيرها بهذا القصد وهذا هو المشهور عند اصحابنا وفيه وجه آخر انه لا يصح ايضا وفيه بعد واما الاكراه بحق فهو غير مانع من لزوم ما اكره عليه فلو اكره الحربي على الاسلام فاسلم صح اسلامه وكذا لو اكره الحاكم احدا على بيع ماله ليوفي دينه واكره المولي بعد مدة الايلاء وامتناعه من الفيئة على الطلاق ولو حلف لا يوفي دينه فاكرهه الحاكم على وفائه فانه يحنث بذلك لانه فعل ما حلف عليه حقيقة على وجه لا يعذر فيه ذكره بعض اصحابنا بخلاف ما اذا استوفي من الوفاء فادى عنه الحاكم فانه لا يحنث لانه لم يوجد منه فعل المحلوف عليه

## الحديث الاربعون

**عن ابن عمر رضي الله عنهما قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا** كانك غريب او عابر سبيل وكان ابن عمر يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخاري هذا الحديث خرجه البخاري عن ابن المديني ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي قال ثنا الاعمش قال حدثني مجاهد عن ابن عمر فذكره وقد تكلم غير واحد من الحفاظ في لفظة ثنا مجاهد وقالوا هي غير ثابتة وانكرها علي بن المديني وقالوا لم يسمع الاعمش هذا الحديث من مجاهد وانما سمعه من ليث بن ابي سليم عنه وقد ذكر ذلك العقيلي وغيره وخرجه الترمذي من حديث ليث عن مجاهد وزاد فيه وعد نفسك من اهل القبور وزاد في كلام ابن عمر فانك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا وخرجه ابن ماجه ولم يذكر قول ابن عمر وخرج الامام احمد والنسائي من حديث الاوزاعي عن عبدة بن ابي لبابة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي فقال اعبد الله كانك تراه وكن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعبدة بن ابي لبابة ادرك ابن عمر فاختلف في سماعه منه وهذا الحديث اصل في قصر الامل في الدنيا وان المؤمن لا ينبغي له ان يتخذ الدنيا وطنا ومسكنا فيطمئن فيها ولكن ينبغي له ان يكون فيها كانه على جناح سفر يهيئ جهازه للرحيل وقد اتفقت على ذلك وصايا الانبياء واتباعهم قال الله تعالى حاكيا عن مؤمن آل فرعون انه قال يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها ومن وصايا المسيح عليه الصلاة والسلام لاصحابه انه قال لهم اعبروها ولا تعمروها وروي عنه انه قال من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا ودخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر اين متاعكم قال ان لنا بيتا نوجه اليه قال انه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ودخلوا على بعض الصالحين فقلبوا البصر في بيته فقالوا له انا نرى بيتك بيت رجل مرتحل فقال امرتحل لا ولكن اطرد طردا وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة وان الآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل قال بعض الحكماء عجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة عليه يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة قال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم كتب الله عليها الفناء وكتب على اهلها الظعن منها فكم من عامر موثق عن قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى واذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار اقامة ولا وطنا فينبغي ان يكون حاله فيها على احد حالين اما ان يكون كانه غريب مقيم في بلد غربة همه التزود للرجوع الى وطنه او يكون كانه مسافر غير مقيم البتة بل هو ليله ونهاره يسير الى بلد الاقامة فلهذا اوصى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر ان يكون في الدنيا على احد هذين الحالين فاحدهما ان ينزل المؤمن نفسه كانه غريب في الدنيا يتخيل الاقامة لكن في بلد غربة فهو غير متعلق القلب ببلد الغربة بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع اليه وانما هو مقيم لقضاء مرمة جهازه الى الرجوع الى وطنه قال الفضيل بن عياض المؤمن في الدنيا مهموم حزين همه مرمة جهازه ومن كان في الدنيا كذلك فلا همة له الا في التزود بما ينفعه عند عوده الى وطنه فلا ينافس اهل البلد الذي هو غريب بينهم في عزهم ولا يجزع من الذل عندهم قال الحسن المؤمن في الدنيا

كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها له شان وللناس شان لما خلق ادم اسكن هو وزوجته الجنة ثم اهبطا منها ووعدا الرجوع اليها وصالح ذريتهما فالمومن ابدا يحن الى وطنه الاول وكما قيل

كم منزل في الارض يالفه الفتى ... وحنينه ابدا لاول منزل

ولبعض شيوخنا

فحي على جنات عدن فانها ... منازلك الاولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود الى اوطاننا ونسلم
وقد زعموا ان الغريب اذا ناى ... وشطت به اوطانه فهو مغرم
واي اغتراب فوق غربتنا التي ... لها اضحت الاعداء فينا تحكم

وحب الوطن من الايمان

كان عطا السليمي رحمه الله يقول في دعايه اللهم ارحم في الدنيا غربتي وارحم في القبر وحشتي وارحم موقفي غدا بين يديك وقال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كقوم سلكوا مفازة غبرا حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال على ما انتم قالوا على ما ترى قال ارايتكم ان هديتكم الى ما رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيا قال فاوردهم ما ورياضا خضرا قال فمكث فيهم ما شا الله ثم قال يا هولاء الرحيل قالوا الى اين قال الى ما ليس كمايكم والى رياض ليس كرياضكم فقال جل القوم وهم اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لم نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طايفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم لا تعصونه شيا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في اخره قال فراح فيمن تبعه وتخلف بقيتهم فنذر بهم عدوهم فاصبحوا من بين اسير وقتيل خرجه ابن ابي الدنيا وخرجه الامام احمد من حديث علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه مختصرا وهذا المثل في غاية المطابقة لحال النبي صلى الله عليه وسلم مع امته فانه اتاهم والعرب حينيذ اذل الناس واقلهم واسوهم عيشا في الدنيا وحالا في الاخرة فدعاهم الى سلوك طريق النجاة وظهر لهم من براهين صدقه كما ظهر من صدق الذي جا الى القوم الذين في المفازة وقد نفد ماوهم وهلك ظهرهم في حلة متزجلا يقطر راسه ما ودلهم على الما والرياض المعشبة فاستدلوا بهيئته وحاله على صدق مقاله فاتبعوه ووعد من اتبعه بفتح بلاد فارس والروم واخذ كنوزهم وحذرهم من الاغترار بذلك والوقوف معه وامرهم بالتجزي من الدنيا بالبلاغ وبالجد والاجتهاد في طلب الاخرة والاستعداد لها فوجدوا ما وعدهم به كله حقا فلما فتحت عليهم الدنيا كما وعدهم بها اشتغل اكثر الناس بجمعها واكتنازها والمنافسة فيها ورضوا بالاقامة فيها والتمتع بشهواتها وتركوا الاستعداد للاخرة التي امرهم بالجد والاجتهاد في طلبها وقبل قليل من الناس وصيته في الجد والاجتهاد في طلب الاخرة والاستعداد لها فهذه الطايفة القليلة نجت ولحقت نبيها في الاخرة حيث سلكت طريقه في الدنيا وقبلت وصيته وامتثلت ما امر به واما اكثر الناس فلم يزالوا في سكرة الدنيا والتكاثر فيها فشغلهم ذلك عن الاخرة حتى فاجاهم الموت بغتة على هذه الغرة فهلكوا واصبحوا ما بين قتيل واسير وما احسن قول يحيى بن معاذ الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق الا في عسكر الموتى نادما مع الخاسرين

وصيته

**الحال الثاني** ان ينزل المومن نفسه في الدنيا كانه مسافر غير مقيم البتة وانما هو ساير في قطع منازل السفر حتى ينتهي به السفر الى اخره وهو الموت ومن كانت هذه حاله في الدنيا فهمته تحصيل الزاد للسفر وليس له همة في الاستكثار من متاع الدنيا ولهذا اوصى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه ان يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب قيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل الى الاخرة كل يوم مرحلة وقال الحسن انما انت ايام كلما مضى يوم مضى بعضك وقال ابن ادم انما انت بين مطيتين يوضعانك يوضعك الليل الى النهار والنهار الى الليل حتى يسلمانك الى الاخرة فمن اعظم منك يا ابن ادم خطرا وقال الموت معقود في نواصيكم والدنيا تطوى من ورايكم قال داود الطاي انما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي ذلك بهم الى اخر سفرهم فان استطعت ان تقدم في كل مرحلة زادا لما بين يديها فافعل فان انقطاع السفر عن قريب ما هو والامر اعجل من ذلك فتزود لسفرك واقض ما انت قاض من امرك فكانك بالامر قد بغتك وكتب بعض السلف الى اخ له يا اخي يخيل لك انك مقيم بل انت دايب السير تساق مع ذلك سوقا حثيثا الموت اليك والدنيا تطوى لك من وراك وما مضى من عمرك فليس بكار عليك حتى يكر عليك يوم التغابن كما قيل

سبيلك في الدنيا سبيل مسافر ... ولا بد من زاد لكل مسافر
ولا بد للانسان من حمل عدة ... ولا سيما ان خاف صولة قاهر

قال بعض الحكما كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره كيف يفرح من يقوده عمره الى اجله وتقوده حياته الى موته وقال الفضيل بن عياض لرجل كم مضى عليك قال ستون سنة قال فانت منذ ستين سنة تسير الى ربك يوشك ان تبلغ فقال الرجل انا لله وانا اليه راجعون فقال الفضيل اتعرف تفسيره تقول انا لله وانا اليه راجعون فمن علم انه لله عبد وانه اليه راجع فليعلم انه موقوف ومن علم انه موقوف فليعلم انه مسوول ومن علم انه مسوول فليعد للسوال جوابا فقال الرجل فما الحيلة قال يسيرة قال ما هي قال تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى فانك ان اسات فيما بقي اخذت بما مضى وما بقي وفي هذا المعنى يقول بعضهم

وان امرا قد سار ستين حجة ... الى ورده من منهل لقريب

وقال بعض الحكما من كانت الايام والليالي مطاياه سارت به وان لم يسر وفي هذا قال بعضهم





وما هذه الايام الا مراحل ... يحث بها داع الى الموت قاصد
واعجب شي لو تاملت انها ... منازل تطوى والمسافر قاعد

وقال اخر

يا ويح نفسي من نهار يقودها ... الى عسكر الموتى وليل يذودها

وقال الحسن لم يزل الليل والنهار سريعين في نقص الاعمار وتقريب الاجال هيهات قد صحبا نوحا وعادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا فاصبحوا قد قدموا على ربهم ووردوا على اعمالهم واصبح الليل والنهار غضين جديدين لم يبلهما ما مرا به مستعدين لمن بقي بمثل ما اصابا به من مضى وكتب الاوزاعي الى اخ له اما بعد فقد احيط بك من كل جانب واعلم انه يسار بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والمقام بين يديه وان يكون اخر عهدك به والسلام

نسير الى الاجال في كل لحظة ... وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ار مثل الموت حقا كانه ... اذا ما تخطته الاماني باطل
وما اقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب في الراس شامل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك ايام وهن قلايل

واما وصية ابن عمر رضي الله عنه فهي ماخوذة من هذا الحديث الذي رواه وهي متضمنة لنهاية قصر الامل وان الانسان اذا امسى لم ينتظر الصباح واذا اصبح لم ينتظر المسا بل يظن ان اجله يدركه قبل ذلك وبهذا فسر غير واحد من العلما الزهد في الدنيا قال المروذي قلت لابي عبد الله يعني احمد اي شي الزهد في الدنيا قال قصر الامل من اذا اصبح يقول لا امسي قال وهكذا قال سفيان قيل لابي عبد الله باي شي نستعين على قصر الامل قال ما ندري انما هو توفيق قال الحسن اجتمع ثلاثة من العلما فقالوا لاحدهم ما املك قال ما اتى علي شهر الا ظننت اني ساموت فيه قال فقال صاحباه ان هذا الامل فقالا لاحدهم فما املك قال ما اتت علي جمعة الا ظننت اني ساموت فيها قال فقال صاحباه ان هذا الامل فقالا للاخر فما املك قال ما امل من نفسه في يد غيره وقال داود الطاي سالت عطوان بن عمرو التميمي قلت ما قصر الامل قال ما بين تردد النفس فحدثت بذلك الفضيل بن عياض فبكى وقال يقول يتنفس فيخاف ان يموت قبل ان ينقطع نفسه لقد كان عطوان من الموت على حذر وقال بعض السلف ما نمت نوما قط فحدثت نفسي اني استيقظ منه وكان حبيب ابو محمد يوصي كل يوم بما يوصي به المحتضر عند موته من تغسيله ونحوه وكان يبكي كلما اصبح او امسى فسيلت امراته عن بكايه فقالت يخاف والله اذا امسى ان لا يصبح واذا اصبح ان لا يمسي وكان محمد بن واسع اذا اراد ان ينام قال لاهله استودعكم الله فلعلها ان تكون منيتي التي لا اقوم منها فكان هذا دابه اذا اراد النوم وقال بكر المزني ان استطاع احدكم ان لا يبيت الا وعهده عند راسه مكتوب فليفعل فانه لا يدري لعله ان يبيت في اهل الدنيا ويصبح في اهل الاخرة وكان اويس اذا قيل له كيف الزمان عليك قال كيف الزمان على رجل ان امسى ظن انه لا يصبح وان اصبح ظن انه لا يمسي فيبشر بالجنة او النار وقال عون بن عبد الله ما انزل الموت كنه منزلته من عد غدا من اجله كم من مستقبل يوما لا يستكمله وكم من مومل لغد لا يدركه انكم لو رايتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره وكان يقول ان من انفع ايام المومن له في الدنيا ما ظن انه لا يدرك اخره وكانت امراة متعبدة بمكة اذا امست قالت يا نفس الليلة ليلتك لا ليلة لك غيرها فاجتهدت فاذا اصبحت قالت يا نفس اليوم يومك لا يوم لك غيره فاجتهدت وقال بكر المزني اذا اردت ان تنفعك صلاتك فقل لعلي لا اصلي غيرها وهذا ماخوذ مما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صل صلاة مودع وروي ان معروفا الكرخي اقام الصلاة ثم قال لرجل تقدم فصل بنا فقال الرجل اني ان صليت بكم هذه الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك انك تصلي صلاة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وطرق بعضهم باب اخ له فسال عنه فقيل له ليس هو في البيت فقال متى يرجع فقالت له جارية من البيت من كانت نفسه في يد غيره من يعلم متى يرجع ولابي العتاهية من جملة ابيات

وما ادري وان املت عمرا ... لعلي حين اصبح لست امسي
الم تر ان كل صباح يوم ... وعمرك فيه اقصر منه امس

وهذا البيت الثاني اخذه مما روي عن ابي الدردا والحسن انهما قالا ابن ادم انك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك ومما انشد بعضهم

انا لنفرح بالايام نقطعها ... وكل يوم مضى يدني من الاجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا ... فانما الربح والخسران في العمل

**قوله** وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك يعني اغتنم الاعمال الصالحة في الصحة قبل ان يحول بينك وبينها السقم وفي الحياة قبل ان يحول بينك وبينها الموت وفي رواية فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا يعني لعلك غدا من الاموات دون الاحيا وقد روي معنى هذه الوصية عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وفي صحيح الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال غنيم بن قيس كنا نتواعظ في اول الاسلام ابن ادم اعمل

لفراغك قبل شغلك وفي شبابك لكبرك وفي صحتك لمرضك وفي دنياك لاخرتك وفي حياتك لموتك وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستة طلوع الشمس من مغربها او الدخان او الدجال او الدابة او خاصة احدكم او امر العامة وفي الترمذي عنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال سبعا هل تنتظرون الا الى فقر منسي او غنى مطغي او مرض مفسد او هرم مفند او موت مجهز او الدجال فشر غايب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى وامر والمراد من هذا ان هذه الاشيا كلها تعوق عن الاعمال فبعضها يشغل عنه اما في خاصة الانسان كفقره وغناه ومرضه وهرمه وموته وبعضها عام كقيام الساعة وخروج الدجال وكذلك الفتن المزعجة كما جا في حديث اخر بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم وبعض هذه الامور العامة لا ينفع بعدها عمل كما قال تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وفي صحيح مسلم عنه ايضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وفيه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسي النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسي الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وخرج الامام احمد والنساي والترمذي وابن ماجه من حديث صفوان بن عسال عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله فتح بابا قبل المغرب عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه وفي المسند عن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو ومعاوية رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال التوبة حتى تطلع الشمس من المغرب فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل وروي عن عايشة رضي الله عنها قالت اذا خرج اول الايات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال خرجه ابن جرير الطبري وكذا قال كثير بن مرة ويزيد بن شريح وغيرهما من السلف اذا طلعت الشمس من مغربها طبع على القلوب بما فيها وترفع الحفظة والعمل وتومر الملايكة ان لا يكتبوا عملا وقال سفيان الثوري اذا طلعت الشمس من مغربها طوت الملايكة صحايفها ووضعت اقلامها فالواجب على المومن المبادرة بالاعمال الصالحة قبل ان لا يقدر عليها ويحال بينه وبينها اما بمرض او موت او بان يدركه بعض هذه الايات التي لا يقبل معها عمل قال ابو حازم ان بضاعة الاخرة كاسدة ويوشك ان تنفق فلا يوصل منها الا القليل ولا الكثير ومتى حيل بين الانسان والعمل لم يبق له الا الحسرة والاسف عليه ويتمنى الرجوع الى حالة يتمكن فيها من العمل فلا تنفعه الامنية قال تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون الى قوله لو ان لي كرة فاكون من المحسنين وقال عز وجل حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون كلا انها كلمة هو قايلها ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون وقال تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يوخر الله نفسا اذا جا اجلها وفي الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ما من ميت يموت الا ندم قالوا وما ندامته قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيا ندم ان لا يكون استعتب فاذا كان الامر على هذا فيتعين على المومن اغتنام ما بقي من عمره ولهذا قيل ان بقية عمر المومن لا قيمة له قال سعيد بن جبير كل يوم يعيشه المومن غنيمة قال بكر المزني ما من يوم اخرجه الله الى الدنيا الا يقول يا ابن ادم اغتنمني لعله لا يوم لك بعدي ولا ليلة الا تنادي ابن ادم اغتنمني لعله لا ليلة لك بعدي ولبعضهم

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ∴ فعسى ان يكون موتك بغتة ∴
كم صحيح رايت من غير سقم ∴ ذهبت نفسه الصحيحة فلتة ∴

ولمحمود الوراق

مضى امسك الماضي شهيدا معدلا ∴ واعقبه يوم عليك جديد ∴
فان كنت بالامس اقترفت اساءة ∴ فثن باحسان وانت حميد ∴
ويومك ان اعتبته عاد نفعه ∴ عليك وماضي الامس ليس يعود ∴
ولا ترج فعل الخير يوما الى غد ∴ لعل غدا ياتي وانت فقيد ∴

## الحديث الحادي والاربعون

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جيت به قال الشيخ رحمه الله حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح يريد بصاحب كتاب الحجة الشيخ ابا الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق وهذا الكتاب هو كتاب الحجة على تارك المحجة يتضمن ذكر اصول الدين على قواعد اهل الحديث والسنة وقد خرج هذا الحديث الحافظ ابو نعيم في كتاب الاربعين وشرط في اوله ان يكون من صحاح الاخبار وجياد الاثار مما اجمع الناقلون على عدالة ناقليه وخرجته الايمة في مسانيدهم ثم خرجه عن الطبراني حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن حاتم المرادي ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الوهاب الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عقبة بن اوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جيت به ورواه الحافظ ابو بكر الاصبهاني عن ابي نعيم عن نعيم بن حماد

ثنا عبد الوهاب



ثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا بعض مشيختنا هشام او غيره عن ابن سيرين فذكره وليس عنده لا يومن عنه قال الحافظ ابو موسى المديني هذا الحديث مختلف فيه على نعيم وقيل فيه ثنا بعض مشيختنا ثنا هشام او غيره قلت تصحيح هذا الحديث بعيد جدا من وجوه منها انه حديث تفرد به نعيم بن حماد المروزي ونعيم هذا وان كان وثقه جماعة من الايمة وخرج له البخاري فان ايمة الحديث كانوا يحسنون به الظن لصلابته في السنة وتشدده في الرد على اهل الاهوا وكانوا ينسبونه الى انه يهم ويشبه عليه في بعض الاحاديث فلما كثر عثورهم على مناكيره حكموا عليه بالضعف فروى صالح بن محمد عن ابن معين انه سيل عنه فقال ليس بشي ولكنه صاحب سنة قال صالح وكان يحدث من حفظه وعنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها وقال ابو داود عند نعيم نحو عشرين حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس لها اصل وقال النساي ضعيف وقال مرة ليس بثقة وقال مرة قد كثر تفرده عن الايمة المعروفين في احاديث كثيرة فصار في حد من لا يحتج به وقال ابو زرعة يصل احاديث يوقفها الناس يعني انه يرفع الموقوفات وقال ابو عروبة الحراني هو مظلم الامر وقال ابو سعيد بن يونس روى احاديث مناكير عن الثقات ونسبه اخرون الى انه كان يضع الحديث واين كان اصحاب عبد الوهاب الثقفي واصحاب هشام بن حسان واصحاب ابن سيرين عن هذا الحديث حتى ينفرد به نعيم ومنها انه قد اختلف على نعيم في اسناده فروي عنه عن الثقفي عن هشام وروي عنه عن الثقفي ثنا بعض مشيختنا هشام او غيره وعلى هذه الرواية فيكون شيخ الثقفي غير معروف عينه وروي عنه عن الثقفي حدثنا بعض مشيختنا ثنا هشام او غيره وعلى هذه الرواية فالثقفي رواه عن شيخ مجهول وشيخه رواه عن غير معين فتزداد الجهالة في اسناده ومنها ان في اسناده عقبة بن اوس السدوسي البصري ويقال فيه يعقوب بن اوس ايضا وقد خرج له ابو داود وابن ماجه والنساي ثنا ويقال عن عبد الله بن عمر وقد اضطرب في اسناده وقد وثقه العجلي وابن سعد وابن حبان وقال ابن خزيمة روى عنه ابن سيرين مع جلالته وقال ابن عبد البر هو مجهول وقال الغلابي في تاريخه يزعمون انه لم يسمع من عبد الله بن عمرو وانما يقول قال عبد الله بن عمرو فعلى هذا تكون رواياته عن عبد الله بن عمرو منقطعة والله اعلم

واما معنى الحديث فهو ان الانسان لا يكون مومنا كامل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جا به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهي وغيرها فيحب ما امر به ويكره ما نهي عنه وقد ورد القران بمثل هذا في غير موضع قال الله عز وجل فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وذم سبحانه من كره ما احبه الله واحب ما كرهه الله قال الله عز وجل ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم فالواجب على كل مومن ان يحب ما احبه الله محبة توجب له الاتيان بما وجب عليه منه فان زادت المحبة حتى اتى بما ندب اليه منه كان ذلك فضلا وان يكره ما كرهه الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه فان زادت الكراهة حتى اوجبت الكف عما كرهه تنزيها كان ذلك فضلا وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وولده ووالده والناس اجمعين فلا يكون المومن مومنا حتى يقدم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على محبة جميع الخلق ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبة مرسله عز وجل والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات قال الله عز وجل قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم قال الحسن قال اصحاب رسول الله يا رسول الله انا نحب ربنا حبا شديدا فاحب الله ان يجعل لحبه علما فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الاية وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار فمن احب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه اوجب له ذلك ان يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله ورسوله ويرضى ما يرضي الله ورسوله ويسخط ما يسخط الله ورسوله وان يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض فان عمل بجوارحه شيا يخالف ذلك بان ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله او ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبته الواجبة فعليه ان يتوب من ذلك ويرجع الى تكميل المحبة الواجبة قال ابو يعقوب النهرجوري كل من ادعى محبة الله عز وجل ولم يوافق الله في امره فدعواه باطل وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور وقال يحيى بن معاذ ليس بصادق من ادعى محبة الله عز وجل ولم يحفظ حدوده وسيل رويم عن المحبة فقال الموافقة في جميع الاحوال وانشد

ولو قلت لي مت مت سمعا وطاعة ∴ وقلت لداعي الموت اهلا ومرحبا ∴

ولبعض المتقدمين

تعصي الاله وانت تظهر حبه ∴ هذا لعمري في القياس شنيع ∴
لو كان حبك صادقا لاطعته ∴ ان المحب لمن يحب مطيع ∴

فجميع المعاصي تنشا من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وكذلك البدع انما تنشا من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى اهلها اهل الاهوا وكذلك المعاصي انما تنشا من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه وكذلك حب الاشخاص الواجب فيه ان يكون تبعا لما جا به الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب على المومن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملايكة والرسل والانبيا والصديقين والشهدا والصالحين عموما ولهذا كان من علامات وجود حلاوة

الايمان ان يحب المرء لا يحبه الا لله وحرم موالاة اعداء الله ومن يكرهه الله عموما وقد سبق ذكر ذلك في مواضع اخر وبهذا يكون الدين كله لله ومن احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصا في ايمانه الواجب فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع الى اتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضى الله ورسوله على هوى النفوس ومرادها كلها قال وهيب بن الورد بلغنا ان موسى عليه السلام قال يا رب اوصني قال اوصيك بي قالها ثلاثا ثم قال في الاخيرة اوصيك بي ان لا يعرض عليك امرا الا اثرت فيه محبتي على ما سواها فمن لم يفعل ذلك لم ازكه ولم ارحمه والمعروف في استعمال الهوى عند الاطلاق انه الميل الى خلاف الحق كما في قوله عز وجل ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقا فيدخل فيه الميل الى الحق وغيره وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد اليه وسئل صفوان بن عسال رضي الله عنه هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الهوى فقال سأله اعرابي عن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم فقال المرء مع من احب ولما نزل قوله عز وجل ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء قالت عائشة رضي الله عنها ما ارى ربك الا يسارع في هواك وقال عمر رضي الله عنه في قصة المشاورة في اسارى بدر فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت وهذا الحديث مما جاء استعمال الهوى فيه بمعنى الحب المحمود وقد وقع مثل ذلك في الاثار الاسرائيلية كثيرا وفي كلام مشايخ القوم واشاراتهم نثرا ونظما فمما فيه هذا الاستعمال ومما يناسب معنى هذا الحديث من ذلك قول بعضهم ٭ ان هواك الذي بقلبي ٭ صيرني سامعا مطيعا ٭ اخذت قلبي وغمض عيني ٭ سلبتني النوم والهجوعا ٭ فذر فؤادي وخذ رقادي ٭ فقال لا بل هما جميعا

## الحديث الثاني والاربعون ٤٢

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن ادم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة رواه الترمذي وقال حديث حسن هذا الحديث تفرد به الترمذي خرجه من طريق كثير بن فائد حدثنا سعيد بن عبيد سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول ثنا انس فذكره وقال حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه انتهى واسناده لا بأس به وسعيد بن عبيد هو الهنائي قال ابو حاتم شيخ وذكره ابن حبان في الثقات ومن زعم انه غير الهنائي فقد وهم وقال الدارقطني تفرد به كثير بن فائد عن سعيد مرفوعا ورواه سلم بن قتيبة عن سعيد بن عبيد فوقفه على انس قلت قد روي عنه مرفوعا وموقوفا وتابعه ايضا على رفعه ابو سعيد مولى بني هاشم فرواه عن سعيد بن عبيد مرفوعا ايضا وقد روي ايضا من حديث ثابت عن انس عن النبي مرفوعا ولكن قال ابو حاتم هو منكر وقد روي ايضا من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجه الامام احمد من رواية شهر بن حوشب عن معدي كرب عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل فذكره بمعناه وقد رواه بعضهم عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن ابي ذر رضي الله عنه وقيل عن شهر عن ام الدرداء عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يصح هذا القول وروي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما خرجه الطبراني من رواية قيس بن الربيع عن حبيب بن ابي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي بعضه من وجوه اخر خرج مسلم في صحيحه من حديث المعرور بن سويد عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بقرابها مغفرة وخرج الامام احمد من رواية اخشن السدوسي قال دخلت على انس رضي الله عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لو اخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم غفرت لكم

**فصل** تضمن حديث انس المبدو بذكره ان هذه الاسباب الثلاثة تحصل بها المغفرة احدها الدعاء مع الرجاء فان الدعاء مامور به وموعود عليه بالاجابة كما قال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم وفي السنن الاربعة عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة ثم تلا هذه الاية وفي حديث خرجه الطبراني من اعطي الدعاء اعطي الاجابة لان الله تعالى يقول ادعوني استجب لكم وفي حديث اخر ما كان الله ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الاجابة لان الله تعالى يقول ادعوني استجب لكم لكن الدعاء سبب مقتض للاجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه وقد تتخلف اجابته لانتفاء بعض شرائطه او وجود بعض موانعه وقد سبق ذكر بعض شرائطه في الحديث العاشر ومن اعظم شرائطه حضور القلب ورجاء الاجابة من الله تعالى كما خرجه الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه وفي المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذه القلوب اوعية فبعضها اوعى من بعض فاذا سألتم الله فسلوه وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل ولهذا نهي العبد ان يقول في دعائه اللهم اغفر لي ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله لا مكره له ونهي ان يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الاجابة وجعل ذلك من موانع الاجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من اجابة دعائه ولو طالت المدة فانه سبحانه يحب الملحين في الدعاء وجاء في الاثار ان العبد اذا دعا ربه وهو يحبه قال يا جبريل لا تعجل بقضاء حاجة عبدي

شرح صح

فاني احب ان اسمع صوته

٨٨

فاني احب ان اسمع صوته وقال تعالى وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين فما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الاجابة من غير قطع الرجاء فهو قريب من الاجابة ومن ادمن قرع الباب يوشك ان يفتح له وفي صحيح الحاكم عن انس مرفوعا لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء احد ومن اهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه وما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخول الجنة وقد قال صلى الله عليه وسلم حولها ندندن يعني حول الجنة والنجاة من النار وقال ابو مسلم الخولاني رحمه الله ما عرضت لي دعوة فذكرت النار الا صرفتها الى الاستعاذة منها ومن رحمة الله بعبده ان العبد يدعوه بحاجة من الدنيا فيصرفها عنه ويعوضه خيرا منها اما ان يصرف عنه بذلك سوءا او يدخرها له في الاخرة او يغفر له بها ذنبا كما في المسند والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يدعو بدعاء الا اتاه الله ما سأل او كف عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وفي المسند وصحيح الحاكم عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم او قطيعة رحم الا اعطاه الله بها احدى ثلاث اما ان يعجل له دعوته واما ان يدخرها له في الاخرة واما ان يكشف عنه من السوء مثلها قالوا اذا نكثر قال الله اكثر وخرج الطبراني وعنده او يغفر له بها ذنبا قد سلف بدل قوله او يكشف عنه من السوء مثلها وخرج الترمذي من حديث عبادة مرفوعا نحو حديث ابي سعيد ايضا وبكل حال فالالحاح بالدعاء بالمغفرة مع رجاء الله عز وجل موجب للمغفرة والله تعالى يقول انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وفي رواية فلا تظنوا بالله الا خيرا ويروى من حديث سعيد بن جبير عن ابن عمر مرفوعا يأتي الله تعالى بالمؤمن يوم القيامة فيقربه حتى يجعله في حجابه من جميع الخلق فيقول له اقرأ فيعرفه ذنبا ذنبا اتعرف اتعرف فيقول نعم نعم ثم يلتفت العبد يمنة ويسرة فيقول الله تعالى لا بأس عليك يا عبدي انت في ستري من جميع خلقي ليس بيني وبينك اليوم احد يطلع على ذنوبك غيري اذهب فقد غفرتها لك بحرف واحد من جميع ما اتيتني به قال ما هو يا رب قال كنت لا ترجو العفو من احد غيري فمن اعظم اسباب المغفرة ان العبد اذا اذنب ذنبا لم يرج مغفرة من غير ربه ويعلم انه لا يغفر الذنوب ويأخذ بها غيره وقد سبق في شرح حديث ابي ذر رضي الله عنه في قوله تعالى يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما الحديث

**وقوله** ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يعني على كثرة ذنوبك وخطاياك ولا يتعاظمني ذلك ولا استكثره وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم ربه فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء فذنوب العبد وان عظمت فان عفو الله ومغفرته اعظم منها واعظم فهي صغيرة في جنب عفو الله ومغفرته وفي صحيح الحاكم عن جابر رضي الله عنه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يقول واذنوباه واذنوباه مرتين او ثلاثا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي ورحمتك ارجى عندي من عملي فقالها ثم قال له عد فعاد ثم قال له عد فعاد ثم قال له قم فقد غفر الله لك وفي هذا المعنى يقول بعضهم

٭ يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك اكبر ٭ اعظم الاشياء في جنب عفو الله يصغر ٭ وقال اخر ٭ يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة ٭ فلقد علمت بان عفوك اعظم ٭ ان كان لا يرجوك الا محسن ٭ فمن الذي يدعو ويرجو المجرم ٭ ما لي اليك وسيلة الا الرجا ٭ وجميل عفوك ثم اني مسلم ٭

**السبب الثاني للمغفرة** الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت عنان السماء وهو السحاب وقيل ما انتهى اليه البصر منها وفي الرواية الاخرى ولو اخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله لغفر لكم والاستغفار طلب المغفرة والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها وقد كثر في القرآن ذكر الاستغفار فتارة يؤمر به كقوله واستغفروا الله ان الله غفور رحيم وقوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وتارة يمدح اهله كقوله والمستغفرين بالاسحار وقوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وتارة يذكر ان الله يغفر لمن استغفره كقوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وكثيرا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان والتوبة عبارة عن الاقلاع عن الذنوب بالقلب والجوارح وتارة يفرد الاستغفار ويرتب عليه المغفرة كما ذكر في هذا الحديث وما اشبهه فقد قيل انه اريد به الاستغفار المقترن بالتوبة وقد قيل ان نصوص ~~الكتاب المقرونة~~ الاستغفار المفردة كلها مطلقة تقيد بما ذكر الله في اية آل عمران من عدم الاصرار فان الله عز وجل وعد فيها المغفرة لمن استغفره من ذنوبه ولم يصر على ما فعله فتحمل النصوص المطلقة في الاستغفار كلها على هذا القيد ومجرد قول القائل اللهم اغفر لي طلب منه للمغفرة ودعاء بها فيكون حكمه حكم سائر الدعاء فان شاء الله اجابه وغفر لصاحبه لا سيما اذا خرج عن قلب منكسر بالذنب او صادف ساعة من ساعات الاجابة كالاسحار وادبار الصلوات ويروى عن لقمان عليه السلام انه قال لابنه يا بني عود لسانك اللهم اغفر لي فان لله ساعات لا يرد فيها سائلا وقال الحسن اكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي اسواقكم وفي مجالسكم واينما كنتم فانكم لا تدرون متى تنزل المغفرة وخرج ابن ابي الدنيا في كتاب حسن الظن من حديث ابي هريرة مرفوعا بينما رجل مستلق اذ نظر الى السماء والى النجوم فقال اني لاعلم ان لك ربا خالقا

اللهم اغفر لي فغفر له وعن مورق قال كان رجل يعمل السيئات فخرج إلى البرية فجمع ترابا فاضطجع عليه مستلقيا فقال رب اغفر لي ذنوبي
فقال الله عز وجل إن هذا ليعرف أن له ربا يغفر الذنب ويعذب فغفر له وعن مغيث بن سمي قال بينما رجل خبيث فتذكر يوما
فقال اللهم غفرانك اللهم غفرانك ثم مات فغفر له ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
إن عبدا أذنب ذنبا فقال رب أذنبت ذنبا فاغفر لي قال الله عز وجل علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء
الله ثم أذنب ذنبا فذكر مثل الأول مرتين أخريين وفي رواية لمسلم أنه قال في الثالثة قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء والمعنى ما دام
على هذه الحال كلما أذنب يستغفر والظاهر أن مراده الاستغفار المقرون بعدم الإصرار ولهذا في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما
أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة خرجه أبو داود والترمذي وأما استغفار اللسان مع إصرار القلب على الذنب فهو دعاء مجرد
إن شاء الله رده وإن شاء أجابه وقد يكون الإصرار مانعا من الإجابة وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا ويل للمصرين الذين يصرون
على ما فعلوا وهم يعلمون وخرج ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس مرفوعا التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب
وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه ورفعه منكر ولعله موقوف قال الضحاك ثلاثة لا يستجاب لهم فذكر منهم رجل مقيم على امرأة زنا كلما قضى
شهوته قال رب اغفر لي ما أصبت من فلانة فيقول الرب تعالى تحول عنها وأغفر لك وأما ما دمت مقيما عليها فإني لا أغفر لك ورجل عنده مال
قوم يرى أهله فيقول رب اغفر لي ما آكل من مال فلان فيقول الله تعالى رد عليهم مالهم وأغفر لك وأما ما لم ترد عليهم مالهم فلا أغفر لك وقول القائل
أستغفر الله معناه أطلب مغفرته فهو كقوله اللهم اغفر لي فالاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله أهله وو
عدهم المغفرة قال بعض العارفين من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب في استغفاره وكان بعضهم يقول استغفارنا
هذا يحتاج إلى استغفار كثير وفي ذلك يقول بعضهم ⁂ أستغفر الله من أستغفر الله ⁂ من لفظة بدرت خالفت معناها ⁂
وكيف أرجو إجابات الدعاء ⁂ وقد سددت بالذنب عند الله مجراها ⁂ فأفضل الاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار وهو حينئذ توبة نصوح
وإن قال بلسانه أستغفر الله وهو غير مقلع بقلبه فهو داع لله بالمغفرة كما يقول اللهم اغفر لي وهو حسن وقد يرجى له الإجابة وأما
من قال توبة الكذابين فمراده أنه ليس بتوبة كما يعتقده بعض الناس وهذا حق فإن التوبة لا تكون مع الإصرار وإن قال أستغفر الله
وأتوب إليه فله حالتان أحدهما أن يكون مصرا بقلبه على المعصية فهو كاذب في قوله وأتوب إليه لأنه غير تائب فلا يجوز له أن يخبر عن نفسه
بأنه تائب وهو غير تائب والثاني أن يكون مقلعا عن المعصية بقلبه فاختلف الناس في جواز قوله وأتوب إليه فكرهه طائفة من السلف
وهو قول أصحاب أبي حنيفة حكاه عنهم الطحاوي وقال الربيع بن خثيم يكون قوله وأتوب إليه كذبة وذنبا ولكن ليقول اللهم تب علي أو يقول
إني أستغفرك فتب علي وهذا قد يحمل على من لم يقلع بقلبه وهو بحاله أشبه وكان محمد بن سوقة يقول في استغفاره أستغفر الله العظيم
الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله توبة نصوحا وروي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال بحسب امرئ من الكذب أن يقول أستغفر الله ثم يعود
وسمع مطرف رجلا يقول أستغفر الله وأتوب إليه فتغيظ عليه وقال لعلك لا تفعل وهذا ظاهر يدل على أنه إنما كره قوله وأتوب إليه لأن التوبة
النصوح أن لا يعود إلى الذنب أبدا فمتى عاد إليه كان كاذبا في قوله أتوب إليه ولذلك سئل محمد بن كعب القرظي عمن عاهد الله أن لا يعود
إلى المعصية أبدا فقال أعظم منه إثما أن أيمن على الله أن لا ينفذ فيه قضاءه ورجح قوله في هذا أبو الفرج ابن الجوزي وروي عن سفيان
بن عيينة نحو ذلك وجمهور العلماء على جواز أن يقول التائب أتوب إلى الله وأن يعاهد العبد ربه أن لا يعود إلى المعصية فإن العزم
على ذلك واجب عليه فهو مخبر بما عزم عليه في الحال ولهذا قال ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وقال الله عز وجل في المعاود إلى
الذنب قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء وفي حديث كفارة المجلس أستغفرك اللهم وأتوب إليك وقطع النبي صلى الله عليه وسلم يد سارق ثم قال
استغفر الله وتب إليه فقال أستغفر الله وأتوب إليه فقال اللهم تب عليه خرجه أبو داود واستحب جماعة من السلف الزيادة على قوله
أستغفر الله وأتوب إليه فروي عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول أستغفر الله وأتوب إليه فقال له يا حميق قل توبة من لا يملك لنفسه
نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وسئل الأوزاعي عن الاستغفار يقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه
قال إن هذا لحسن ولكن يقول رب اغفر لي حتى يتم الاستغفار وأفضل أنواع الاستغفار أن يبدأ العبد بالثناء على ربه
ثم يثني بالاعتراف بذنبه ثم يسأل الله المغفرة كما في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار أن يقول العبد
اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي
وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت خرجه البخاري وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال
يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك
وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ومن أنواع الاستغفار أن يقول العبد أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه وقد روي

عن النبي صلى الله عليه وسلم



عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من قاله غفر له وإن كان فر من الزحف خرجه أبو داود والترمذي وفي كتاب اليوم والليلة للنسائي عن خباب بن الأرت
قال قلت يا رسول الله كيف نستغفر قال قل اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت
أحدا أكثر أن يقول أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي السنن الأربع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نعد في المجلس الواحد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مائة مرة يقول رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم الغفور وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وفي صحيح مسلم عن الأغر المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنه ليغان
على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وفي المسند عن حذيفة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله إني ذرب اللسان
وإن عامة ذلك على أهلي قال أين أنت من الاستغفار إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب
قال أبو هريرة رضي الله عنه إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم ألف مرة وذلك على قدر ديتي وقالت عائشة رضي الله عنها طوبى لمن وجد
في صحيفته استغفارا كثيرا قال أبو منهال ما جاور عبد في قبره من جار أحب إليه من استغفار كثير وبالجملة فدواء الذنوب الاستغفار وروينا
من حديث أبي ذر رضي الله عنه إن لكل داء دواء وإن دواء الذنوب الاستغفار قال قتادة إن هذا القرآن يدلكم على دائكم
ودوائكم فأما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار فمن أهمته ذنوبه أكثر لها من الاستغفار قال بعضهم إنما معول المذنبين
البكاء والاستغفار قال رياح القيسي لي نيف وأربعون ذنبا قد استغفرت الله لكل ذنب مائة ألف مرة وحاسب بعضهم نفسه من وقت
بلوغه فإذا زلاته لا تجاوز ستة وثلاثين زلة فاستغفر الله لكل زلة مائة ألف مرة وصلى لكل زلة ألف ركعة ختم في كل ركعة منها
ختمة قال مع ذلك فإني غير آمن من سطوة ربي أن يأخذني بها وأنا على خطر من قبول التوبة ومن زاد اهتمامه بذنوبه فربما تعلق
بأذيال من قلت ذنوبه فالتمس منهم الاستغفار وكان عمر رضي الله عنه يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول إنكم لم تذنبوا وكان
أبو هريرة رضي الله عنه يقول لغلمان الكتاب قولوا اللهم اغفر لأبي هريرة فيؤمن على دعائهم قال بكر المزني لو كان رجل يطوف
على الأبواب كما يطوف المسكين يقول أستغفر الله لي لكان من يأمره أن يفعل ومن كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فاتت العد والإحصاء
فليستغفر الله مما علم فإن الله قد علم كل شيء وأحصاه كما قال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه وفي حديث
شداد بن أوس رضي الله عنه أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب وفي هذا يقول
بعضهم ⁂ أستغفر الله مما يعلم الله ⁂ إن الشقي من لا يرحم الله ⁂ ما أحلم الله عمن لا يراقبه ⁂ كل مسيء ولكن يحلم الله ⁂ فاستغفر الله
مما كان من زللي ⁂ طوبى لمن كف عما يكره الله ⁂ طوبى لمن حسنت منه سريرته ⁂ طوبى لمن ينتهي عما نهى الله ⁂

## السبب الثالث

من أسباب المغفرة التوحيد وهو السبب الأعظم فمن فقده فقد المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة قال الله تعالى
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها
خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد
في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة قال بعضهم الموحد لا يلقى في النار كما يلقى الكافر ولا يلقى فيها ما يلقى الكافر ولا يبقى فيها كما يبقى الكفار
فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف
من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما وإجلالا ومهابة وخشية
وتوكلا وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر وربما قلبتها حسنات كما سبق ذكره في تبديل السيئات حسنات فإن
هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات كما في المسند وغيره عن أم هانئ رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا إله إلا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل وفي المسند عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله فرفعنا ساعة ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال الحمد لله اللهم
إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني الجنة عليها وإنك لا تخلف الميعاد ثم قال أبشروا فإن الله قد غفر لكم قال الشبلي من ركن إلى الدنيا أحرقته
بنارها فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها فصار ذهبا أحمر ينتفع به ومن ركن إلى الله أحرقه بنور التوحيد
فصار جوهرا لا قيمة له إذا علقت نار المحبة بالقلب أحرقت منه كل ما سوى الرب فطهر القلب حينئذ من الأغيار وصلح عرشا للتوحيد ما
وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن ⁂ عصى الشوق إليهم بي يعمى ⁂ واحترقت في الهوى وأحرقني ⁂ قد رماني الهوى
في لجج بحر ⁂ خذوا بيدي كيف الغريق ⁂ حل عندي حبكم في شغاف ⁂ حل مني كل معقد وثيق ⁂ هذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله من الأحاديث
في هذا الكتاب ونحن بعون الله وتيسيره نذكر تتمة الخمسين حديثا من الأحاديث الجامعة لأنواع العلوم والحكم والآداب الموعود بها

في اول الكتاب والله الموفق للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل

## الحديث الثالث والاربعون

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما ابقت الفرائض فلاولى رجل ذكر خرجه البخاري ومسلم هذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه هذا الحديث اي الشيخ رحمه الله اختصر فانه مشتمل على احكام المواريث وجامع لها وهذا الحديث خرجاه من رواية وهيب وروح بن القاسم عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس رضي الله عنهما وخرجه مسلم من رواية معمر ويحيى بن ايوب عن ابن طاوس ايضا وقد رواه الثوري وابن عيينة وابن جريج وغيرهم عن ابن طاوس عن ابيه مرسلا من غير ذكر ابن عباس ورجح النسائي ارساله وقد اختلف العلماء رضي الله عنهم في قوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فقالت طائفة المراد بالفرائض الفروض المقدرة في كتاب الله تعالى والمراد اعطوا الفروض المقدرة لمن سماها الله لهم فما بقي بعد هذه الفروض فيستحقه اولى الرجال والمراد بالاولى الاقرب كما يقال هذا يلي هذا اي يقرب منه فاقرب الرجال هو اقرب العصبات فيستحق الباقي بالتعصيب وبهذا المعنى فسر الحديث جماعة من الائمة منهم الامام احمد واسحق بن راهويه نقله عنهما اسحق بن منصور وعلى هذا فاذا اجتمع بنت واخ وعم او ابن عم او ابن اخ فينبغي ان يأخذ الباقي بعد نصف البنت العصبة وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وكان يتمسك بهذا الحديث ويقر بان الناس كلهم على خلافه وذهبت الظاهرية الى قوله ايضا قال اسحق اذا كان مع البنت والاخت عصبة فالعصبة اولى وان لم يكن معها احد فالاخت لها الباقي وحكي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال البنت عصبة من لا عصبة له ورد بعضهم هذا وقالوا لا يصح هذا عن ابن مسعود وكان ابن الزبير ومسروق يقولان بقول ابن عباس ثم رجعا عنه وذهب جمهور العلماء الى ان الاخت مع البنت عصبة لها ما فضل منهم عمر وعلي وعايشة وزيد وابن مسعود ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم وتابعهم سائر العلماء وروى عبد الرزاق انا ابن جريج سالت طاوس عن ابنة واخت فقال كان ابي يذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها شيا وكان طاوس لا يرضى بذلك الرجل قال وكان ابي يشك فيها ولا يقول فيها شيا وقد كان يسال عنها قال الظاهر والله اعلم ان مراد طاوس هو هذا الحديث فان ابن عباس لم يكن عنده نص صريح عن النبي صلى الله عليه وسلم في ميراث الاخت مع البنت انما كان يتمسك بمثل عموم هذا الحديث وطاوس عم ان ابن عباس رواه عن رجل وانه لا يرضاه فان ابن عباس اكثر رواياته للحديث عن الصحابة والصحابة كلهم عدول رضي الله عنهم [illegible] فلا عبرة بعدم رضا طاوس وفي صحيح البخاري عن ابي قيس الاودي عن هزيل بن شرحبيل قال جاء رجل الى ابي موسى فسأله عن ابنة وابنة ابن واخت لاب وام فقال للابنة النصف وللاخت ما بقي وأت ابن مسعود فاتى ابن مسعود فذكر له ذلك فقال لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين لاقضين فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت قال فاتينا ابا موسى فاخبرناه بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم وفيه ايضا عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود بن يزيد قال قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النصف للابنة والنصف للاخت ثم ترك الاعمش ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يذكره وخرجه ابو داود من وجه اخر عن الاسود وزاد فيه ونبي الله صلى الله عليه وسلم حي واستدل ابن عباس بقول الله عز وجل قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد وكان يقول انتم اعلم ام الله يعني ان الله لم يجعل لها النصف الا مع عدم الولد وانتم تجعلون لها النصف مع الولد وهو البنت والصواب قول عمر والجمهور ولا دلالة في الاية على خلاف ذلك لان المراد بقوله فلها نصف ما ترك بالفرض وهذا مشروط بعدم الولد بالكلية ولهذا قال بعد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك يعني بالفرض والاخت الواحدة انما تاخذ النصف مع عدم وجود الولد الذكر والانثى وكذلك الاختان فصاعدا انما يستحقون الثلثين مع عدم وجود الولد الذكر والانثى فان كان هناك ولد فان كان ذكرا فهو مقدم على الاخوة مطلقا ذكورهم واناثهم وان لم يكن هناك ولد ذكر بل انثى فالباقي بعد فرضها يستحقه الاخ مع اخته بالاتفاق فاذا كانت الاخت لا يسقطها اخوها فكيف يسقطها من هو ابعد منه من العصبات كالعم وابنه واذا لم يكن العصبة الابعد مسقطا لها فيتعين تقديمها عليه لامتناع مشاركته لها فمفهوم الاية ان الولد يمنع ان يكون للاخت النصف بالفرض وهذا حق ليس مفهومها ان الاخت تسقط بالبنت ولا تأخذ ما فضل من ميراثها ويدل عليه قوله تعالى وهو يرثها ان لم يكن لها ولد وقد اجمعت الامة على ان الولد الانثى لا يمنع الاخ ان يرث من مال اخته ما فضل عن البنت او البنات وانما وجود الولد الانثى يمنع ان يحوز الاخ ميراث اخته كله فكما ان الولد ان كان ذكرا منع الاخ من الميراث وان كان انثى لم يمنعه الفاضل عن ميراثها وانما منعه حيازة الميراث فكذلك الولد ان كان ذكرا منع الاخت الميراث بالكلية وان كان انثى منع الاخت ان تفرض لها النصف ولم يمنعها ان تاخذ ما فضل عن فرضها والله اعلم **واما قوله** فما ابقت الفرائض فلاولى رجل ذكر فقد قيل ان المراد العصبة البعيد خاصة كبني الاخوة والاعمام وبنيهم دون العصبة القريب بدليل ان الباقي بعد الفروض يشترك فيه الذكور والاناث اذا كان العصبة قريبا كالاولاد والاخوة بالاتفاق فكذلك الاخت مع البنت بالنص الدال عليه والصحابة تخص من هذه الصورة بالاتفاق فيختص منه صورة الاخت مع البنت بالنص وقالت طائفة اخرون المراد بقوله الحقوا الفرائض باهلها ما يستحقه ذوو الفروض في الجملة سواء اخذوه بفرض او تعصيب بتعصيب طري لهم والمراد بقوله فما بقي فلاولى رجل ذكر العصبة الذي ليس له فرض بحال ويدل عليه انه قد روي الحديث

بلفظ اخر



بلفظ اخر وهو اقسموا المال بين اهل الفرائض على كتاب الله فدخل في ذلك كل من كان من اهل الفروض بوجه من الوجوه وعلى هذا فانما تأخذ الاخت مع اخيها او من عمها او ابن عمها اذا عصبها هو داخل في هذه القسمة لانها من اهل الفرائض في الجملة فكذلك ما تاخذه الاخت مع البنت وقالت فرقة اخرى المراد باهل الفرائض في قوله الحقوا الفرائض باهلها **وقوله** اقسموا المال بين اهل الفرائض جملة من سماه الله في كتابه من اهل المواريث من ذوي الفروض والعصبات كلهم فان كل ما تأخذه الورثة فهو فرض فرضه الله لهم سواء كان مقدارا او غير مقدار كما قال تعالى بعد ذكر الوالدين والاولاد فريضة من الله فيهم ذو فرض وعصبة وكما قال تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا وهذا يشمل العصبات وذوي الفروض فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها على كتاب الله فيشمل قسمته بين ذوي الفروض والعصبات على ما في كتاب الله فان قسم على ذلك ثم فضل منه شيء فيختص بالفاضل اقرب الذكور من الورثة وكذلك ان لم يوجد في كتاب الله تصريح بقسمته بين من سماه الله من الورثة فيكون حينئذ المال لاولى رجل ذكر منهم فهذا الحديث مبين لكيفية قسمة المواريث في كتاب الله عز وجل بين اهلها ومبين لقسمة ما فضل من المال عن تلك القسمة مما لم يصرح فيه القران من احوال اولئك الورثة واقسامهم ومبين ايضا لكيفية توريث بقية العصبات الذين لم يصرح بتسميتهم في القران فاذا ضم هذا الحديث الى ايات القران انتظم في ذلك كله معرفة قسمة المواريث بين جميع ذوي الفروض والعصبات **ونحن** نذكر حكم توريث الاولاد والوالدين كما ذكره الله تعالى في اول سورة النساء وحكم توريث الاخوة من الابوين ومن الاب كما ذكره الله في اخر السورة المذكورة **فاما** الاولاد فقد قال الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فهذا حكم اجتماع ذكورهم واناثهم انه يكون للذكر مثل حظ الانثيين ويدخل في ذلك الاولاد واولاد البنين باتفاق العلماء فمتى اجتمع من الاولاد اخوة واخوات اقتسموا الميراث على هذا الوجه عند الاكثرين فلو كانت هناك بنت لصلب او ابنتان وكان هناك ابن ابن مع اخته اقتسما الباقي اثلاثا لهم في هذا العموم وهذا قول جمهور العلماء منهم عمر وعلي وزيد وابن عباس رضي الله عنهم وذهب اليه عامة العلماء والائمة الاربعة وذهب ابن مسعود رضي الله عنه الى ان الباقي بعد استكمال بنات الصلب الثلثين كله لابن الابن ولا يعصب اخته وهو قول علقمة وابي ثور واهل الظاهر فلا يعصب الولد عندهم اخته الا ان يكون لها فرض يضيق لو انفردت عنه فكذلك قالوا فيما اذا كان هناك بنت واولاد ابن ذكور واناث ان الباقي لجميع ولد الابن للذكر منهم مثل حظ الانثيين وقال ابن مسعود في بنت وبنات ابن وبني ابن للبنت النصف والباقي بين اولاد الابن للذكر مثل حظ الانثيين الا ان يزيد المقاسمة بنات الابن على السدس فيفرض لهن السدس ويجعل الباقي لبني الابن وهو قول ابي ثور **واما** الجمهور فقالوا النصف الباقي لولد الابن للذكر مثل حظ الانثيين عملا بعموم الاية وعندهم ان الولد وان نزل يعصب من في درجته بكل حال سواء كان للانثى فرض بدونه او لم يكن ولا يعصب من هو اعلا منه من الاناث الا بشرط ان لا يكون لها فرض بدونه ولا يعصب من هو اسفل منه بكل حال قال الله عز وجل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف فهذا حكم انفراد الاناث من الاولاد ان للواحدة النصف ولما فوق الاثنتين الثلثان ويدخل في ذلك بنات الصلب وبنات الابن عند عدمهن فان اجتمعن فان استكملت بنات الصلب الثلثين فلا شيء لبنات الابن المنفردات وان لم تستكمل البنات الثلثين بل كان ولد الصلب بنتا واحدة ومعها بنات ابن فللبنت النصف ولبنات الابن السدس تكملة الثلثين لئلا يزيد فرض البنات على الثلثين وهذا اتفق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود الذي تقدم ذكره وهو قول عامة العلماء الا ما ذكر عن ابي موسى وسلمان بن ربيعة انه لا شيء لبنات الابن وقد رجع ابو موسى الى قول ابن مسعود لما بلغه قوله في ذلك وانما اشكل على العلماء حكم ميراث البنتين خاصة فان لهما الثلثين بالاجماع كما حكاه ابن المنذر وغيره وما حكي عن ابن عباس ان لهما النصف فقد قيل اسناده لا يصح والقران يدل على خلافه حيث قال الله عز وجل وان كانت واحدة فلها النصف فكيف تورث اكثر من الواحدة النصف وحديث ابن مسعود رضي الله عنه في توريث البنت النصف وبنت الابن السدس تكملة الثلثين يدل على توريث البنتين الثلثين بطريق الاولى وخرج الامام احمد والترمذي وابو داود من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم ورث ابنتي سعد بن الربيع الثلثين ولكن اشكل فهم ذكره من القران ولهذا لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فلهذا اضطرب الناس في هذا وقال الكثير من الناس [illegible] ومنهم من قال استفيد حكم ميراث الاثنتين من ميراث الاختين فانه قال فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك واستفيد حكم ميراث اكثر من الاختين من حكم ميراث ما فوق الاثنتين ومنهم من قال البنت مع اخيها لها الثلث بنص القران فلان يكون لها الثلث مع اختها اولى وسلك بعضهم مسلكا اخر وهو ان الله تعالى ذكر حكم اجتماع الذكور والاناث من الاولاد وذكر حكم توريث البنات اذا انفردن عن الذكور ولم ينص على حكم انفراد الذكور عن الاناث وهو حكم الاجتماع ان للذكر مثل حظ الانثيين فان اجتمع مع الابن البنات فصاعدا [illegible] يكون مع الابنة واحدة مثل الثلثين ولها الثلث وقد جعل الله ما يستحقه الذكر مثل حظ الانثيين مطلق وليس الثلثان حظ الانثيين في حال اجتماعهما مع الذكر لان حظهما حينئذ النصف فيتعين ان يكون الثلثان حظهما حال الانفراد [illegible] لم يصرح القران بذكره وهو حكم انفراد الذكور من الولد وهذا ما [illegible] في حديث ابن عباس رضي الله عنهما فما بقي فلاولى رجل ذكر [illegible]

وهو حكم انفراد

القسم قد بقي ولم يصرح بحكمه في القرآن فيكون المال حينئذ لأقرب الذكور من الولد والأب على هذا فإنه لو اجتمع ابن وأب لكان المال
كله للابن ولو كان ابن ابن وابن ابن ابن لكان المال كله لابن الابن على ما تقتضيه حديث ابن عباس والله أعلم وذكر توريث حكم ميراث
الأبوين فقال تعالى ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فهذا حكم ميراث الأبوين إذا كان للمتوفى ولد وسواء في الولد
الذكر والأنثى وسواء فيه ولد الصلب وولد الابن هذا كله بالإجماع وقد حكي بعضهم عن مجاهد فيه خلاف فمتى كان ثلث ولد أو ولد ابن
وله أبوان فلكل واحد من الأبوين السدس فرضا ثم إن كان الولد ذكرا فالباقي بعد سدس الأبوين له وإنما دخل في هذا قوله صلى
الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر وأحق من العصبات الابن وإن كان الولد أنثى فإن كانتا اثنتين فصاعدا
فالثلثان لهن ولا يفضل من المال شيء وإن كانت بنتا واحدة فلها النصف ويفضل من المال سدس آخر فيأخذه الأب بالتعصيب على
قوله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر فهو أولى رجل ذكر عند فقد الابن إذ هو أقرب من الأخ وابنه والعم وابنه
ثم قال تعالى فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث يعني إذا لم يكن للميت ولد وله أبوان [illegible] فلأمه الثلث فيفهم من ذلك أن
الباقي بعد الثلث للأب لأنه لم يحك فللأب مثلا ما للأم لئلا يتوهم أن [illegible] بها المال هو بالتعصيب كالأولاد والإخوة إذا كان فيهم ذكور
وإناث وكان ابن عباس رضي الله عنهما يتمسك بظاهر الآية في قوله في المسألتين الملقبتين بالعمريتين وهما زوج وأبوان وزوجة وأبوان
فإن عمر رضي الله عنه قضى أن الزوجين يأخذان فرضهما من المال ويأخذ الأبوان ما بقي بعد فرضهما في المسألتين فللأم ثلثه والباقي للأب وتابعه على ذلك جمهور
الأمة وقال ابن عباس للأم الثلث كاملا تمسكا بقوله تعالى فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث وقد قيل في جوابه إن الله عز وجل
إنما جعل للأم الثلث بشرطين أحدهما أن لا يكون للولد المتوفى ولد والثاني أن يرثه أبواه أي ينفرد أبواه بميراثه فلا تستحق الأم الثلث
وإن لم يكن للمتوفى ولد وقد يقال وهو أحسن إن قوله تعالى وورثه أبواه فلأمه الثلث أي مما ورثه الأبوان ولم يقل فلأمه الثلث مما ترك
كما قال في السدس فالمعنى أنه إذا لم يكن له ولد وكان للأبوين من المال ميراث فللأم ثلث ذلك الميراث الذي يختص به الأبوان وبقي الباقي
للأب ولهذا السر والله أعلم حيث ذكر الله الفروض المقدرة لأهلها قال فيها مما ترك أو ما يدل على ذلك كقوله من بعد وصية يوصي بها أو دين
ليبين أن ذا الفرض حقه ذلك الجزء المفروض المقدر له من جميع المال بعد الوصايا والدين وحيث ذكر ميراث العصبات أو ما يقتسمه الذكور
والإناث على وجه التعصيب كالأولاد والإخوة لم يقيد بشيء من ذلك ليبين أن المال المقتسم بالتعصيب ليس هو المال كله بل تارة يكون جميع
المال وتارة يكون هو الفاضل عن الفروض المقدرة وهنا لما ذكر ميراث الأبوين من ولدهما [illegible] ولذلك لم يكن اقتسامهما المال بالفرض
المحض كما في ميراثهما مع الولد ولا كان بالتعصيب المحض الذي يعصب فيه الذكر الأنثى ويأخذ مثلي ما تأخذه الأنثى بل كانت الأم تأخذ ما تأخذه
بالفرض والأب يأخذ ما يأخذه بالتعصيب قال الله عز وجل وورثه أبواه فلأمه الثلث أن المقدار الذي يستحقه الأبوان من تركته تأخذ الأم ثلثه
فرضا والباقي يأخذه الأب بالتعصيب وهذا مما فتح الله به ولا أعلم أحدا سبق إليه ولله الحمد والمنة ثم قال تعالى فإن كان له إخوة
فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين يعني أن للأم السدس مع الإخوة من جميع التركة الموروثة التي يقتسمها الورثة ولم يذكر هنا
ميراث الأب مع الأم والإخوة إذا اجتمع أم وإخوة ليس معهم أب كان للأم السدس والباقي للإخوة ويحجبها الأخوان فصاعدا عند الجمهور
وأما إن كان مع الأم والإخوة أب فقال الأكثر ويحجب الإخوة الأم ولا يرثون وقد روي عن علي أنهم يرثون السدس الذي حجبوا عنه
الأم بالرد كما يرث ولد الأم بالفرض وقد قيل إن هذا مبني على قوله إن الكلالة من لا ولد له خاصة ولا يشترط للكلالة فقد الوالد فترث
الإخوة مع الأب بالفرض ومن العلماء المتأخرين من قال إذا كان الإخوة محجوبين بالأب فلا يحجبون الأم عن شيء بل لها حينئذ الثلث
ورجحه أبو العباس ابن تيمية رحمه الله وقد روي عن [illegible] وغيره من السلف أن من لا يرث لا يحجب وقد قال [illegible] أحمد والخرقي لكن أكثر
العلماء يحملون ذلك أن المراد من ليس أهلا للميراث بالكلية كالكافر والرقيق دون من لا يرث لأنه محجوب بمن هو أقرب منه والله أعلم
وقد يستشهد للقول بأن الإخوة إذا كانوا محجوبين لا يحجبون الأم أن الله عز وجل قال فإن كان له إخوة فلأمه السدس ولم يذكر الأب
فدل على أنه ذكر حكم انفراد الأم مع الإخوة فيكون الباقي بعد السدس لهم وهذا ضعيف فإن الإخوة قد يكونون من أم فلا يكون
لهم سوى الثلث والله أعلم واعلم أن الله سبحانه ذكر حكم ميراث الأبوين ولم يذكر الجد والجدة فأما الجدة فقال أبو بكر الصديق
رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنه ليس لها في كتاب الله شيء وقد حكى بعض العلماء الإجماع على ذلك وأن فرضها إنما ثبت بالسنة وقيل
إن السدس طعمة أطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بفرض كذا روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وسعيد بن المسيب وقد روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما من وجوه فيها ضعف أنها بمنزلة الأم عند فقد الأم ترث ميراث الأم فترث الثلث تارة والسدس أخرى وهذا
وهذا شذوذ ولا يصح إلحاق الجدة بالجد لأن الجد عصبة بخلاف الجدة والجدة ذات فرض تدلي بذات فرض ضعفت وقد قيل إنه ليس
بفرض بالكلية وإنما السدس طعمة أطعمها النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قالت طائفة ممن يرى الرد على ذوي الفروض إنه لا يرد على الجدة لضعف
فرضها وهو رواية عن أحمد وأما الجد فاتفق العلماء رضي الله عنهم على أنه يقوم مقام الأب في أحواله المذكورة من قبل فيرث مع الولد

للولد مع

لأنه أثبت ميراثه لأبويه وخص الأم من الميراث بالثلث فعلم أن الباقي للأب

السدس بالفرض



السدس بالفرض ومع عدم الولد يرث بالتعصيب وإن بقي شيء مع إناث الولد أخذه بالتعصيب أيضا على قوله فما أبقت الفرائض فلأولى رجل
ذكر ولكن اختلفوا فيما إذا اجتمع أم وجد مع أحد الزوجين فروي عن طائفة من الصحابة رضي الله عنهم أن للأم ثلث الباقي كما لو كان معها
الأب كما سبق وروي ذلك عن عمر وابن مسعود ولذا أخذ بعضهم ومنهم من قال [illegible] وروي عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم في زوج وأم وجد أن للأم
ثلث الباقي وروي عن ابن مسعود رواية أخرى أن النصف الفاضل بين الجد والأم نصفين وروي عن ابن مسعود رواية شاذة أن للأم ثلث
الباقي والصحيح عنه كقول الجمهور أن لها الثلث كاملا وهذا أشبه [illegible] ابن سيرين أن الأم مع الأب إن كان مع زوج فللأم ثلث
الباقي وإن كان مع زوجة فللأم الثلث وجمهور العلماء على أن الأم لها الثلث مع الجد مطلقا وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عباس
رضي الله عنهم والفرق بين الأم مع الأب ومع الجد أنها مع الأب يشملهما اسم واحد وهما في القرب سواء فالأب يأخذ الذكر منهما
مثل حظ الأنثيين كالأولاد والإخوة وأما الأم مع الجد فليس يشملهما اسم واحد والجد أبعد من الأب [illegible] وأما
إذا اجتمع الجد مع الإخوة فأما بنو الأم فيسقطون به لأنهم إنما يرثون في الكلالة والكلالة من لا ولد له ولا والد [illegible] عن ابن عباس
وأما إن كانوا بني الأب أو الأبوين فقد اختلف العلماء في حكم ميراثهم قديما وحديثا فالإخوة مطلقا يسقطون بالأب وهذا قول الصديق ومعاذ
بن جبل وابن عباس وغيرهم واستدلوا بأن الجد في كتاب الله عز وجل قد دخل في اسم الأب في المواريث كما أن ولد الولد ولد ويدخل في اسم
الولد عند عدم الولد بالاتفاق وبأن الإخوة إنما يرثون مع الكلالة فيحجبهم الجد كالإخوة من الأم وبأن الجد أقوى من الإخوة لاجتماع الفرض
والتعصيب له من جهة واحدة فهو كالأب وحينئذ فيدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم فما بقي فلأولى رجل ذكر ومنهم من شرك بين الإخوة والجد
وهو قول كثير من الصحابة ذكر الفقهاء بعدهم على اختلاف طويل بينهم في كيفية التشريك بينهم في الميراث وكان من السلف من توقف في
حكمهم [illegible] لاشتباه أمرهم وإشكاله ولولا خشية الإطالة لبسطت القول في هذه [illegible] يؤدي إلى الإطالة جدا وأما
حكم ميراث الإخوة للأبوين أو للأب فقد ذكره الله تعالى في آخر سورة النساء قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك
ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك والكلالة مأخوذة من تكلل النسب وإحاطته بالميت وذلك يقتضي انتفاء النسب مطلقا من العمودين
الأعلى والأسفل وتخصيصه تعالى على انتفاء الولد تنبيه على انتفاء الوالد بطريق الأولى لأن انتساب الولد إلى الوالد أظهر من انتسابه إلى
ولده فلما ذكر عند عدم الولد تنبيها [illegible] الوالد بطريق الأولى وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه الكلالة من لا ولد له ولا والد
تابعه جمهور الصحابة والعلماء بعدهم وقد روي ذلك مرفوعا في مراسيل أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجه
أبو داود في المراسيل وخرجه الحاكم عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا وصححه ووصله بذكر أبي هريرة ضعيف فقوله إن امرؤ هلك
ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك يعني إذا لم يكن للميت ولد ذكر ولا أنثى فللأخت حينئذ النصف مما ترك فرضا ومفهوم هذا
أنه إذا كان له ولد فليس للأخت النصف فرضا ثم إن كان الولد ذكرا فهو أولى بالمال كله لما سبق تقريره في ميراث الأولاد والذكور إذا انفردوا
فإنهم أقرب العصبات وهم يسقطون الإخوة فكيف لا يسقطون الأخوات وأيضا فقد قال تعالى وإن كانوا إخوة رجالا ونساء
فللذكر مثل حظ الأنثيين فهذا يدل على أنه إذا كان هناك ذو فرض كالبنت وغيرها [illegible] فإذا استحق الفاضل ذكور الإخوة مع الأخوات
إذا انفردوا فكذلك يستحقونه [illegible] وإن كان الولد أنثى فليس للأخت هنا النصف بالفرض ولكن لها الباقي بالتعصيب هذا محمل
في هذه المسألة لأصحابنا وجهان [illegible] وهو [illegible] إن لم يكن لها ولد يعني أن الأخ يستقل بميراث أخته إذا لم يكن لها ولد وقوله تعالى
فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك يعني أن فرض البنتين الثلثان كما أن فرض الواحدة النصف وهذا الحكم في انفراد الإخوة والأ
خوات وأما حكم اجتماعهم فقد قال تعالى وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين فخرج ذكرها إذا كانوا منفردين وأما
إذا كان هناك ذو فرض مع الأولاد أو غيرهم كالزوجين أو الأم أو الإخوة من الأم فيكون الفاضل عن فروضهم للإخوة والأخوات بينهم
للذكر مثل حظ الأنثيين فقد تبين بما ذكرنا أن وجود الولد إنما يسقط فرض الأخوات من الأبوين أو الأب ولا يسقط توريثهن بالتعصيب مع
إخوتهن بالإجماع ولا تعصيبهن بانفرادهن مع البنات عند الجمهور فالكلالة شرط لثبوت فرض الأخوات لا لثبوت ميراثهن كما أنه
ليس بشرط لميراث ذكورهم بالإجماع وهذا بخلاف ولد الأم فإن انتفاء الكلالة أسقطت فرضهم وإذا سقطت فرضهم أسقطت
مواريثهم لأنه لا تعصيب لهم بحال لأن إدلاءهم بأنثى فالأخوات للأبوين أو للأب يرثون بعد فرضهن بالتعصيب مع إخوتهن بالاتفاق و
بانفرادهن مع البنات عند الجمهور وإذا كان الولد يسقط الفرض ولد الأبوين أو الأب دون أصل توريثهم بغير فرض فقد دل أن الله تعالى
إنما خص انتفاء الولد في قوله ليس له ولد ولم يذكر انتفاء الوالد والأب لأنه كان يدخل فيه [illegible] الإخوة لما يسقط ميراث الإخوة بالكلية وإنما
يشتركون معه في الميراث تارة بالفرض وتارة بعضهم بغير [illegible] وهذا على قول من يقول إن الجد لا يسقط الإخوة وهم الجمهور ظاهر وهذا كله في الإخوة
ولد الأبوين أو الأب فإن اجتمعوا فإن العصبات من ولد الأبوين يسقطون ولد الأب كلهم بغير خلاف في حجب الأخت من الأبوين مع البنت
عند من يجعلها عصبة يسقط بها الأخ من الأب [illegible] في المسند والترمذي وابن ماجه عن علي رضي الله عنه قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أعيان
بني الأم [illegible]

وأما في زوجة وأم وجد [illegible]

فللأم ثلث [illegible]

ثم من استحق الأخ [illegible] بالأم [illegible] يسقط [illegible]

بني الأم يرثون دون بني العلات يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه وقال عمرو بن شعيب قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأخ للأب والأم
أولى بالميراث من الأخ للأب وهذا أيضا مما يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم فما بقي فلأولى رجل ذكر والتحقيق في ذلك أن ما دل عليه القرآن ولو بالتنبيه
لتنبيه فليس حمله بقسمة الفرائض بل هو من إلحاق الفرائض المذكورة في القرآن بأهلها كتوريث الأولاد ذكورهم وإناثهم الفاضل عن الفروض للذكر مثل
حظ الأنثيين وتوريث الإخوة ذكورهم وإناثهم كذلك وقد ذكرنا طريق التنبيه على أن الأخت تأخذ الباقي مع البنت كما كانت تأخذه مع أخيها
ولا يتقدم عليها من هو أبعد منها كابن الأخ والعم وابنه فإن أخاها إذا لم يسقطها فكيف يسقطها من هو أبعد منه فهذا كله من باب إلحاق الفرائض
بأهلها ومن باب قسمة المال بين أهل الفرائض على كتاب الله وأما من لم يذكر باسمه من العصبات في القرآن كابن الأخ والعم وابنه فإنما
دخل في عمومات مثل قوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون فهذا يحتاج في توريثهم
إلى هذا الحديث أعني حديث ابن عباس إذا لم يوجد للمال وارث غيرهم انفردوا به وتقدم الأقرب فالأقرب منهم فالأقرب لأنه أولى رجل
ذكر وإن وجدت فروض لا تستغرق المال كأحد الزوجين أو الأم أو ولد الأم أو بنات منفردات فالباقي لأولى رجل ذكر من هؤلاء
ولهذا لو كان هؤلاء إخوة رجالا ونساء لاختص به رجالهم دون نسائهم بخلاف الأولاد والإخوة فإنه يشترك في الباقي
في المال ذكورهم وإناثهم بنص القرآن والحديث إنما دل على توريث العصبات الذين يختص ذكورهم دون إناثهم من عدا الأولاد و
الإخوة فهذا حكم العصبات المذكورين في كتاب الله وحديث ابن عباس وأما ذوو الفروض فقد ذكر حكم مواريثهم فلم يبق منهم إلا الزوجان
والإخوة فأما الزوجان فيرثان بسبب عقد النكاح ولما كان بين الزوجين من الألفة والمودة والتناصر والتعاضد ما بين الأقارب جعل
ميراثهما كميراث الأقارب وجعل للذكر منهما مثل ما للأنثيين لامتياز الذكر على الأنثى بما ينفع بالاتفاق والنفع وأما ولد الأم فإنهم
ليسوا من قبيلة الرجل ولا عشيرته وإنما هم في المعنى من ذوي رحمه فوضعهم الله بإلحاقهم السدس ولجماعتهم الثلث ذكرهم وأنثاهم سواء فسوى بين ذكورهم
وإناثهم حيث لم يكن لذكورهم زيادة على إناثهم في الحياة من المعاضدة والمناصرة كما بين أهل القبيلة والعشيرة الواحدة فسوى
بينهم في الصلة ولهذا لم يشرع الوصية للأجانب بزيادة على الثلث بل كان الثلث كثيرا في حقهم لأنهم أبعد من الأولاد فينبغي أن لا
يزادوا على ما يوصل به ولد الأم بل ينقصون منه واستدل بعضهم بقوله فما بقي فلأولى رجل ذكر على أنه لا ميراث لذوي الأرحام لأنهم لا
يحصل حصر الميراث فيهم لم يذكر في القرآن إلا قرب الذكور فهذا الحكم يختص بالعصبات دون ذوي الأرحام فإن من ورث
ذوي الأرحام ورث ذكورهم وإناثهم والجواب من يقول بتوريث ذوي الأرحام بأن هذا الحديث دل على توريث ذوي
العصبات لا على نفي توريث غيرهم وتوريث ذوي الأرحام مأخوذ من أدلة أخرى فيكون ذكر زيادة على ما دل عليه حديث ابن
عباس رضي الله عنهما وأما قوله فلأولى رجل ذكر فقد قيل إن الرجل لا يكون إلا ذكرا والجواب الصحيح عنه أنه قد يطلق الرجل ويراد به الشخص كقوله
من وجد ماله عند رجل قد أفلس ولا فرق بين أن يجده عند رجل أو امرأة فتقييده بالذكر ينفي هذا الاحتمال ويخلصه للذكور دون
الإناث وهو المقصود وكذلك الابن قد يطلق ويراد به أعم من الذكر كقولهم ابن السبيل جاء تقييده بابن اللبون جاء في نص الزكاة
بالذكر وللسهيلي كلام على هذا الحديث فيه تكلف وتعسف شديد ولا طائل تحته وقد رده عليه جماعة ممن أدركنا والله أعلم

الحديث الرابع والعشرون عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة خرجه البخاري
ومسلم هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من رواية عمرة عن عائشة رضي الله عنها وخرجه مسلم من رواية عروة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وخرجاه أيضا من رواية عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أجمع العلماء
رضي الله عنهم على العمل بهذه الأحاديث في الجملة وأن الرضاع يحرم ما يحرم من النسب ولنذكر المحرمات من النسب حتى يعلم بذلك ما يحرم من
الرضاع فنقول الولادة والنسب قد يوجب التحريم في النكاح وهو على قسمين تحريم مؤبد على الانفراد وهو نوعان أحدهما ما يحرم
بمجرد النسب فيحرم على الرجل أصوله وفروعه وإن سفلوا وفروع أصله الأدنى وإن سفلوا وفروع أصوله البعيدة دون فروعهم فدخل
في أصوله أمهاته وإن علون من جهة أبيه وأمه وفي فروعه بناته وبنات أولاده وإن سفلن وفي فروع أصله الأدنى أخواته من الأبوين
أو من أحدهما وبناتهن وبنات الإخوة وأولادهم وإن سفلن ودخل في فروع أصوله البعيدة العمات والخالات وعمات الأبوين وخالاتهما
وإن علون فلم يبق من الأقارب حلالا للرجل سوى فروع أصوله البعيدة وهن بنات العم وبنات العمات وبنات الخال وبنات الخالات

والنوع الثاني ما يحرم بالنسب مع سبب آخر وهو المصاهرة فيحرم على الرجل حلائل آبائه وحلائل أبنائه وأمهات نسائه وبنات نسائه
المدخول بهن فيحرم على الرجل امرأة أبيه وأمهاتها من جهة الأم والأب وإن علون ويحرم بنات امرأته وهن الربائب وبناتهن وإن
سفلن وكذلك بنات بني زوجته وهن الربائب نص عليه الشافعي وأحمد ولا أعلم فيه خلافا ويحرم عليه أن يتزوج بامرأة أبيه وإن علا

وامرأة ابنه

[هامش: وذكر طريق التنبيه على أن الباقي للأخت مع البنت كحكمهم عند الانفراد بطريق الأولى]

[هامش: أو الأخوات منفردات]



وامرأة ابنه وإن سفل ودخول هؤلاء في التحريم بالنسب ظاهر لأن تحريمهن من جهة نسب الرجل مع سبب المصاهرة وأما أمهات
نسائه وبناتهن فتحريمهن مع المصاهرة بسبب نسب المرأة فلم يخرج التحريم بذلك عن أن يكون مستندا إلى النسب الذي انضم إليه سبب المصاهرة
فإن التحريم بالنسب المجرد والنسب المضاف إلى المصاهرة يشترك فيه الرجال والنساء فيحرم على المرأة أن تتزوج أصولها وإن
علوا وفروعها وإن سفلوا وفروع أصلها الأدنى وإن سفلوا من إخوتها وأولاد الإخوة وإن سفلوا وفروع أصولها
البعيدة وهم الأعمام والأخوال وإن علوا دون أبنائهم فهذا كله بالنسب المجرد وأما بالنسب المضاف إلى المصاهرة فيحرم
عليها نكاح أبي زوجها ونكاح ابنه وإن سفل يحرم بالعقد ويحرم عليها زوج ابنتها وإن سفلت بالعقد وزوج أمها وإن
علت لكن بشرط الدخول بها

والقسم الثاني التحريم المؤبد على الاجتماع دون الانفراد وتحريمه يختص بالرجال
لاستحالة إباحة جمع المرأة بين زوجين فكل امرأتين بينهما رحم محرم يحرم الجمع بينهما بحيث لو كانت إحداهما ذكرا لم يجز
له التزوج بالأخرى فإنه يحرم الجمع بينهما بعقد النكاح قال الشعبي رحمه الله كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون لا يجمع الرجل
بين امرأتين لو كانت إحداهما رجلا لم يصلح له أن يتزوجها وهذا إذا كان التحريم لأجل النسب وبذلك فسره سفيان الثوري وأكثر العلماء
فلو كان لغير النسب مثل أن يجمع بين زوجة رجل وابنته من غيرها فإنه يباح عند الأكثرين وكرهه بعض السلف فإذا علم ما يحرم من النسب
فكل ما يحرم منه فإنه يحرم من الرضاع نظيره فيحرم على الرجل أن يتزوج أمهاته من الرضاعة وإن علون وبناته من الرضاعة وإن سفلن
وأخواته من الرضاعة وبنات أخواته من الرضاعة وعماته وخالاته من الرضاعة وإن علون دون بناتهن ومعنى هذا أن المرأة
إذا أرضعت طفلا الرضاع المعتبر في المدة المعتبرة صارت أما له بنص كتاب الله فتحرم عليه هي وأمهاتها وإن علون من نسب أو رضاع
وتصير بناتها كلهن أخوات له من الرضاعة فيحرمن عليه بنص القرآن وبقية التحريم من الرضاعة استفيد من السنة أن التحريم
لا يختص بالحسين بل المرأة وعمتها والمرأة وخالتها كذا وإذا كان للمرضعة بنات من نسب أو رضاع أخوة لم ترضع فيحرم عليه
بنات أخواته أيضا وقد امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من تزويج ابنة حمزة وابنة أبي سلمة وعلل بأن أباهما كانا أخوين له من الرضاعة ويحرم عليه
أيضا أخوات المرضعة لأنهن خالاته وينتشر التحريم أيضا إلى الفحل صاحب اللبن الذي ارتضع منه الطفل فيصير صاحب اللبن أبا للطفل
ويصير أولاده كلهم من المرضعة أو من غيرها من نسب أو رضاع إخوة للمرتضع ويصير إخوته أعماما للطفل المرتضع هذا قول الجمهور من
السلف وأجمع عليه الأئمة الأربعة ومن بعدهم وقد دل على ذلك من السنة ما روت عائشة رضي الله عنها أن أفلح أخا أبي القعيس استأذن
عليها بعدما نزل الحجاب قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لا آذن له حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أبا القعيس ليس هو أرضعني
ولكن أرضعتني امرأته قالت فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال ائذني له فإنه عمك تربت يمينك وكان أبو القعيس
زوج المرأة التي أرضعت عائشة رضي الله عنها خرجاه في الصحيحين بمعناه وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل له جاريتان أرضعت إحداهما
جارية والأخرى غلاما أيحل للغلام أن يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد ولو كان اللبن الذي ارتضع منه الطفل قد ثاب للمرأة
من غير وطء وحمل بأن يكون امرأة لا زوج لها قد ثاب لها اللبن وهي بكر أو آيسة فأكثر العلماء على أنه يحرم الرضاع منه وتصير المرضعة
أما للطفل وقد حكاه ابن المنذر إجماعا عمن يحفظ عنه من أهل العلم وهو قول أبي حنيفة ومالك والشافعي وإسحاق وغيرهم وذهب الإمام أحمد في المنصوص
عنه إلى أنه لا ينتشر التحريم بحال حتى يكون بعد حمل يدر اللبن من رضاعه وحكي عن الشافعي قول مثله ولو انقطع نسبه من جهة صاحب
اللبن كولد الزنا فهل ينتشر التحريم إلى الزاني صاحب اللبن هذا ينبني على أن البنت من الزنا هل تحرم على الزاني ومذهب أبي حنيفة وأحمد وأكثر
في رواية عنه تحريمها عليه خلافا للشافعي وبالغ الإمام أحمد في الإنكار على من خالفه في ذلك فعلى قول من يحرمها هل ينتشر التحريم إلى الزاني صاحب
اللبن فيكون أبا للمرتضع أم لا فيه قولان هما وجهان لأصحابنا واختار ابن حامد أن التحريم لا ينتشر إليه واختار القاضي أبو يعلى وأبو بكر أن التحريم
ينتشر إلى الزاني وهو نص أحمد وحكاه عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول إسحاق بن راهويه نقله عنه حرب وينتشر التحريم بالرضاع إلى ما
حرم بالنسب مع المصاهرة إما من جهة نسب الرجل كامرأة أبيه وابنه أو من جهة نسب الزوجة كأمها وابنتها وإلى ما حرم الجمع بينه من النساء
كالجمع بين الأختين والمرأة وعمتها وخالتها فيحرم ذلك كله من الرضاع كما يحرم من النسب لدخوله في قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
وتحريم هذا كله للنسب بعضه لنسب الزوج وبعضه لنسب الزوجة وقد نص على ذلك أئمة السلف ولا يعلم بينهم فيه اختلاف ونص عليه الإمام أحمد وا
ستدل بقوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وأما قوله عز وجل وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم فقالوا لم يرد بذلك أنه لا يحرم
حلائل الأبناء من الرضاعة إنما أراد إخراج حلائل الأدعياء الذين تبنوا ولم يكونوا أبناء من الصلب كما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة
بعد أن كان قد تبناه وهذا التحريم بالرضاع يختص بالمرتضع نفسه وينتشر إلى أولاده ولا ينتشر تحريمه إلى من في درجة المرتضع من إخوته وأخواته
ولا إلى من أعلى منه من آبائه وأمهاته وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته فيباح للمرضعة نفسها لأبي المرتضع من النسب ولأخيه ويباح لأم المرتضع وأخته

لان المرتضع من الرضاع واخته هذا قول جمهور العلما وقالوا يباح ان يتزوج اخت اخيه من الرضاعة واخت ابنته من الرضاعة حتى قال الشعبي هو احل من ماء قدس وصرح باباحته حبيب بن ابي ثابت واحمد وروى اشعث عن الحسن انه كره ان يتزوج الرجل بنت ظير ابنه وتقول اخت ابنه ولم ير باسا ان يتزوجها انما هي ظير ابنه وروى سليمان التيمي عن الحسن انه سئل عن الرجل يتزوج اخت اخيه من الرضاعة فلم يقل فيه شيا وهذا يقتضي توقفه ولعل الحسن انما كان يكره ذلك تنزيها لا تحريما لما فيه من المشابهة بالمحرم بالنسب في الاسم وهذا بمجرده لا يوجب تحريما وقد استثنى كثير من الفقها من اصحابنا وغيرهم مما يحرم من النسب صورتين فقالوا لا يحرم نظيرهما من الرضاع احديهما ام الاخت فانها تحرم من النسب ولا تحرم من الرضاع والثانية اخت الابن فتحرم من النسب دون الرضاع ولا حاجة الى استثنا هاتين ولا احديهما اما ام الاخت فانها تحرم من النسب لكونها اما او زوجة اب لا لكونها ام اخت فلا يتعلق التحريم بما لا يتعلق به وحينئذ فمتى وجد في الرضاع من هي ام اخ ليست اما ولا زوجة اب فلا تحرم لانها ليست نظير الذات النسب واما اخت الابن فانها تحرم الربيبة المدخول بامها فتحرم لكونها ربيبة دخل بامها لا لكونها اخت ابن والاخوة بها في الرضاع [...] لا تحرم بنت اولاد المرضعة ومما يدخل في عموم قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ان من ظاهر بامراة فشبهها بمحرم من الرضاع فقال انت علي كامي من الرضاع فهل يثبت بذلك تحريم الظهار ام لا فيه قولان احدهما انه يثبت به تحريم الظهار وهو قول الجمهور منهم مالك والثوري وابي حنيفة والاوزاعي والحسن بن صالح وعثمان البتي وهو المشهور عن احمد والثاني لا يثبت التحريم وهو قول الشافعي وتوقف فيه احمد في رواية ابن منصور

## الحديث الخامس والاربعون

عن جابر رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو بمكة يقول ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانها يطلا بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس قال لا هو حرام ثم قال رسول الله عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله حرم عليهم الشحوم فاجملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه خرجه البخاري ومسلم

هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من حديث يزيد بن ابي حبيب عن عطا عن جابر وفي رواية لمسلم ان يزيد قال كتب الي عطا فذكره ولهذا قال ابو حاتم الرازي لا اعلم يزيد بن ابي حبيب سمع من عطا شيا يعني انما يروي عنه كتابة وقد رواه ايضا يزيد عن عمرو بن الوليد بن عبدة عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بلغ عمر رضي الله عنه ان رجلا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وفي رواية واكلوا اثمانها وخرج ابو داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وزاد فيه وان الله اذا حرم شيا حرم ثمنه وخرجه ابن ابي شيبة ولفظه ان الله اذا حرم شيا حرم ثمنه وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها واكلوا اثمانها وفي الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها قالت لما انزلت الايات من اخر سورة البقرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتراهن على الناس ثم نهى عن التجارة في الخمر وخرج مسلم من حديث ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم الخمر فمن ادركته هذه الاية وعنده منها شي فلا يشرب ولا يبيع قال فاستقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينة فسفكوها وخرج ايضا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل علمت ان الله قد حرمها قال لا فسار انسانا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم ساررته قال امرته ببيعها قال ان الله حرم شربها حرم بيعها قال ففتح المزادة حتى ذهب ما فيها فالحاصل من هذه الاحاديث كلها ان ما حرم الله الانتفاع به فانه يحرم بيعه واكل ثمنه كما جاء مصرحا به في الرواية المتقدمة ان الله اذا حرم شيا حرم ثمنه وهذه كلمة عامة جامعة تطرد في كل ما كان المقصود من الانتفاع به حراما وهو قسمان احدهما ما كان الانتفاع به حاصلا مع بقا عينه كالاصنام فان منفعتها المقصودة منها هو الشرك بالله وهو اعظم انواع المعاصي على الاطلاق ويلحق بذلك ما كانت منفعته محرمة ككتب الشرك والسحر والبدع والضلال وكذلك الصور المحرمة وآلات الملاهي المحرمة كالطنبور وكذلك شرا الجواري للغنا وفي المسند عن ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين وامرني ان امحق المزامير والكبارات يعني البرابط والمعازف والاوثان التي كانت تعبد في الجاهلية واقسم ربي بعزته لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من خمر الا سقيته مكانها من حميم جهنم معذبا او مغفورا له ولا يسقيها صبيا صغيرا الا سقيته مكانها من حميم جهنم معذبا او مغفورا له ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي الا سقيتها اياه في حظيرة القدس ولا يحل بيعهن ولا شراهن ولا تعليمهن ولا التجارة فيهن وثمنهن حرام يعني المغنيات وخرجه الترمذي ولفظه لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل ذلك انزل الله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الاية وخرجه ابن ماجه [...] وفي اسناد هذا الحديث مقال وقد روي نحوه من حديث عمر وعلي رضي الله عنهما باسنادين فيهما ضعف ومن يحرم الغنا كاحمد ومالك فانهما يقولان اذا بيعت الامة المغنية تباع على انها ساذجة ولا يوخذ لغنايها ثمن ولو كانت الجارية ليتيم ونص على ذلك احمد ولا يمنع الغنا من اصل بيع العبد والامة لان الانتفاع به في غير الغنا حاصل بالخدمة وغيرها وهو من اعظم مقاصد الرقيق نعم لو علم ان المشتري لا يشتريه الا للمنفعة المحرمة منه لم يجز بيعه له عند الامام احمد وغيره من العلما كما لا يجوز بيع العصير ممن يتخذه خمرا ولا بيع السلاح في الفتنة ولا بيع الرياحين والاقداح لمن يعلم انه يشرب عليها الخمر او الغلام لمن يعلم منه الفاحشة

القسم الثاني



## القسم الثاني ما ينتفع به مع اتلاف عينه فاذا كان المقصود الاعظم

منه محرما فانه يحرم بيعه كما يحرم بيع الخنزير والخمر والميتة مع ان في بعضها منافع غير محرمة كاكل الميتة للمضطر ودفع الغصة بالخمر واطفا الحريق به والخرز بشعر الخنزير عند قوم والانتفاع بشعره وجلده عند من يرخص في ذلك ولكن لما كانت هذه المنافع غير مقصودة لم يعبا بها وحرم البيع لكون المقصود الاعظم من الخنزير والميتة اكلها ومن الخمر شربها ولم يلتفت الى ما عدا ذلك وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى لما قيل له ارايت شحوم الميتة فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام وقد اختلف الناس في تاويل قوله صلى الله عليه وسلم هو حرام فقالت طايفة اراد ان هذا الانتفاع المذكور بشحوم الميتة حرام وحينئذ فيكون ذلك تاكيدا للمنع من بيع الميتة حيث لم يجعل شيا من الانتفاع بها مباحا وقالت طايفة بل اراد ان بيعها حرام وان كان قد ينتفع بها بهذه الوجوه لكن المقصود الاعظم من الشحوم هو الاكل فلا يباح بيعها لذلك وقد اختلف العلما في الانتفاع بشحوم الميتة فرخص فيه عطا وكذلك نقل ابن منصور عن احمد واسحق الا ان اسحق قال اذا احتيج اليه واما اذا وجد عنه مندوحة فلا وقال احمد يجوز اذا لم يمسه بيده وقالت طايفة لا يجوز ذلك وهو قول مالك والشافعي وابي حنيفة وحكاه ابن عبد البر اجماعا [...] واما الادهان الطاهرة اذا تنجست بما وقع فيها من النجاسات ففي جواز الانتفاع بها بالاستصباح بها ونحوه اختلاف مشهور في مذهب الشافعي واحمد وغيرهما وفيه روايتان عن احمد واباحه [...] وفي جواز بيعها لمن كان يعلم بنجاستها وهو مروي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ومن اصحابنا من خرج على انه يجوز بيعها وعن احمد رواية انه يجوز بيعها من كافر يعلم بنجاستها وهو ضعيف مخالف لنص احمد بالتوقف فان شحوم الميتة لا يجوز بيعها وان قيل بجواز الانتفاع ومن خرج جواز بيعها على جواز الاستصباح بها وهو ضعيف ومنهم من خرجه على القول بطهارتها بالغسل فتكون حينئذ كالثوب المتضمخ بنجاسة فظاهر كلام احمد منع بيعها مطلقا على ما [...] والميتة لا يوكل منها واما بقية اجزاء الميتة فما حكم بطهارته منها جاز بيعه لجواز الانتفاع به وهذا كالشعر والقرن عند من يقول بطهارتهما وكذلك الجلد عند من يرى انه طاهر بغير دباغ كما حكي عن الزهري وتبويب البخاري يدل عليه واستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم انما حرم من الميتة اكلها واما الجمهور الذين يرون نجاسة الجلد قبل الدباغ فاكثرهم منعوا من بيعه حينئذ لانه جزء من الميتة وشذ بعضهم فاجاز بيعه كالثوب النجس ولكن الثوب طاهر طرا عليه التنجيس وجلد الميتة جزء منها وهو نجس وقال سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم هل بيع جلود الميتة الا كاكل لحمها وكره ذلك طاوس وعكرمة وقال النخعي كانوا يكرهون ان يبيعوها فياكلوا اثمانها واما اذا دبغت فمن قال بطهارتها بالدبغ اجاز بيعها ومن لم ير طهارتها بذلك لم يجز بيعها ونص احمد على منع بيع [...] اذا كان فيه بول الحمار حتى يغسل ولعله اراد بيعه مما لا يعلم بحاله خشية ان ياكله ولا يعلم بنجاسته واما الكلب فقد ثبت في الصحيحين عن ابي مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وفي صحيح مسلم عن رافع بن خديج رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول شر الكسب مهر البغي وثمن الكلب وكسب الحجام وفيه عن معقل الجزري عن ابي الزبير قال سالت جابرا عن ثمن الكلب والسنور فقال زجر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهذا انما يعرف عن ابن لهيعة عن ابي الزبير وقد استنكر الامام احمد روايات معقل عن ابي الزبير وقال هي تشبه احاديث ابن لهيعة وقد تتبع ذلك فوجد كما قال احمد رحمه الله وقد اختلف العلما في بيع الكلب فاكثرهم حرموه منهم الاوزاعي ومالك في المشهور عنه والشافعي واحمد واسحق وغيرهم وقال ابو هريرة رضي الله عنه هو سحت وقال ابن سيرين هو اخبث الكسب وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ما ابالي ثمن الكلب اكلت او ثمن خنزير وهولا لهم ماخذان احدها انما نهي عن بيعها لنجاستها وهولا التزموا تحريم بيع كل نجس العين وهذا قول الشافعي وابن جرير الطبري ووافقهم جماعة من اصحابنا كابن عقيل في نظرياته وغيره والتزموا ان البغل والحمار انما يجوز بيعهما اذا لم نقل بنجاستهما وهذا مخالف للاجماع والثاني ان الكلب لم يبح الانتفاع به واقتناوه مطلقا كالبغل والحمار وانما ابيح اقتناوه لحاجات مخصوصة وذلك لا يبيح بيعه كما لا تبيح الضرورة الى الميتة والدم بيعهما وهذا ماخذ طايفة من اصحابنا وغيرهم والثالث انه انما نهي عن بيعه لخسته ومهانته فانه لا قيمة له الا عند ذوي الشح والمهانة وهو متيسر الوجود فنهي عن اخذ ثمنه ترغيبا في المواساة بما يفضل منه عن الحاجة وهذا ماخذ الحسن البصري وغيره من السلف وكذا راي بعض اصحابنا في النهي عن بيع السنور ورخصت طايفة في بيع ما يباح اقتناوه من الكلاب ككلب الصيد وهو قول عطا والنخعي وابي حنيفة واصحابه ورواية عن مالك وقالوا انما نهي عن بيع ما يحرم اقتناوه منها وروى حماد بن سلمة عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب والسنور الا كلب صيد خرجه النساي وقال هذا حديث منكر وقال ايضا ليس بصحيح وذكر الدارقطني ان الصحيح وقفه على جابر وقال احمد لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم رخصة في كلب الصيد واشار البيهقي وغيره الى انه اشتبه على بعض الرواة هذا الاستثنا فظنه من البيع وانما هو من الاقتنا وحماد بن سلمة في رواياته عن ابي الزبير ليس بالقوي ومن قال ان هذا الحديث على شرط مسلم كما ظنه طايفة من المتاخرين فقد اخطا لان مسلما لم يخرج لحماد بن سلمة عن ابي الزبير شيا وقد بين في كتاب التمييز ان رواياته عن غير ثابت [...] غير قوله فاما بيع الهر فقد اختلف العلما في كراهته فمنهم من كرهه وروي ذلك عن ابي هريرة وجابر وعطا وطاوس ومجاهد وجابر

بن زيد والاوزاعي واحمد في رواية عنه وقال هو اهون من جلود السباع وهذا اختيار ابي بكر من اصحابنا ورخص في بيع الهر ابن عباس
رضي الله عنه وعطا في رواية والحسن وابن سيرين والحكم وحماد وهو قول الثوري وابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد في المشهور عنه وعن
اسحق روايتان وعن الحسن انه كره بيعها ورخص في شرائها للانتفاع بها وهولاء منهم من لم يصحح النهي عن بيعها قال احمد ما اعلم فيه
شي يثبت او يصح وقال ايضا الاحاديث فيه مضطربة ومنهم من حمل النهي على ما لا نفع فيه كالبري ونحوه ومنهم من قال انما نهي عن بيعها لان دناءة
وقلة مردوه لانها متيسرة الوجود والحاجة اليها داعية فهي من مرافق الناس التي لا ضرر عليهم في بذل فضلها فالشح بذلك من اقبح الا
خلاق الذميمة فلذلك زجر عن اخذ ثمنها واما بقية الحيوانات التي لا توكل فما لا ينتفع فيه كالحشرات ونحوها لا يجوز بيعها وما يذكر
من نفع في بعضها فهو قليل فلا يكون مبيحا للبيع كما لم يبح النبي صلى الله عليه وسلم بيع الميتة لما ذكر فيها من الانتفاع ولهذا كان الصحيح
انه لا يباح بيع العلق لمص الدم او الديدان للاصطياد ونحو ذلك واما ما فيه نفع للاصطياد ونحو ذلك كالفهد والبازي والصقر
فحكى اكثر الاصحاب في جواز بيعها روايتان عن احمد ومنهم من اجاز بيعها وذكر الاجماع عليه وتاول رواية الكراهة كالقاضي ابي يعلى
في المجرد ومنهم من قال لا يجوز بيع الفهد والنمر وحكى فيه وجها اخر بالجواز واما بيع البزاة والصقور فلم يحك فيه خلافا وهو
قول ابي موسى واجاز بيع الصقر والبازي والعقاب ونحوها اكثر العلماء منهم الثوري والاوزاعي والشافعي واسحق والمنصوص عن احمد في اكثر
الروايات عنه جواز بيعها وتوقف في رواية عنه في جوازه اذا لم يكن معلما قال الخلال العمل على رواية الجماعة انه يجوز بيعها بكل حال
وجعل بعض اصحابنا الفيل حكمه حكم الفهد ونحوه وفيه نظر والمنصوص عن احمد في رواية حنبل انه لا يحل بيعه ولا شراؤه وجعله كالسبع
وحكى عن الحسن انه قال لا يركب ظهره وقال هو مسخ وهذا كله يدل على انه لا منفعة فيه ولا يجوز بيع الدب قال القاضي في المجرد وقال
ابو موسى لا يجوز بيع القرد قال ابن عبد البر لا اعلم في ذلك خلافا بين العلماء قال القاضي في المجرد ان كان القرد ينتفع به في موضع لحفظ المتاع
فهو كالصقر والبازي والا فهو كالاسد لا يجوز بيعه والصحيح المنع مطلقا وهذه المنفعة يسيرة وليست هي المقصودة منه فلا يبيح البيع
كمنافع الميتة ومما نهي عن بيعه جيف الكفار اذا قتلوا خرج الامام احمد من حديث ابن عباس قال قتل المسلمون يوم الخندق رجلا
من المشركين فاعطوا بجيفته مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفعوا اليهم جيفتهم فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فلم يقبل منهم شيا
وخرجه الترمذي ولفظه ان المشركين ارادوا ان يشتروا جسد رجل من المشركين فابى النبي صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم وخرجه وكيع في كتابه
من وجه اخر عن عكرمة بن سلام قال وكيع الجيفة لا تباع قال حرب قلت لاسحق ما تقول في بيع جيف المشركين قال لا
وروى ابو عمرو الشيباني ان عليا رضي الله عنه اتي بالمستورد العجلي وقد تنصر فاستتابه فابى ان يتوب فقتله فطلبت النصارى جيفته بثلاثين
الفا فابى علي رضي الله عنه فاحرقه والله اعلم

## الحديث السادس والاربعون

عن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى اليمن فسأله عن اشربة تصنع بها فقال وما هي قال البتع والمزر فقيل لابي بردة ما البتع قال نبيذ العسل والمزر
نبيذ الشعير فقال كل مسكر حرام خرجه البخاري وخرجه مسلم ولفظه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ومعاذا الى اليمن فقلت يا رسول الله
ان شرابا يصنع بارضنا يقال له المزر من الشعير وشراب يقال له البتع من العسل فقال كل مسكر حرام وفي رواية لمسلم فقال كل ما اسكر عن الصلاة
فهو حرام وفي رواية له قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطي جوامع الكلم بخواتمه فقال انهى عن كل مسكر اسكر عن الصلاة فهذا
الحديث اصل في تحريم تناول جميع المسكرات المغطية للعقل وقد ذكر الله في كتابه العلة المقتضية لتحريم المسكرات فكان اول ما حرمت
الخمر عند حضور وقت الصلاة لما صلى بعض المهاجرين وخلط في قراءته فنزل قوله يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون وكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي لا يقربن الصلاة سكران ثم ان الله حرمها على الا
طلاق بقوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فذكر سبحانه علة تحريم الخمر والميسر وهو القمار وهو ان
الشيطان يوقع به العداوة والبغضاء فان من سكر اختل عقله فربما تسلط على اذى الناس في نفوسهم واموالهم وربما بلغ الى القتل وهي
ام الخبائث فمن شربها قتل النفس وزنا وربما كفر وقد روي هذا المعنى عن عثمان رضي الله عنه وغيره وروي مرفوعا ايضا ومن قامر
فربما قهر واخذ ماله قهرا فلم يبق له شي فيشتد حقده على من اخذ ماله وكل ما ادى الى ايقاع العداوة والبغضاء كان حراما
واخبر سبحانه ان الشيطان يصد بالخمر والميسر عن ذكر الله وعن الصلاة فان السكران يزول عقله او يختل فلا يستطيع ان يذكر الله
ولا ان يصلي ولهذا قال طائفة من السلف ان شارب الخمر تمر عليه ساعة لا يعرف فيها ربه والله سبحانه انما خلق الخلق ليعرفوه ويذكروه و
يعبدوه ويطيعوه فما ادى الى الامتناع من ذلك وحال بين العبد وبين معرفة ربه وذكره ومناجاته كان محرما وهو السكر وهذا
بخلاف النوم فان الله سبحانه جبل العباد عليه واضطرهم اليه ولا قوام لابدانهم الا به اذ هو راحة لهم من السعي والنصب فهو من اعظم نعم الله على عباده فاذا نام المومن
بقدر الحاجة ثم استيقظ الى ذكر الله ومناجاته ودعائه كان نومه عونا له على الصلاة والذكر ولهذا قال بعض الصحابة اني احتسب نومتي كما احتسب قومتي

وكذلك الميسر



وكذلك الميسر يصد عن ذكر الله وعن الصلاة فان صاحبه يعكف بقلبه عليه ويشتغل عن جميع مصالحه ومهماته حتى لا يكاد يذكرها لاستغراقه
فيه ولهذا قال علي رضي الله عنه لما مر بقوم يلعبون بالشطرنج ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون فشبههم بالعاكفين على التماثيل وجاء
في الحديث ان مدمن الخمر كعابد الوثن فانه يتعلق قلبه بها ولا يكاد يمكنه ان يدعها كما لا يدع عابد الوثن عبادته وهذا كله مضاد لما خلق
الله العباد لاجله من تفريغ قلوبهم لمعرفته ومحبته ومناجاته وخشيته وذكره ودعائه والابتهال اليه فما حال بين العبد وبين ذلك ولم يكن
بالعبد اليه ضرورة بل كان ضررا محضا عليه كان محرما وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال لمن راهم يلعبون بالشطرنج ما لهذا خلقتم
ومن هنا يعلم ان الميسر محرم سواء كان بعوض او بغير عوض فان الشطرنج كالنرد او شر منه لانها تشغل اصحابها عن ذكر الله وعن
الصلاة اكثر من النرد والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر عن الصلاة فهو حرام وقد تواترت الاحاديث بذلك
عن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام ولفظ مسلم وكل مسكر حرام
وخرجا ايضا من حديث عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب اسكر عن الصلاة فهو حرام وفي رواية لمسلم
كل شراب مسكر حرام وقد صحح هذا الحديث احمد ويحيى بن معين واحتجا به ونقل ابن عبد البر اجماع اهل العلم بالحديث على صحته وانه
اثبت شي يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم المسكر واما ما نقله بعض الفقهاء من الحنفية عن ابن معين من طعنه فيه فلا يثبت ذلك عنه
وخرج مسلم من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام والى هذا القول ذهب جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم من علماء الامصار وهو مذهب مالك والشافعي والليث والاوزاعي واحمد واسحق ومحمد بن الحسن وغيرهم وهو مما اجتمع على
القول به اهل المدينة كلهم وخالفهم فيه طوائف من علماء اهل الكوفة وقالوا ان الخمر انما هو خمر العنب خاصة وما عداها فانما يحرم منه القدر
الذي يسكر ولا يحرم ما دونه وما زال علماء الامصار ينكرون ذلك عليهم وان كانوا في ذلك مجتهدين مغفورا لهم وفيهم خلق من ائمة العلم والدين
قال ابن المبارك ما وجدت في النبيذ رخصة عن احد صحيح الا عن ابراهيم النخعي وكذلك انكر الامام احمد ان يكون فيه شي يصح
وقد صنف كتاب الاشربة ولم يذكر فيه شيئا من الرخصة وصنف كتابا في المسح على الخفين وذكر فيه عن بعض السلف انكاره فقيل له كيف لم
تجعل في كتاب الاشربة الرخصة كما جعلت في المسح فقال ليس في الرخصة في المسكر حديث صحيح ومما يدل على ان كل مسكر خمر ان تحريم الخمر
انما نزل بالمدينة بسبب سؤال اهل المدينة عما عندهم من الاشربة ولم يكن بها خمر العنب فلو لم تكن اية تحريم الخمر شاملة لما عندهم لما كان
فيها بيان لما سالوا عنه ولكان محل السبب خارجا عن عموم الكلام وهو ممتنع ولما نزل تحريم الخمر اراقوا ما عندهم من الاشربة فدل على
انهم فهموا انه من الخمر المامور باجتنابه وفي صحيح البخاري عن انس رضي الله عنه قال حرمت علينا الخمر حين حرمت وما نجد خمر الاعناب الا قليلا
وعامة خمرنا البسر والتمر وعنه انه قال اني لاسقي ابا طلحة وابا دجانة وسهيل بن البيضاء خليط بسر وتمر اذ حرمت الخمر فقذفتها وانا ساقيهم
واصغرهم وانا نعدها يومئذ الخمر وفي صحيح مسلم عنه رضي الله عنه قال لقد انزل الله الاية التي حرم الله فيها الخمر وما بالمدينة شراب الا من تمر وفي صحيح
البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزل تحريم الخمر وان بالمدينة يومئذ لخمسة اشربة ما فيها شراب العنب وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قام عمر رضي الله عنه على المنبر فقال اما بعد نزل
تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وخرج الامام احمد وابو داود والترمذي
من حديث الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الترمذي ان قول الشعبي عن ابن عمر رضي الله عنهما اصح وكذا قال
حديث الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسند الامام احمد عن المختار
بن فلفل قال سالت انس بن مالك رضي الله عنه عن الشرب في الاوعية فقال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المزفتة وقال كل مسكر حرام قلت له صدقت
فالشربة والشربتان على طعامنا قال المسكر قليله وكثيره حرام وقال الخمر من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والذرة فما خمرت من ذلك
فهو الخمر خرجه احمد عن عبد الله بن ادريس سمعت المختار فذكره وهذا اسناد على شرط مسلم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة وهذا صريح في ان نبيذ التمر خمر وجاء التصريح بالنهي عن قليل ما
اسكر كثيره كما خرجه ابو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله
حرام وخرجه ابو داود والترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر الفرق فملء الكف منه حرام وفي
رواية الحسوة منه حرام وقد احتج به احمد وذهب اليه وسئل عمن قال انه لا يصح فقال هذا رجل مغل يعني انه قد غلا في مقالته وقد خرج
النسائي هذا الحديث من رواية سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة يطول
ذكرها وقد روى ابن عجلان عن عمرو بن شعيب حدثني ابو وهب الجيشاني عن وفد اهل اليمن انهم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه عن
الاشربة تكون باليمن قال فسموا له البتع من العسل والمزر من الشعير فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل تسكرون منها قالوا ان اكثرنا سكرنا قال فحرام
قليل ما اسكر كثيره خرجه القاضي اسمعيل وقد كانت الصحابة تحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام على تحريم جميع انواع المسكرات ما كان

ما كان موجودا منها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وما حدث بعده كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الباذق فقال سبق محمد الباذق
فما اسكر فهو حرام خرجه البخاري يشير الى انه ان كان مسكرا فقد دخل في هذه الكلمة الجامعة العامة واعلم ان المسكر المزيل للعقل
نوعان احدهما ما كان فيه لذة وطرب فهذا هو الخمر المحرم شربه وفي المسند عن طلق الحنفي انه كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له رجل يا رسول الله ما ترى في شراب نصنعه بارضنا من ثمارنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سائل عن المسكر فلا تشربه ولا تسقه
اخاك المسلم فوالذي نفسي بيده وبالذي يحلف به لا يشربه رجل ابتغاء لذة سكره فيسقيه الله الخمر يوم القيامة وقال طائفة
من العلماء وسواء كان هذا المسكر جامدا او مائعا وسواء كان مطعوما او مشروبا وسواء كان من حب او تمر او لبن او غير ذلك وادخلوا في
ذلك الحشيشة التي تعمل من ورق القنب او غيرها مما يؤكل لاجل لذته وسكره وفي سنن ابي داود من حديث شهر بن حوشب عن ام سلمة
رضي الله عنها قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر والمفتر هو المخدر للجسد وان لم ينته الى حد الاسكار والثاني
ما يزيل العقل ويسكر ولا لذة فيه ولا طرب كالبنج ونحوه فقال اصحابنا ان تناوله لحاجة التداوي به وكان الغالب منه السلامة جاز وقد
روي عن عروة بن الزبير لما وقعت الاكلة في رجله وارادوا قطعها قالوا له نسقيك شرابا يزول فيه عقلك حتى لا تحس به وروي عنه انه قال
لا اشرب شرابا يحول بيني وبين ذكر ربي عز وجل وان تناول ذلك لغير حاجة التداوي فقال اكثر اصحابنا كالقاضي وابن عقيل وصاحب المغني
انه يحرم لانه سبب الى ازالة العقل لغير حاجة فحرم كشرب المسكر وفيه حديث ضعيف عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما من شرب
شرابا يذهب بعقله فقد اتى بابا من ابواب الكبائر وقالت طائفة منهم ابن عقيل في فتاويه لا يحرم ذلك لانه لا لذة فيه والخمر انما حرمت
لما فيها من اللذة المطربة ولا اطراب في البنج ونحوه ولا شدة فعلى قول الاكثرين لو تناول ذلك لغير حاجة فطلق فحكم طلاقه حكم طلاق السكران
قاله اكثر اصحابنا كابن حامد والقاضي واصحاب الشافعي وقالت الحنفية لا يقع طلاقه وعللوا بانه ليس فيه لذة وهذا يدل على انهم لم يحرموه
وقالت الشافعية هو محرم وفي وقوع الطلاق معه وجهان وظاهر كلام احمد انه لا يقع طلاقه بخلاف السكران وتاوله القاضي وقال انما قال
ذلك الزاما للحنفية لا اعتقادا له وسياق كلامه يحتمل ذلك ولنعد الى مسالة الحد فانما يجب بتناول ما فيه شدة وطرب من المسكرات لانه هو الذي يدعو
النفوس اليه فجعل الحد زاجرا عنه فاما ما فيه سكر بغير طرب ولا لذة فليس فيه سوى التعزير لانه ليس في النفوس داع اليه حتى يحتاج الى حد
مقدر زاجر عنه فهو كاكل الميتة ولحم الخنزير وشرب الدم واكثر العلماء الذين يرون تحريم قليل ما اسكر كثيره يرون حد من شرب ما يسكر كثيره
وان اعتقد حله متاولا وهو قول الشافعي واحمد خلافا لابي ثور فانه قال لا يحد متاولا وهو كالنكاح بغير ولي وفيه خلاف ايضا لكن الصحيح
لا يحد وقد فرق من فرق بينه وبين شرب النبيذ متاولا بان شرب النبيذ المختلف فيه داع الى شرب الخمر المجمع على تحريمه بخلاف النكاح
بغير ولي فانه مغن عن الزنا المجمع على تحريمه وموجب للاستغناء عنه والمنصوص عن احمد انه انما حد شارب النبيذ متاولا لان
تاويله ضعيف لا يدرا عنه الحد به فانه قال في رواية الاثرم يحد من شرب النبيذ متاولا ولو رفع الى الامام من طلق البتة ثم راجعها ان طلاق
البتة وحقق الامام عنده انه ثلاث لا يفرق بينهما وقال هذا غير ذاك امره بين في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ونزل تحريم الخمر
وشرابها الفضيخ وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمر فهذا بين وطلاق البتة انما هو شيء اختلف الناس فيه

## الحديث السابع والاربعون

عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملا ادمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن
ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه رواه الامام احمد والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي
حديث حسن هذا الحديث خرجه الامام احمد والترمذي من حديث يحيى بن جابر الطائي عن المقدام وخرجه النسائي من هذا الوجه
ومن وجه اخر من رواية صالح بن يحيى بن المقدام عن جده وخرجه من وجه اخر عنه وله طرق اخرى وقد روي هذا الحديث مع ذكر
سببه فروى ابو القاسم البغوي في معجمه من حديث عبد الرحمن بن المرقع قال فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وهي مخضرة من الفواكه
فوقع الناس فيها فغثتهم الحمى فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمى رائد الموت وسجن الله في الارض وهي قطعة من النار فاذا
اخذتكم فبردوا الماء في الشنان فصبوه عليكم بين الصلاتين يعني المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فذهبت عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يخلق الله وعاء اذا ملئ شرا من بطن فان كان لا بد فاجعلوا ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للريح وهذا الحديث اصل جامع
لاصول الطب وقد روي ان ابن ماسويه الطبيب لما قرا هذا الحديث في كتاب ابي خيثمة قال لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من
الامراض والاسقام ولتعطلت المارستانات ودكاكين الصيادلة وانما قال هذا لان اصل كل داء التخم كما قال بعضهم اصل كل داء البردة
وروي مرفوعا ولا يصح رفعه وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب الحمية راس الدواء والبطنة راس الداء ورفعه بعضهم ولا يصح ايضا
وقال الحارث ايضا الذي قتل البرية واهلك السباع في البرية ادخال الطعام على الطعام قبل الانهضام وقال غيره لو قيل لاهل
القبور ما كان سبب اجالكم قالوا التخم فهذا بعض منافع تقليل الغذاء وترك التملي من الطعام بالنسبة الى صلاح البدن وصحته واما منافعه
بالنسبة الى القلب وصلاحه فان قلة الغذاء توجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النفس وضعف الهوى والغضب وكثرة الغذاء
توجب ضد ذلك قال الحسن يا ابن ادم كل في ثلث بطنك واشرب في ثلث بطنك ودع ثلث بطنك تتنفس لتتفكر وقال المروذي

جملا ابو عبد الله



جملا ابو عبد الله يعني احمد يعظم امر الجوع والفقر فقلت له يوجر الرجل في ترك الشهوات فقال كيف لا يوجر وابن عمر يقول ما شبعت
منذ اربعة اشهر قلت لابي عبد الله يجد الرجل من قلبه رقة وهو يشبع قال ما ارى ثم روى المروذي عن عبد الله قول ابن عمر
هذا من وجوه فروى باسناده عن ابن سيرين قال قال رجل لابن عمر الا اجيئك بجوارش قال واي شيء هو قال يهضم الطعام اذا اكلته
قال ما شبعت منذ اربعة اشهر وليس ذاك اني لا اقدر عليه ولكن ادركت اقواما يجوعون اكثر مما يشبعون وباسناده عن نافع بن
خديج قال جاء رجل بجوارش الى ابن عمر فقال ما هذا قال جوارش شيء يهضم به الطعام قال ما اصنع به اني ليأتي علي الشهر ما اشبع فيه من الطعام
وباسناده عن رجل قال قلت لابن عمر يا ابا عبد الرحمن رقت مضغتك وكبر سنك وجلساؤك لا يعرفون لك حقك ولا شرفك فلو امرت
اهلك ان يجعلوا لك شيئا يلطفونك اذا رجعت اليهم قال ويحك والله ما شبعت منذ احدى عشرة سنة ولا اثنتي عشرة سنة ولا ثلاث
عشرة سنة مرة واحدة فكيف وانما بقي مني كظمء الحمار وباسناده عن عمرو بن الاسود العنسي انه كان يدع كثيرا من الشبع مخافة الاشر
وروى ابن ابي الدنيا في كتاب الجوع باسناده عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ما شبعت منذ اسلمت وروى باسناده عن محمد بن واسع
قال من قل طعمه فهم وافهم وصفا ورق وان كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد وعن ابي عبيدة الخواص رحمه الله قال حتفك
في شبعك وحظك في جوعك اذا انت شبعت ثقلت فنمت استمكن منك العدو فجثم عليك واذا انت تجوعت كنت للعدو بمرصد
وعن عمرو بن قيس قال اياكم والبطنة فانها تقسي القلب وعن سلمة بن سعيد قال ان كان الرجل ليعير بالبطن كما يعير بالذنب يعمله وعن بعض العلماء
قال اذا كنت بطينا فاعدد نفسك زمنا حتى تخمص وعن ابن الاعرابي قال كانت العرب تقول ما بات رجل بطينا فتم عزمه وعن ابي سليمان الداراني
في رحمه الله قال اذا اردت حاجة من حوائج الدنيا والاخرة فلا تاكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل وعن مالك بن دينار رحمه الله قال ما ينبغي
للمؤمن ان يكون بطنه اكبر همه وان تكون شهوته هي الغالبة عليه قال وحدثني الحسن بن عبد الرحمن قال قال الحسن او غيره كانت بلية ابيكم
ادم عليه السلام اكلة وهي بليتكم الى يوم القيامة قال وكان يقال من ملك بطنه ملك الاعمال الصالحة كلها وكان يقال لا تسكن الحكمة معدة ملاء
وعن عبد العزيز بن ابي رواد قال كان يقال قلة الطعم عون على التسرع الى الخيرات وعن قثم العابد قال كان يقال ما قل طعم امرئ قط الا رق قلبه ونديت
عيناه وعن عبد الله بن مرزوق قال لم يزل الاسر [illegible] مثل دوام الجوع فقال له عبد الرحمن العمري الزاهد وما دوام عندك قال دوامه عندي انه
لا يشبع ابدا قال وكيف من كان في الدنيا قال ما ايسر ذلك يا ابا عبد الرحمن على اهل ولايته وتوفيقه لطاعته لا ياكل الا دون الشبع هو دوام
الجوع وشبه هذا قول الحسن لما عرض الطعام على بعض اصحابه فقال اكلت حتى لا استطيع ان اكل فقال الحسن سبحان الله يأكل المسلم حتى
لا يستطيع ان ياكل وروى ابن الضياء باسناده عن ابي عمران الجوني قال كان يقال من احب ان ينور له في قلبه فليقل طعمه وعن عثمان بن زائدة
قال كتب الي سفيان الثوري ان اردت ان يصح جسمك ويقل نومك فاقلل من الاكل وعن ابن السماك قال خلا رجل باخيه فقال اي اخي
نحن اهون على الله ان يجيعنا انما يجيع اولياءه وعن عبد الله بن الفرج قال قلت لابي سعيد التميمي الخائف يشبع قال لا قلت المشتاق يشبع
قال لا وعن رياح القيسي انه قرب اليه طعام فاكل منه فقيل له ازدد فما اراك شبعت فصاح صيحة كيف اشبع ايام الدنيا وشجرة الزقوم
طعام الاثيم بين يديه فرفع الرجل الطعام من بين يديه فقال انت [illegible] قال المروذي قال لي رجل كيف ذاك المتنعم
يعني احمد قلت له وكيف هو متنعم قال اليس يجد خبزا ياكله وله امراة يسكن اليها ويطؤها فذكرت ذلك لابي عبد الله فقال صدق
وجعل يسترجع وقال انا لنشبع وقال بشر بن الحارث ما شبعت منذ خمسين سنة وقال ما ينبغي للرجل ان يشبع اليوم من الحلال لانه
اذا شبع من الحلال دعته نفسه الى الحرام فكيف من هذه الاقذار وعن ابراهيم بن ادهم رحمه الله قال من ضبط بطنه ضبط دينه ومن
ملك جوعه ملك الاخلاق الصالحة وان معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان والشبع يميت القلب ومنه يكون الفرح
والمرح والضحك وقال ثابت البناني رحمه الله بلغنا ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فراه عليه معاليق من كل
شيء فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق التي ارى عليك قال هذه الشهوات التي اصيب بها من بني ادم قال فهل لي فيها من شيء قال ربما
شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير هذا قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا قال ابليس ولله
علي ان لا انصح مسلما ابدا وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله ان النفس اذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق واذا شبعت ورويت عمي القلب
ونيف وقال مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الاخرة الجوع واصل كل خير في الدنيا والاخرة الخوف من الله عز وجل وان الله يعطي الدنيا من يحب
ومن لا يحب وان الجوع عنده في خزائن مدخرة فلا يعطي الا من احب خاصة ولان ادع من عشائي لقمة احب الي من ان اكلها ثم اقوم من اول الليل
الى اخره وقال الحسن بن يحيى الخشني من اراد ان تغزر دموعه ويرق قلبه فلياكل ويشرب في نصف بطنه قال احمد بن ابي الحواري فحدثت بهذا

ابا سليمان فقال انما جاءت ثلث طعام وثلث شراب وارى هولا قد حاسبوا انفسهم فربحوا اسلافا وقال محمد بن النضر الحارثي الجوع يبعث على البر
كما تبعث البطنة على الاشر وعن الشافعي رحمه الله قال ما شبعت منذ ست عشرة سنة الا شبعة اطرحها لان الشبع يثقل البدن ويزيل الفطنة
ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة وقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم الى التقلل من الاكل في حديث المقدام وقال حسب ابن ادم لقيمات
يقمن صلبه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المومن ياكل في معى واحد والكافر ياكل في سبعة امعا والمراد ان المومن ياكل بادب
الشرع فياكل في معا واحد والكافر ياكل بمقتضى الشهوات والشره فياكل في سبعة امعا وندب النبي صلى الله عليه وسلم مع التقلل من الاكل
والاكتفا ببعض الطعام الى الايثار بالباقي منه فقال طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الثلاثة ويكفي الاربعة فاحسن
ما اكل المومن في ثلث بطنه وشرب في ثلث وترك للنفس ثلثا كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المقدام فان كثرة الشرب يجلب النوم ويفسد
الطعام قال سفيان الثوري كل ما شئت ولا تشرب فاذا لم تشرب لم يجيك النوم وقال بعض السلف كان شباب يتعبدون في بني اسرايل
فاذا كان عند فطرهم قام عليهم قايم فقال لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتناموا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو واصحابه
يجوعون كثيرا ويتقللون من اكل الشهوات وان كان ذلك لعدم وجود الا ان الله عز وجل لا يختار لرسوله الا اكمل الاحوال وافضلها ولهذا كان
ابن عمر يتشبه به في ذلك مع القدرة قدرته على الطعام وكذلك كان ابوه من قبله ففي الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع
ال محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من خبز بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض ولمسلم قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين
متتابعين حتى قبض وخرج البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة ايام حتى قبض
وعنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وفي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه انه خطب فذكر ما اصاب الناس من الدنيا
فقال لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل الطوى ما يجد دقلا وخرج الترمذي وابن ماجه من حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى　(صح: يظل اليوم يلتوي)
الله عليه وسلم قال لقد اوذيت في الله وما يوذى احد ولقد اخفت في الله وما يخاف احد ولقد اتت علي ثلاث من بين يوم وليلة وما
لي طعام الا ما واراه ابط بلال وخرج ابن ماجه باسناده عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثنا
ثلاث ليال لا نقدر او لا يقدر على طعام وباسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام سخن فاكل فلما فرغ
قال الحمد لله ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا وقد ذم الله ورسوله من اتبع الشهوات قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي قوم
يشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وفي المسند ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا سمينا فجعل
يومي الى بطنه ويقول لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك وفي المسند عن ابي برزة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان مما
ان اخوف ما اخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى وفي مسند البزار وغيره عن فاطمة رضي الله عنها عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وخرج
الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال تجشى رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كف عنا جشاءك فان اكثرهم
شبعا في الدنيا اطولهم جوعا يوم القيامة وخرجه ابن ماجه ايضا من حديث سلمان ايضا بنحوه وخرجه الحاكم من حديث ابي جحيفة وفي اسا　(والنوم)
نيدها كلها مقال والله اعلم وروى يحيى بن منده في كتاب مناقب الامام احمد رضي الله عنه باسناد له عن الامام احمد انه سئل عن قول النبي
صلى الله عليه وسلم ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فقال ثلث للطعام هو القوت وثلث للشراب هو القوى وثلث للنفس هو الروح والله اعلم

## الحديث الثامن والاربعون

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا
خالصا وان كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر واذا عاهد
غدر خرجه البخاري ومسلم هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من رواية الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وخرجاه في الصحيحين ايضا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق
ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اتمن خان وفي رواية لمسلم وان صام وصلى وزعم انه مسلم وقد وردت احاديث
من علامات المنافق وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه اخر وهذا الحديث قد حمله طايفة ممن يميل الى الارجاء على المنا
فقين الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا النبي صلى الله عليه وسلم فكذبوه وائتمنهم على سره فخانوه ووعدوه الخروج معه
في الغزو فاخلفوه وقد روى محمد بن الحكم هذا التاويل عن عطا وانه قال حدثني به جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الحسن رجع
الى قول عطا هذا لما بلغه عنه وهذا كذب والحكم هذا شيخ كذاب معروف بالكذب وقد روي عن عطا من وجهين اخرين ضعيفين انه
انكر على الحسن قوله ثلاث من كن فيه فهو منافق وقال قد حدث اخوة يوسف فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا ولم يكونوا منافقين وهذا

لم يصح عن عطا

٩٦

لم يصح عن عطا والحسن لم يقل هذا من عنده وانما بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا شك في ثبوته وصحته
والذي فسره به اهل العلم المعتبرون ان النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر واظهار الخير وابطان خلافه وهو في الشرع
ينقسم الى قسمين احدهما النفاق الاكبر وهو ان يظهر الانسان الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ويبطن
ما يناقض ذلك كله او بعضه وهذا النفاق الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القران بذم اهله وتكفيرهم واخبر ان
اهله في الدرك الاسفل من النار والثاني النفاق الاصغر وهو نفاق العمل وهو ان يظهر الانسان علانية صالحة ويبطن
ما يخالف ذلك واصول هذا النفاق ترجع الى الخصال المذكورة في هذه الاحاديث وهي خمسة احدها ان يحدث بحديث لمن يصدقه
به وهو كاذب له وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت به كاذب قال
الحسن كان يقال النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وكان يقال اس النفاق الذي بني عليه الكذب
والثاني اذا وعد اخلف وهو على نوعين احدهما ان يعد ومن نيته ان لا يفي بوعده وهذا اشر الخلق ولو قال افعل كذا ان شاء الله و
من نيته ان لا يفعل كان كذبا وخلفا قاله الاوزاعي الثاني ان يعد ومن نيته ان يفي ثم يبدو له فيخلف من غير عذر له في الخلف وخرج
ابو داود والترمذي من حديث زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا وعد الرجل وهو ينوي ان يفي به فلم يف فلا جناح عليه وقال
الترمذي ليس اسناده بالقوي وخرج الاسماعيلي وغيره من حديث سلمان رضي الله عنه ان عليا لقي ابا بكر وعمر رضي الله عنهم فقال ما لي
اراكما ثقيلين قالا حديثا سمعناه من النبي صلى الله عليه وسلم ذكر خلال المنافق اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا اتمن خان فانا
نخاف ان هذه الخصال فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال قد حدثتهما ولم اضعه على الموضع الذي يضعونه ولكن المنافق
اذا حدث وهو يحدث نفسه ان يكذب واذا وعد وهو يحدث نفسه ان يخلف واذا اتمن وهو يحدث نفسه ان يخون قال ابو حاتم
الرازي في هذا الحديث من رواية سلمان وزيد بن ارقم الحديث مضطرب باسناده الاسناد مجهولان وقال الدارقطني الحديث مضطرب
غير ثابت والله اعلم وخرج الطبراني والاسماعيلي من حديث علي مرفوعا العدة دين ويل لمن وعد ثم اخلف قالها ثلاثا وفي اسناده
جهالة ويروى من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال لا يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز له فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العدة عطية وفي اسناده
نظر والصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العدة عطية وفي سنن ابي
داود عن مولى لعبد الله بن عامر بن ربيعة قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي فخرجت لالعب فقالت امي
يا عبد الله تعال اعطك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اردت ان تعطيه قالت اردت ان اعطيه تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي
كتبت عليك كذبة وفي اسناده من لا يعرف وذكر الزهري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال من قال لصبي تعال هاك تمرا ثم لا يعطيه شيا فهو
كذبة وقد اختلف العلماء رضي الله عنهم في وجوب الوفا بالوعد فمنهم من اوجبه مطلقا وذكر البخاري في صحيحه ان ابن اشوع
قضى بالوعد وهو قول طايفة من اهل الظاهر وغيرهم ومنهم من اوجب الوفا به اذا اقتضى تغريما للموعود وهو
المحكي عن مالك واكثر الفقها لا يوجبونه مطلقا والثالث اذا خاصم فجر ويعني بالفجور ان يخرج عن الحق عمدا حتى يصير
(يدعو الى)　الحق باطلا والباطل حقا وهذا مما يدعو اليه الكذب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان
الفجور يهدي الى النار وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقد قال صلى الله عليه وسلم
انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض وانما اقضي بنحو مما اسمع فمن قضيت له بشي من حق اخيه فلا ياخذه
فانما اقطع له قطعة من النار وقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا فاذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة سواء كانت
خصومته في الدين او في الدنيا على ان ينتصر للباطل ويخيل للسامع انه حق ويوهن الحق ويخرجه في صورة الباطل كان ذلك
من اقبح المحرمات ومن اخبث خصال النفاق وفي سنن ابي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من خاصم
في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع وفي رواية له ايضا ومن اعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله
الرابع اذا عاهد غدر ولم يف بالعهد وقد امر الله بالوفا بالعهد قال الله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسولا وقال تعالى واوفوا بعهد
الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا وقال تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
اولئك لا خلاق لهم في الاخرة الى قوله عذاب اليم وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به
وفي رواية ان الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال الا هذه غدرة فلان وخرجاه ايضا من حديث انس بمعناه وخرجه مسلم من حديث

انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة والغدر حرام في كل عهد بين المسلم وغيره ولو كان المعاهد
كافرا ولهذا في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل نفسا معاهدا بغير حقه لم يرح رائحة الجنة
وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما خرجه البخاري وقد امر الله سبحانه وتعالى في كتابه بالوفا بعهود المشركين اذا اقاموا على
عهودهم ولم ينقضوا منها شيئا واما عهود المسلمين فيما بينهم فالوفا بها اشد ونقضها اعظم اثما ومن اعظمها نقض عهد
الامام على من بايعه ورضي به وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم
عذاب اليم فذكر منهم رجل بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا فان اعطاه ما يريد وفا له والا لم يف له ويدخل في العهود التي
يجب الوفا بها ويحرم الغدر فيها جميع عقود المسلمين فيما بينهم اذا تراضوا عليها من المبايعات والمناكحات وغيرها من
العقود اللازمة التي يجب الوفا بها وكذلك ما يجب الوفا به لله عز وجل مما يعاهد العبد ربه عليه من نذر التبرر ونحوه

**الخامس**

الخيانة في الامانة فاذا اؤتمن الرجل امانة فالواجب عليه ان يردها كما قال عز وجل ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك وقال في خطبته في حجة الوداع من كانت عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها
وقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون فالخيانة في الامانة من خصال النفاق وفي
حديث ابن مسعود رضي الله عنه من قوله وروي مرفوعا القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب الا الامانة يؤتى بصاحب الامانة فيقال له
اد امانتك فيقول اني يا رب وقد ذهبت الدنيا فيقال اذهبوا به الى الهاوية فيهوي فيها حتى ينتهي الى قعرها فيجدها هناك كهيئتها
فيحملها فيضعها على عنقه فيصعد بها في نار جهنم حتى اذا راى انه قد خرج منها زلت فهوت فهوى في اثرها ابد
الابدين قال والامانة في الصلاة والامانة في الصوم والامانة في الحديث واشد ذلك الودائع وقد روي مجاهد عن كعب الحبر انه استنبط
في هذا الحديث اعني حديث اية المنافق ثلاث من القرآن فقال مصداق ذلك في كتاب الله تعالى اذا جاءك المنافقون الى قوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون وقال تعالى ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الى قوله بما كانوا يكذبون وقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض
الى قوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه نحو هذا الكلام ثم تلا قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الاية
وحاصل الامر ان النفاق الاصغر كله يرجع الى اختلاف السريرة والعلانية كما قال الحسن وقال الحسن ايضا من النفاق اختلاف
القلب واللسان واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج وقالت طائفة من السلف خشوع النفاق ان ترى الجسد خاشعا و
القلب ليس بخاشع وقد روي معنى ذلك عن عمر رضي الله عنه وروي عنه انه قال على المنبر ان اخوف ما اخاف عليكم المنافق العليم
قالوا كيف يكون المنافق عليما قال يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور او قال المنكر وسئل حذيفة من المنافق قال الذي يصف الايمان ولا يعمل به وفي صحيح
البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قيل له انا ندخل على سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم اذا خرجنا من عندهم قال كنا نعد هذا
نفاقا وفي المسند عن حذيفة رضي الله عنه قال انكم لتتكلمون كلاما ان كنا نعده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النفاق وفي رواية
انه كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا واني لاسمعها من احدكم في اليوم في المجلس عشرا
وان قال بلال بن سعد المنافق يقول ما يعرف ويعمل ما ينكر ومن هنا كان الصحابة يخافون على انفسهم وكان عمر يسال حذيفة عن نفسه
وسئل ابو رجاء العطاردي هل ادركت من ادركت من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشون النفاق فقال نعم اني ادركت منهم بحمد الله
صدرا نعم شديدا نعم شديدا وقال البخاري في صحيحه وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف
النفاق على نفسه ويذكر عن الحسن رحمه الله قال ما خافه الا مؤمن ولا امنه الا منافق انتهى وروي عن الحسن انه حلف ما مضى مؤمن قط ولا
بقي الا وهو من النفاق مشفق ولا مضى منافق قط ولا بقي الا وهو من النفاق امن وكان يقول من لم يخف النفاق فهو منافق
وسمع رجل ابا الدرداء يتعوذ من النفاق في صلاته فلما سلم قال له ما شانك وشان النفاق فقال اللهم اغفر ثلاثا لا تامن البلا
والله ان الرجل ليفتن في ساعة واحدة فينقلب عن دينه والاثار في هذا كثيرة جدا قال سفيان الثوري خلاف ما بيننا وبين
المرجئة ثلاث فذكر منها قال نحن نقول النفاق وهم يقولون لا نفاق وقال الاوزاعي قد خاف عمر على نفسه قيل انهم يقولون
ان عمر لم يخف ان يكون منافقا حتى سال حذيفة رضي الله عنه ولكن خاف ان يبتلى بذلك قبل ان يموت قال هذا قول اهل البدع يشير
الى ان عمر رضي الله عنه كان يخاف النفاق على نفسه في الحال والظاهر انه اراد ان عمر كان يخاف النفاق في الحال من النفاق
الاصغر والنفاق الاصغر وسيلة وذريعة الى النفاق الاكبر كما ان المعاصي بريد الكفر فكما يخشى على من اصر على المعصية ان يسلب
الايمان عند الموت كذلك يخشى على من اصر على خصال النفاق ان يسلب الايمان فيصير منافقا خالصا وسئل الامام احمد ما تقول
فيمن لا يخاف النفاق على نفسه قال ومن يامن على نفسه النفاق وكان الحسن يسمي من ظهرت منه اوصاف النفاق العملي منافقا وروي نحوه

عن حذيفة



عن حذيفة وقال الشعبي من كذب فهو منافق وحكى محمد بن نصر المروزي هذا القول عن فرقة من اهل الحديث وقد سبق
في اول الكتاب الاختلاف عن الامام احمد في مرتكب الكبائر هل يسمى كافرا كفرا لا ينقل عن الملة ام لا واسم الكفر اعظم
من اسم النفاق ولعل هذا هو الذي انكره عطا على الحسن ان صح ذلك عنه ومن اعظم خصال النفاق العملي ان يعمل الانسان
عملا ويظهر انه قصد به الخير وانما عمله ليتوصل به الى غرض له سيء فيتم له ذلك ويتوصل بهذه الخديعة الى غرضه ويفرح بمكره
وخداعه وحمد الناس له على ما اظهره وتوصل به الى غرضه السيء الذي ابطنه وهذا قد حكاه الله في القرآن عن المنافقين
واليهود فحكى عن المنافقين انهم اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله ويحلفن
ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون وانزل في اليهود لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الاية
وهذه الاية نزلت في اليهود سالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم
عنه واستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم وما سالهم عنه قاله ابن عباس وحديثه مخرج في الصحيحين وفيهما
عن ابي سعيد رضي الله عنه انها نزلت في رجال من المنافقين كانوا اذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه
وفرحوا بمقعدهم خلافه فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزو اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان
يحمدوا بما لم يفعلوا وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غشنا فليس منا والمكر
والخديعة في النار وقد وصف الله المنافقين بالمخادعة واحسن ابو العتاهية في قوله : ليس دنيا الا بدين
وليس الدين الا مكارم الاخلاق : انما المكر والخديعة في النار : هما من خصال اهل النفاق : ولما تقرر عند
الصحابة رضي الله عنهم ان النفاق هو اختلاف السر والعلانية خشي بعضهم على نفسه ان يكون اذا تغير عليه حضور قلبه ورقته
وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه الى الدنيا واشتغاله بالاهل والاموال والاولاد ان يكون ذلك منه نفاقا كما في
صحيح مسلم عن حنظلة الاسيدي رضي الله عنه انه مر بابي بكر رضي الله عنه وهو يبكي فقال ما لك قال نافق حنظلة يا ابا بكر
نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كانا راي عين فاذا رجعنا عافسنا الازواج والضيعة
بكر فنسينا كثيرا قال ابو بكر فوالله انا لكذلك فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نافق حنظلة وذكر له ما قال لابي بكر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم
ولكن يا حنظلة ساعة وساعة وفي مسند البزار عن انس رضي الله عنه قالوا يا رسول الله انا نكون عندك على حال فاذا
فارقناك كنا على غيره قال كيف انتم وربكم قالوا الله ربنا في السر والعلانية قال ليس ذاكم النفاق وروي من وجه اخر
عن انس رضي الله عنه قال غدا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هلكنا قال وما ذاك قالوا النفاق قال
الستم تشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قالوا بلى قال ليس ذاك بالنفاق ثم ذكر معنى حديث حنظلة كما تقدم

٤٩ **الحديث التاسع والاربعون** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم توكلتم على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الامام احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم
وقال الترمذي حسن صحيح هذا الحديث خرجاه هؤلاء كلهم من رواية عبد الله بن هبيرة سمع ابا تميم الجيشاني سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو تميم وعبد الله بن هبيرة خرج لهما مسلم ووثقهما غير واحد وابو
تميم ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة في زمان عمر رضي الله عنه وقد روي هذا الحديث من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم ولكن في اسناده من لا يعرف حاله قاله ابو حاتم الرازي وهذا الحديث اصل في التوكل وانه من اعظم الاسباب
التي يستجلب بها الرزق قال الله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه الاية
وقد قرا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية على ابي ذر وقال لو ان الناس كلهم اخذوا بها لكفتهم يعني لو انهم حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك

في مصالح دينهم ودنياهم وقد سبق الكلام على هذا المعنى في حديث ابن عباس رضي الله عنهما احفظ الله يحفظك قال بعض
بعض السلف بحسبك من التوكل ان يعلم الله من قلبك حسن توكلك عليه فكم من عبد من عبيده قد فوض اليه امره فكفاه منه ما اهمه
ثم قرأ ومن يتوكل على الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب
المصالح ودفع المضار من امور الدنيا والآخرة كلها وكلة الامور كلها اليه وتحقيق الايمان بانه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه
قال سعيد بن جبير التوكل جماع الايمان وقال وهب بن منبه الغاية القصوى التوكل قال الحسن ان توكل العبد على ربه
ان يعلم ان الله هو ثقته وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يكون اقوى الناس
فليتوكل على الله وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في دعائه اللهم اني اسألك صدق التوكل عليك وانه كان يقول اللهم اجعلني
ممن توكل عليك فكفيته **واعلم ان حقيقة التوكل** لا ينافي السعي في الاسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى
المقدورات بها وجرت سنته في خلقه بذلك فان الله تعالى امر بتعاطي الاسباب مع امره بالتوكل فالسعي في الاسباب بالجوارح طاعة
له والتوكل بالقلب عليه ايمان به قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل وقال تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله قال سهل التستري رحمه الله من طعن في الحركة
يعني في السعي والكسب فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الايمان فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب
سنته فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته ثم ان الاعمال التي يعملها العبد ثلاثة اقسام احدها الطاعات التي امر الله عباده
بها وجعلها سببا للنجاة من النار ودخول الجنة فهذا لابد من فعله مع التوكل على الله فيه والاستعانة به عليه
فانه لا حول ولا قوة الا به ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فمن قصر في شيء مما وجب عليه من ذلك استحق العقوبة في
الدنيا والآخرة شرعا وقدرا قال يوسف بن اسباط كان يقال اعمل عمل رجل لا ينجيه الا عمله وتوكل توكل رجل لا يصيبه الا
ما كتب له **والثاني** ما اجرى الله العادة به في الدنيا وامر عباده بتعاطيه كالاكل عند الجوع والشرب عند العطش
والاستظلال من الحر والتدفي من البرد ونحو ذلك فهذا ايضا واجب على العبد تعاطي اسبابه ومن قصر فيه حتى تضرر بتركه
مع القدرة على استعماله فهو مفرط يستحق العقوبة لكن الله سبحانه قد يقوي بعض عباده من ذلك على ما لا يقوى عليه
غيره فاذا عمل بمقتضى قوته التي اختص بها عن غيره فلا حرج عليه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يواصل في صيامه
وينهى عن ذلك اصحابه ويقول لهم اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى وفي رواية اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني
وفي رواية ان لي مطعما يطعمني وساقيا يسقيني والاظهر انه صلى الله عليه وسلم اراد بذلك ان الله عز وجل يقويه ويغذيه
بما يورده على قلبه من الفتوح القدسية والمنح الالهية والمعارف الربانية التي تغنيه عن الطعام والشراب برهة من
الدهر كما قيل ∴ لها احاديث من ذكراك تشغلها ∴ عن الطعام وتلهيها عن الزاد ∴ لها بوجهك نور تستضيء به ∴
وقت المسير وفي اعقابها حادي ∴ اذا اشتكت من كلال السير اوعدها ∴ روح القدوم فتحيى عند ميعاد ∴
وكان كثير من السلف لهم من القوة على ترك الطعام والشراب ما ليس لغيرهم ولا يتضررون بذلك وكان ابن الزبير يواصل ثمانية
ايام وكان ابو الجوزاء يواصل في صيامه بين سبعة ايام ثم يقبض على ذراع الشاب فيكاد يحطمها
وكان ابراهيم التيمي يمكث شهرين لا ياكل شيئا غير انه يشرب شربة حلو وكان حجاج بن فرافصة يبقى اكثر من عشرة ايام
لا ياكل ولا يشرب ولا ينام وكان بعضهم لا يبالي بالحر ولا بالبرد كما كان علي رضي الله عنه يلبس لباس الصيف في الشتاء ولباس
الشتاء في الصيف وكان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له ان يذهب الله عنه الحر والبرد فمن كان له قوة على مثل هذه الامور
فعمل بمقتضى قوته ولم يضعفه عن طاعة الله عز وجل فلا حرج عليه ومن كلف نفسه ذلك حتى اضعفها ضعفا عن طاعة الله
ببعض الواجبات فانه ينكر عليه ذلك وكان السلف ينكرون على عبد الرحمن بن ابي نعم حيث كان يترك الاكل مدة حتى يعاد

من ضعفه



من ضعفه **القسم الثالث** ما اجرى الله العادة به في الدنيا في الاعم الاغلب وقد يخرق العادة في ذلك لمن يشاء
من عباده وهو انواع منها ما يخرق كثيرا ويستغني عنه كثير من خلقه كالادوية بالنسبة الى كثير من البلدان وسكان البوادي
ونحوها واختلف العلماء رضي الله عنهم هل الافضل لمن اصابه المرض التداوي ام تركه لمن حقق التوكل على الله وفيه قولان مشهوران و
ظاهر كلام احمد ان التوكل لمن قوي عليه افضل لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب ثم قال
هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ومن رجح التداوي قال انه حال النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يداوم
عليه وهو لا يفعل الا الافضل وحمل الحديث على الرقا المكروهة التي يخشى منها الشرك بدليل انه قرنها بالكي والطيرة وكلاهما مكروه **ومنها**
ما يخرق لقليل من عباده كحصول الرزق لمن ترك السعي في طلبه فمن رزقه الله صدق اليقين والتوكل عليه وعلم من الله انه يخرق له العوائد
ولا يحوجه الى الاسباب المعتادة في طلب الرزق ونحوه جاز له ترك الاسباب ولم ينكر عليه ذلك وحديث عمر هذا الذي نتكلم فيه يدل
على ذلك ويدل على ان الناس انما يؤتون من قلة تحقيق التوكل ووقوفهم مع الاسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها فلذلك
يتعبون انفسهم في الاسباب ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد ولا ياتيهم الا ما قدر لهم فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق اليهم
ارزاقهم مع ادنى سبب كما يسوق الى الطير ارزاقها بمجرد الغدو والرواح وهو نوع من الطلب والسعي لكنه سعي يسير وربما حرم
الانسان رزقه او بعضه بذنب يصيبه كما في حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رز
قها فاتقوا الله واجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم وقال عمر رضي الله عنه بين العبد وبين رزقه حجاب فان قنع و
رضيت نفسه اتاه الله رزقه وان اقتحم وهتك الحجاب لم يزد فوق رزقه وقال بعض السلف توكل تساق اليك الارزاق بلا تعب
ولا تكلف وقال سالم بن ابي الجعد حدثت ان عيسى عليه السلام كان يقول اعملوا ولا تعملوا لبطونكم واياكم وفضول الدنيا فان فضول
الدنيا عند الله رجز هذه طير السماء تغدو وتروح ليس معها من ارزاقها شيء لا تحرث ولا تحصد الله يرزقها فان قلتم ان بطوننا اعظم من
بطون الطير فهذه الوحوش من البقر والحمير وغيرها تغدو وتروح ليس معها من ارزاقها شيء لا تحرث ولا تحصد الله يرزقها خرجه
ابن ابي الدنيا وباسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عابد يتعبد في غار فكان غراب ياتيه كل يوم برغيف يجد فيه
طعم كل شيء حتى مات ذلك العابد وقال سعيد بن عبد العزيز عن بعض مشيخة دمشق قال اقام الياس هاربا من قومه في جبل
عشرين ليلة او قال اربعين تاتيه الغربان برزقه وقال سفيان الثوري قرأ واصل الاحدب هذه الآية وفي السماء رزقكم وما توعدون
فقال الا ان رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا فلما كان اليوم الرابع فاذا هو بدوخلة
من رطب وكان له اخ احسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دابهما حتى فرق بينهما الموت **ومن هذا الباب**
من قوي توكله على الله عز وجل ووثق به فدخل المفاوز بغير زاد فانه يجوز لمن هذه صفته دون من لم يبلغ هذه المنزلة وله
في ذلك اسوة بابراهيم الخليل عليه السلام حيث ترك هاجر وابنها اسمعيل عليه الصلاة والسلام بواد غير ذي زرع وترك
عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء فلما تبعته هاجر وقالت الى من تدعنا قال لها الى الله قالت رضيت بالله وهذا كان يفعله
بامر الله ووحيه فقد يقذف الله في قلوب بعض اوليائه من الالهام الحق ما يعلمون انه حق ويثقون به قال المروذي قيل لابي
عبد الله اي شيء صدق التوكل على الله قال ان يتوكل على الله ولا يكون في قلبه احد من الادميين يطمع ان يجيئه بشيء فاذا كان كذا
كان الله يرزقه وكان متوكلا قال وذكرت لابي عبد الله التوكل فاجازه لمن استعمل فيه الصدق قال وسالت ابا عبد الله عن رجل
جلس في بيته ويقول اجلس واصبر ولا اطلع على ذلك احدا وهو يقدر ان يحترف قال لو خرج واحترف كان احب الي واذا
جلس خفت ان يخرجه الى ان يكون يتوقع ان يرسل اليه بشيء قلت فاذا كان يبعث اليه بشيء فلا ياخذه قال هذا جيد وقلت
لابي عبد الله ان رجلا بمكة قال لا اكل شيئا حتى يطعموني ودخل في جبل ابي قبيس فجاء اليه رجلان وهو موتزر بخرقة فالقيا اليه
قميصا واخذا بيده فالبساه القميص ووضعا بين يديه شيئا فلم ياكل حتى وضعا مفتاح حديد في فمه وجعلا يدسان في فمه

قال ابن [illegible] ... حديث جابر عن [illegible] ... اسمه علي وانا

فضحك ابو عبد الله وجعل يتعجب

وقيل لابي عبد الله ان رجلا ترك البيع والشرا وجعل على نفسه ان لا يقع في يده ذهب ولا فضة وترك دوره لا يامر فيها بشي وكان يمر في الطريق فاذا راى شيا مطروحا اخذه مما قد القي قال المروذي فقلت للرجل ما لك حجة على هذا غير ابي معاوية الاسود قال بلى اويس القرني وكان يمر بالمزابل فيلتقط الرقاع فصدقه ابو عبد الله وقال قد شدد على نفسه ثم قال قد جاني النقلي ونحوه فقلت لهم لو تعرضتم للعمل تشهرون انفسكم قالوا وايش نبالي من الشهرة وروى احمد بن الحسين بن حسان عن احمد انه سيل عن رجل يخرج الى مكة بغير زاد فقال ان كنت تطيق والا فلا الا بزاد وراحلة لا تخاطر وقال ابو بكر الخلال يعني ان طاق وعلم انه يقوى على ذلك ولا يسال ولا يستشرف نفسه لان ياخذ ويعطي فيقبل فهو متوكل على الصدق وقد اجاز العلما التوكل على الصدق قال وقد حج ابو عبد الله وكفاه في حجة اربعة عشر درهما وقال اسحق بن راهويه هل للرجل ان يدخل المفاوز بغير زاد فقال ان كان الرجل مثل عبد الله بن جبير فله ان يدخل المفازة بغير زاد والا لم يكن له ان يدخل ومتى كان الرجل ضعيفا وخشي على نفسه ان لا يصبر او ان يتعرض للسوال او انه يقع في الشك والتسخط لم يجز له ترك الاسباب حينئذ وانكر عليه غاية الانكار كما انكر الامام احمد على من ترك الكسب وعلى من دخل المفازة بغير زاد وخشي عليه التعرض للسوال وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فياتون مكة فيسالون الناس فانزل الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وكذا قال مجاهد وعكرمة والنخعي وغير واحد من السلف فلا يرخص في ترك السبب بالكلية الا لمن انقطع قلبه عن الاستشراف الى المخلوقين بالكلية وقد روى عن احمد انه سيل عن التوكل فقال قطع الاستشراف بالياس من الخلق فسيل عن الحجة في ذلك فقال قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما عرض له جبريل عليه الصلاة والسلام وهو يرمى في النار فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا وظاهر كلام احمد ان الكسب افضل بكل حال فانه سيل عمن يقعد ولا يكسب ويقول توكلت على الله فقال ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله ولكن يعودون على انفسهم بالكسب وروى الخلال باسناده عن الفضيل بن عياض انه قيل له لو ان رجلا قعد في بيته زعم انه يثق بالله فياتيه برزقه قال اذا وثق بالله حتى يعلم انه وثق به لم يمنعه شي اراده لكن لم يفعل هذا الانبيا ولا غيرهم وقد كانت الانبيا عليهم الصلاة والسلام يوجرون انفسهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوجر نفسه وابو بكر وعمر ولم يقولوا نقعد حتى يرزقنا الله عز وجل وقال الله تعالى وابتغوا من فضل الله ولا بد من طلب المعيشة وقد روي عن بشر ما يشعر بخلاف هذا فروى ابو نعيم في الحلية ان بشرا سيل عن التوكل فقال اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب فقال له السائل فسره لنا حتى نفقه فقال بشر اضطراب بلا سكون رجل يضطرب بجوارحه وقلبه ساكن الى الله لا الى عمله وسكون بلا اضطراب فرجل ساكن الى الله بلا حركة وهذا عزيز وهو من صفات الابدال وبكل حال فمن لم يصل الى هذه المقامات العالية فلا بد له من معاناة الاسباب لا سيما من له عيال لا يصبرون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت وكان بشر يقول لو كان لي عيال لعملت واكتسبت وكذلك من ضيع بترك الاسباب حقا له ولم يكن راضيا بفوات حقه فان هذا عاجز مفرط وفي مثل هذا جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن فان اصابك شي فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شا فعل فان لو تفتح عمل الشيطان خرجه مسلم بمعناه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وفي سنن ابي داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين فقال المقضي عليه لما ادبر حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك امر فقل حسبي الله ونعم الوكيل وخرج الترمذي من حديث انس رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله اعقلها واتوكل او اطلقها واتوكل قال اعقلها وتوكل وذكر عن يحيى القطان انه قال هو عندي منكر وخرجه الطبراني من حديث عمرو بن امية رضي الله عنه وروى الوضين بن عطا عن محفوظ بن علقمة عن ابن عايذ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان التوكل بعد الكيس وهذا مرسل ومعناه ان

الانسان ياخذ



الانسان ياخذ بالكيس والسعي في الاكتساب بالاسباب المباحة ويتوكل على الله بعد سعيه وهذا كله اشارة الى ان التوكل لا ينافي الاتيان بالاسباب بل قد يكون افضل قال معاوية بن قرة لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناسا من اهل اليمن فقال من انتم قالوا نحن المتوكلون قال بل انتم المتاكلون انما المتوكل الذي يلقي حبه في الارض ويتوكل على الله عز وجل وقال الخلال اخبرنا منصور قال سالت المازني بكر بن الحارث عن التوكل فقال المتوكل لا يتوكل على الله ليكفى ولو حلت هذه القصة في قلوب المتوكلين لضجوا الى الله بالندم والتوبة ولكن المتوكل يحل بقلبه الكفاية من الله تعالى فيصدق الله عز وجل فيما ضمن ومعنى هذا الكلام ان المتوكل على الله عز وجل حق التوكل لا ياتي بالتوكل ويجعله سببا لحصول الكفاية له من الله بالرزق وغيره فانه لو فعل ذلك لكان من اتى بسائر الاسباب لاستجلاب الرزق والكفاية بهذا وهذا نوع نقص في تحقيق التوكل وانما المتوكل حق من يعلم ان الله قد ضمن رزقه وكفايته فيصدق الله فيما ضمن له ويثق بقلبه ويحقق الاعتماد عليه فيما ضمنه من الرزق من غير ان يخرج التوكل مخرج الاسباب في استجلاب الرزق به والرزق مقسوم لكل احد من بر وفاجر ومومن وكافر قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها هذا مع ضعف كثير من الدواب وعجزها في السعي في طلب الرزق قال الله عز وجل وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم فما دام العبد حيا فرزقه على الله وقد ييسره الله له بكسب او بغير كسب فمن توكل على الله لطلب الرزق فقد جعل التوكل سببا وكسبا ومن توكل على الله لثقته بضمانه فقد توكل على الله ثقة به وتصديقا وما احسن قول يحيى الانباري وهو من اعيان اصحاب الامام احمد رحمه الله لا تكونوا بالمضمون مهتمين فتكونوا للضامن متهمين وبرزقه غير راضين

واعلم ان ثمرة التوكل الرضا بالقضا فمن وكل امره الى الله ورضي بما يقضيه له ويختاره له فقد حقق التوكل ولذلك كان الحسن والفضيل وغيرهما يفسرون التوكل على الله بالرضا قال ابن ابي الدنيا بلغني عن بعض الحكما قال التوكل على ثلاث درجات اولها ترك الشكاية والثانية الرضا والثالثة المحبة فترك الشكاية درجة الصبر والرضا سكون القلب بما قسم الله له وهي ارفع من الاولى والمحبة ان يكون حبه لما يصنع الله به فالاولى للزاهدين والثانية للصادقين والثالثة للمرسلين انتهى فالمتوكل على الله ان صبر على ما يقدره له من الرزق او غيره فهو صابر وان رضي بما يقدره له بعد وقوعه فهو الراضي وان لم يكن له اختيار بالكلية ولا رضا الا فيما يقدره فهو درجة المحبين العارفين كما كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول اصبحت وما لي سرور الا في القضا والقدر والله سبحانه وتعالى اعلم

## الحديث الخمسون

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ان شرايع الاسلام قد كثرت علي فاخبرني بشي اتشبث به جامع قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل رواه الترمذي وقال حسن غريب وخرجه الامام احمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه بمعناه وكلهم خرجه من رواية عمرو بن قيس الكندي عن عبد الله بن بسر وخرج ابن حبان في صحيحه وغيره من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال اخر ما فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلت له اي الاعمال خير واقرب الى الله قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل وقد سبق في هذا الكتاب مواضع ذكر كثيرا من فضايل الذكر ونذكر هنا فضل ادامته والاكثار منه وقد امر الله سبحانه المومنين بان يذكروه ذكرا كثيرا ومدح من ذكره كذلك قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وخرجه الامام احمد ولفظه سبق المفردون قالوا ومن المفردون قال الذين يهترون في ذكر الله عز وجل وخرجه الترمذي وعنده قالوا يا رسول الله ومن المفردون قال المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم اثقالهم فياتون يوم القيمة خفافا وروى موسى بن عبيدة عن عبد الله بن زيد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسير بالدف من جمدان اذ استنبه فقال يا معاذ اين السابقون فقلت قد مضوا وتخلف ناس فقال يا معاذ اين السابقون

الذين يستهترون من حب الله ومن هذا السياق يظهر وجه ذكر السابقين في هذا الحديث فانه لما سبق الركب
وتخلف بعضهم نبه النبي صلى الله عليه وسلم على ان السابقين على الحقيقة هم الذين يدمنون ذكر الله عز وجل ويولعون به فان
الاستهتار بالشي هو الولوع به والشغف حتى لا يكاد يفارق ذكره وهذا على رواية من رواه المستهترون ورواه
بعضهم فقال فيه الذين اهتزوا في ذكر الله وفسر ابن قتيبة اهتز بالقسط في الكلام كما في الحديث المستبان شيطانان يتكاذبان
ويتهاتران قال والمراد من هذا الحديث من عمر وحرف في ذكر الله وفي طاعته قال والمراد بالموذين على هذه الرواية من التوديد
عني بالانفراد على الرواية الاولى بالانفراد بهذا الامر وهو كثرة الذكر دون الانفراد الحسي اما عن الوطن واما عن الخالطة والله اعلم
ومن هذا المعنى قول عمر بن عبد العزيز ليلة عرفة بعرفة عند قرب الافاضة ليس السابق اليوم من سبق بعيره وانما السابق من غفر له
وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله عز وجل وخرج الامام احمد والنساي
وابن حبان في صحيحه من حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما
هي يا رسول الله قال التكبير والتسبيح والتهليل والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وفي المسند وصحيح ابن حبان عن ابي سعيد الخدري
ايضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثروا ذكر الله حتى يقال مجنون وروى ابو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس
رضي الله عنهما مرفوعا اكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون انكم تراوون وخرج الامام احمد من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه سيل اي العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قيل يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله
قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله افضل منه درجة وخرج الامام
احمد من حديث سهل بن معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا ساله فقال اي الجهاد اعظم يا رسول الله قال اكثرهم
لله ذكرا ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثرهم لله ذكرا ثم قال ابو بكر يا ابا حفص
ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل وقد خرج ابن المبارك وابن ابي الدنيا وجوه اخر مرسلة بمعناه وفي صحيح مسلم
عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه وقال ابو الدرداء رضي الله عنه الذين لا تزال السنتهم
رطبة من ذكر الله يدخل احدهم الجنة وهو يضحك وقيل له ان رجلا اعتق مائة نسمة فقال ان مائة نسمة من مال رجل كثير وافضل من ذلك ايمان
ملزوم بالليل والنهار وان لا يزال لسان احدكم رطبا من ذكر الله عز وجل وقال معاذ رضي الله عنه لان اذكر الله من بكرة الى الليل
احب الي من ان احمل على الجياد في سبيل الله من بكرة الى الليل وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قال
ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وخرجه الحاكم مرفوعا وصححه والمشهور وقفه وقال زيد بن اسلم قال
موسى عليه السلام يا رب قد انعمت علي كثيرا فدلني على ان اشكرك كثيرا قال اذكرني كثيرا فاذا ذكرتني كثيرا فقد شكرتني كثيرا واذا
نسيتني فقد كفرتني وقال الحسن احب عباد الله الى الله اكثرهم ذكرا واتقاهم قلبا وقال احمد بن ابي الحواري حدثني ابو المخارق قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي برجل مغيب في نور العرش فقلت من هذا ملك قيل لا قلت نبي قيل لا قلت من هو قال
هذا رجل كان لسانه رطبا من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه قط وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال
موسى عليه السلام رب اي الاعمال احب اليك قال اكثرهم لي ذكرا وقال كعب من اكثر من ذكر الله برئ من النفاق وروي من قول
حماد بن سلمة عن سهل عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا وخرج الطبراني بهذا الاسناد مرفوعا من لم يكثر ذكر الله فقد بري من
الايمان ويشهد لهذا المعنى ان الله تعالى وصف المنافقين بانهم لا يذكرون الله الا قليلا فمن اكثر ذكر الله فقد باينهم في اوصافهم
ولهذا اختتمت سورة المنافقين بالامر بذكر الله وان لا يلهي المومن عن ذلك مال ولا ولد وان من الهاه ذلك عن ذكر الله فهو من الخاسرين قال
الربيع بن انس عن بعض اصحابه علامة حب الله كثرة ذكره فانك لن تحب شيا حتى تكثر ذكره قال فتح الموصلي المحب لله لا يغفل عن
ذكر الله طرفة عين قال ذو النون من اشتغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه نور الاشتياق اليه قال ابراهيم بن الجنيد كان
يقال من علامة المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان وقلما ولع المرء بذكر الله عز وجل الا افاد منه حب الله عز وجل وكان بعض السلف
يقول في مناجاته اذا سيم البطالون من بطالتهم فلن يسام محبوك من مناجاتك وذكرك قال ابو جعفر المحولي ولي الله المحب لا يخلو قلبه
من ذكر ربه ولا يسام من خدمته وقد ذكرنا قول عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه والمعنى في حال قيامه ومشيه



وقعوده واضطجاعه وسواء كان على طهارة او على حدث وقال سوكانت دواب البحر في البحر تسكن ويوسف عليه السلام في السجن
لا يسكن عن ذكر الله عز وجل كان لابي هريرة رضي الله عنه خيط فيه الف عقدة فلا ينام حتى يسبح به وكان خالد بن معدان يسبح كل يوم
اربعين الف تسبيحة سوى ما يقرا من القران فلما مات وضع على سريره ليغسل فجعل يشير باصبعه يحركها بالتسبيح وقيل لعمير
بن هاني ما نرى لسانك يفتر فكم تسبح كل يوم قال مائة الف تسبيحة الا ان تخطي الاصابع يعني انه يعد ذلك باصابعه وقال عبد
العزيز بن ابي رواد كانت عندنا امراة بمكة تسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة فماتت فلما بلغت القبر اختلست من ايدي الرجال
كان الحسن البصري كثيرا ما يقول اذا لم يحدث ولم يكن له شغل سبحان الله العظيم فذكر ذلك لبعض فقهاء مكة فقال ان صاحبكم لفقيه
ما قالها احد سبع مرات الا بني له بيت في الجنة وكان عامة كلام ابن سيرين سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده وكان
المغيرة بن حكيم الصنعاني اذا هدت العيون نزل الى البحر وقام في الماء يذكر الله مع دواب البحر ذكر بعضهم عند ابراهيم بن ادهم
رحمه الله قال فكلما استقصت من الابل وجدته يذكر الله فاغتنم اعرى نفسه بهذا الايه ذلك فضل الله يوتيه من يشا
المحب اسم محبوبه لا يغيب عن قلبه فلو كلف ان ينسا ذكره لما قدر ولو كلف ان يكف عن ذكره بلسانه لما صبر كيف ينسى المحب ذكر
حبيب اسمه في فواده مكتوب ❊ كان بلال رضي الله عنه كلما عذبه المشركون في الرمضاء على التوحيد يقول احد احد فاذا قالوا له قل
اللات والعزى قال لا احسنه ❊ يراد من القلب نسيانكم ❊ وتابى الطباع على الناقل ❊ كلما قويت المعرفة صار الذكر
يجري على لسان الذاكر من غير كلفة كان بعضهم يجري على لسانه في منامه الله الله ولهذا يلهم اهل الجنة التسبيح كما يلهمون النفس
وتصير لا اله الا الله لهم كالما البارد لاهل الدنيا كان الثوري ينشد ❊ لا لاني انساك اكثر ذكراك ❊ ولكن بذاك يجري لساني ❊
اذا سمع المحب ذكر حبيبه من غيره زاد طربه وتضاعف قلقه ❊ قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضي الله عنه اقرا علي
القران قال اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري فقراه عليه ففاضت عيناه سمع الشبلي قائلا يقول
يا سعد يا جواد فاضطرب ❊ وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى ❊ فهيج اشجان الفواد وما يدري ❊ دعا باسم ليلى غيرها فكانما
اطار بليلى طايرا كان في صدري ❊ النفس يترعج عند ذكر المحبوب ❊ اذا ذكر المحبوب عند حبيبه ❊ ترنح نشوان وحن طروب
ذكر المحبين على خلاف ذكر الغافلين انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ❊ واني لتعروني لذكراك هزة ❊ كما انتفض
العصفور بلله القطر ❊ احد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه
قال ابو الجلد اوحى الله الى موسى عليه السلام اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاوك وكن عند ذكري خاشعا مطمينا
واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك وصف علي رضي الله عنه يوما الصحابة رضي الله عنهم فقال كانوا اذا ذكروا الله مادوا
كما يميد الشجر في اليوم الشديد الريح وجرت دموعهم على ثيابهم قال زهير البابي ان لله عبادا ذكروه فخرجت نفوسهم اعظاما
واشتياقا وقوما ذكروه فوجلت قلوبهم فرقا وهيبة فلو حرقوا بالنار لم يجد واحد مس النار واخرون ذكروا الله في الشتاء فارفضوا عرقا
من خوفه وقوما ذكروه فحالت الوانهم غبرا وقوما ذكروه فجفت اعينهم سهرا صلى ابو يزيد الظهر فلما اراد ان يكبر لم يقدر اجلالا لاسم الله
عز وجل وارتعدت فرايصه حتى سمعت قعقعة عظامه كان ابو حفص النيسابوري اذا ذكر الله تغيرت حاله حتى يرى ذلك جميع من
عنده وكان يقول ما اظن ان محقا يذكر الله من غير غفلة ثم يبقى حيا الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم ايدوا بقوة النبوة وخواص
الاولياء ❊ اذا سمعت باسم الحبيب تقعقعت ❊ مفاصلها من هول ما تتذكر ❊ وقف ابو يزيد ليلة الى الصباح يجتهد
ان يقول لا اله الا الله فما قدر اجلالا وهيبة فلما كان عند الصباح نزل فبال الدم ❊ وما ذكرتكم الا نسيتكم ❊ نسيان اجلال لا نسيان
اهمال ❊ اذا ذكرت من انتم وكيف انا ❊ اجللت مثلكم يخطر على بالي ❊ الذكر لذة قلوب العارفين قال
الله عز وجل الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمين القلوب قال مالك بن دينار ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل
وفي بعض الكتب السالفة يقول الله عز وجل معشر الصديقين بي فافرحوا وبذكري فتنعموا وفي اثر اخر سبق ذكره ويستبون الى الذكر
كما تستب النسور الى وكورها وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال اخبرني اهل الكتاب ان هذه الامة تحب الذكر كما تحب الحمامة وكرها
ولهم اسرع الى ذكر الله عز وجل من الابل الى وردها يوم ظمايها قلوب المحبين لا تطمين الا بذكره وارواح المشتاقين لا تسكن الا برويته
قال ذو النون رحمه الله ما طابت الدنيا الا بذكره ولا طابت الاخرة الا بعفوه ولا طابت الجنة الا برويته ❊ ابدا نفوس الطالبين الى طلولهم تحن
الدنيا

وكذا القلوب بذكرهم بعد الجفا تتقلب ؛ حنت بذكركم بحبكم ومن يهوى الحبيب ولا يحن ؛ عجباً لكم يا سادتي جودوا بوصلكم ومنوا ؛ قد سبق حديث اذكروا الله حتى يقولوا مجنون ولبعضهم ؛ لقد أكثرت من ذكراكم حتى قيل وسواس ؛ كان أبو مسلم الخولاني رضي الله عنه كثير الذكر فرآه بعض الناس فأنكر حاله فقال لأصحابه أمجنون صاحبكم فسمعه أبو مسلم فقال لا يا أخي ولكن هذا دواء الجنون ؛ وحرمة الود ما لي عنكم عوض ؛ وليس لي في سواكم سادتي غرض ؛ ومن شرطي على قوم صحبتهم ؛ بأن قلبي لكم من دونهم فرضوا ؛ ومن حديثي بكم قالوا به مرض ؛ فقلت لا زال عني ذلك المرض ؛ المحبون يستوحشون من كل شاغل يشغل عن الذكر فلا شيء أحب إليهم من الخلوة بحبيبهم قال عيسى بن مريم يا معشر الحواريين كلموا الله كثيراً وكلموا الناس قليلاً قالوا كيف نكلم الله كثيراً قال اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه وكان بعض السلف يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فكان يصلي ألف ركعة جالساً فإذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة ويقول عجبت للخليقة كيف أنست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان بعضهم يصوم الدهر فإذا كان وقت الفطور قال أحس نفسي تخرج لاشتغالي عنك بالأكل قيل لمحمد بن النضر أما تستوحش وحدك قال كيف أستوحش وهو يقول أنا جليس من ذكرني ؛ كتمت اسم الحبيب من العباد ؛ ورددت الصبابة في فؤادي ؛ فواشوقاً إلى بلد خلي ؛ لعلي باسم من أهوى أنادي ؛ فإذا قوي حال المحب ومعرفته لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان شاغل فهو بين الخلق بجسمه وقلبه معلق بالمحل الأعلى كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم صحبوا الدنيا بأجساد أرواحها معلقة بالمحل الأعلى وفي هذا المعنى قيل ؛ جسمي معي غير أن الروح عندكم ؛ والجسم في غربة والروح في وطن ؛ وقال غيره ؛ ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ؛ وأبحت جسمي من أراد جلوسي ؛ فالجسم مني للجليس مؤانس ؛ وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي ؛ وهذه حال الرسل والصديقين كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً وفي الترمذي يقول الله عز وجل إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه وقال عز وجل فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم يعني الصلاة في حال الخوف ولهذا قال سبحانه فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة وقال تعالى في ذكر صلاة الجمعة فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون فأمر سبحانه بالجمع بين الابتغاء من فضله وكثرة ذكره ولهذا ورد فضل الذكر في الأسواق ومواطن الغفلة كما في المسند والترمذي وسنن ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً من دخل السوق سوقاً يصاح فيها ويباع فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وفي حديث آخر ذاكر الله في الغافلين بمنزلة المقاتل عن الفارين وذاكر الله في الغافلين كشجرة خضراء في وسط شجر يابس قال عبد الله بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ما دام الرجل يذكر الله فهو في الصلاة وإن كان في السوق وإن حرك به شفتيه فهو أفضل وكان بعض السلف يقصد السوق ليذكر الله فيها بين أهل الغفلة والتقى رجلان في السوق فقال أحدهما لصاحبه تعال حتى نذكر الله في غفلة الناس فخلوا في موضع فذكرا الله ثم تفرقا ثم مات أحدهما فلقيه الآخر في منامه فقال أشعرت أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق

فصل

في وظائف الذكر المؤقتة في اليوم والليلة معلوم أن الله عز وجل فرض على المسلمين أن يذكروه كل يوم وليلة خمس مرات بإقامة الصلاة الخمس في مواقيتها المؤقتة وشرع لهم مع هذه الفرائض الخمس أن يذكروه ذكراً يكون لهم نافلة والنافلة الزيادة فيكون ذكر زيادة على الصلوات الخمس وهو نوعان أحدهما ما كان من جنس الصلاة فشرع لهم أن يصلوا مع الصلوات الخمس قبلها أو بعدها أو قبلها وبعدها سنناً فتكون زيادة على الفرض فإن كان في الفرض نقص جبر نقصها بهذه النوافل وإلا كانت النوافل زيادة على الفرائض والطول ما تخلل بين وقت الصلاة ما لم يرد فيه مفروض من بين صلاة العشاء وصلاة الفجر وما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر فشرع ما بين كل وقتين منهما من الصلاة صلاة تكون نافلة لئلا يطول وقت الغفلة عن الذكر فشرع ما بين صلاة العشاء وصلاة الفجر صلاة الوتر وقيام الليل وشرع ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر صلاة الضحى وبعض هذه الصلوات آكد من بعض فآكدها الوتر ولذلك اختلف العلماء في وجوبه ثم قيام الليل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يداوم عليه حضراً وسفراً ثم صلاة الضحى وقد اختلف الناس فيها وفي استحباب المداومة عليها وفي الترغيب فيها أحاديث صحيحة وورد الترغيب في الصلاة عقب زوال الشمس ؛ **وأما الذكر باللسان** فمشروع في جميع الأوقات ويتأكد في بعضها فما يتأكد فيه الذكر عقب الصلوات المفروضات وأن يذكر الله عقب كل صلاة مائة مرة ما بين تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل ويستحب الذكر أيضاً بعد الصلاتين اللتين لا تطوع بعدهما وهما الفجر والعصر فيشرع الذكر بعد صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس وهذان الوقتان أعني وقت الفجر ووقت العصر هما أفضل أوقات النهار للذكر ولهذا أمر الله بذكره فيهما في مواضع كثيرة كقوله تعالى وسبحوه بكرة وأصيلاً وقوله واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً وقوله وسبح بالعشي والإبكار وقوله فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً وقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقوله واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار وقوله واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة

ودون الجهر



ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وأفضل ما يفعل في الوقتين من الذكر صلاة الفجر وصلاة العصر وهما أفضل الصلوات وقد قيل في كل منهما إنها الصلاة الوسطى وهما البردان اللذان من حافظ عليهما دخل الجنة ويليهما من أوقات الذكر الليل والنهار ولهذا يذكر بعد هذين الوقتين في القرآن تسبيح الليل وصلاته والذكر المطلق يدخل فيه الصلاة وتلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه والعلم النافع كما يدخل فيه التسبيح والتكبير والتهليل ومن أصحابنا من رجح التلاوة على التسبيح ونحوه بعد صلاة الفجر والعصر وسئل الأوزاعي عن ذلك فقال كان هديهم ذكر الله فإن قرأ فحسن وظاهر هذا أن الذكر في هذا الوقت أفضل من التلاوة وكذلك قال إسحاق في التسبيح عقب المكتوبات مائة مرة إنه أفضل من التلاوة حينئذ والأذكار والأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصباح والمساء كثيرة جداً ويستحب إحياء ما بين العشاءين بالصلاة والذكر وقد تقدم حديث أنس أنه نزل في ذلك قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع ويستحب تأخير العشاء إلى ثلث الليل كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة وهو مذهب الإمام أحمد وغيره حتى تفعل هذه الصلاة في أفضل وقتها وهو آخره ويشتغل منتظر هذه الصلاة في الجماعة في هذا الثلث الأول بالصلاة وبالذكر وانتظار الصلاة في المسجد ثم إذا صلى العشاء وصلى بعدها ما يتبعها من سنتها الراتبة أو أوتر بعد ذلك إن كان يريد أن يوتر قبل أن ينام فإذا أوى إلى فراشه بعد ذلك للنوم فإنه يستحب له أن لا ينام إلا على طهارة وذكر فيسبح ويحمد تمام مائة كما علم النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعلياً رضوان الله ورحمته وصلاته وسلامه عليهم أن يفعلاه عند منامهما ويأتي بما قدر عليه من الأذكار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم عند النوم وهي أنواع متعددة من تلاوة القرآن وذكر الله عز وجل ثم ينام على ذكر فإنه إذا استيقظ من الليل وتقلب على فراشه فليذكر الله كلما تقلب وفي صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم اغفر لي أو قال ثم دعا استجيب له فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته وفي الترمذي عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أوى إلى فراشه طاهراً يذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله شيئاً من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وخرجه أبو داود بمعناه من حديث معاذ رضي الله عنه وخرجه النسائي من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه وللإمام أحمد من حديث عمرو بن عبسة في هذا الحديث فكان أول ما يقول إذا استيقظ سبحانك لا إله إلا أنت اللهم اغفر لي إلا انسلخ من خطاياه كما تنسلخ الحية من جلدها وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استيقظ من منامه يقول الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ثم إذا قام إلى الوضوء والتهجد أتى بذلك كله على ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ويختم تهجده بالاستغفار في السحر كما مدح الله المستغفرين بالأسحار وإذا طلع الفجر صلى ركعتي الفجر ثم صلى الفجر ويشتغل بعد صلاة الفجر بالذكر المأثور إلى أن تطلع الشمس على ما تقدم ذكره فمن كان حاله على ما ذكرنا لم يزل لسانه رطباً بذكر الله عز وجل فيستصحب الذكر في يقظته حتى ينام عليه ثم يبدأ به عند استيقاظه وذلك من دلائل صدق المحبة كما قال بعضهم ؛ وآخر شيء أنت في كل هجعة ؛ وأول شيء أنت وقت هبوبي ؛ وأما ما يفعله الإنسان في الليل والنهار من مصالح دينه ودنياه فعامة ذلك يشرع ذكر اسم الله عليه فيشرع له ذكر اسم الله وحمده على أكله وشربه ولباسه وجماعه لأهله ودخول منزله وخروجه منه ودخول الخلاء وخروجه منه وركوبه دابته ويسمي على ما يذبحه من نسك وغيره ويشرع حمد الله عند عطاسه وعند رؤية أهل البلاء في الدين والدنيا وعند التقاء الإخوان وسؤال بعضهم بعضاً عن حاله وعند تجدد ما يحبه الإنسان من النعم واندفاع ما يكرهه من النقم وأكمل من ذلك أن يحمد الله على السراء والضراء والشدة والرخاء ويحمده على كل حال ويشرع له دعاء الله عند دخول السوق وعند سماع أصوات الديكة بالليل وعند سماع الرعد وعند نزول المطر وعند اشتداد هبوب الرياح وعند رؤية الأهلة وعند رؤية باكورة الثمار ويشرع أيضاً ذكر الله ودعاؤه عند نزول الكرب وحدوث المصائب الدنيوية وعند الخروج للسفر وعند نزول المنازل في السفر وعند الرجوع من السفر ويشرع التعوذ بالله عند الغضب وعند رؤية ما يكره في منامه وعند سماع أصوات الكلاب والحمير بالليل ويشرع استخارة الله عند العزم على ما لا يظهر الخيرة فيه ويجب التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب صغيرها وكبيرها كما قال تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فمن حافظ على ذلك لم يزل لسانه رطباً بذكر الله في كل أحواله

فصل

قد ذكرنا في أول الكتاب أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بجوامع الكلم فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه جوامع الكلم ويختاره على غيره من الذكر كما في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال ما زلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وخرج أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى

حصاة تسبح بها فقال ألا أخبرك بما هو أيسر من هذا أو أفضل سبحان الله عدد ما خلق في السماء وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض
وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك
وخرج أيضا من حديث صفية رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بها فقلت لقد
سبحت بهذه فقال ألا أعلمك بأكثر مما سبحت به فقلت علمني قال قولي سبحان الله عدد خلقه وخرج النسائي وابن حبان
وابن خزيمة في صحيحهما من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو يحرك شفتيه قال ماذا تقول يا أبا أمامة قال أذكر ربي
قال ألا أخبرك بأكثر وأفضل من ذكرك الليل مع النهار والنهار مع الليل أن تقول سبحان الله عدد ما خلق سبحان الله ملء ما خلق سبحان الله عدد ما في
الأرض والسماء سبحان الله ملء ما في الأرض والسماء وسبحان الله عدد ما أحصى في كتابه وسبحان الله عدد كل شيء وسبحان الله ملء كل شيء
وتقول الحمد لله مثل ذلك وخرج البزار نحوه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وخرج ابن أبي الدنيا ما نصه ولأن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لمعاذ يا معاذ كم تذكر ربك كل يوم تذكره كل يوم عشرة آلاف مرة قال كل ذلك أفعل قال أفلا أدلك على كلمات هي أهون عليك من عشرة
آلاف وعشرة آلاف أن تقول لا إله إلا الله عدد ما أحصاه لا إله إلا الله عدد كلماته لا إله إلا الله عدد خلقه لا إله إلا الله زنة عرشه لا إله إلا الله
ملء سماواته لا إله إلا الله ملء أرضه لا إله إلا الله مثل ذلك معه والله أكبر مثل ذلك معه والحمد لله مثل ذلك معه وبإسناده إلى ابن مسعود
رضي الله عنه ذكر له امرأة تسبح بخيوط معقدة فقال ألا أدلك على ما هو خير منه سبحان الله ملء البر والبحر سبحان الله ملء السماوات والأرض
سبحان الله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه فإذا أنت قد ملأت البر والبحر والسماء والأرض وبإسناده عن المعتمر بن سليمان التيمي
قال كان أبي يحدث خمسة أحاديث ثم يقول أمهلوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق وعدد
ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سماواته وملء أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد
خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى وإذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه فيما مضى وعدد ما هم ذاكروه
فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وتنسم وتنفس من أبد الأبد إلى الأبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع
أولاه ولا ينفد أخراه وبإسناده عن المعتمر بن سليمان قال رأيت عبد الملك بن خالد بعد موته فقلت ما صنعت قال خيرا فقلت أترجو للخاطئ
شيئا قال يلتمس علم تسبيحات أبي المعتمر نعم الشيء قال ابن أبي الدنيا وحدثني محمد بن الحسين حدثني بعض البصريين أن يونس بن عبيد رأى رجلا
فيما يرى النائم كان قد أصيب ببلاد الروم فقال ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال قال رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله بمكان وكذلك كان
النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه من الدعاء جوامعه ففي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء
ويدع ما بين ذلك وخرج الفريابي وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة عليك بجوامع الدعاء اللهم
إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم اللهم إني أسألك من الخير ما
سألك منه محمد عبدك ونبيك ورسولك وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من
النار وما قرب إليها من قول أو عمل وأسألك ما قضيت لي من قضاء أن تجعل عاقبته رشدا وخرج الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان
في صحيحه والحاكم وليس عندهم ذكر جوامع الدعاء وعند الحاكم عليك بالكوامل وذكره وخرج أبو بكر الأثرم وعنده أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لها ما منعك أن تأخذي بجوامع الكلم وفواتحه وذكر هذا الدعاء وخرج الترمذي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئا فقلنا يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئا فقال ألا أدلكم على ما
يجمع ذلك كله تقول اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأنت المستعان وعليك البلاغ
ولا حول ولا قوة إلا بالله وخرج الطبراني وغيره من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه اللهم إني أسألك
فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وآخره وظاهره وباطنه وفي المسند أن سعد بن أبي وقاص سمع ابنا له يدعو يقول اللهم إني
أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها ونحوا من هذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها فقال لقد سألت الله خيرا كثيرا وتعوذت به من شر كثير وإني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي هذه الآية ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين وإن بحسبك أن تقول
اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نقول في
الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام على الله السلام على جبريل وميكائيل السلام على فلان وفلان فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إن الله
هو السلام فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فإذا قالها أصابت كل عبد صالح في السماوات والأرض أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم يتخير من المسألة ما شاء وفي المسند عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم فواتح الخير وجوامعه وخواتمه وإنا كنا لا ندري ما نقول في صلاتنا حتى علمنا
فقال قولوا التحيات لله فذكره إلى آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبارك صلاة وسلاما دائمين [illegible]
[illegible] الفقير إلى رحمة ربه الكريم [illegible] عبد الله بن سليمان بن عبد الوهاب عفا الله عنه [illegible] بالمغفرة [illegible]
وقت كتابته صحوة [illegible] من شهر جمادى الآخرة سنة ١١٩[illegible] من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

إن تجد عيبا فسد الخللا ... جل من لا عيب فيه وعلا

غفر الله لمن كان كاتبه ... يا قارئ الخط [illegible]
[illegible]

## سورة براءة مدنية

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين

هذه السورة الكريمة من اخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال البخاري حدثنا ابو الوليد
ثنا شعبة عن ابي اسحق قال سمعت البرا يقول اخر اية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة واخر
سورة نزلت براءة وانما لم يبسمل في اولها لان الصحابة لم يكتبوا البسملة في اولها في
المصحف الامام والاقتداء في ذلك بامير المومنين عثمان كما قال الترمذي باسناده عن ابن عبا
س قلت لعثمان ما حملكم ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين
وقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال
ما حملكم على ذلك فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ياتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور
ذوات العدد فكان اذا نزل عليه شي دعا من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الاية في السورة التي يذ
كر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر القران وكانت
قصتها شبيهة بقصتها وحسبت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها
منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع
الطوال وكذا رواه ابو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق اخر عن عوف
ابن ابي جميلة الاعرابي به وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه واول هذه السورة الكريمة نزل على رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ثم ذكر ان المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم
على عادتهم في ذلك وانهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم فبعث ابا بكر الصديق اميرا
على الحج تلك السنة ليقيم للناس مناسكهم ويعلم المشركين ان لا يحجوا بعد عامهم هذا وان ينادي
في الناس ببراءة فلما قفل اتبعه بعلي ابن ابي طالب ليكون مبلغا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه
عصبة له كما سياتي بيانه فقوله تعالى براءة من الله ورسوله اي هذه براءة اي تبري من الله ورسو
له الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر اختلف المفسرون هاهنا اختلا
فا كثيرا فقال قايلون هذه الاية لذوي العهود المطلقة غير الموقتة او له عهد دون اربعة اشهر فيكمل
اربعة اشهر فاما من كان له عهد موقت فاجله الى مدته مهما كان لقوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
ان الله يحب المتقين ولما سياتي في الحديث من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مد
ته وهذا احسن الاقوال واقواها وقد اختاره ابن جرير رحمه الله وقد روي عن الكلبي ومحمد ابن كعب و
غير واحد وقد روى علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله براءة من الله ورسوله الاية قال حد الله للذين عا
هدوا رسوله اربعة اشهر يسيحون فيها حيث شاوا واجل من ليس له عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يو
م النحر الى انسلاخ المحرم خمسين ليلة فاذا انسلخ الاشهر الحرم امره ان يضع السيف فيمن عاهد
وكذا رواه العوفي عن ابن عباس وقال بعد قوله فذلك خمسون ليلة فامر الله نبيه اذا انسلخ المحرم

بان يضع السيف فيمن كان بينه وبينهم عهد يقتلهم حتى يدخلوا في الاسلام وامر بمن كان له عهد اذا
انسلخ اربعة اشهر من يوم النحر الى عشر يخلون من ربيع الاخر ان يضع السيف حتى يدخلوا في الاسلام
وقال ابو معشر المدني حدثنا محمد بن كعب وغيره قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر اميرا على المو
سم سنة تسع وبعث علي بن ابي طالب بثلاثين او اربعين اية من براءة فقراها على الناس يؤجل المشركين
اربعة اشهر يسيحون في الارض فقرا عليهم يوم عرفة اجل المشركين عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر
ربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وقراها عليهم في منازلهم وقال لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوف با
لبيت عريان وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد براءة من الله ورسوله الى اهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد
وغيرهم فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ فاراد الحج ثم قال انما يحضر المشركون فيطوفون
عراة فلا احب ان احج حتى لا يكون ذلك فارسل ابا بكر وعليا فطافا في الناس في ذي المجاز وبامكنتهم التي
كانوا يتبايعون فيها بالمواسم كلها فاذنوا اصحاب العهد بان يامنوا اربعة اشهر فهي الاشهر المتواليا
ت عشرون من ذي الحجة الى عشر يخلون من ربيع الاخر ثم لا عهد لهم واذن الناس كلهم بالقتال الا ان يو
منوا وهكذا روي عن السدي وقتادة وقال الزهري كان ابتداء التاجيل من شوال واخره انسلاخ المحرم وهذا
القول غريب وكيف يحاسبون على مدة لم يبلغهم حكمها وانما ظهر لهم امرها يوم النحر حين نادى اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك ولهذا قال تعالى وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من
المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر
الذين كفروا بعذاب أليم يقول تعالى واعلام من الله ورسوله وتقدم وانذار الى الناس يوم
الحج الاكبر وهو يوم النحر الذي هو افضل ايام المناسك واظهرها واكبرها جمعا ان الله بريء من المشر
كين ورسوله اي بريء منهم ايضا ثم دعاهم الى التوبة اليه فقال فان تبتم اي مما انتم فيه من الشرك
والضلال فهو خير لكم وان توليتم اي استمررتم على ما انتم عليه فاعلموا انكم غير معجزي الله بل هو قادر عليكم
وانتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته وبشر الذين كفروا بعذاب اليم اي في الدنيا بالخزي والنكال وفي الا
خرة بالمقامع والاغلال قال البخاري رحمه الله حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثني عقيل عن
ابن شهاب قال اخبرني حميد بن عبد الرحمن ان ابا هريرة قال بعثني ابو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة
في المؤذنين يؤذنون بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال حميد ثم اردف
النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا علي في
اهل منى يوم النحر ببراءة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ورواه البخاري ايضا
حدثنا ابو اليمان انبانا شعيب عن الزهري اخبرني حميد ان عبد الرحمن ان ابا هريرة قال بعثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
ويوم الحج الاكبر يوم النحر وانما قيل الاكبر من اجل قول الناس الحج الاصغر فنبذ ابو بكر الى الناس
في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرك وهذا لفظ البخاري
في كتاب الجهاد وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب في قوله براءة من الله ورسوله قال
لما كان النبي صلى الله عليه وسلم زمن حنين اعتمر من الجعرانة ثم امر ابا بكر على تلك الحجة قال معمر قال الزهري

وكان

ابو هريرة يحدث ان ابا بكر امره ان يؤذن ببراءة ثم اتبعنا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وامره ان يؤذن ببرا
ءة وابو بكر على الموسم كما هو وقال على هيئته وهذا السياق فيه غرابة من جهة ان امير الحج كان سنة الجعرانة
انما هو عتاب بن اسيد فاما ابو بكر فانما كان اميرا سنة تسع وقال احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن
مغيرة عن الشعبي عن محرز عن ابي هريرة عن ابيه قال كنت مع علي بن ابي طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اهل مكة ببراءة فقال ما كنتم تنادون قال كنا ننادي انه لا يدخل الجنة الا مؤمن ولا يطوف بالبيت
عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فان اجله ومدته الى اربعة اشهر فاذا مضت
الاربعة الاشهر فان الله بريء من المشركين ورسوله ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك قال فكنت انا
دي حتى صحل صوتي وقال الشعبي حدثني محرز عن ابي هريرة عن ابيه قال كنت مع علي بن ابي طالب حين
بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادي فكان اذا صحل ناديت فقلت باي شيء كنتم تنادون قال باربع لا
يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهده الى مدته ولا يدخل الجنة الا
نفس مؤمنة ولا يحج بعد عامنا مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ورواه ابن جرير من غير ما وجه عن
الشعبي ورواه شعبة بنحوه الا انه قال ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته ثم
الى اربعة اشهر وذكر تمامه قال ابن جرير واخشى ان يكون وهما من بعض نقلته لان الاخبار متظافرة بالاجل
بخلافه وقال الامام احمد حدثنا عفان ابن سماك عن انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببراءة مع
ابي بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال لا يبلغها الا انا او رجل من اهل بيتي فبعث بها علي بن ابي طالب ورواه الترمذي في
التفسير عن بندار عن عفان وعن عبد الصمد كلاهما عن حماد بن سلمة وقال حسن غريب من حديث انس رضي
الله عنه وقال عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنا محمد بن سليمان حدثنا محمد بن جابر عن سماك عن حنش عن علي
قال لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم عشر ايات من براءة دعا النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر فبعثه بها ليقراها على اهل
مكة ثم دعاني فقال ادرك ابا بكر فحيث ما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب الى اهل مكة فاقراه عليهم فلحقته بالجحفة
فاخذت الكتاب منه ورجع ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله نزل في شيء قال لا ولكن جبريل
جاءني وقال لن يؤدي عنك الا انت او رجل منك وهذا اسناد فيه ضعف وليس المراد ان ابا بكر رجع من فوره
بل بعد قضائه المناسك التي امره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء مبينا في الرواية الاخرى وقال ايضا عبد الله
باسناده عن حنش عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه ببراءة قال يا رسول الله اني لست باللسن
ولا بالخطيب قال ما بد لي ان اذهب بها انا او تذهب بها انت قال فان كان ولا بد فساذهب انا قال انطلق فان الله يثبت لسانك ويهدي قلبك قال ثم
وضع يده على فيه وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابي اسحق عن زيد بن يثيع سالنا عليا باي شيء بعثت
يعني يوم بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر في الحجة قال بعثت باربع لا يدخل
الجنة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد
فعهده الى مدته ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا رواه الترمذي عن ثلاثة عن سفيان بن
عيينة به وقال حسن صحيح قال ورواه شعبة عن ابي اسحق فقال عن زيد بن اثيل وفيه وهم

[illegible]

رجل من همدان ع

ورواه الثوري عن ابي اسحق عن بعض اصحابه عن علي وقال ابن جرير باسناده عن زيد ابن يثيع عن
علي قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزلت براءة باربع لا يطوف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد
الحرام مشرك بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ولا يدخل الجنة
الا نفس مؤمنة وقال اسرائيل عن ابي اسحق عن زيد ابن يثيع قال نزلت براءة فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابا بكر ثم ارسل عليا فاخذها منه فلما رجع ابو بكر قال هل نزل في شيء قال لا ولكن امرت ان
ابلغها انا او رجل من اهل بيتي فانطلق الى مكة فقام فيهم باربع ان لا يدخل مكة مشرك بعد عامهم هذا
ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد فعهده الى مدته ثم رواه ابن جرير عن محمد ابن عبد الاعلى عن ابن ثور وعن ابي اسحق عن الحارث عن
علي قال امرت باربع فذكره وقال محمد ابن اسحق عن حكيم ابن حكيم عن عباد ابن حنيف عن ابي جعفر محمد ابن علي
ابن الحسين ابن علي قال نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث ابا بكر ليقيم الحج للناس فقيل يا
رسول الله لو بعثت الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل من اهل بيتي ثم دعا عليا فقال اخرج بهذه القصة من
سورة براءة واذن في الناس اذا اجتمعوا بمنى يوم النحر انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا
يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له الى مدته فخرج علي ابن ابي
طالب على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى ادرك ابا بكر بالطريق فلما راه ابو بكر قال
امير او مامور قال بل مامور ثم مضيا فاقام ابو بكر للناس الحج اذ ذاك في تلك السنة على منازل
لهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام علي ابن ابي طالب فاذن في الناس بالذي
امره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا
يطف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الى مدته فلم يحج بعد ذلك العام من
مشرك ولا يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان هذا من براءة فيمن كان
من اهل العهد الى مدته فلم يحج بعد ذلك واهل المدة الى اجل مسمى قال ابن جرير حدثنا محمد ابن عبد الله
ابن عبد الحكم انبانا ابو زرعة وهب الله ابن راشد انبانا حيوة ابن شريح انبانا ابو صخر انه سمع معاوية البجلي من
اهل الكوفة يقول سمعت ابا الصهباء البكري وهو يقول سالت علي ابن ابي طالب عن يوم الحج الاكبر
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر يقيم للناس الحج وبعثني معه باربعين اية من براءة حتى
اتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته التفت الي فقال قم يا علي فاد رسالة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقمت فقرات عليهم اربعين اية من براءة ثم صدرنا فاتينا منى فرميت الجمرة و
نحرت البدنة ثم حلقت راسي وعلمت ان اهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة ابي بكر يوم عرفة فطفت
اتتبع الفساطيط اقراها عليهم فمن ثم اخال حسبتم انه يوم النحر الا وهو يوم عرفة وقال عبد الرزاق
عن معمر عن ابي اسحق سالت ابا جحيفة عن يوم الحج الاكبر قال يوم عرفة فقلت امن عندك ام من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ذلك وقال عبد الرزاق ايضا عن ابن جريج عن عطا قال يوم
الحج الاكبر يوم عرفة وقال عمر ابن الوليد حدثنا ابن عباد القصري عن ابيه قال سمعت عمر ابن ه شهاب
الخطاب يقول يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر فلا يصومنه احد فاتيت المدينة فسالت
من



من افضل اهلها فقالوا سعيد ابن المسيب فاتيته فقلت اني سالت عن افضل اهل المدينة فقالوا
سعيد ابن المسيب فاخبرني عن صوم يوم عرفة فقال اخبرك عمن هو افضل مني مائة ضعف عمر او ابن عمر
كان ينهى عن صومه ويقول هو يوم الحج الاكبر رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وهكذا روي عن ابن عباس
وابن الزبير ومجاهد وغيرهم انهم قالوا يوم عرفة يوم الحج الاكبر وقد ورد فيه حديث مرسل رواه ابن جريج
اخبرت عن محمد ابن قيس ابن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال هذا يوم الحج الاكبر
وروي من وجه اخر عن المسور ابن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خطبهم بعرفة فحمد الله واثنى عليه
ثم قال اما بعد فان هذا هو يوم الحج الاكبر والقول الثاني انه يوم النحر قال هشيم عن اسماعيل ابن
خالد عن الشعبي عن علي قال يوم الحج الاكبر يوم النحر وقال ابو اسحق السبيعي عن الحارث الاعور سالت
عليا عن يوم الحج الاكبر فقال هو يوم النحر وقال شعبة عن الحكم سمعت يحيى ابن الجزار يحدث عن علي انه
خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبانة فجاء رجل بلجام دابته فساله عن يوم الحج الاكبر فقال يومك فاخذ
هذا خل سبيلها وقال عبد الرزاق عن سفيان عن شعبة عن عبد الملك ابن عمير عن عبد الله ابن ابي اوفى
انه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر واختاره ابن جرير وروي عن شعبة وغيره عن عبد الملك ابن عمير به نحوه وكذا
رواه هشيم وغيره عن الشيباني عن عبد الله ابن ابي اوفى وقال الاعمش عن عبد الله ابن سنان قال خطبنا
المغيرة ابن شعبة يوم الاضحى على بعير فقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر وقال حماد
ابن سلمة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس انه قال الحج الاكبر يوم النحر وكذا روي عن ابي جحيفة وسعيد ابن
جبير وعبد الله ابن شداد ابن الهاد ونافع ابن جبير ابن مطعم والشعبي وابراهيم النخعي ومجاهد وعكرمة
وابي جعفر الباقر والزهري وعبد الرحمن ابن زيد ابن اسلم انهم قالوا يوم الحج الاكبر يوم النحر واختاره ابن جرير
وقد تقدم الحديث عن ابي هريرة في صحيح البخاري ان ابا بكر بعثهم يؤذنون بمنى وقد ورد في ذلك احاديث
اخر كما قال الامام ابو جعفر ابن جرير حدثنا سهل ابن محمد الحساني ابو جابر الحربي حدثنا هشام ابن الغا
ز عن نافع عن ابن عمر قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يو
م الحج الاكبر وهكذا رواه ابن ابي حاتم وابن مردويه من حديث ابي جابر ورواه ابن مردويه ايضا من حديث رواه
الوليد ابن مسلم عن هشام ابن الغاز به ثم رواه من حديث سعيد ابن عبد العزيز عن نافع به وقال شعبة
عن عمرو ابن مرة عن مرة الهمداني عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ناقة حمراء مخضرمة فقال اتدرون اي يوم يومكم هذا قالوا يوم النحر قال صدقتم يوم الحج الاكبر وقال ابن جرير باسناده الاكبر
عن ابن عبد الرحمن ابن ابي بكرة عن ابيه قال لما كان يوم قعد على بعير له واخذ الناس بخطامه او زمامه فقال اي
يوم هذا فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه سوى اسمه فقال اليس هذا يوم الحج الاكبر وهذا اسناد صحيح واصله مخر
ج في الصحيح وقال ابو الاحوص عن شبيب ابن غرقدة عن سليمان ابن عمرو ابن الاحوص عن ابيه قال سمعت رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال اي يوم هذا فقالوا يوم الحج الاكبر وعن سعيد ابن المسيب انه قال يو
م الحج الاكبر اليوم الثاني من يوم النحر رواه ابن ابي حاتم وقال مجاهد ايضا يوم الحج الاكبر ايام الحج كلها
وكذا قال ابو عبيد وقال سفيان يوم الحج الاكبر يوم الجمل ويوم صفين اي ايامه كلها وقال سهل السراج
سئل الحسن عن يوم الحج الاكبر فقال ما لكم وللحج الاكبر ذاك عام حج فيه ابو بكر الذي استخلفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحج بالناس رواه ابن ابي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابو اسامة عن ابن

عيد النحر

يعني
عن ابن عون قال سألت محمد ابن سيرين عن يوم الحج الاكبر فقال يوم كان وافق فيه حج رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحج اهل الوبر الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم
احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين هذا استثناء من ضرب مدة التاجيل
باربعة اشهر لمن له عهد مطلق ليس بموقت فاجله اربعة اشهر يسيح في الارض يذهب فيها
لينجو بنفسه حيث شاء الا من له عهد موقت فاجله الى مدته المضروبة التي عوهد عليها وقد تقدمت
من الاحاديث ومن كان له عهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهده الى مدته وذلك بشرط ان لا
ينقض المعاهد عهده ولا يظاهر على المسلمين احدا اي يمالي عليهم من سواهم فهذا الذي يوفى له بذمته و
عهده الى مدته ولهذا حرض تعالى على الوفا بذلك فقال ان الله يحب المتقين اي الموفين بعهدهم
فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم
كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم
اختلف المفسرون في المراد بالاشهر الحرم هاهنا على ما هي فذهب ابن جرير الى انها الاربعة المذكورة
في قوله منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم الاية قاله ابو جعفر الباقر لكن قال ابن جرير اخر
الاشهر الحرم في حقهم المحرم وهذا الذي حكاه علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس واليه ذهب الضحاك
ايضا وفيه نظر والذي يظهر من حيث السياق ما ذهب اليه ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه
قال مجاهد وعمرو ابن شعيب ومحمد ابن اسحق وعبد الرحمن ابن زيد ابن اسلم وقتادة والسدي ان
المراد بها الاشهر الاربعة المنصوص عليها في قوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر ثم قال فاذا
انسلخ الاشهر الحرم اي اذا انقضت الاشهر التي حرمنا عليكم فيها قتالهم فحيث ما وجدتموهم فا
قتلوهم لان عود العهد على مذكور اولى من مقدر ثم الاشهر الاربعة المحرمة سياتي بيان حكمها
في الاية الاخرى بعد هذا في السورة الكريمة وقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم اي من الا
رض وهذا عام والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وقوله وخذوهم اي واسروهم ان شئتم قتلا وان
شئتم اسرا وقوله واحصروهم اي لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم بل اقصدوهم بالحصار في
معاقلهم وحصونهم والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم الى
القتل او الاسلام ولهذا قال فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم
ولهذا اعتمد الصديق رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة على هذه الاية الكريمة وامثالها حيث حرمت
قتالهم بشرط هذه الافعال وهي الدخول في الاسلام والقيام باداء واجباته ونبه باعلاها على ادناها
فان اشرف اركان الاسلام بعد الشهادة الصلاة التي هي حق الله عز وجل وبعدها اداء الزكاة الذي
منفع متعدي الى الفقرا والمحاويج وهي اشرف الافعال المتعلقة بالمخلوقين ولهذا كثيرا ما يقرن
الله بين الصلاة والزكاة وقد جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وقال ابو اسحق
السبيعي عن ابي عبيدة عن عبد الله ابن مسعود قال امرتم باقام الصلاة وايتاء الزكاة ومن لم يزك

المعاهد

تخصيص

فلا صلاة له



فلا صلاة له وقال عبد الرحمن ابن زيد ابن اسلم ابى الله ان يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله ابا
بكر ما كان افقهه وقال الامام احمد حدثنا علي ابن اسحق انبانا عبد الله ابن المبارك انبانا حميد الطو
يل عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمد
رسول الله فاذا شهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واستقبلوا قبلتنا واكلوا ذبيحتنا و
صلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماوهم الا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ورواه البخاري في
صحيحه واهل السنن الا ابن ماجه من حديث عبد الله ابن المبارك وقال ابن جرير باسناده عن الربيع
ابن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا
يشرك به فارقها والله عنه راض قال وقال انس هو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم
قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهوا وتصديق ذلك في كتاب الله من اخر ما نزل في كتاب الله
قال الله تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال فتوبتهم خلع الاوثان وعبادة
ربهم واقاموا الصلاة واتوا الزكاة ثم قال في اية اخرى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فا
خوانكم في الدين ورواه ابن مردويه ورواه محمد ابن نصر في كتاب الصلاة باسناده عن ابي جعفر الرا
زي به سوى وهذه الاية الكريمة هي اية السيف التي قال فيها الضحاك ابن مزاحم انها نسخت كل عهد
بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وكل عهد وكل مدة وقال العوفي عن ابن عباس لم يبق لاحد
من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة وانسلاخ الاشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين
قبل ان تنزل براءة اربعة اشهر من يوم اذن ببراءة الى عشر من اول شهر ربيع الاخر وقال علي ابن ابي طلحة عن
ابن عباس في هذه الاية قال امره الله ان يضع السيف فيمن عاهد ان لم يدخلوا في الاسلام ونقض ما كان سمي لهم
من العهد والميثاق واذهب الشرط الاول وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا اسحق ابن موسى الانصاري قال
قال سفيان ابن عيينة قال علي ابن ابي طالب بعث النبي صلى الله عليه وسلم باربعة اسياف سيف في المشركين من العرب
قال الله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم هكذا رواه مختصرا واظن السيف الثاني هو قتال اهل
الكتاب في قوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله وهم صاغرون والثالث قتال
المنافقين في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين والرابع قتال الباغين في قوله وان طا
يفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الى قوله حتى تفيء الى امر الله ثم اختلف المفسرون
في اية السيف هذه فقال الضحاك والسدي منسوخة بقوله فاما منا بعد واما فداء وقال قتادة با
لعكس وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم
لا يعلمون يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه وان احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم واحللت
لك استباحة نفوسهم واموالهم استجارك اي استامنك فاجبه الى طلبته حتى يسمع كلام الله اي القر
ان تقراه عليه وتذكر له شيئا من امر الدين تقيم به عليه الحجة ثم ابلغه مامنه اي وهو امن مستمر الامان حتى
يرجع الى بلاده وداره ومامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي انما شرعنا امان مثل هولاء ليعلموا دين الله وتنتشر
دعوة الله في عباده قال ابن ابي نجيح عن مجاهد في تفسير هذه الاية قال انسان ياتيك فيسمع ما تقول وما انزل
عليك فهو امن حتى ياتيك فيسمع كلام الله وحتى يبلغ مامنه حيث جاء ومن هذا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعطي الامان لمن جاء مسترشدا وفي رسالة كما جاء يوم الحديبية جماعة منهم عروة ابن مسعود

واموالهم

واتوا

وسهل ابن عمرو وغيرهم واحدا بعد واحد يترددون في القضية بينه وبين المشركين فرأوا من اعظام المسلمين هدون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر فرجعوا الى قومهم فاخبروهم
بذلك وكان ذلك وامثاله من اكبر اسباب هداية اكثرهم ولهذا لما قدم رسول مسيلمة الكذاب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتشهد ان مسيلمة رسول الله قال نعم قال لولا ان الرسل لا تقتل لضربت عنقك وقد
قضى الله له ضرب العنق في امارة ابن مسعود على الكوفة وكان يقال له ابن النواحة ظهر عنه انه يشهد
لمسيلمة بالرسالة فارسل اليه ابن مسعود فقال انك الان لست في رسالة فامر به فضرب عنقه والغرض
ان من قدم من دار الحرب الى دار الاسلام في اداء رسالة او تجارة او طلب صلح او مهادنة او حمل جزية
او نحو ذلك من الاسباب فطلب من الامام او نائبه امانا اعطي امانا ما دام مترددا في دار الاسلام حتى يرجع الى
مامنه ووطنه لكن قال العلماء لا يجوز ان يمكن من الاقامة في دار الاسلام سنة ويجوز ان يمكن من الاقامة ار
بعة اشهر وفيما بين ذلك فيما زاد على اربعة اشهر ونقص عن سنة قولان للامام الشافعي وغيره من العلماء رحمهم الله
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فا
ستقيموا لهم ان الله يحب المتقين يبين تعالى حكمته في البراءة من المشركين فقال تعالى كيف يكون للمشركين
عهد عند الله وامان ويتركون فيما هم فيه وهم مشركون بالله كافرون به وبرسوله وقوله عند المسجد الحرام
يعني يوم الحديبية كما قال تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله
الاية فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب اي مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم
من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون استمر العقد والهدنة مع اهل مكة من ذي القعدة في سنة ست الى ان نقضت قريش العهد
ومالؤوا حلفاءهم بني بكر على خزاعة احلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم معهم في الحرم ايضا فعند ذلك
غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلد الحرام ومكنه من نواصيهم ولله
الحمد والمنة واطلق من اسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسموا الطلقاء وكانوا قريبا من الفين ومن استمر
على كفره وفر من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بعث بالامان والتسيير في الارض اربعة اشهر فذهب حيث شاء منهم
صفوان ابن امية وعكرمة ابن ابي جهل وغيرهما ثم هداهم الله بعد ذلك للاسلام التام والله المحمود على جميع
ما يقدره ويفعله كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم
واكثرهم فاسقون اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في
مومن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون يقول تعالى محرضا للمومنين على معاداة المشركين والتبري منهم
ومبينا لهم انهم لا يستحقون ان يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالى وكفرهم برسوله صلى الله عليه وسلم وانهم لو ظهروا على
المسلمين وادیلوا لم يبقوا ولم يذروا ولا راقبوا فيهم الا ولا ذمة قال علي ابن ابي طلحة وعكرمة والعوفي عن ابن
عباس الال القرابة والذمة العهد وكذا قال الضحاك والسدي كما قال تميم ابن مقبل: افسد الناس خلوف خلفوا العهد
قطعوا الال واعراق الرحم. وقال حسان ابن ثابت رضي الله عنه: وجدناهم كاذبا الهم وذو الال والعهد لا والهم
يكذب. وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد الال الله وفي رواية لا يرقبون الله ولا غيره وقال ابن جرير حدثني يعقوب
حدثنا ابن علية عن سليمان عن ابي مجلز لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة قال مثل قوله جبرئيل وميكائيل و
اسرافيل كانه يقول لا يرقبون الله والاول اشهر واظهر وعليه الاكثر وعن مجاهد ايضا الال العهد وقال قتادة
الال الحلف اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مومن
الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ونفصل
الايات



الايات لقوم يعلمون يقول تعالى ذما للمشركين وحثا للمومنين على قتالهم اشتروا بايات الله ثمنا قليلا
يعني انهم اعتاضوا عن اتباع ايات الله بما التهوا به من امور الدنيا الخسيسة فصدوا عن سبيله اي منعوا
المومنين من اتباع الحق انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة الاية تقدم تفسيره وكذا الاية
التي بعدها فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة الى اخرها تقدم مثله وقال الحافظ ابو بكر البزار باسناده
عن الربيع ابن انس قال سمعت انس ابن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الا
خلاص لله وعبادته وحده لا شريك له واقام الصلاة وايتاء الزكاة فارقها والله عنه راض وهو دين الله
الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك في كتاب الله
فان تابوا يقول فان خلعوا الاوثان وعبادتها واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين
قال البزار اخر الحديث عندي والله اعلم فارقها وهو عنه راض وباقيه عندي من كلام الربيع وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون يقول تعالى
وان نكث هولاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة ايمانهم اي عهودهم ومواثيقهم وطعنوا
في دينكم اي عابوه وتنقصوه ومن ههنا اخذ من قتل من سب الرسول او من طعن في دين الاسلام او ذ
كره بتنقيص ولهذا قال فقاتلوا ائمة الكفر الاية لعلهم يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال و
قد قال قتادة وغيره ائمة الكفر كابي جهل وعتبة وشيبة وامية ابن خلف وعدد رجالا وعن مصعب ابن سعد
ابن ابي وقاص قال مر سعد برجل من الخوارج فقال الخارجي هذا من ائمة الكفر رواه ابن مردويه وقال
الاعمش عن زيد ابن وهب عن حذيفة انه قال ما قوتل اهل هذه الاية بعد وروي عن علي ابن ابي طالب مثله
والصحيح ان الاية عامة وان كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم والله اعلم وقال الو
ليد ابن مسلم حدثنا صفوان ابن عمرو عن عبد الرحمن ابن جبير ابن نفير انه كان في عهد ابي بكر رضي الله عنه الى النا وجههم
س حين وجههم الى الشام فقال انكم ستجدون قوما محوقة رووسهم فاضربوا معاقد الشيطان منهم بالسيو
ف فوالله لان اقتل رجلا منهم احب الي من ان اقتل سبعين من غيرهم وذلك بان الله يقول فقاتلوا ائمة الكفر
رواه ابن ابي حاتم الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم اول مرة اتخشونهم
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور
قوم مومنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم وهذا ايضا تهييج و
تحضيض واغراء على قتال المشركين الناكثين لايمانهم الذين هموا باخراج الرسول من مكة كما قا
ل تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى قوله والله خير الماكرين وقال تعالى يخرجون الرسول واياكم
الاية وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الاية وقوله وهم بدؤوكم اول مرة
المراد بذلك يوم بدر حين خرجوا لنصر عيرهم فلما نجت وعلموا بذلك استمروا على وجههم طلبا للقتال
بغيا وتكبرا كما تقدم بسط ذلك وقيل المراد نقضهم العهد وقتالهم مع حلفائهم بني بكر لخزاعة احلاف رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم حتى سار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وكان ما كان ولله الحمد وقوله
اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين يقول تعالى لا تخشوهم واخشون فانا اهل ان يخشى العبا
د من سطوتي وعقوبتي فبيدي الامر ما شئت كان وما لم اشا لم يكن ثم قال تعالى عزيمة على المومنين و
بيانا لحكمته فيما شرع لهم من الجهاد مع قدرته على اهلاك الاعداء بامر من عنده قاتلوهم يعذبهم الله بايد
يكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين وهذا عام في المومنين كلهم وقال مجاهد و

وقوله اشتروا بايات الله ثمنا قليلا
الاية يعني انهم اعتاضوا عن اتباع ايات الله بما التهوا
به من امور الدنيا فصدوا عن سبيله
عن اتباع الحق

وعكرمة والسدي في هذه الاية ويشف صدور قوم مومنين يعني خزاعة واعاد الضمير في قوله و
يذهب غيظ قلوبهم عليهم ايضا ويتوب الله على من يشاء والله عليم بما يصلح عباده حكيم في اقواله
وافعاله الكونية والشرعية فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو العادل الحاكم الذي لا يجور ابدا ولا
يضيع مثقال ذرة من خير وشر بل يجازي عليه في الدنيا والاخرة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة والله خبير بما تعملون
يقول تعالى ام حسبتم ان نهملكم ايها المومنون ان نترككم مهملين لا نختبركم بامور يظهر فيها اهل
العزم الصادق من الكاذب ولهذا قال ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله و
لا رسوله ولا المومنين وليجة اي بطانة ودخيلة بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ورسوله واكتفى
باحد القسمين عن الاخر كما قال الشاعر وما ادري اذا يممت ارضا اريد الخير ايهما يليني و
قد قال الله تعالى في اية اخرى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا الى قوله وليعلمن الكاذبين و
قال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقال تعالى ما كان الله
ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الاية والحاصل ان الله تعالى لما شرع الجهاد
لعباده بين ان له فيه حكمة وهو اختبار عبيده من يطيعه ممن يعصيه وهو العالم بما كان وما يكون ما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكو
نوا من المهتدين يقول تعالى ما ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له
ومن قرا مسجد الله فاراد به المسجد الحرام اشرف المساجد في الارض الذي بني من اول يوم على عبادة الله وحده
لا شريك له هذا وهم شاهدون على انفسهم بالكفر اي بحالهم وقالهم كما قال السدي لو سالت النصراني ما دينك
قال نصراني ولو سالت اليهودي ما دينك قال يهودي ولو سالت الصابي لقال صابي والمشرك لقال مشر
ك اولئك حبطت اعمالهم اي بشركهم وفي النار هم خالدون كما قال تعالى وما كانوا اولياءه ان اولياؤه
الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون ولهذا قال تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر فشهد تعالى
بالايمان لعمار المساجد كما قال الامام احمد باسناده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليو
م الاخر ورواه الترمذي وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله ابن وهب به وقال عبد ابن حميد
في مسنده باسناده عن النبي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار المساجد هم اهل الله رواه البزار عن عبد
الواحد ابن غياث عن صالح المري عن ثابت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار المساجد هم اهل الله ورواه
الدار قطني باسناده عن النبي مرفوعا اذا اراد الله بقوم عاهة نظر الى اهل المساجد فصرف عنهم وروى الحافظ ابو
في المستقصى بسنده الى النبي مرفوعا يقول الله وعزتي وجلالي اني لاهم باهل الارض عذابا فاذا نظرت الى عمار بيو
تي والمتحابين في والمستغفرين بالاسحار صرفت ذلك عنهم وقال الامام احمد حدثنا روح باسناده الى معا
ذ ابن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ياخذ الشاة القا
صية والناحية واياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابي
اسحق عن عمرو ابن ميمون الاودي قال ادركت اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يقولون ان المساجد بيوت الله
في الارض وانه حق على الله ان يكرم من زاره فيها وقال المسعودي عن حبيب ابن ابي ثابت وعدي ابن ثابت
عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس انه سمع النداء بالصلاة ثم لم يجب ويأتي المسجد ويصلي فلا صلاة له وقد
قال

عصى الله



عصى الله ورسوله قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر الاية رواه ابن مردويه وقد
روي من وجه اخر موقوفا وله شواهد من وجوه اخر ليس هذا موضع بسطها وقوله واقام الصلاة
اي التي هي اكبر عبادات البدن واتى الزكاة التي هي افضل الاعمال المتعدية الى بر الخلائق ولم يخش الا الله اي
ولم يخف الا الله تعالى ولم يخش سواه فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين قال علي ابن ابي طلحة عن
ابن عباس في قوله انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر يقول من وحد الله وامن باليوم الا
خر يقول بما انزل الله واقام الصلاة يعني الصلوات الخمس ولم يخش الا الله لم يعبد الا الله ثم قال
فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين يقول ان اولئك هم المفلحون كقوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا وهي الشفاعة وكل عسى من الله واجبة قال ابن اسحق وعسى من الله حق
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون
عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم و
انفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها
نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم قال العوفي عن ابن عباس قال ان المشركين قالوا
عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن امن وجاهد وكانوا يفتخرون بالحرم ويستكبرون
به من اجل انهم اهله وعماره فذكر الله استكبارهم واعراضهم فقال لاهل الحرم من المشركين قد
كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعني انهم كانوا يستكبرو
ن بالحرم يعني انهم قال به سامرا كانوا يسمرون به ويهجرون القران والنبي صلى الله عليه وسلم فخير الايما
ن والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم
عند الله مع الشرك به وان كانوا يعمرون بيته ويخدمونه قال الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظا
لمين يعني الذين زعموا انهم اهل العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئا وقال علي
ابن ابي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الاية نزلت في العباس ابن عبد المطلب حين اسر ببدر قال
لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي ونفك العاني قال
الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني ان ذلك كان في الشرك
ولا اقبل ما كان في الشرك وقال الضحاك اقبل المسلمون على العباس واصحابه الذين اسروا ببدر يعيرو
نهم بالشرك فقال العباس اما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي
الحاج فانزل الله اجعلتم سقاية الحاج الاية وقال عبد الرزاق انبانا ابن عيينة عن اسماعيل عن
الشعبي قال نزلت في علي والعباس رضي الله عنهما تكلما في ذلك وقال ابن جرير باسناده عن ابي صخر قال
سمعت محمد ابن كعب القرظي يقول افتخر طلحة فقال انا صاحب البيت معي مفتاحه ولو اشاء بت فيه
وقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها ولو اشاء بت في المسجد فقال علي رضي الله
عنه ما ادري ما تقولان لقد صليت ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله عز وجل
اجعلتم سقاية الحاج الاية وهكذا قال السدي الا انه قال افتخر علي والعباس وشيبة ابن عثمان وذ
كر نحوه وقال عبد الرزاق انبانا معمر عن عمرو عن الحسن قال نزلت في علي والعباس وشيبة ابن عثمان
تكلموا في ذلك فقال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا ورواه محمد ابن ثور عن معمر عن الحسن فذكر نحوه الا انه قال ابنا

ابي كثير عن النعمان ابن بشير ان رجلا قال ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج وقال اخر ما ابالي
ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال اخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي
الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم جمعة الجمعة ولكن اذا صلينا
الجمعة دخلنا عليه فنزلت اجعلتم سقاية الحاج الاية الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين كما قال الوليد ابن مسلم حدثني معاوية ابن
سلام عن جده ابي سلام الاسود عن النعمان ابن بشير فذكر نحوه ورواه مسلم في صحيحه وابو داود وابن جرير
وهذا لفظه وابن مردويه وابن ابي حاتم وابن حبان في صحيحه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوا
نكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباؤكم و
ابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن تر
ضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين
امر تعالى بمباينة الكفار وان كانوا اباء او ابناء او اخوان ونهى عن موالاتهم اذا استحبوا اي اختا
روا الكفر على الايمان وتوعد على ذلك كقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله
ورسوله الاية وروى البيهقي من حديث عبد الله ابن شوذب قال جعل ابو ابي عبيدة ... فقتله فانزل الله هذه الاية
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية ثم امر تعالى رسوله ان يتوعد من احب اهله وقرابته و
عشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله فقال قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشير
تكم واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وحصلتموها ومساكن ترضونها اي تحبونها لطيبها و
حسنها اي ان كانت هذه الاشياء احب اليكم من الله ورسوله فتربصوا اي فانتظروا ماذا يحل بكم من
عقابه ونكاله ولهذا قال حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين وقال الامام احمد حدثنا قتيبة
ابن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن زهرة ابن معبد عن جده قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اخذ بيد
عمر ابن الخطاب فقال والله يا رسول الله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا
يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر فانت الان احب الي من نفسي والله فقال الان يا عمر تفرد
باخراجه البخاري وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن احد
كم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وروى الامام احمد وابو داود واللفظ له عن نا
فع ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم
بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم وروى الامام احمد باسنا
ده عن عبد الله ابن عمر نحوه وهذا شاهد للذي قبله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك
على من يشاء والله غفور رحيم قال ابن جريج عن مجاهد هذه اول اية نزلت من سورة براءة يذكر فيها الى المؤمنين
فضله عليهم واحسانه اليهم ونصره اياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ذلك من
عنده تعالى وبتاييده وتقديره لا بعددهم ولا بعددهم ونبههم على ان النصر من عنده سواء قل الجمع و
كثر فان يوم حنين اعجبتهم كثرتهم ومع هذا ما اجدى ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين الا القليل منهم مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم انزل نصره وتاييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا معه كما سنبينه ان
شاء الله تعالى مفصلا ليعلمهم ان النصر من عنده تعالى وحده وان قل الجمع فكم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وروى الامام احمد عن ابن عباس قال قال رسول الله

وجهاد في سبيل

ثنا

هذ



صلى الله عليه وسلم خير الصحابة اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة الاف ولن تغلب
اثنا عشر الفا من قلة وهكذا رواه ابو داود والترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب وقد روي
عن الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وقد رواه ابن ماجه والبيهقي عن اكثم ابن الجون عن
النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه والله اعلم وقد كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من
الهجرة وذلك لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وتمهدت امورها واسلم عامة اهلها
واطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ان هوازن قد جمعوا له ليقاتلوه واميرهم مالك
ابن عوف النصري ومعه ثقيف بكمالها وبنو جشم وبنو سعد ابن بكر وغيرهم وقد اقبلوا معهم النساء
والولدان والشاء والنعم فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيشه الذين جاءوا معه للفتح
وهم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وقبائل العرب ومعه الذين اسلموا من اهل مكة وهم الطلقاء
في الفين ايضا فسار بهم الى العدو فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له حنين وكانت فيه
الوقعة اول النهار في غلس الصبح انحدروا الوادي وقد كمنت فيه هوازن فلما تواجهوا لم
يشعر المسلمون الا بهم قد بادروهم ورشقوهم بالنبال واصلتوا السيوف وحملوا حملة رجل واحد كما
امرهم ملكهم فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين كما قال الله عز وجل وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها الى نحو العدو والعباس عمه اخذ بركابها الايمن وابو سفيا
ن ابن الحارث اخذ بركابها الايسر يثقلانها لئلا يسرع السير وهو ينوه باسمه عليه السلام ويدعو
المسلمين الى الرجعة اين يا عباد الله الي انا رسول الله ويقول في تلك الحال انا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب وثبت معه من اصحابه قريب من مائة ومنهم من قال ثمانون فمنهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما و
العباس وعلي والفضل ابن العباس وابو سفيان ابن الحارث وايمن ابن ام ايمن واسامة ابن
زيد وغيرهم رضي الله عنهم ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس وكان جهير الصوت ان
ينادي باعلا صوته يا اصحاب الشجرة يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعه المهاجرون والانصار تحتها
على ان لا يفروا عنه فجعل ينادي يا اصحاب السمرة وتارة يا اصحاب سورة البقرة فجعلوا يقولون يا لبيك
يا لبيك وانعطف الناس فتراجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره
على الرجوع لبس درعه ثم انحدر عنه وارسله ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اجتمعت شرذمة منهم
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرهم ان يصدقوا الحملة فاخذ قبضة من التراب بعدما دعا ربه واستنصره
وقال اللهم انجز لي ما وعدتني ثم رمى القوم بها فما بقي انسان منهم الا اصابه في عينيه وفمه ما يشغله عن
القتال ثم انهزموا فاتبع المسلمون اقفاءهم يقتلون ويأسرون وما تراجع بقية الناس الا والاسارى مجدلة
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام احمد باسناده عن عبد الرحمن الفهري واسمه يزيد ابن اسيد ويقال
يزيد ابن انيس قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فسطاطه فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله
حان الرواح فقال اجل فقال يا بلال فثار من تحت سمرة كأن ظله ظل طائر فقال لبيك وسعديك وانا فداؤك فقال اسرج
لي فرسي فاخرج سرجا دفتاه من ليف ليس فيهما اشر ولا بطر فركب وركبنا عشينا وليلتنا حتى تنا
منت الخيلان فولى المسلمون مدبرين كما قال الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباد الله انا عبد الله و
رسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب فاخبرني الذي كان ادنى اليه مني انه ضرب به وجوههم وقال شا
هت الوجوه فهزمهم الله عز وجل قال ابو يعلى ابن عطاء فحدثني ابناؤهم عن ابائهم انهم قالوا لم يبق منا

احد الا امتلات عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء الى الارض كامرار الحديد على الطست الجديد
وهكذا رواه البيهقي في دلايل النبوة من حديث ابي داود الطيالسي عن محمد ابن سلمة به وقال محمد ابن اسحق حدثني
عاصم ابن عمر ابن قتادة عن عبد الرحمن ابن جابر عن ابيه جابر ابن عبد الله قال فخرج عليهم مالك ابن عوف بمن معه الى ابن جابر
حنين فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فاعدوا وتهيوا في مضايق الوادي واحنايه واقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت
عليهم وانكفا الناس منهزمين لا يقبل احد على احد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول
يا ايها الناس هلموا الي انا رسول الله انا محمد ابن عبد الله ورجعت الابل بعضها على بعض فلما راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم امر الناس قال يا عباس اصرخ يا معشر الانصار يا اصحاب السمرة
فاجابوا لبيك لبيك فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه
من عنقه وياخذ سيفه وترسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم
مايه فاستقبلوا الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة اول ما كانت بالانصار ثم جعلت اخرا بالخزرج
وكانوا صبرا عند الحرب واشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه فنظر الى مجتلد القوم فقال الان حمي
الوطيس قال فوالله ما راجعة الناس الا والاسارى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ملقون فقتل
الله منهم من قتل وانهزم منهم من انهزم وافاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم اموالهم وابناءهم وفي
الصحيحين من حديث شعبة عن ابي اسحق عن البراء ابن عازب رضي الله عنهما انه قال له رجل يا ابا عمارة افررتم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ان هوازن كانوا قوما
رماة فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فاقبل الناس على الغنايم فاستقبلونا بالسهام فانهزم النا
س فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته وابو سفيان ابن الحارث اخذ بلجام بغلته البيضاء و
هو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب قلت وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة انه في
مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة وليست سريعة الجري بسريعة
والا تصلح الكر ولا الفر ولا الهرب وهو مع هذا ايضا يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه
صلوات الله وسلامه عليه دايما الى يوم الدين وما هذا الا ثقة بالله وتوكلا عليه وعلما بانه سينصره ثقة
ويتم ما ارسله به ويظهر دينه ولهذا قال تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله اي طمانينته وثباته على رسوله وعلى المومنين
اي الذين معه وانزل جنودا لم تروها اي الملايكة كما قال ابن جرير حدثني الحسن ابن عرفة قال حدثني المعتمر
ابن سليمان عن عوف هو ابن ابي جميلة الاعرابي قال سمعت عبد الرحمن مولى ابن برثن حدثني رجل
كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا
حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في اثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا
قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا فكانت اياها وروى البيهقي بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى عنه الناس وبقيت معه في ثمانين رجلا احد
من المهاجرين والانصار فقدمنا ولم نولهم الدبر وهم الذين انزل الله عليهم السكينة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم على بغلته يمضي قدما فحادت بغلته فمال عن السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من
التراب فناولته فضرب به وجوههم فامتلات اعينهم ترابا قال اين المهاجرون والانصار قلت هم هنا اين
قال اهتف بهم فهتفت بهم فجاووا وسيوفهم بايمانهم كانها الشهب وولى المشركون ادبارهم ورواه
احمد في مسنده عن عفان به وقال الوليد ابن مسلم حدثني عبد الله ابن المبارك عن ابي بكر الهذلي عن

عكرمة



عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة ابن عثمان قال لما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قد
عري ذكرت ابي وعمي وقتل علي وحمزة اياهما فقلت اليوم ادرك ثاري منه قال فذهبت لاجيه عن
يمينه فاذا انا بالعباس ابن عبد المطلب قايم عليه درع بيضاء كانها فضة يكشف عنها العجاج
فقلت عمه ولن يخذله قال ثم جيته عن يساره فاذا انا بابي سفيان ابن الحارث ابن عبد المطلب فقلت ابن
عمه ولن يخذله ثم جيته من خلفه فلم يبق الا ان اسوره بالسيف اذ رفع لي شواظ من نار بيني وبينه كانه
برق فخفت ان يمحشني فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى فالتفت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا شيب يا شيب ادن مني اللهم اذهب عنه الشيطان قال فرفعت اليه بصري ولهو احب
الي من سمعي وبصري فقال يا شيب قاتل الكفار رواه البيهقي من حديث الوليد فذكره ثم من حديث ايوب ابن
جابر عن صدقة ابن سعيد عن مصعب ابن شيبة عن ابيه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
والله ما اخرجني الاسلام ولا معرفة به ولكني ابيت ان تظهر هوازن على قريش فقلت وانا واقف معه يا رسو
ل الله اني ارى خيلا بلقا فقال يا شيبة انه لا يراها الا كافر فضرب بيده على صدري قال فالله ما رفع
يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان احد من خلق الله احب الي منه وذكر تمام الحديث في التقاء الناس و
انهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هزم الله المشركين وقال محمد ابن
اسحق حدثني والدي اسحق ابن يسار عمن حدثه عن جبير ابن مطعم قال انا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
حنين والناس يقتتلون اذ نظرت الى مثل البجاد الاسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فا
ذا نمل مبثوث قد ملا الوادي فلم يكن الا هزيمة القوم فما كنا نشك انها الملايكة وقال سعيد ابن السايب ابن يسا
ر عن ابيه قال سمعت يزيد ابن عامر السوائي وكان يوم حنين مع المشركين ثم اسلم بعد فكنا نسال عن الرعب الذي
القاه الله في قلوب المشركين يوم حنين فكان ياخذ الحصاة فيرمي في الطست فيطن فيقول كنا نجد في اجوافنا الفهري
مثل هذا وقد تقدم له شواهد من حديث يزيد ابن اسيد فالله اعلم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم ولهذا قال ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين
وانزل جنودا لم تروها الاية ولهذا قال تعالى ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقد تاب على بقية هوازن
واسلموا وقدموا عليه مسلمين ولحقوه وقد قارب مكة عند الجعرانة وذلك بعد الوقعة بقريب من عشرين يوما هم
فعند ذلك خيرهم بين سبيهم وبين اموالهم فاختاروا سبيهم وكانوا ستة الاف اسير من بين صبي وامراة فرده
عليهم وقسم اموالهم بين الغانمين ونفل اناسا لينالهم وكان ممن اعطي مالك ابن عوف واستعمله عليهم كما
كان مقدمهم فمدحه بقصيدته يقول فيها * ما ان رايت ولا سمعت بمثله * في الناس كلهم بمثل محمد * اوفى واعطى للجزيل اذا
اجتدي * ومتى تشا يخبرك عما في غد * واذا الكتيبة عردت انيابها * بالسمهري وضرب كل مهند * فكانه ليث على اشباله
وسط المباءة خادر في مرصد * يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يومنو
ن بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى
يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون يامر تعالى عباده المومنين بنفي المشركين الذين هم نجس دينا عن المسجد
الحرام وان لا يقربوه بعد نزول هذه الاية وكان نزولها في سنة تسع ولهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
صحبة ابي بكر رضي الله عنهما عامئذ وامره ان ينادي في المشركين ان لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان فاتم الله ذلك وحكم به قدرا وشرعا وقال عبد الرزاق انبانا ابن جريج اخبرني ابو الزبير انه
سمع جابر ابن عبد الله يقول في قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا ان

ان يكون عبدا او احدا من اهل الذمة وقد روي مرفوعا من وجه اخر رواه الامام احمد مرفوعا والموقوف
اصح اسنادا وقال الاوزاعي كتب عمر ابن عبد العزيز ان امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع نهيه (من حول)
قول الله انما المشركون نجس وقال عطاء الحرم كله مسجد لقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا ودلت الاية على نجاسة المشرك كما ورد في الصحيح المؤمن لا ينجس واما نجاسة بدنه فالجمهور على
انه ليس بنجس البدن والذات لان الله تعالى احل طعام اهل الكتاب وذهب بعض الظاهرية الى
نجاسة ابدانهم وقال اشعث عن الحسن من صافحهم فليتوضا رواه ابن جرير وقوله وان خفتم عيلة
فسوف يغنيكم الله من فضله قال ابن اسحق وذلك ان الناس قالوا لتنقطعن عنا الاسواق و
لتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق فنزلت وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله (المرافق)
من فضله من وجه غير ذلك ان شاء الى قوله صاغرون اي هذا عوض ما تخوفتم من قطع تلك الاسواق
فعوضهم الله مما قطع عنهم امر الشرك ما اعطاهم من اعناق اهل الكتاب في الجزية وهكذا روي عن ابن عباس
ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وغيرهم ان الله عليم بما يصلحكم حكيم فيما يامر به وينهى عنه لانه
الكامل في افعاله واقواله العادل في خلقه وامره تبارك وتعالى ولهذا عوضهم عن تلك المكاسب باموال الجزية
التي ياخذونها من اهل الذمة فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية فهم في نفس الا
مر لما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يبق لهم ايمان صحيح باحد من الرسل ولا بما جاءوا به وانما اتبعوا اراءهم
واهواءهم واباءهم فيما هم فيه لا لانه شرع الله ودينه لانهم لو كانوا مؤمنين بما في ايديهم ايمانا صحيحا
لقادهم ذلك الى الايمان بمحمد صلوات الله وسلامه عليه لان جميع الانبياء بشروا به وامروا باتباعه فلما كفروا به وهو اشرف
الرسل علم انهم ليسوا متمسكين بشرع الانبياء الاقدمين لانه من عند الله بل لحظوظهم واهوائهم فلهذا لا ينفعهم
الايمان ببقية الانبياء وقد كفروا بسيدهم وخاتمهم واكملهم ولهذا قال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الاخر الاية وهذه الاية اول الامر بقتال اهل الكتاب بعد ما تمهدت امور المشركين ودخل الناس في دين الله افواجا
واستقامت جزيرة العرب امر الله رسوله بقتال اهل الكتاب ولهذا تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال الروم ودعا
الناس الى ذلك واظهره لهم وبعث الى احياء العرب حول المدينة فندبهم فاوعبوا معه واجتمع من المقاتلة نحو من
ثلاثين الفا وتخلف بعض الناس من المدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم وكان ذلك في جدب ووقت حر
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال الروم فبلغ تبوك فنزل بها نحوا من عشرين يوما ثم استخار في الرجوع فرجع
عامه ذلك لضيق الحال وضعف الناس كما سياتي بيانه ان شاء الله وقد استدل بهذه الاية من يرى انه لا تؤ
خذ الجزية الا من اهل الكتاب ومن اشبههم كالمجوس لما صح فيهم الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذها من مجوس هجر وهذا مذهب الشافعي واحمد في المشهور عنه وقال ابو حنيفة رحمه الله تؤخذ من جميع الا
عاجم سواء كانوا من اهل الكتاب ومن المشركين ولا تؤخذ من العرب الا من اهل الكتاب وقال مالك بل يجوز
ان تضرب الجزية على جميع الكفار من كتابي ومجوسي ووثني وغير ذلك ولماخذ هذه المذاهب واقوالها مكان غير هذا
وقوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون اي ان لم يسلموا عن يد اي عن قهر وغلبة وهم صاغرون اي ذليلون
حقيرون مهانون فلهذا لا يجوز اعزاز اهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين بل هم اذلا اشقيا كما جاء في صحيح مسلم عن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في طريق فاضطروه
الى اضيقه ولهذا اشترط عليهم امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه تلك الشروط المعروفة في اذلالهم و
تصغيرهم وذلك ما رواه الايمة الحفاظ من حديث عبد الرحمن بن غنم الاشعري قال كتبت لعمر ابن الخطاب حين صالح
نصارى من اهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر امير المؤمنين من نصارى مدينة
كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سالناكم الامان لانفسنا وذرارينا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث

في

في مدينتنا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا نحيي منها ما كان
في خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا ان ينزلها احد من المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل
وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاثة ايام نطعمهم ولا نؤوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا
للمسلمين ولا نعلم اولادنا القران ولا نظهر شركا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع احدا من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان
ارادوه وان نوقر المسلمين وان نقوم لهم من مجالسنا ان ارادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم في قلنسوة
ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتني بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا
نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رؤوسنا
وان نلزم زينا حيث ما كنا وان نشد الزنانير على اوساطنا وان لا نظهر الصليب على كنائسنا وان لا نظهر صليبا
ولا كتبا في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب نواقيس في كنائسنا الا ضربا خفيفا وان لا نرفع اصواتنا
بالقراءة في كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج شعانينا ولا باعوثا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا
نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه
سهام المسلمين وان نرشد المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم قال فلما اتيت عمر بالكتاب زاد فيه ولا نضرب
احدا من المسلمين شرطنا لكم ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم
ووظفنا على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما يحل لكم من اهل المعاندة والشقاق وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو
سبحانه عما يشركون وهذا اغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال اليهود والنصارى لمقالتهم هذه المقالة
الشنيعة والفرية على الله فقال تعالى فاما اليهود فقالوا في العزير انه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وذكر السدي
وغيره الشبهة التي حصلت لهم في ذلك ان العمالقة لما تغلبت على بني اسرائيل وقتلوا علماءهم واسروا ابناءهم
وبقي العزير يبكي على بني اسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينيه فبينما هو ذات يوم اذ مر على
جبانة واذا امراة تبكي عند قبر وهي تقول وا مطعماه وا كاسياه فقال لها ويحك من كان يطعمك قبل هذا قالت
الله قال فان الله حي لا يموت قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال الله قالت فلم تبكي عليهم
فعرف انه شيء قد وعظ به ثم قيل له اذهب الى نهر كذا فاغتسل منه وصل هناك ركعتين فانك ستلقى هناك
شيخا فما اطعمك فكله فذهب ففعل ما امر به فاذا شيخ فقال له افتح فمك ففتح فمه فالقى فيه شيئا كهيئة الجمرة
العظيمة ثلاث مرات فرجع عزير وهو اعلم الناس بالتوراة فقال يا بني اسرائيل قد جئتكم بالتوراة فقالوا يا
عزير ما كنت كذابا فعمد فربط على اصبع من اصابعه قلما وكتب التوراة باصبعه فلما تراجع الناس من
عدوهم ورجع العلماء اخبروهم بشان عزير فاستخرجوا النسخ التي كانوا اودعوها في الجبال وقابلوه
بها فوجدوا ما جاء به صحيحا فقال بعض جهلتهم انما صنع هذا لانه ابن الله واما ضلال النصارى
في المسيح فظاهر ولهذا كذب الله الطائفتين فقال ذلك قولهم بافواههم اي لا مستند لهم فيما ادعوه سوى
افترائهم واختلافهم يضاهئون اي يشابهون قول الذين كفروا من قبل اي من قبلهم من الامم ضلوا كما ضلوا
قاتلهم الله قال ابن عباس لعنهم الله انى يؤفكون اي كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويعدلون الى
الباطل وقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم روى الامام احمد
والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي ابن حاتم رضي الله عنه انه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم

فر الى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فاسرت اخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على اخته
واعطاها فرجعت الى اخيها ورغبته في الاسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عدي المدينة وكان
رئيسا في قومه طي وابوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يقرا هذه الاية اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت انهم لم يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا
عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك عبادتهم ايام
اياهم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عدي ما يفرك ايفرك ان يقال الله اكبر فهل تعلم شيئا اكبر من الله ما يفرك
ايفرك ان يقال لا اله الا الله فهل تعلم من اله الا الله ثم دعاه الى الاسلام فاسلم وشهد شهادة الحق قال فلقد
رايت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم استبشر ثم قال ان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وهكذا قال
حذيفة بن اليمان وابن عباس في تفسير هذه الاية انهم اتبعوهم فيما حللوا وقال السدي استنصحوا الرجال و
نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى
عما يشركون اي الذي اذا حرم فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع سبحانه وتعالى عما يشركون اي تعالى الذي
وتقدس عن الشركاء والنظراء والاضداد والاولاد لا اله الا هو ولا رب سواه يريدون ان يطفئوا
نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يقول تعالى يريد هؤلاء الكفار من المشركين واهل الكتاب ان يطفئوا
نور الله بافواههم اي ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الهدى بمجرد جدالهم وافترائهم فمثلهم كمثل من يريد ان يطفئ
شعاع الشمس بنفخه فكذلك ما ارسل الله به رسوله صلى الله عليه وسلم لا بد ان يتم ولهذا قال تعالى ويابى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون والكافر هو الذي يستر الشيء ويغطيه ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء والزارع
كافرا لانه يغطي الحب في الارض كما قال تعالى يعجب الكفار نباته ثم قال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ود
ين الحق فالهدى ما جاء به من الاخبارات الصادقة والايمان الصحيح والعلم النافع ودين الحق هي الاعمال
الصالحة النافعة في الدنيا والاخرة ليظهره على الدين كله اي على سائر الاديان كما ثبت في الصحيح انه قال ان الله زوى
لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقال الامام حدثنا محمد بن جعفر
حدثنا شعبة عن محمد بن يعقوب سمعت شقيق بن حيان يحدث عن قبيصة ابي مسعود وقبيصة مسعود ابي
بن مسعود قال يقول صلى هذا الحي من محارب الصبح فلما صلوا قال شاب منهم سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انه سيفتح لكم مشارق الارض ومغاربها وان عمالها في النار الا من اتقى الله وادى الامانة وقال
الامام احمد حدثنا المغيرة حدثنا صفوان حدثنا سليم بن عامر عن تميم الداري قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا ادخله هذا الدين
بعز عزيز او بذل ذليل عزا يعز به الاسلام وذلا يذل به الكفر فكان تميم الداري يقول قد عرفت ذلك في
اهل بيتي لقد اصاب من اسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد اصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار و كافر
الجزية وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم حدثني ابن جابر قال سمعت
المقداد بن الاسود يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على ظهر الارض بيت مدر ولا
وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام بعز عزيز او بذل ذليل اما يعزهم الله فيجعلهم من اهلها او يذلهم فيدينون لها
وفي المسند ايضا حدثنا محمد بن ابي عدي عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن حذيفة عن عدي بن
حاتم سمعته يقول دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عدي اسلم تسلم فقلت اني
من اهل دين قال انا اعلم بدينك منك فقلت انت اعلم بديني مني قال نعم الست من الركوسية وانت

تاكل



تاكل مرباع قومك قلت بلى قال فان هذا لا يحل لك في دينك فلم يعد ان قالها فتواضعت لها قال اما
اني اعلم الذي يمنعك من الاسلام تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب اتعرف الحيرة
قلت لم ارها وقد سمعت بها قال فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الامر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى
تطوف بالبيت من غير جوار احد وليفتحن الله كنوز كسرى ابن هرمز قلت كسرى ابن هرمز قال كسرى ابن هرمز وليبذلن المال
حتى لا يقبله احد قال عدي فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار احد ولقد كنت فيمن
فتح كنوز كسرى ابن هرمز والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها وقال مسلم
باسناده عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى
فقلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون ان ذلك تام قال انه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه
مثقال حبة خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين ابائهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار و
الرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال السدي الاحبار من اليهود والرهبان من
النصارى وهو كما قال فان الاحبار علماء اليهود كما قال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت والرهبان عباد النصارى والقسيسون علماؤهم كما قال تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا قال
وانهم لا يستكبرون والمقصود التحذير من علماء السوء وعباد الضلالة كما قال سفيان بن عيينة من فسد من علمائنا
كان فيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى وفي الحديث الصحيح لتركبن سنن من
كان قبلكم حذو القذة بالقذة قالوا اليهود والنصارى قال فمن وفي رواية فارس والروم قالوا فمن الناس
الا هؤلاء والحاصل التحذير من التشبه بهم في احوالهم واقوالهم ولهذا قال تعالى لياكلون اموال الناس بالبا
طل وذلك انهم ياكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس ياكلون اموالهم بذلك كما كان لاحبار اليهود على
اهل الجاهلية شرف ولهم عندهم خرج وهدايا تجبى اليهم فلما بعث الله رسوله صلوات الله وسلامه عليه استمروا على
ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعا منهم ان يبقى لهم تلك الرياسات فاطفاها الله بنور النبوة وسلبهم اياها وعو
ضهم بالذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله وقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله اي وهم مع اكلهم الحرام
يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة انهم يدعون الى الخير وليسوا كما يزعمون
بل هم دعاة الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وقوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في العلما
سبيل الله هؤلاء هم القسم الثالث من رؤوس الناس علماء وعباد وعلى ارباب الاموال فاذا فسدت
احوال هؤلاء فسدت احوال الناس كما قال بعضهم وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها
واما الكنز فقال مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة وروى الثوري
وغيره عن عبيد الله بن نافع عن ابن عمر قال ما ادي زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما كان عن
ظاهرا لا يؤدى زكاته فهو كنز وقد روي هذا عن ابن عباس وجابر وابي هريرة موقوفا ومرفوعا وعمر
بن الخطاب نحوه رضي الله عنهم ايما مال اديت منه الزكاة فليس بكنز وان كان مدفونا في الارض
وايما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وان كان على وجه الارض وروى البخاري حديث

الزهري عن خالد ابن اسلم قال خرجنا مع عبد الله ابن عمر فقال هذا قبل ان تنزل الزكاة فلما انزلت جعلها الله
طهرا للاموال وكذا قال عمر ابن عبد العزيز وعراك ابن مالك نسخها قوله خذ من اموالهم صدقة وقال
سعيد عن محمد ابن زياد عن ابي امامة قال حلية السيوف من الكنز ما احدثكم الا ما سمعت وقال الثوري
عن ابي حصين عن ابي الضحى عن جعدة ابن هبيرة عن علي رضي الله عنه قال اربعة الاف فما دونها نفقة فما كان اكثر
منها فهو كنز وهذا غريب وقد جاء في مدح التقلل من الذهب والفضة وذم
التكثر منهما احاديث كثيرة ولنورد منها طرفا يدل على الباقي فقال عبد الرزاق انبانا الثوري عن ابي حصين
عن ابي الضحى عن جعدة ابن هبيرة عن علي في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
قال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للذهب والفضة يقولها ثلاثا فشق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا فاي المال نتخذ فقال عمر انا اعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان اصحابك قد شق عليهم وقالوا فاي
المال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين احدكم على دينه حديث اخر قال الامام احمد
حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا شعبة حدثني سالم حدثني عبد الله ابن ابي الهذيل حدثني صاحب لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال تبا للذهب والفضة قال حدثني صاحبي انه انطلق مع عمر ابن الخطاب فقال يا رسول الله قولك تبا
للذهب والفضة ماذا ندخر قال رسول الله لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين على الاخرة حديث اخر
قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الله ابن عمرو ابن مرة عن ابيه عن سالم ابن ابي الجعد عن ثوبان قال لما نزل
في الذهب والفضة ما نزل قالوا فاي المال نتخذ قال عمر انا اعلم لكم ذلك فاوضع على بعير فادركه وانا
في اثره فقال يا رسول الله اي المال نتخذ قال ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة تعين احدكم على
امر الاخرة ورواه الترمذي وابن ماجه من غير وجه عن سالم ابن ابي الجعد وقال حسن وحكي عن البخاري
ان سالما لم يسمعه من ثوبان قلت ولهذا رواه بعضهم عن ثوبان مرسلا والله اعلم حديث اخر قال
ابن ابي حاتم عن ابيه عن مجاهد عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله الاية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع احد منا لولده مالا يبقى بعده فقال عمر
انا افرج عنكم فانطلق عمر واتبعه ثوبان فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله قد كبر على اصحابك هذه
الاية فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وانما فرض الموا
ريث من اموال تبقى بعدكم قال فكبر عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المراة الصا
لحة التي اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته ورواه ابو داود والحاكم في
مستدركه من حديث يحيى ابن يعلى به وقال الحاكم صحيح على شرطهما ولم يخرجاه حديث اخر
قال الامام احمد حدثنا روح حدثنا الاوزاعي عن حسان ابن عطية قال كان شداد ابن اوس في سفر
فنزل منزلا فقال لغلامه ائتنا بالشفرة نعبث بها فانكرت عليه فقال ما تكلمت بكلمة الا وانا اخطمها وازمها
غير كلمتي هذه فلا تحفظوها علي واحفظوا ما اقول لكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كنز
الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد
واسالك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما ولسانا صادقا واسالك من خير ما تعلم واعوذ
بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم انك انت علام الغيوب وقوله يوم يحمى عليها في نار
جهنم اي يقال لهم هذا الكلام تبكيتا وتقريعا وتهكما كما في قوله ثم صبوا فوق راسه من عذاب
الحميم وهذا الذي كنتم تكنزون لانفسكم ولهذا يقال من احب شيا عذب به وهؤلاء لما كان جمع الاموال

اثر عندهم

عن

شعبة

يتخذ

بلغناه

ثنا ابي ثنا حميد ابن مالك ثنا يحيى ابن يعلى المحاربي ثنا ابي ثنا غيلان ابن جامع المحاربي عن عثمان ابن القطان عن جعفر ابن اياس صح

مقابلة سلمت



اثر عندهم رضي الله عنهم عذبوا بها كما كان ابو لهب مجاهدا في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وامراته
تعينه على ذلك كانت يوم القيمة عونا على عذابه ايضا في جيدها اي عنقها حبل من مسد اي تجمع من الحطب
في النار وتلقي عليه ليكون ذلك ابلغ في عذابه ممن هو اشفق عليه في الدنيا كما ان هذه الاموال لما كانت اعز الا
شيا على اربابها كانت اضر الاشيا عليهم في الدار الاخرة فيحمى عليها في نار جهنم وناهيك بحرها فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم قال سفيان عن الاعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله ابن مسعود
والذي لا اله غيره لا يكوى عبد بكنز فيمس دينار دينارا ولا درهم درهما ولكن يوسع جلده فيوضع كل
دينار ودرهم على حدته وقد رواه ابن مردويه عن ابي هريرة مرفوعا ولا يصح رفعه والله اعلم وقال عبد الر
زاق انبانا معمر عن ابن طاوس عن ابيه قال بلغني ان الكنز يتحول يوم القيمة شجاعا يتبع صاحبه و
هو يفر منه ويقول انا كنزك لا يدرك منه شيا الا اخذه وقال ابن جرير باسناده عن ثوبان ان نبي الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول من ترك بعده كنزا مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يتبعه يقول ويلك
ما انت فيقول انا كنزك الذي تركته بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبعه سائر جسده
ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث يزيد عن سعيد به واصل الحديث في الصحيحين من رواية ابي الزناد عن
الاعرج عن ابي هريرة وفي صحيح مسلم عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل
لا يؤدي زكاة ماله الا جعل له يوم القيمة صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره الف سنة خمسين
حتى يقضى بين العباد ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وذكر تمام الحديث وقال البخاري في
تفسير هذه الاية حدثنا جرير عن حصين عن زيد ابن وهب قال مررت على ابي ذر بالربذة فقلت ما انزلك
بهذه الارض قال كنا بالشام فقرات والذين يكنزون الذهب والفضة الاية فقال معاوية ما هذه
فينا ما هذه الا في اهل الكتاب قلت انها لفينا وفيهم ورواه ابن جرير من حديث عبيد ابن القا
سم عن حصين عن زيد ابن وهب عن ابي ذر فذكره وزاد فارتفع في ذلك بيني وبينه القول فكتب الى عثمان
يشكوني فكتب الي عثمان ان اقبل اليه قال فاقبلت اليه فلما قدمت المدينة ركبني الناس كانهم
لم يروني قبل يومئذ فشكوت ذلك الى عثمان فقال لي تنح قريبا قلت والله ما ادع ما كنت اقول قلت
كان من مذهب ابي ذر رضي الله عنه تحريم ادخار ما زاد على نفقة العيال وكان يفتي به ويحثهم عليه
ويغلظ في خلافه فنهاه معاوية فلم ينته فخشي ان يضر بالناس في هذا فكتب الى عثمان ان يا
خذه اليه فاستقدمه عثمان الى المدينة واسكنه بالربذة وحده وبها مات في خلافة عثمان وقد اختبره معاوية وهو
عنده هل يوافق عمله قوله فبعث اليه بالف دينار ففرقها من يومه ثم بعث اليه الذي اتاه بها فقال ان معاوية
بعثني الى غيرك فاخطات فهات الذهب فقال ويحك انها خرجت ولكن اذا جاء مالي حاسبناك وهكذا روى علي
ابن ابي طلحة عن ابن عباس انها عامة وقال السدي هي في اهل القبلة وقال الاحنف ابن قيس قدمت المدينة فبينا
انا في حلقة فيها ملا من قريش اذ جاء رجل اخشن الثياب اخشن الجسد اخشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين
برضف يحمى عليها في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه
حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رايت احدا منهم رجع اليه شيا قال وادبر
فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رايت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيا وفي الصحيح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر ما يسرني ان عندي مثل احد ذهبا يمر عليه ثلاثة وعندي منه شيا الا دينار
ارصده لدين فهذا والله اعلم هو الذي حمل ابا ذر على القول بهذا وهم اعلم وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا
همام حدثنا قتادة عن سعيد ابن ابي الحسن عن عبد الله ابن الصامت انه كان مع ابي ذر فخرج عطاؤه ومعه جارية

حسين

حتى جعلت تقضي حوائجي ففضلت معها سبعة فامرها ان تشتري به خلوقا قال فقلت لو ادخرته لحاجة ينوبك وللضيف ينزل بك قال ان خليلي عهد الي ايما ذهب وفضة اوكي عليه فهو جمر على صاحبه حتى يفرغه في سبيل الله وله عن يزيد ابن هارون عن همام بن ... وقال الامام احمد حدثنا جعفر ابن سليمان حدثنا عتبة ابن يزيد ابن الصرام قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول مات رجل من اهل الصفة وترك دينارا او درهمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان صلوا على صاحبكم وقد روي هذا من طرق اخر وقال قتادة عن شهر ابن حوشب عن ابي امامة قال مات رجل من اهل الصفة فوجدوا في مئزره دينارا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي رجل فوجدوا في مئزره دينارين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان وقال ابن ابي حاتم باسناده عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يموت وعنده احمر او ابيض الا جعل الله بكل قيراط صفيحة من نار يكوى بها من قدمه الى ذقنه وقال الحافظ ابو يعلى باسناده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوضع الدينار على الدينار ولا الدرهم على الدرهم ولكن يوسع جلده فيكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الا ان سيف هذا كذاب متروك ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين قال الامام احمد حدثنا اسمعيل حدثنا ايوب انبانا محمد ابن سيرين عن ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته فقال الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ثم قال اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس البلدة قلنا بلى قال فان دماءكم واموالكم واحسبه قال واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم الا لا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض الا هل بلغت الا ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ اوعى من بعض من سمعه ورواه البخاري في التفسير وغيره ومسلم من حديث ايوب عن محمد وهو ابن سيرين عن عبد الرحمن ابن ابي بكرة عن ابيه وقال ابن جرير باسناده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا يوم خلق الله السموات والارض منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ورجب مضر بين جمادى وشعبان ورواه البزار عن محمد ابن معمر به ثم قال لا يروى عن ابي هريرة الا من هذا الوجه وقد رواه ابن عون وقرة عن ابن سيرين عن عبد الرحمن ابن ابي بكرة عن ابيه وقال ابن جرير ايضا باسناده عن ابن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ايام التشريق فقال ان الزمان قد استدار كهيئته فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم اولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وروى ابن مردويه من حديث موسى ابن عبيدة عن عبد الرحمن ابن دينار عن ابن عمر مثله او نحوه وقال حماد ابن سلمة حدثني علي ابن زيد عن ابي حرة الرقاشي عن عمه وكانت له صحبة قال كنت آخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اوسط ايام التشريق اذود عنه الناس فقال الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقال سعيد ابن منصور حدثنا ابو معاوية عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله منها اربعة حرم قال المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة وقوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته

يوم

عفان ثنا

كيسان

والارض

يوم خلق الله السموات والارض تحقيق منه صلوات الله وسلامه عليه وتثبيت للامر على ما جعله الله تعالى في اول الامر من غير تقديم ولا تاخير ولا زيادة ولا نقص ولا نسيء ولا تبديل كما قال في تحريم مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة وهكذا قال هاهنا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض اي الامر على ما ابتعه الله تعالى في كتابه يوم خلق الله السموات والارض وقال بعض المفسرين والمتكلمين على هذا الحديث ان المراد بقوله قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض انه اتفق ان حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك السنة في ذي الحجة وان العرب قد كانت بسبب النسيء يحجون في كثير من السنين بل اكثرها في غير ذي الحجة وزعموا ان حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذي القعدة وفي هذا نظر كما سنبينه اذا تكلمنا على النسيء واغرب منه ما رواه الطبراني عن بعض السلف في جملة حديث انه اتفق حج المسلمين واليهود والنصارى في يوم واحد وهو النحر عام حجة الوداع والله اعلم فصل ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزء جمعه سماه المشهور في اسماء الايام والشهور ان المحرم سمي بذلك لكونه شهرا محرما وعندي انه سمي بذلك لتاكيد تحريمه لان العرب كانت تتقلبه فتحله عاما وتحرمه عاما قال ويجمع على محرمات ومحارم ومحاريم صفر سمي بذلك لخلو بيوتهم منهم حين يخرجون للقتال والاسفار يقال صفر المكان اذا خلا ويجمع على اصفار كجمل واجمال شهر ربيع الاول سمي بذلك لارتباعهم فيه والارتباع الاقامة في عمارة الربيع ويجمع على اربعاء كنصيب وانصباء وعلى اربعة كرغيف وارغفة ربيع الاخر كالاول جمادى سمي بذلك لجمود الماء فيه قال وكانت الشهور في حسابهم لا تدور وفي هذا نظر اذ كانت شهورهم منوطة بالاهلة ولا بد من دورانها فلعلهم سموه بذلك اول ما سموه حين جمد الماء في البرد كما قال شاعرهم وليلة من جمادى ذات اندية لا يبصر العبد في حندسها الطنبا لا ينبح الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خرطومه الذنبا ويجمع على جماديات كحبارى وحباريات وقد يذكر ويؤنث فيقال جمادى الاول وجمادى الاولى جمادى الاخر والاخرة رجب من الترجيب وهو التعظيم ويجمع على ارجاب ورجاب ورجبات شعبان من تشعب القبائل وتفرقها للغارة ويجمع على شعابين وشعبانات رمضان من شدة الرمضاء وهو الحر يقال رمضت الفصال اذا عطشت ويجمع على رمضانات ورماضين وارمضة قال وقول من قال انه اسم من اسماء الله خطأ لا يعرج عليه ولا يلتفت اليه قلت وقد ورد فيه حديث ولكنه ضعيف وبينته في كتاب الصيام شوال من شالت الابل باذنابها للطراق قال ويجمع على شواول وشواويل وشوالات ذو القعدة بفتح القاف وكسرها لقعودهم فيه عن القتال والترحال ويجمع على ذوات القعدة ذو الحجة بكسر الحاء قلت وفتحها سمي بذلك لايقاعهم الحج فيه ويجمع على ذوات الحجة اسماء الايام اولها الاحد ويجمع على احاد واحاد ووحود ثم يوم الاثنين ويجمع على اثانين الثلاثاء يذكر ويؤنث ويجمع على ثلاثاوات واثالث ثم يوم الاربعاء بالمد ويجمع على اربعاوات واربابيع الخميس يجمع على اخمسة واخاميس ثم الجمعة بضم الميم واسكانها وفتحها ايضا ويجمع على جمع وجمعات السبت ماخوذ من السبت وهو القطع لانتهاء العدد عنده وكانت العرب تسمي الايام اول ثم اهون ثم جبار ثم دبار ثم مؤنس ثم العروبة ثم شبار وقال شاعرهم في العرب العرباء القدماء ارجي ان اعيش وان يومي باول او باهون او جبار او التالي دبار فان افته فمؤنس او عروبة او شبار وقوله تعالى منها اربعة حرم فهذا مما كانت العرب ايضا في جاهليتها تحرمه وهو الذي كان عليه

مضر لا ربيعة

جمهورهم الا طايفة منهم يقال لهم البسل كانوا يحرمون من السنة ثمانية اشهر تعمقا وتشديدا واما قوله
ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وانما اضافه الى
مضر ليبين صحة قولهم في رجب انه الشهر الذي بين جمادى وشعبان لا كما كانت تظنه ربيعة ان رجب المحرم هو الذي
بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم فبين عليه السلام انه رجب مضر لا رجب ربيعة وانما كانت الاشهر
المحرمة اربعة ثلاثة سرد وواحد فرد لاجل اداء مناسك الحج والعمرة فحرم قبل شهر الحج شهر وهو
ذو القعدة لانهم يقعدون فيه عن القتال وحرم شهر ذو الحجة لانهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون
باداء المناسك وحرم بعده شهر اخر وهو المحرم ليرجعوا فيه الى اقصى بلادهم امنين وحرم رجب
في وسط الحول لاجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم عليه من اقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود
الى وطنه فيه امنا وقوله ذلك الدين القيم اي هذا هو الشرع المستقيم من امتثال امر الله فيما جعل
من الاشهر الحرم والحذو بها على ما سبق في كتاب الله الاول وقوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم اي في
هذه الاشهر المحرمة لانها اكد وابلغ في الاثم من غيرها كما ان المعاصي في البلد الحرام تضاعف لقوله
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وكذلك الشهر الحرام تتغلظ فيه الاثام ولهذا تتغلظ فيه
الدية في مذهب الشافعي وطايفة كثيرة من العلما وكذا في حق من قتل في الحرم او قتل ذا محرم
وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران ان ابن عباس في قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم قال
في الشهور كلها وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله ان عدة الشهور عند الله الاية فلا تظلموا فيهن انفسكم
في كلهن ثم اختص من ذلك اربعة فجعلهن حرام وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن اعظم والعمل الصالح
والاجر اعظم وقال قتادة في قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم ان الظلم في الاشهر الحرم اعظم خطية ووزرا
من الظلم فيما سواها وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من امره ما يشاء وقال ان الله اصطفى
صفايا من خلقه اصطفى من الملايكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الارض
المساجد واصطفى من الشهور رمضان والاشهر الحرم واصطفى من الايام الجمعة واصطفى من الليالي ليلة
القدر فعظموا ما عظم الله فانما تعظم الامور بما عظمها الله به عند اهل الفهم واهل العقل وقال الثوري
عن قيس بن مسلم عن الحسن عن محمد ابن الحنفية بان لا تحرموهن كحرمتهن وقال محمد ابن اسحق فلا تظلموا
فيهن انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل اهل الشرك فانما النسي الذي كانوا يصنعون
من ذلك زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الاية وهذا القول اختيار ابن جرير وقوله وقاتلوا المشر
كين كافة اي جميعكم كما يقاتلونكم كافة اي جميعهم واعلموا ان الله مع المتقين وقد اختلف العلما في تحريم
ابتداء القتال في الشهر الحرام هل هو محكم او منسوخ على قولين احدهما وهو الاشهر انه منسوخ لانه تعالى
قال هاهنا فلا تظلموا فيهن انفسكم وامر بقتال المشركين بظاهر السياق مشعر بانه امر بذلك امرا عاما و
لو كان محرما في الشهر الحرام لاوشك ان يقيده بانسلاخها ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر اهل الطا
يف في شهر حرام وهو ذو القعدة كما ثبت في الصحيحين انه خرج الى هوازن في شوال فلما كسرهم واستفاء اموا
لهم ورجع فلهم فلجوا الى الطايف فحاصرها اربعين يوما ولم يفتحها فثبت انه حاصرها في الشهر الحرام
والقول الاخر ان ابتداء القتال في الشهر الحرام حرام وانه لم ينسخ تحريم الشهر الحرام لقوله تعالى لا تحلوا شعا
ير الله ولا الشهر الحرام وقال تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام الاية وقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم

فاقتلوا



فاقتلوا المشركين الاية وقد تقدم انها الاربعة المقدرة من كل سنة لا اشهر التسيير على احد القولين واما
قوله فقاتلوا المشركين كافة فيحتمل انه منقطع عما قبله وانه حكم مستانف ويكون من باب التهييج والتحضيض
كما يجتمعون لحربكم اذا حاربوكم فاجتمعوا انتم ايضا لهم اذا حاربتموهم وقاتلوهم بنظير ما يفعلون ويحتمل انه اذ
ن للمومنين بقتال المشركين في الشهر الحرام اذا كانت البداة منهم كما قال تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات
قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه الاية وقال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه
فان قاتلوكم فاقتلوهم الاية وهكذا الجواب عن حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الطايف واستصحابه الحصار الى ان
دخل الشهر الحرام فانه من تتمة قتال هوازن واحلافها من ثقيف فانهم الذين ابتدوا القتال وجمعوا الرجال ودعوا الى الحرب
والنزال فعندها قصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ~~فلما دخل الشهر فاستمر فيه~~ فلما تحصنوا بالطا
يف ذهب اليهم لينزلهم من حصونهم واستمر الحصار بالمجانيق وغيرها كما ثبت بيانه من اربعين يوما وكان
ابتداوه في شهر حلال ودخل الشهر الحرام فاستمر فيه اياما ثم قفل عنهم لانه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر
في الابتدا وهذا امر مقرر وله نظاير كثيرة ولنذكر الاحاديث الواردة في ذلك فقد حررنا ذلك في السيرة والله الحمد

انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطوا عدة
ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين

هذا مما ذم الله به المشركين من تصرفهم في شرع الله بارايهم الفاسدة وتغييرهم احكام الله باهوايهم الباردة
وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما احل الله فانهم كان فيهم من القوة والعصبية والغضب والحمية ما استطا
لوا به مدة الاشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء اوطارهم من قتال اعدايهم فكانوا قد احدثوا قبل الاسلا
م بمدة تحليل المحرم فيحلونه ويحرمون الشهر الحرام صفر ليواطوا عدة الاشهر الاربعة كما قال شاعرهم وهو
عمير بن قيس لقد علمت معد ان قومي ❀ كرام الناس ان لهم كراما ❀ السنا الناسين على معد ❀ شهور الحل
نجعلها حراما ❀ فاي الناس لم ندرك بوتر ❀ واي الناس لم نعلك لجاما ❀ وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله
انما النسي زيادة في الكفر قال النسي ان جنادة بن عوف بن امية الكناني كان يوافي الموسم كل عام وكان
يكنى ابا ثمامة فينادي الا ان ابا ثمامة لا يحاب ولا يعاب الا وان صفر العام الاول العام حلال فيحله للناس
فيحرم صفر عاما ويحرم المحرم عاما فذلك قول الله انما النسي زيادة في الكفر يتركون المحرم عاما وعاما يحرمونه
وروى العوفي عن ابن عباس نحوه وقال ليث عن مجاهد كان رجل من بني كنانة ياتي كل عام الى الموسم على حمار
له فيقول يا ايها الناس اني لا اعاب ولا اجاب ولا مرد لما اقول انا قد حرمنا المحرم واخرنا صفر ثم يجي العام المقبل
بعده فيقول مثل مقالته ويقول انا قد حرمنا صفر واخرنا المحرم فهو قوله ليواطوا عدة ما حرم الله قال
يعني الاربعة فيحلون ما حرم الله لتاخير هذا الشهر وروي عن ابي وايل عن الضحاك وقتادة نحو هذا وقال
عبد الرحمن ابن زيد ابن اسلم في قوله انما النسي زيادة الاية هذا رجل من بني كنانة يقال له القلمس وكان في الجاهلية
لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام يلقى الرجل قاتل ابيه ولا يمد اليه يده فلما كان هو قال اخرجوا بنا قالوا له هذا
المحرم قال ننسيه العام هما العام صفران فاذا كان عام قابل جعلناهما محرمين قال ففعل ذلك
فلما كان عام قابل قال لا تغزوا في صفر حرموه مع المحرم هما محرمان فهذه صفة تحريمه في النسي وفيهما نظر
لانهم في عام انما يحرمون على هذا ثلاثة اشهر وفي العام الذي يليه خمسة اشهر فاين هذا من قوله يحلونه عا
ما ويحرمونه عاما ليواطوا عدة ما حرم الله وروي عن مجاهد صفة اخرى انهم يسقطون بعض الا
شهر في حساب فكانوا يحجون في كل شهر عامين حتى وافق حجة ابي بكر في ذي القعدة ثم حج فوافق
ذا الحجة فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض

ومافيها
فاخروه الى صفر
احلاله
هادوفه ابن عرفه ح
عن

وهذا الذي قاله فيه نظر ايضا كيف تصح حجة توقع وقعت في ذي القعدة وانى هذا وقد قال
الله تعالى واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر الاية وانما نودي بذلك في حجة ابي بكر رضي الله عنه فلو
لم تكن في ذي الحجة لما قال الله واذان من الله ورسوله ولا يلزم من فعلهم النسيء الذي ذكر من دوران السنة
عليهم وحجهم في كل شهر عامين فان النسي حاصل بدون هذا فانهم لما كانوا يحلون
شهر المحرم عاما يحرمون عوضه صفر وبعده ربيع وربيع الى اخر السنة بحالها على نظامها وعدتها
وعدتها واسماء شهورها ثم في العام القابل يحرمون المحرم ويتركونه على تحريمه وبعده صفر وربيع و
ربيعا الى اخرها فيحلونه عاما وهو المحرم وتارة ينسئونه الى صفر اي يؤخرونه وقد تقدم الكلام على
قوله صلى الله عليه وسلم في قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر اي ان الامر
في هذا الشهر وتحريم ما هو محرم منها على ما سبق في كتاب الله من العدد والتوالي لا كما يعتمده جهلة العرب
من تحليل بعضها بالنسيء عن بعض والله اعلم وقال ابن ابي حاتم باسناده عن ابن عمر انه قال وقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة فاجتمع اليه من شاء الله من المسلمين فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال انما النسي
من الشيطان زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما فكانوا يحرمون المحرم عاما
ويستحلونه عاما فهو النسي وقد تكلم الامام محمد بن اسحق على هذا في كتاب السيرة كلاما جيدا مفيدا
فقال كان اول من نسأ الشهور على العرب فاحل منها ما حرم الله وحرم منها ما احل الله عز وجل القلمس
وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة بن خزيمة بن
مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثم قام على ذلك ابنه عباد ثم بعد عباد
ابنه قلع بن عباد ثم ابنه امية بن قلع ثم ابنه عوف بن امية ثم ابنه ابو ثمامة جنادة بن عوف وكان
اخرهم وعليه قام الاسلام فكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت تحرم ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا
ما حرم الله ويحرموا ما احل الله ﴿يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل الا تنفروا
يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير﴾
هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك حين طابت الثمار في شدة الحر
فقال يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اي دعيتم الى الجهاد اثاقلتم الى الارض اي تكاسلتم و
ملتم الى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة اي ما لكم فعلتم هكذا ار
ضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة ثم زهد تبارك وتعالى في الدنيا فقال فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل
كما روى الامام احمد عن المستورد اخي بني فهر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يجعل
احدكم اصبعه في اليم واشار باصبعه السبابة فلينظر بم ترجع انفرد باخراجه مسلم وقال ابن ابي حاتم باسناده عن ابي عثمان
النهدي قلت لابي هريرة سمعت اخواني بالبصرة تقول سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
يجزي بالحسنة الالف الف حسنة قال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يجزي بالحسنة الفي الف
ثم تلا ابو هريرة هذه الاية وما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل وقال سفيان الثوري عن الاعمش في الاية الا
قليل كزاد الراكب وقال عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه قال لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة
قال ائتوني بكفني الذي اكفن فيه انظر اليه فلما وضع بين يديه نظر اليه فقال اما لي من كبير ما خلفت من
الدنيا الا هذا ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول اف لك من دار ان كان كثيرك لقليل وان كان قليلك لقصير

وان كنا



وان كنا منك لفي غرور ثم توعد تعالى من ترك الجهاد فقال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل
قوما غيركم اي لنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه كما قال تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ولا تضروه شيئا اي فلا تضرون الله بتوليكم عن الجهاد وتثاقلكم عنه والله على كل شيء قدير اي قادر
على الانتصار من اعدائه بدونكم وقد قيل ان هذه الاية وقوله انفروا خفافا وثقالا وقوله ما كان لاهل
المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله انهن منسوخات بقوله تعالى وما كان المؤمنون
لينفروا كافة الاية روي هذا عن ابن عباس وعكرمة والحسن وزيد بن اسلم ورده ابن جرير وقال انما هذا فيمن
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد فتعين عليهم ذلك فلو تركوه لعوقبوا عليه وهذا له اتجاه والله اعلم
﴿الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا
فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾
يقول الا تنصروه اي تنصروا رسوله فان الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره اذ اخرجه الذ
ين كفروا ثاني اثنين اي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله او حبسه او نفيه فخرج منهم هاربا صحبة صديقه
وصاحبه ابي بكر رضي الله عنه فلجأ الى غار ثور ثلاثة ايام ليرجع الطلب الذين خرجوا في اثارهم ثم يسيرا
نحو المدينة فجعل ابو بكر يجزع ان يطلع عليهم احد فيخلص الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه
ويثبته ويقول يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما كما قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا همام انبانا
ثابت عن انس ان ابا بكر حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو ان احدهم نظر الى قدميه
لابصرنا تحت قدميه قال فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما اخرجاه في الصحيحين ولهذا قال تعالى
فانزل الله سكينته عليه اي تاييده ونصره عليه اي على الرسول في اشهر القولين وقيل على ابي بكر روي عن ابن
عباس وغيره قالوا لان الرسول لم تزل معه سكينة وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا
قال وايده بجنود لم تروها اي الملائكة وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا قال ابن عباس
يعني بكلمة الذين كفروا الشرك وكلمة الله هي لا اله الا الله وفي الصحيحين عن ابي موسى سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة
الله هي العليا فهو في سبيل الله وقوله والله عزيز اي في انتقامه وانتصاره منيع الجناب لا يضام من لاذ ببابه و
احتمى بالتمسك بخطابه حكيم في اقواله وافعاله ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ قال سفيان الثوري عن ابيه عن ابي الضحى مسلم بن صبيح هذه الاية انفروا خفافا و
ثقالا اول ما نزل من سورة براءة وقال معتمر بن سليمان عن ابيه قال زعم حضرمي انه ذكر له ان ناسا كانوا عسى ان
يكون احدهم عليلا كبيرا فيقول لا اثم فانزل الله انفروا خفافا وثقالا وقال علي بن زيد عن انس عن ابي طلحة كهولا
وشبانا ما سمع الله عذر احد ثم خرج الى الشام فقاتل حتى قتل وفي رواية ان ابا طلحة قرأ سورة براءة فاتى على هذه الاية
انفروا خفافا وثقالا فقال اي بني ارى ربنا استنفرنا شيوخا وشبانا جهزوني يا بني فقال بنوه يرحمك الله قد غزوت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ومع ابي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك فابى فركب البحر
فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه بها الا بعد تسعة ايام فلم يتغير فدفنوه بها وهكذا روي عن ابن عباس
وعكرمة وابي صالح والحسن البصري ومقاتل بن حيان والشعبي وزيد بن اسلم انهم قالوا في تفسير هذه الاية
كهولا وشبانا وقال مقاتل شبانا وشيوخا واغنياء ومساكين وقال الحكم بن عتيبة مشاغيل وغير مشاغيل و
قال العوفي عن ابن عباس نشاطا وغير نشاط وكذا قال قتادة وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد انفروا خفافا و

ثقالا قالوا فان فينا الثقيل وذو الحاجة والضعيف فانزل الله وابى ان يعذرهم دون ان ينفروا خفا
فا وثقالا على ما كان منهم وقال الحسن في العسر واليسر وهذا كله من مقتضيات العموم في الاية وهذا اختيا
ر ابن جرير وقال الاوزاعي ان كان القتال في المغير الى حروب الروم نفر الناس اليها خفافا وركبانا ومشاة وهذا
تفصيل في المسئلة وقد روي عن ابن عباس ومحمد بن كعب وعطا الخراساني ان هذه الاية منسوخة
بقوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة وسياتي الكلام على هذا ان شا الله وقال السدي في قوله انفروا خفا
فا وثقالا قال يقول غنيا وفقيرا قويا وضعيفا فجا رجل يومئذ زعموا انه المقداد وكان عظيما سمينا
فشكا اليه وساله ان ياذن له فابى فنزلت انفروا خفافا وثقالا فلما نزلت اشتد على الناس شانها فنسخها الله
فقال ليس على الضعفا ولا على المرضى الاية قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا ايوب عن
محمد قال شهد ابو ايوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين الا وهو في اخرى الا عا
ما واحدا قال وكان ابو ايوب يقول قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا فلا اجدني الا خفيفا او ثقيلا و
قال ابن جرير باسناده عن ابي راشد الحبراني قال وافيت المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه
وسلم جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص وقد فصل عنها من عظمه يريد الغزو فقلت له
لقد عذر الله اليك فقال اتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا وقال ابن جرير حدثني حبان بن
زيد الشرعبي قال نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا وقد سقط حاجبا
ه على عينيه من اهل دمشق على راحلته فيمن اغار فاقبلت اليه فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك قال فرفع حاجبيه
فقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه ثم يعيده الله فيبقيه وانما يبتلي الله
من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد الا الله ثم رغب الله في النفقة في سبيله وبذل المهج في مرضاته ومرضاة
رسوله فقال وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم في الدنيا والاخرة لانكم تغرمون
في النفقة في سبيل الله فيغنمكم الله اموال عدوكم في الدنيا مع ما يدخر لكم من الكرامة في الاخرة
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تكفل الله للمجاهد في سبيله بان توفاه ان يدخله الجنة او يرده الى
منزله بما نال من اجر او غنيمة ولهذا قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم الاية ومن هذا القبيل
ما رواه احمد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل اسلم قال اجدني كارها قال
اسلم وان كنت كارها لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفو
ن بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون يقول تعالى موبخا للذ
ين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقعدوا بعد ما استاذنوه في ذلك مظهرين انهم ذووا اعذار و
لم يكونوا كذلك فقال لو كان عرضا قريبا قال ابن عباس غنيمة قريبة وسفرا قاصدا اي قريبا ايضا لا
تبعوك اي لكانوا جاوا معك لذلك ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة الى الشام وسيحلفون لكم اذا رجعتم
اليهم لو استطعنا لخرجنا معكم اي لو لم يكن لنا اعذار لخرجنا معكم قال الله يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكا
ذبون عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين كفروا وتعلم الكاذبين لا يستاذنك الذين يو
منون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين
لا يومنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي
حدثنا ابو حصين الرازي حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذا
بدا بالعفو قبل المعاتبة فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة
عاتبه



عاتبه الله كما تسمعون ثم انزل التي في سورة النور فرخص له في ان ياذن لهم ان شا فقال فاذا استاذنوك لبعض
شانهم فاذن لمن شئت منهم وكذا روي عن عطا الخراساني وقال مجاهد نزلت هذه الاية في اناس قالوا
استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اذن لكم فاقعدوا وان لم ياذن فاقعدوا ولهذا قال حتى يتبين لك الذين صدقوا اي في
ابدا الاعذار وتعلم الكاذبين يقول هلا تركتهم لما استاذنوك فلم تاذن لهم فيه ولهذا اخبر تعالى انه لا يستا
ذنه في القعود عن الغزو الذين يومنون بالله واليوم الاخر لانهم يرون الجهاد قربة فلما ندبهم اليه با
دروا وامتثلوا انما يستاذنك في القعود ممن لا عذر له الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر اي لا يرجون
ثواب الله في الاخرة على اعمالهم وارتابت قلوبهم اي شكوا في صحة ما جئتهم به فهم في ريبهم يترددون اي
يتحيرون يقدمون رجلا ويوخرون اخرى وليس لهم قدم ثابتة في شي فهم قوم حيارى هلكى لا الى هولاء ولا الى
هولاء ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين
يقول تعالى ولو ارادوا الخروج اي معك في الغزو لاعدوا له عدة اي لكانوا تاهبوا له ولكن كره الله انبعاثهم اي
ابغض ان يخرجوا معكم قدرا فثبطهم اي اخرهم وقيل اقعدوا مع القاعدين اي قدرا ثم بين تعالى وجه كراهته
لخروجهم مع المومنين فقال لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي لانهم جبنا مخذولون ولاوضعوا خلالكم يبغونكم
اي لاسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضا والفتنة وفيكم سماعون لهم اي مطيعون لهم ومستحسنون لكلامهم
وان كانوا لا يعلمون حالهم فيودي هذا الى وقوع شر بين المومنين وفساد كبير وقال مجاهد وزيد بن اسلم
وابن جرير وفيكم سماعون لهم اي عيون يسمعون لهم الاخبار وينقلونها اليهم وهذا لا يبقى له اختصا
ص بخروجهم معهم بل هو عام في جميع الاحوال والمعنى الاول اظهر في المناسبة بالسياق واليه ذهب قتادة و
غيره من المفسرين وقال محمد بن اسحق كان من استاذن من ذوي الشرف عبد الله بن ابي والجد بن
قيس وكانوا اشرافا في قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم ان يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده واهل
محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرفهم فيهم فقال وفيكم سماعون لهم ثم اخبر عن تمام علمه فقال
والله عليم بالظالمين فاخبر تعالى بانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن كيف كان يكون ولهذا قال تعالى لو
خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فاخبر عن حالهم كيف يكون لو خرجوا كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه الاية وقال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون وكما قال ولو انا
كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم والايات في هذا كثيرة لقد ابتغوا الفتنة من قبل و
قلبوا لك الامور حتى جا الحق وظهر امر الله وهم كارهون يقول تعالى محرضا نبيه صلى الله عليه وسلم على
المنافقين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور اي لقد اعملوا فكرهم واجالوا
في كيدك وكيد اصحابك وخذلان دينك واخماده مدة طويلة وذلك اول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة رمته العرب عن قوس واحدة وحاربته يهود المدينة ومنافقوها فلما نصره الله يوم بدر واعلى
كلمته قال عبد الله واصحابه هذا امر قد توجه فدخلوا في الاسلام ظاهرا ثم كلما اعز الله الاسلام واهله
اغاظهم ذلك وساءهم ولهذا قال حتى جا الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن
لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين يقول ومن المنافقين
من يقول لك يا محمد ائذن لي ولا تفتني بالخروج معك بسبب الجواري من نسا الروم قال الله تعالى
الا في الفتنة سقطوا اي بقولهم هذا كما قال محمد بن اسحق عن الزهري عن يزيد بن رومان وعبد الله

الى ابي بكر وعاصم ابن عمرو وغيرهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجد ابن قيس ذات
يوم وهو في جهازه هل لك يا جد في جلاد بني الاصفر فقال يا رسول الله او تاذن لي ولا تفتني
فوالله لقد عرف قومي ما رجل اشد عجبا بالنساء مني واني خشيت ان رايت نساء بني الاصفر لا
اصبر عنهن فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذنت لك ففي الجد ابن قيس نزلت هذه
الاية ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الاية اي ان كان انما يخشى من نساء بني الاصفر وليس ذلك
به فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه اعظم
وهكذا روي عن ابن عباس ومجاهد وغير واحد انها نزلت في الجد ابن قيس وكان الجد من اشرا
ف بني سلمة وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد ابن قيس
على انا نبخله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم الفتى الابيض نبخله
الجعد بشر ابن البراء ابن معرور وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي لا محيد لهم عنها ولا مهرب
ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن
يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعلم تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بعداوة هؤلاء له لانه مهما اصابه من حسنة اي فتح ونصر وظفر على الاعداء ساءهم ذلك وان تصبك مصيبة يقو
لوا قد اخذنا امرنا من قبل اي احترزنا من متابعته قبل هذا ويتولوا وهم فرحون فارشد الله رسوله صلى الله عليه وسلم
الى من عداوتهم هذه التامة فقال قل اي لهم قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي نحن تحت مشية الله وقد
ره هو مولانا اي سيدنا وملجانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي نحن متوكلون عليه وحسبنا الله ونعم الوكيل
قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا
انا معكم متربصون قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقا
تهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون يقول تعالى قل لهم
يا محمد هل تربصون بنا اي تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اي شهادة او ظفر بكم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة
وغيرهم ونحن نتربص بكم اي ننتظر بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا اي ننتظر بكم هذا او هذا اما ان
يصيبكم الله بقارعة من عنده او بايدينا بقتل وسبي فتربصوا انا معكم متربصون وقوله قل انفقوا طوعا او
كرها اي مهما انفقتم من نفقة طائعين او مكرهين لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين ثم اخبر عن سبب
ذلك وهو انهم لا يتقبل منهم لانهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون
اي قد كفروا والاعمال انما تصح بالايمان اي ليس لهم قصد صحيح ولا همة في العمل ولا ينفقون نفقة الا وهم كارهون
وقد اخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وانه طيب لا يقبل الا طيبا فلهذا لا يقبل
من هؤلاء نفقة ولا عملا لانه انما يتقبل من المتقين فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم كما قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية وقال ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال
الحسن البصري بزكاتها والنفقة منها في سبيل الله وقال قتادة هذا من المقدم والموخر تقديره فلا تعجبك اموا
لهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة واختار ابن جرير قول الحسن وقوله وتزهق
انفسهم وهم كافرون اي ويريد ان يميتهم حين يميتهم على الكفر ليكون ذلك انكى لهم واشد لعذابهم عياذا بالله من ذلك
وهذا من باب الاستدراج ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجا
او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون يخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن جزعهم وفزعهم
انهم



انهم يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم يمينا مؤكدة وما هم منكم اي في نفس الامر ولكنهم قوم يفرقون
اي فهو الذي حملهم على الحلف لو يجدون ملجا اي حصنا يتحصنون به وحرزا يحترزون به او مغارات
في الجبال او مدخلا وهو السرب في الارض والنفق قال ذلك ابن عباس ومجاهد وقتادة لولوا اليه وهم
يجمحون اي يسرعون في ذهابهم عنكم لانهم انما يخالطونكم كرها لا محبة وودوا انهم لا يخالطونكم ولكن للضرورة
احكام ولهذا لا يزالون في هم وحزن لان الاسلام واهله لا يزالون في عز ونصر وكلما سر المؤمنين ساءهم
ذلك فهم يودون ان لا يخالطوا المؤمنين ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا
منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله و
رسوله انا الى الله راغبون يقول تعالى ومنهم اي ومن المنافقين من يلمزك اي يعيب عليك في قسم الصدقات اذا فر
قتها ويتهمك وهم مع ذلك لا ينكرون الدين انما ينكرون لحظ انفسهم ولهذا ان اعطوا من الزكاة رضوا وان لم
يعطوا منها اذا هم يسخطون اي يغضبون لانفسهم قال ابن جريج اخبرني داود ابن ابي عاصم قال اتي النبي صلى الله
عليه وسلم بصدقة فقسمها هاهنا وهاهنا حتى ذهبت قال وراءه رجل من الانصار فقال ما هذا بالعدل فنزلت
هذه الاية وقال قتادة ومنهم من يلمزك في الصدقات يقول ومنهم من يطعن عليك في الصدقات وذكر لنا
ان رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية اتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا
محمد والله لئن كان امرك الله ان تعدل ما عدلت فقال نبي الله ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدي ثم قال نبي الله
احذروا هذا واشباهه يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم فاذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم
وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفسي بيده لا اعطيكم شيئا ولا امنعكموه انما انا خا
زن وهذا الذي قاله قتادة شبيه بما رواه الشيخان من حديث الزهري عن ابي سلمة عن ابي سعيد في قصة ذي الخويصرة
واسمه حرقوص لما اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين فقال له اعدل فانك لم تعدل فقال
لقد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد راه مقفيا انه يخرج من ضئضئ هذا قوم
السهم يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين مروق من الرمية فاينما لقيتموهم فاقتلو
هم فانهم شر قتلى تحت اديم السماء وذكر بقية الحديث ثم قال تعالى منبها لهم على ما هو خير لهم من ذلك ولو انهم
رضوا ما اتاهم الله ورسوله الاية تضمنت هذه الاية ادبا عظيما وسرا شريفا حيث جعل الرضا بما اتاه الله ور
سوله والتوكل على الله وحده وهو قوله وقالوا حسبنا الله وكذلك الرغبة الى الله وحده في التوفيق لطاعة
رسوله وامتثال الاوامر وترك الزواجر وتصديق الاخبار والاقتداء بالاثار انما الصدقات للفقراء والمسا
كين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله
والله عليم حكيم لما ذكر تعالى اعتراض المنافقين الجهلة على النبي صلى الله عليه وسلم ولمزهم اياه في قسم الصد
قات بين تعالى انه الذي قسمها وبين حكمها وتولى امرها بنفسه ولم يكل قسمها الى احد غيره فجزاها لهؤ
لاء المذكورين كما رواه ابو داود في سننه من حديث عبد الرحمن ابن زياد الافريقي وفيه ضعف عن نعيم
زياد ابن الحارث الصدائي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتى رجل فقال اعطني من الصدقة
فقال ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى تولاها بنفسه فجزاها ثمانية اصناف هل يجب استيعا
ب الدفع اليها او الى ما امكن منها على قولين احدهما انه يجب ذلك وهو قول الشافعي والثاني انه
لا يجب استيعابها وانه يجوز الدفع منها ويعطي جميع الصدقة مع وجود الباقين وهو قول
وجماعة وعلى هذا انما ذكرت الاصناف هاهنا لبيان المصرف لا الوجوب فيهم وحاجتهم و
عقد الى استيعاب الاعطاء ولوجوه الحجاج والماخذ مكان غير هذا والله اعلم

وانما قدم الفقرا ههنا لانهم احوج من البقية على المشهور لشدة فاقتهم وحاجتهم وعند ابي حنيفة ان
المسكين اسوا حالا من الفقير وهو كما قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية انا ابن عون عن محمد
قال عمر الفقير ليس بالذي لا مال له ولكن الفقير الاخلق الكسب قال ابن علية الاخلق المحارف عندنا والجمهور
على خلافه وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وابن زيد واختيار ابن جرير وغير واحد ان الفقير
هو المتعفف الذي لا يسال الناس شيا والمسكين هو الذي يسال ويطوف وقال قتادة الفقير
من به زمانة والمسكين صحيح الجسم وقال الثوري عن منصور عن ابراهيم الفقرا المهاجرين قال الثوري
يعني ولا يعطى الاعراب شيا وكذا روي عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن ابزى وقال عكرمة لا
تقولوا لفقرا المسلمين مساكين انما المساكين من اهل الكتاب ولنذكر الاحاديث تتعلق
بكل من الاصناف الثمانية اما الفقرا فعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل
الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي رواه احمد وابو داود والترمذي ولاحمد ايضا وابن ماجه والنسائي
عن ابي هريرة مثله وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار ان رجلين اخبراه انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسالانه من الصدقة فقلب فيهما البصر فراهما جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني
ولا لقوي مكتسب رواه احمد وابو داود والنسائي باسناد جيد قوي واما المساكين فعن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس
الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان قالوا فما المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد غنا
يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسال الناس شيا رواه البخاري ومسلم واما العاملون
عليها فهم الجباة والسعاة يستحقون منها قسطا على ذلك ولا يجوز ان يكونوا من اقربا النبي
صلى الله عليه وسلم الذين تحرم عليهم الصدقة لما ثبت في صحيح مسلم عن المطلب بن ربيعة بن الحارث
انه انطلق هو والفضل بن عباس يسالان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملهما على الصدقة فقال
ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لال محمد انما هي اوساخ الناس واما المولفة قلوبهم فاقسام منهم
من يعطى ليسلم كما اعطى النبي صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية من غنايم حنين وقد شهدها
مشركا قال فلم يزل يعطيني حتى صار احب الناس الي كما قال الامام احمد بسنده عن سعيد بن المسيب
عن صفوان بن امية قال اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانه لابغض الناس الي فما زال
يعطيني حتى صار احب الناس الي رواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري به ومنهم من
يعطى ليحسن اسلامه ويثبت قلبه كما اعطى يوم حنين ايضا جماعة من صناديد الطلقا واشرافهم مائة من الابل
وقال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله على وجهه في النار وفي الصحيحين عن
ابي سعيد ان عليا بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم بذهيبة في تربتها من اليمن فقسمها بين اربعة
نفر الاقرع بن حابس وعيينة بن بدر وعلقمة بن علاثة وزيد الخير وقال اتالفهم ومنهم من
يعطى لما يرجى من اسلام نظرايه ومنهم من يعطى ليجبي الصدقات ممن يليه ويدفع عن حوزة
المسلمين الضرر من اطراف البلاد ومحل تفصيل هذا في كتب الفروع والله اعلم وهل تعطى المولفة على
الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم فيه خلاف فروي عن عمر والشعبي وجماعة انهم لا يعطون بعده لان الله قد
اعز الاسلام واهله ومكن لهم في البلاد واذل لهم رقاب العباد وقال اخرون بل يعطون لانه عليه السلام
اعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا امر قد يحتاج اليه فيصرف اليهم واما الرقاب فروي
عن الحسن البصري ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير والنخعي والزهري
وابن زيد انهم المكاتبون وروي عن ابي موسى الاشعري نحوه وقال ابن عباس والحسن والليث

والشافعي



والشافعي لا باس ان يعتق الرقبة من الزكاة وهو مذهب الامام احمد ومالك واسحق اي ان الرقا
ب اعم من ان يعطى المكاتب او يشتري رقبة يعتقها استقلالا وقد ورد في ثواب الاعتاق وفك
الرقبة احاديث كثيرة وان الله يعتق بكل عضو منها عضوا من معتقها حتى الفرج بالفرج وما ذاك
الا لان الجزا من جنس العمل وما تجزون الا ما كنتم تعملون وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ثلاثة حق على الله عونهم الغازي في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الادا والناكح الذي يريد
العفاف رواه احمد واهل السنن الا ابا داود وفي المسند عن البرا بن عازب قال جاء رجل الى ر
سول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال اعتق
النسمة وفك الرقبة فقال يا رسول الله اوليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تفرد بعتقها وفك الرقبة
ان تعين في ثمنها واما الغارمون فهم اقسام فمنهم من تحمل حمالة او ضمن دينا فلزمه فاجحف
ماله او غرم في ادا دينه او في معصيته والاصل حديث ان المسالة لا تحل الا لاحد ثلاثة رجل تحمل حمالة — قبيصة
فحلت له المسالة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل اصابته جايحة اجتاحت ماله فحلت له المسالة حتى
يصيب قواما من عيش او قال سدادا من عيش ورجل اصابته فاقة حتى يشهد ثلاثة من ذوي
الحجا من قومه لقد اصابت فلانا فاقة فحلت له المسالة حتى يصيب قواما من عيش او سدادا من عيش
فما سواهن من المسالة سحت ياكلها صاحبها سحتا رواه مسلم وعن ابي سعيد قال اصيب رجل في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدقوا عليه
فتصدق ناس عليه فلم يبلغ وفا دينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لغرمايه خذوا ما وجدتم وليس
لكم الا ذلك رواه مسلم وقال احمد ثنا عبد الصمد باسناد الى عبد الرحمن بن ابي بكر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقول يا ابن ادم فيم اخذت
هذا الدين وفيم ضيعت حقوق الناس فيقول يا رب انك تعلم اني اخذته فلم اكل ولم البس ولم اشرب
ولكن اتى علي اما حرق واما سرق واما وضيعة فيقول الله صدق عبدي انا احق — اليوم
من قضى عنك فيدعو الله بشي فيضعه في كفة ميزانه فترجح حسناته على سياته فيدخل الجنة بفضل
الله ورحمته واما في سبيل الله فمنهم الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان وعند احمد والحج في
سبيل الله للحديث وكذلك ابن السبيل وهو المسافر المجتاز في بلد ليس معه شي يستعين
به على سفره فيعطى من الزكاة الصدقات ما يكفيه الى بلده وان كان له مال وهكذا الحكم فيمن اراد انشا
سفر من بلده وليس معه شي فيعطى من الزكاة كفايته في ذهابه وايابه والدليل على ذلك الاية وما رواه ابو ا
داود وابن ماجه من حديث معمر عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة العامل عليها او رجل اشتراها بماله او غارم او غاز في سبيل الله او مسكين
تصدق عليه فاهدى لغني وقد رواه عن زيد بن اسلم عن عطا مرسلا ولابي داود عن
عطية العوفي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني الا في سبيل الله وابن السبيل
او جار فقير فيهدي لك او يدعوك وقوله فريضة من الله اي حكما مقدرا بتقدير الله وفرضه وقسمه
والله عليم حكيم اي عليم بظواهر الامور وبواطنها وبمصالح عباده حكيم فيما يقوله ويفعله ويشرعه ويحكم به لا اله الا هو ولا رب
سواه ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين ورحمة
للذين امنوا منكم والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم يقول تعالى ومن المنافقين قوم يوذو
ن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون هو اذن اي من قال له شيا صدقه في حديثنا فاذا جيناه

وحلفوا انهم صدقوا وروي معناه عن ابن عباس ومجاهد وقتاده قل هو اذن خير لكم اي هو اذن خير يعرف
الصادق من الكاذب ويومن بالله ويومن للمومنين اي ويصدق المومنين ورحمة للذين امنوا منكم اي وهو حجة على
الكافرين ولهذا قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق
ان يرضوه ان كانوا مومنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي
العظيم قال قتاده في قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم قال ذكر لنا ان رجلا من المنافقين قال والله ان هو
هولاء لخيارنا واشرافنا وان كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير قال فسمعها رجل من المسلمين فقال والله
ما يقول محمد لحق ولانت اشر من الحمار قال فسعى بها الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فارسل الى الرجل كذلك
فقال ما حملك على الذي قلت فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك وجعل الرجل المسلم يقول اللهم صدق الصا
دق وكذب الكاذب فانزل الله عز وجل يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقوله الم يعلموا انه من يحادد الله
ورسوله الاية اي الم يتحققوا انه من حاد الله وشاقه وحاربه وخالفه وكان في حد
في حد والله ورسوله في حد فان له نار جهنم خالدا فيها اي مهانا معذبا فيها وذلك هو الخزي العظيم اي وهذا هو
الذل العظيم والشقا الكبير يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما
تحذرون قال مجاهد يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا هذا وهذه الاية
شبيهة بقوله تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول الاية
وقال في هذه الاية قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون اي ان الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين له
امركم كما قال ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اسرارهم قال قتاده وكانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين
ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفر
تم بعد ايمانكم ان نعف عن طايفة منكم نعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين قال ابو معشر المدني عن محمد ابن
كعب القرظي وغيره قال رجل من المنافقين ما ارى قراءنا هولاء الا ارغبنا بطونا واكذبنا السنة واجبنا
عند اللقاء فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نخو
ض ونلعب فقال ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون الى قوله مجرمين وان رجليه لتسفعان الحجارة وما
يلتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن وهب اخبرني هشام ابن سعد عن زيد ابن اسلم عن عبد الله
ابن عمر قال قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوما ما رايت مثل قراينا هولاء ارغب بطونا ولا اكذب
السنا ولا اجبن عند اللقا فقال رجل في المسجد كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القران قال عبد الله ابن عمر وانا رايته متعلقا بحقب ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابالله واياته تنكبه
ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم وقد رواه الليث عن هشام ابن سعد بنحو من هذا وقال ابن اسحق و
قد كان جماعة من المنافقين منهم وديعه ابن ثابت اخو بني امية ابن زيد بن عمرو ابن عوف ورجل
من اشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي ابن حمير يشيرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق الى
تبوك فقال بعضهم لبعض اتحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكانا بكم غدا مقرنين
في الحبال ارجافا وترهيبا للمومنين فقال مخشي ابن حمير والله لوددت اني اقاضى على ان يضرب كل رجل منا
مائة جلدة على ان ننجو من ان ينزل فينا قران لمقالتكم هذه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار ابن ياسر
ادرك القوم فانهم قد احترقوا فاسالهم عما قالوا فان انكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق عمار اليهم
فقال ذلك لهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وديعه ابن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على
راحلته يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب فقال مخشي ابن حمير قعد بي اسمي واسم ابي فكان الذي عفي عنه

في هذه الاية



مخشي ابن حمير

في هذه الاية فسمي عبد الرحمن وسال الله ان يقتل شهيدا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له اثر
وقال قتاده في هذه الاية قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوته الى تبوك وركب من المنا
فقين يسيرون بين يديه فقالوا ايظن هذا ان يفتح قصور الروم وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله
نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فقال علي بهولاء النفر فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا ما كنا الا نخوض
ونلعب وقال عكرمة في تفسير هذه الاية كان رجل ممن ان شاء الله عفى عنه يقول اللهم اني اسمع اية انا اعنى بها
تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت
انا دفنت قال فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا وقد وجد غيره وقوله لا تعتذروا قد كفرتم
بعد ايمانكم اي بهذا المقال الذي استهزاتم به ان نعف عن طايفة منكم نعذب طايفة اي لا يعفى
عن جميعكم ولابد من عذاب بعضكم بانهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطية المنافقون والمنا
فقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنا
فقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله
ولهم عذاب عظيم يقول تعالى منكرا على المنافقين الذين على خلاف صفات المومنين يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وقوله ويقبضون ايديهم اي عن الانفاق في سبيل الله نسوا الله فنسيهم اي عاملهم
معاملة من نسيهم كقوله فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ان المنافقين هم الفاسقون اي الخار
جون عن طريق الحق الداخلون في طرق الضلال وقوله وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم اي على هذا الصنيع الذي ذكر عنهم خالدين فيها اي ماكثين فيها مخلدين هم والكفار هي حسبهم
اي كفايتهم في العذاب ولعنهم الله اي طردهم وابعدهم ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم
قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
وخضتم كالذي خاضوا اوليك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واوليك هم الخاسرون يقول تعالى اصاب
هولاء من عذاب الله في الدنيا والاخرة كما اصاب من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واكثر اموالا واولادا فا
ستمتعوا بخلاقهم قال الحسن البصري بدينهم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا
اي في الكذب والباطل اوليك حبطت اعمالهم اي بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لانها فاسدة في الدنيا
والاخرة واوليك هم الخاسرون لانهم لم يحصل لهم عليها ثواب قال ابن جريج عن عمر ابن عطا عن عكرمة عن ابن عباس
قوله كالذين من قبلكم الاية قال ابن عباس ما اشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هولاء بنو اسرايل
شبهنا بهم لا اعلم الا انه قال والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل رجل جحر ضب لدخلتموه قال ابن جريج
واخبرني زياد ابن مهاجر عن سعيد ابن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب
لدخلتموه قالوا ومن هم يا رسول الله اهل الكتاب قال فمه وكذا رواه ابو معشر عن سعيد المقبري عن ابي هر
يرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد ابو هريرة فاقروا ان شيتم القران كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة الى قو
له بخلاقهم قال ابو هريرة الخلاق الدين وخضتم كالذي خاضوا قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم
قال فهل الناس الا هم ولهذا شاهد في الصحيح الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرا
هيم واصحاب مدين والموتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
يقول تعالى واعظا لهولاء المنافقين المكذبين للرسل الم ياتهم نبا الذين من قبلهم اي الم تخبروا خبر
من كان قبلكم من الامم المكذبة للرسل قوم نوح وما اصابهم من الغرق العام لجميع اهل الارض الا من امن بنوح عليه السلام

وعاد كيف اهلكوا بالريح لما كذبوا هودا وثمود كيف اهلكوا بالصيحة لما كذبوا صالحا وقوم ابراهيم كيف نصره الله
وايده بالمعجزات الظاهرة واهلك ملكهم نمرود وهم اصحاب مدين وهم قوم شعيب لما كذبوا شعيبا وكيف اصابهم
الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظلة والمؤتفكات قوم لوط وقد كانوا يسكنون مداين وفي الاخرى والمؤتفكة الهوى
اي الامة المؤتفكة وقيل ام قراهم وهي سدوم والغرض ان الله تعالى اهلكهم عن اخرهم بتكذيبهم لوطا اتتهم رسلهم
بالبينات اي بالحجج والدلايل فما كان الله ليظلمهم لانه اقام عليهم الحجة بارسال الرسل وازاحة العلل ولكن كانوا انفسهم يظلمون
اي بتكذيبهم ومخالفتهم الحق فصاروا الى ما صاروا اليه ❊ والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم
لما ذكر تعالى صفات المنافقين الذميمة عطف بذكر صفات المومنين المحمودة فقال بعضهم اولياء بعض اي
يتناصرون ويتعاضدون لما في الصحيح المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه وقوله
ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر لقوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف الاية وقوله
ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة اي يطيعون الله ويحسنون الى خلقه ويطيعون الله ورسوله فيما امر وترك
ما عنه زجر اولئك سيرحمهم الله اي من اتصف بهذه الصفات ان الله عزيز حكيم اي عزيز ومن اطاعه عز حكيم
في قسمه هذه الصفات لهولاء وتخصيصه المنافقين بالصفات المتقدمة فان له الحكمة في جميع ما يفعله وعد
الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان
من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم يخبر تعالى بما اعده للمومنين والمومنات من الخيرات والنعيم المقيم في
جنات عدن خالدين فيها اي ماكثين فيها ابدا ومساكن طيبة اي حسنة البنا طيبة القرار كما في الصحيحين
عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وجنتان من فضة
انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن وفيهما عنه مرفوعا
ان للمومن في الجنة لخيمة من لولوة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا في السما للمومن فيها اهلون يطوفون عليهم لا يرى بعضهم
بعضا وفيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة وصام رمضان فان
حقا على الله ان يدخله الجنة هاجر في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا نخبر الناس
قال ان في الجنة ماية درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سالتم الله
فاسلوه الفردوس فانه اعلا الجنة واوسط الجنة ومنه تفجر انهار الجنة وفوقه عرش الرحمن وفيهما عن سهل ابن سعد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء ليعلم ان اعلا
منزلة فيها مكان يقال له الوسيلة لقربه من العرش وهو مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه احمد عن ابي هريرة مرفوعا
اذا صليتم علي فاسالوا الله لي الوسيلة قيل يا رسول الله وما الوسيلة قال اعلا منزلة في الجنة لا ينالها الا رجل واحد وارجو ان اكون
انا هو وفي صحيح مسلم عن عبد الله ابن عمرو انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما
يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم اسالوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وعن ابن عباس رفعه من سال
الله لي الوسيلة فانه لم يسالها الله لي عبد في الدنيا الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة رواه الطبراني وفي مسند
احمد عن ابي هريرة قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناوها قال لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك وحصباوها
اللولو والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يباس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه
وروي عن ابن عمر موقوفا نحوه وفي الترمذي عن علي مرفوعا ان في الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها
من بطونها فقام اعرابي فقال لمن هي يا رسول الله قال لمن طيب الكلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى
بالليل والناس نيام قال هذا حديث غريب ورواه الطبراني من حديث عبد الله ابن وابي مالك الاشعري

في الجنة

فاسالوا

قال احمد ثنا عبد الرزاق انا سفيان عن ليث عن كعب عن ابي هريرة

كلا

١٤٢

وكل منهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وكل من الاسنادين جيد حسن ويحتمل ان السايل هو ابو مالك وعن
اسامة ابن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هل مشمر الى الجنة فان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلالا
وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في ابد في دار سليمة
وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله تعالى
فقال القوم ان شاء الله رواه ابن ماجه وقوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي رضى الله عنهم اكبر واجل واعظم
مما هم فيه من النعيم كما قال مالك عن زيد ابن اسلم عن عطاء ابن يسار عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم
فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول اعطيكم افضل من ذلك فيقولون
احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا اخرجاه وعن جابر رفعه اذا دخل اهل الجنة الجنة قال الله عز وجل
تشتهون شيا فازيدكم قالوا يا رب ما خير مما اعطيتنا قال رضواني اكبر رواه البزار وقال الحافظ الضيا هذا عندي
على شرط الصحيح ❊ يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبيس المصير يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من
فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض من
ولي ولا نصير امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم كما امره ان يخفض
جناحه لمن اتبعه من المومنين واخبره ان مصير الكفار والمنافقين الى النار في الدنيا والاخرة وقد تقدم
قول علي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعة اسياف الى اخره وفيه وسيف للمنافقين وهذا يقتضي انهم يجاهدون
بالسيوف اذا اظهروا النفاق وهو اختيار ابن جرير وقال ابن مسعود في قوله جاهد الكفار والمنافقين قال
بيده فان لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال ابن عباس امره بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان و
قال الضحاك جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم وعن مقاتل والربيع
مثله وقال الحسن وقتادة ومجاهد مجاهدتهم اقامة الحدود عليهم ويقال لا منافاة بين هذه الاقوال وقوله
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال قتادة نزلت في ابن ابي وذلك انه
اقتتل رجلان جهني وانصاري فعلا الجهني على الانصاري فقال عبد الله الا تنصرون اخاكم فوالله ما مثلنا
ومثل محمد الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك وقال لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من
المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فجعل يحلف ما قاله فانزل الله فيه هذه الاية وعن موسى ابن عقبة
قال حدثني عبد الله ابن الفضل سمعت انس ابن مالك يقول حزنت على من اصيب من قومي بالحرة فكتب الي زيد
ابن ارقم وبلغه شدة حزني يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار وشك ابن الفضل
في ابناء ابناء الانصار قال ابن الفضل فسال انسا بعض من كان عنده عن زيد ابن ارقم
فقال هو الذي يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اوفى الله باذنه قال وذلك حين سمع رجلا من المنافقين يقول
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب لين كان هذا صادقا لنحن شر من الحمير قال زيد فهو والله صادق ولانت شر من
الحمار ثم رفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجحد القايل فانزل الله تصديق زيد يعني قوله يحلفون بالله ما
قالوا الاية رواه البخاري باسناده عن موسى ابن عقبة ثم قال قال ابن شهاب والمشهور ان هذه القصة انما
كانت في غزوة المصطلق فلعل الراوي ذكر الاية واراد ان يذكر غيرها قال عروة ابن الزبير نزلت في الجلاس
ابن سويد ابن الصامت اقبل هو وابن امراته مصعب ابن دينار فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا
لنحن شر من حميرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب اما والله يا عدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلت

فكتب

بني

ورجع عمار فقال يا عمار هل عرفت القوم صح

واتيت النبي صلى الله عليه وسلم وخفت ان ينزل في القران او يصيبني قارعة او ان اخلط بخطيئته فقلت يا رسول الله
اقبلت انا والجلاس من قبا فقال كذا وكذا ولولا اني فرقت ان اخلط بخطيئته او يصيبني قارعة ما اخبرتك
قال فدعا الجلاس فقال يا جلاس اقلت الذي قال مصعب فحلف فانزل الله ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم الاية وقال محمد ابن كعب كان الذي قال تلك المقالة فيما بلغني الجلاس ابن سويد ابن
الصامت فرفعها عليه رجل كان في حجره يقال له عمير ابن سعيد فانكرها فحلف بالله ما قالها فلما نزل فيه
القران تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغني وقال ابن جرير باسناده عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة فقال انه سياتيكم انسان ينظر اليكم بعيني الشيطان
فاذا جاءكم فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع عليهم رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام
تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى وزعتهم فانزل الله عز وجل
يحلفون بالله ما قالوا الاية وقوله وهموا بما لم ينالوا قيل نزلت في الجلاس وذلك انه هم بقتل ابن امراته
حين قال لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في عبد الله ابن ابي هم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقال
السدي نزلت في اناس ارادوا ان يتوجوا عبد الله ابن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
ورد ان نفرا من المنافقين هموا بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة تبوك في بعض الليالي في حال السير
وكانوا بضعة عشر رجلا قال الضحاك ففيهم نزلت هذه الاية وذلك بين فيما ذكر البيهقي في دلايل النبوة من
حديث ابن اسحق عن الاعمش عن عمرو ابن مرة عن ابي البختري عن حذيفة قال كنت اخذا بخطام ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقود به وعمار يسوق الناقة او انا اسوق وعمار يقوده حتى اذا كنا بالعقبة فاذا انا
باثني عشر راكبا قد اعترضوه فيها قال فانبهت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرخ بهم فولوا مدبرين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفتم القوم قلنا يا رسول الله قد كانوا متلثمين ولكن قد عرفنا الركاب قال هولاء
المنافقون الى يوم القيامة وهل تدرون ما ارادوا قلنا لا قال ارادوا ان يزحموا رسول الله في العقبة فيلقوه
منها قلنا يا رسول الله الا تبعث الى عشايرهم حتى يبعث اليك كل قوم براس صاحبهم قال اكره ان تتحدث العرب
ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا اظهره الله بهم اقبل عليهم يقتلهم ثم قال اللهم ارمهم بالدبيلة قلنا يا رسول الله وما
الدبيلة قال شهاب من نار يقع على نياط قلب احدهم فيهلك وقال الامام احمد حدثنا يزيد انبانا
الوليد ابن عبد الله ابن جميع عن ابي الطفيل قال لما اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك امر منا
ديا فنادى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حذيفة ويسوقه عمار اذ اقبل رهط متلثمون قال وهو
على الرواحل فغشوا عمارا وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل القوم فقال قد
عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون قال هل تدري ما ارادوا قال الله ورسوله اعلم قال ارادوا ان
ينفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيطرحوه قال فسال عمار رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال
انشدك بالله كم تعلم كان اصحاب العقبة قال اربعة عشر فقال ان كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر قال فعدد
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة قالوا والله ما سمعنا منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علمنا ما اراد
القوم فقال عمار اشهد ان الاثني عشر الباقين حرب لله عز وجل ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وهكذا
روى ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة ابن الزبير نحو هذا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان
يمشي الناس في بطن الوادي وصعد هو وحذيفة فرجع اليهم فضرب وجوه رواحلهم فرجعوا
حتى داعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة وعمارا باسمايهم وما كانوا هموا به من الفتك برسول الله صلى الله
عليه وسلم وامرهما ان يكتما عليهم وكذا روى يونس ابن بكير عن ابن اسحق الا انه سمى جماعة منهم
فالله اعلم وكذا وقع في معجم الطبراني قاله البيهقي ويشهد لهذه القصة بالصحة ما رواه مسلم

عن

الباقين

عن ابي الطفيل قال كان بين رجل من اهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال انشد
ك بالله كم كان اصحاب العقبة فقال له القوم اخبره اذ سالك فقال كنا نخبر انهم اربعة عشر فان كنت منهم
فقد كان القوم خمسة عشر واشهد بالله ان اثني عشر منهم حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد
وعذر ثلاثة قالوا ما سمعنا منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علمنا بما اراد القوم وقد كان في حرة فقال ان
الماء قليل فلا يسبقني اليه احد فوجد قوما قد سبقوه فلعنهم يومئذ ورواه مسلم ايضا من حديث قتادة عن ابي نضرة
عن عمار ابن ياسر عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في اصحابي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون
ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج من نار يظهر بين اكتافهم حتى ينجم
من صدورهم ولهذا كان حذيفة يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره اي من تعيين جماعة المنافقين وهم هو
لاء وقد اطلعه عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره والله اعلم وقوله وما نقموا الا ان اغناهم الله ور
سوله من فضله اي وما للرسول عندهم ذنب الا ان الله اغناهم ببركته ويمن سفارته ولو تمت عليهم السعادة لهداهم
الله لما جاء به كما قال صلى الله عليه وسلم للانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال
شيئا قالوا الله ورسوله امن وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب كما قال تعالى وما نقموا منهم الا ان يومنوا بالله العزيز الحميد و
كما قال عليه السلام ما ينقم ابن جميل الا انه كان فقيرا فاغناه الله ثم دعاهم تبارك وتعالى الى التوبة فقال تعالى
فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا اي يستمروا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا اي بالقتل والهم والغم وفي الاخرة
بالعذاب والنكال والهوان والصغار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير اي وليس لهم احد يسعدهم ولا ينجدهم ولا يحصل
لهم خيرا ولا يدفع عنهم شرا ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم
من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما
كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب يقول تعالى ومن المنافقين من
اعطى الله عهده وميثاقه لئن اغناه الله من فضله ليصدقن وليكونن من الصالحين فما وفى بما قال ولا
صدق فيما ادعى فاعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم الى يوم يلقون الله عز وجل يوم القيامة عياذا
بالله من ذلك وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن ان سبب نزول هذه الاية في ثعلبة
ابن حاطب الانصاري وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير ههنا وابن ابي حاتم عن ابي امامة عن ثعلبة
ابن حاطب الانصاري انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة اخرى فقال اما ترضى ان تكو
ن مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك
بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق
ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من او
ديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الجمعة فطفق
يتلقى الركبان يوم الجمعة يسالهم عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول
الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فاخبروه بامره فقال يا ويح ثعلبة وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم
صدقة الاية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة فقال لهما مرا بثعلبة وبفلان
رجل من بني سليم فخذا صدقتهما فاتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرااه كتاب رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما ادري ما هذا انطلقا حتى
تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم

فقالوا ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ... وما نريد ان ناخذ هذا منك فقال بلى فخذوها فان نفسي بذلك طيبة و
انما هي لي فاخذوها منه فلما فرغا من صدقتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال
ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة
قبل ان يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة فاخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فانزل الله فيه ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله بما كانوا يكذبون قال وعند رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا
فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك
فجعل يحثو على راسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يقبل صدقته رجع الى منزله فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبل منه شيئا ثم
اتى ابا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار
فاقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقبلها فقبض ابو بكر ولم يقبلها فلما
تولى عمر اتاه فقال يا امير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر وانا اقبلها
منك فقبض ولم يقبلها ثم ولي عثمان رضي الله عنه فساله ان يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
ابو بكر ولا عمر وانا اقبلها منك فهلك في خلافة عثمان وقوله بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون اعقبهم
النفاق في قلوبهم بسبب اخلافهم الوعد وكذبهم كما جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اية
المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وله شواهد كثيرة والله اعلم وقوله
الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب يخبرهم تعالى انه يعلم السر واخفى وانه اعلم بضمائرهم
وان اظهروا انه ان حصل لهم اموال تصدقوا وشكروا عليها فانه اعلم بهم من انفسهم لانه تعالى علام الغيوب
اي يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ما ظهر وما بطن الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين
في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم وهذا ايضا من
صفات المنافقين لا يسلم احد من عيبهم ولمزهم في جميع الاحوال حتى ولا المتصدقون لا يسلمون منهم ان جاء
احد بمال جزيل قالوا هذا مرائي وان جاء احد بشيء يسير قالوا ان الله لغني عن صدقة هذا كما قال البخاري و
مسلم عن ابي وائل عن ابي مسعود قال لما نزلت اية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير
فقالوا مرائي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزل الذين يلمزون المطوعين من
المؤمنين في الصدقات الاية ورواه مسلم ايضا في صحيحه من حديث شعبة به وقال الامام احمد حدثنا الجريري
عن ابي السليل قال وقف علينا رجل بالبقيع فقال حدثني ابي او عمي انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع و
هو يقول من يتصدق بصدقة اشهد له بها يوم القيامة قال فحللت من عمامتي لوثا او لوثين وانا اريد
ان اتصدق بهما فادركني ما يدرك ابن ادم فعقدت على عمامتي فجاء رجل لم ار بالبقيع رجلا اشد سوادا
منه ولا اصغر ولا ادم ببعير ساقه لم ار بالبقيع ناقة احسن منها فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقة
قال نعم قال دونك هذه الناقة قال فلمزه رجل فقال هذا يتصدق بهذه فوالله لهي خير منه قال فسمعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت بل هو خير منك ومنها ثلاث مرات ثم قال ويل لاصحاب
المئين من الابل ثلاث مرات قالوا الا من يا رسول الله قال الا من قال بالمال هكذا وهكذا وجمع بين كفيه
عن يمينه وعن شماله ثم قال قد افلح المزهد المجهد ثلاثا المزهد في العيش المجهد في العبادة

وقال



وقال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في هذه الاية قال جاء عبد الرحمن ابن عوف باربعين
اوقية من ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء بعض الانصار بصاع من طعام فقال
بعض المنافقين ما جاء به عبد الرحمن الا رياء وقالوا ان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع وقال العو
في عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الناس فنادى فيهم ان اجمعوا صدقاتكم
ثم جاء رجل من اخرهم بصاع من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتي اجر بالجرير الماء حتى نلت
صاعين من تمر فامسكت احدهما واتيتك بالاخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في
الصدقات فسخر منه رجال فقالوا ان الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعون بصاعك من شيء
ثم ان عبد الرحمن ابن عوف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقي احد من اهل الصدقات فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق احد غيرك فقال عبد الرحمن فان عندي مائة اوقية من ذهب فقال له عمر
ابن الخطاب امجنون انت قال ليس بي جنون قال افعلت ما فعلت قال نعم مالي ثمانية الاف اما اربعة فاقرضها
ربي واما اربعة فلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت فلمز المنا
فقون وقالوا والله ما اعطى عبد الرحمن عطيته الا رياء وهم كاذبون انما كان متطوعا فانزل الله عز وجل عذ
ره وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر فقال تعالى في كتابه الذين يلمزون المطوعين من
المؤمنين في الصدقات الاية وكذا روي عن مجاهد وغير واحد وقال ابن اسحق كان المطوعين من
المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن ابن عوف تصدق باربعة الاف وقام عاصم ابن عدي فتصدق
بماية وسق من تمر اخا بني العجلان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب في الصدقة وحض
عليها فقام عبد الرحمن ابن عوف فتصدق باربعة الاف وقام عاصم ابن عدي فتصدق بماية و
سق من تمر فلمزهما وقالوا ما هذا الا رياء وكان الذي تصدق بجهده ابو عقيل
اخو بني انيف الاراشي حليف بني عمرو ابن عوف اتى بصاع من تمر فافرغه في الصدقة فتضا
حكوا به وقالوا ان الله لغني عن صاع ابي عقيل وقال الحافظ البزار حدثنا طالوت باسناده عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا فاني اريد ان ابعث بعثا قال فجاء عبد الرحمن
ابن عوف وقال يا رسول الله عندي اربعة الاف الفين اقرضهما ربي والفين لعيالي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وبارك لك فيما امسكت وبات رجل من الانصار فاصاب صاعين
من تمر فقال يا رسول الله اصبت صاعين من تمر صاع اقرضته ربي وصاع لعيالي قال فلمزه المنافقون
وقالوا ما اعطى الذي اعطى ابن عوف الا رياء وقالوا الم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا فانزل
الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الاية ثم رواه عن ابي كامل عن ابي عوانة
عن عمر ابن ابي سلمة عن ابيه مرسلا قال ولم يسنده احد الا طالوت وروى ابن جرير عن ابي عقيل
قال بت ليلتي اجر بالجرير على ظهري على صاعين من تمر فانقلبت باحدهما الى اهلي يتبلغون به
وجئت بالاخر اتقرب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
فقال انثره في الصدقة قال فسخر القوم وقالوا ان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فانزل الله
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الاية وكذا رواه الطبراني من حديث زيد
بن الحباب به وقال اسم ابي عقيل حباب ويقال عبد الرحمن ابن عبد الله ابن ثعلبة وقوله
فيسخرون منهم سخر الله منهم هذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم لان الجزاء من جنس العمل فعاملهم
معاملة من سخر بهم انتصارا للمؤمنين في الدنيا واعد للمنافقين عذابا اليما في الاخرة استغفر لهم
او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفا

يخبر تعالى نبيه ان هولاء ليسوا اهلا للاستغفار وانه لو استغفر لهم سبعين مرة فان الله لا يغفر
لهم وقد قيل ان السبعين انما ذكرت حسما لمادة الاستغفار لان العرب في اساليب كلامها تذكر
السبعين في مبالغة ولا تريد التحديد ولا ان يكون ما زاد عليها بخلافها وقيل بل لها مفهوم كما
روى العوفي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الاية اسمع ربي
قد رخص لي فيهم فوالله لاستغفرن لهم اكثر من سبعين مرة لعل الله ان يغفر لهم فقال الله من شدة
غضبه عليهم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم الاية وقال الشعبي لما احتضر
عبد الله بن ابي انطلق ابنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابي قد احتضر فاني احب ان تشهده
وتصلي عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله فقال بل انت عبد الله
ابن عبد الله الحباب اسم الشيطان فانطلق معه والبسه قميصه وهو عرق وصلى عليه فقيل له
اتصلي عليه قال ان الله قال ان تستغفر لهم سبعين مرة ولاستغفرن لهم سبعين وسبعين وكذا روي
عن عروة ابن الزبير ومجاهد وقتادة رواها ابن جرير باسانيدها فرح المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر
قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا
يكسبون يقول تعالى ذاما للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك وفرحوا بقعودهم بعد خروجه وكرهوا ان يجاهدوا معه باموالهم
وانفسهم في سبيل الله وقالوا اي بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر وذلك ان الخروج الى غزوة تبوك في
شدة الحر عند طيب الظلال والثمار فلهذا قالوا لا تنفروا في الحر قال الله تعالى لرسوله قل
نار جهنم التي تصيرون اليها بسبب مخالفتكم اشد حرا مما فررتم منه من الحر بل اشد حرا من النار كما
قال الامام مالك عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نار
بني ادم التي يوقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا يا رسول الله ان كانت لكافية
فقال فضلت عليها بتسعة وستين جزءا اخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به وقال
الامام احمد باسناده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ناركم جزء من سبعين جزءا من
نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لاحد وهذا ايضا اسناد
صحيح وقد روى ابو عيسى الترمذي وابن ماجه عن ابي عباس الدوري عن يحيى ابن ابي بكير
عن شريك عن عاصم عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة
حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء
كالليل المظلم قال الترمذي لا اعلم احدا رفعه غير يحيى كذا قال وقد رواه الحافظ ابو بكر ابن مردويه بسنده
عن عمر ابن شريك ابن عبد الله النخعي به وروى ايضا ابن مردويه من رواية مبارك ابن فضالة عن
ثابت عن انس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم نارا وقودها الناس والحجارة قال اوقد
عليها الف عام حتى ابيضت والف عام حتى احمرت والف عام حتى اسودت فهي سوداء كالليل
لا يضيء لهبها وروى الحافظ الطبراني من حديث تمام ابن نجيح وقد اختلف فيه عن الحسن
عن انس مرفوعا لو ان شرارة بالمشرق من نار جهنم لوجد حرها من بالمغرب وروى الحافظ
ابو يعلى عن اسحق ابن ابي اسرائيل عن ابي عبيدة الحداد باسناده الى سعيد ابن جبير
عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان في هذا المسجد مائة الف
او يزيدون

او يزيدون وفيهم رجل من اهل النار فتنفس فاصابهم نفسه لاحرق المسجد ومن فيه غريب
وقال الاعمش عن ابي اسحق عن النعمان ابن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهون اهل النار عذابا
يوم القيمة لمن له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل لا يرى ان احدا من اهل النار اشد
عذابا منه وانه اهونهم عذابا اخرجاه في الصحيحين من حديث الاعمش ورواه مسلم في صحيحه عن ابي سعيد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهون اهل النار عذابا رجل يجعل له نعلان من نار يغلي دماغه من
حرارة نعليه وللامام احمد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل النار عذابا رجل يجعل له
نعلان يغلي منهما دماغه وهذا اسناد جيد قوي ورجاله على شرط مسلم والله اعلم والاحاديث والاثار
النبوية في هذا كثيرة وقال تعالى في كتابه العزيز كلا انها لظى نزاعة للشوى الاية وقوله تعالى يصب من
فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود الى قوله وذوقوا عذاب الحريق وقال تعالى ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم
نارا الاية وقال في هذه الاية الكريمة قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون اي لو انهم يفقهون ويفهمون لنفروا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الحر ليتقوا به من نار جهنم التي هي اضعاف هذا ولكنهم كما قيل كالمستجير من
الرمضاء بالنار وقال الاخر عمرك بالحمية افنيته مخافة البارد والحار وكان اولى بك ان تتقي من المعا
صي حذر النار ثم قال تعالى متوعدا لهولاء المنافقين على صنيعهم فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا الا
ية وقال ابن ابي طلحة عن ابن عباس الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤا فاذا انقطعت الدنيا وصاروا
الى الله استانفوا بكاء لا ينقطع ابدا وكذا قال ابو رزين والحسن وقتادة والربيع ابن خثيم وزيد ابن اسلم
وروى ابو يعلى عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتبا
كوا فان اهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان
سفنا ارخيت فيها لجرت رواه ابن ماجه من حديث الاعمش عن يزيد الرقاشي به وقال الحافظ ابو بكر
عبد الله ابن محمد ابن العباس حدثنا حماد الجزري عن زيد ابن رفيع رفعه قال اذا دخل اهل النار النار بكوا
الدموع زمانا ثم بكوا القيح زمانا قال فتقول لهم الخزنة يا معشر الاشقياء تركتم البكاء في الدار المرحوم
فيها اهلها في الدنيا هل تجدون اليوم من تستغيثون به قال فيرفعون اصواتهم يا معشر اهل الجنة يا معشر الاباء
والامهات والاولاد خرجنا من القبور عطاشا فافيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قال فيدعون
اربعين سنة لا يجيبهم ثم يجيبهم انكم ماكثون فيايسون من كل خير فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا
مع الخالفين يقول تعالى امرا لرسوله صلى الله عليه وسلم فان رجعك الله اي ردك الله من غزوتك هذه الى طائفة منهم
قال قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا فاستاذنوك في الخروج اي معك الى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا
معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اي تعزيرا لهم وعقوبة ثم علل ذلك بقوله انكم رضيتم بالقعود اول مرة وهذا
كقوله ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة فان جزاء السيئة السيئة بعدها كما ان من ثواب
الحسنة الحسنة بعدها كما في عمرة الحديبية سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم
الاية وقوله فاقعدوا مع الخالفين اي الرجال الذين تخلفوا عن الغزاة قال قتادة مع الخالفين اي النساء
قال ابن جرير وهذا لا يستقيم لان جمع النساء لا يكون بالياء والنون ولو اريد النساء لقال فاقعدوا مع الخوا
لف والخالفات ورجح قول ابن عباس رضي الله عنهما ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره
انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبرا من المنا
فقين وان لا يصلي على احد منهم مات وان لا يقوم على قبره ليستغفر له او يدعو له لانهم كفروا بالله ورسوله

كلامها

عمر

من

يوم القيمة كما يغلي المرجل لا يرى ان احدا من اهل النار اشد عذابا منه وانه لاهونهم عذابا

آخر

الدموع فتسيل فتقرح العيون

قال ابن عباس

وماتوا عليه وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه وان كان سبب نزول الاية في عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين
كما قال البخاري حدثنا عبيد الله بن اسماعيل عن ابي اسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال لما توفي
عبد الله هو ابن ابي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن
فيه اباه فاعطاه ثم سأله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما خيرني فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وساز يده على السبعين
قال انه منافق قال فصلى عليه فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره وكذا رواه
مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة عن ابي اسامة ثم رواه البخاري عن ابراهيم بن المنذر عن انس بن عياض عن
عبيد وهو ابن عمر العمري به وقال فصلى عليه وصلينا معه فانزل الله ولا تصل على احد منهم مات ابدا
ولا تقم على قبره وكذا رواه احمد عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله به وقد روي من حديث عمر نفسه ايضا
بنحو من هذا فقال الامام احمد حدثنا يعقوب حدثنا ابي عن ابي اسحق عن الزهري عن عبيد الله بن
عبد الله عن ابن عباس قال سمعت عمر يقول لما توفي عبد الله بن ابي دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة
عليه فقام عليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله اعلى عدو الله عبد الله
ابن ابي القائل يوم كذا وكذا كذا وكذا يعدد ايامه قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا اكثرت
عليه قال اخر عني يا عمر اني خيرت قد قيل لي استغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو اعلم يوم عيد النحر
اني لو زدت على السبعين غفر لهم لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه وقام على قبره حتى فرغ منه فعجبت لي
وجرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت هاتان الايتان
ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره فما صلى بعده رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا
قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل وهكذا رواه الترمذي في التفسير من حديث محمد بن اسحق عن
الزهري به وقال حسن صحيح وقال البخاري عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن الزهري به فذكر
مثله وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت ولو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر
له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى نزلت
الايتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية فعجبت بعد من جرأتي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام احمد بسنده عن جابر قال لما مات عبد الله بن ابي اتى ابنه النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله انك ان لم تأته لم نزل نعير به فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم فوجده قد ادخل
حفرته فقال افلا قبل ان تدخلوه فاخرج من حفرته وتفل عليه من قرنه الى قدمه والبسه قميصه ورواه
النسائي عن عبد الملك بن سليمان به وروى البخاري عن ابن عيينة عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال اتى
النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعدما ادخل قبره فامر به فاخرج ووضع على ركبتيه ونفث عليه من
ريقه والبسه قميصه والله اعلم وقد رواه في غير موضع مع مسلم والنسائي من غير وجه عن سفيان بن
عيينة به وروى البزار في مسنده عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال لما مات راس المنافقين بالمدينة
فاوصى ان يصلي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان ابي اوصى ان
يكفن في قميصك قال فصلى عليه والبسه قميصه فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا
ولا تقم على قبره الاية وزاد عبد الرحمن وخلع النبي قميصه فاعطاه اياه ومشى وصلى عليه وقام على
قبره فاتاه جبريل عليه السلام لما ولى فقال ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية

واسناد



واسناده لا باس به وما قبله شاهد له

واسناد هذا الحديث لا باس به وما قبله شاهد له وقال الطبراني باسناده عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اراد ان يصلي على ابن ابي فاخذ جبريل بثوبه فقال ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم
على قبره ورواه ابو يعلى في مسنده عن يزيد الرقاشي وهو ضعيف وقال قتادة ارسل عبد الله بن
ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض فلما دخل عليه قال اهلكك حب يهود قال يا رسول الله انما ارسلت
اليك لتستغفر لي ثم سأله عبد الله ان يعطيه قميصه يكفن فيه فاعطاه اياه وصلى عليه وقام على قبره
فانزل الله ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية وقد ذكر بعض السلف انما البسه
قميصه لان عبد الله بن ابي لما قدم العباس طلب له قميص فلم يوجد على تفصيله الا ثوب عبد الله بن
ابي لانه كان ضخما طويلا ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مكافاة له والله اعلم ولهذا كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية الكريمة عليه لا يصلي على احد من المنافقين ولا يقوم على قبره
كما قال الامام احمد حدثنا يعقوب حدثنا ابي عن ابيه حدثنا عبد الله بن ابي قتادة عن ابيه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي الى جنازة سأل عنها فان اثني عليها خيرا قام فصلى عليها وان كان غير ذلك
قال لاهلها شانكم بها ولم يصل عليها وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على من جهل حاله حتى يصلي عليه حذ
يفة لانه كان يعلم اعيان المنافقين فقد اخبره بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان يقال له صاحب
السر الذي لا يعلمه غيره من الصحابة وقال ابو عبيد في كتاب الغريب في حديث عمر انه اراد ان يصلي على جنازة
فمرزه حذيفة كانه اراد ان يصده عن الصلاة عليها ثم ذكر ان المرز بلغة اهل اليمامة هو القرص با
طراف الاصابع ولما نهى الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم للاستغفار
لهم كان هذا الصنيع من اكبر القربات في حق المؤمنين فشرع ذلك وفي فعله الاجر الجزيل كما ثبت
في الصحاح وغيرها من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شهد الجنازة حتى يصلى عليها
فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال اصغرهما مثل احد واما القيام
عند قبر المؤمن اذا مات فقد قال ابو داود حدثنا ابراهيم بن موسى الرازي باسناده الى عثمان قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الرجل وقف على قبره وقال استغفروا لاخيكم واسالوا له التثبيت فانه
الان يسال انفرد باخراجه ابو داود ∴ ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون ∴ قد تقدم تفسير نظير هذه الاية ∴ واذا انزلت سورة ان امنوا بالله
وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع الخالفين الخوالف وطبع على قلوبهم
فهم لا يفقهون ∴ يقول تعالى منكرا وذاما للمتخلفين عن الجهاد الناكلين عنه مع القدرة عليه ووجود
السعة والطول استاذنوا الرسول في القعود وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا لانفسهم بالقعود
في البلد مع النساء وهن الخوالف بعد خروج الجيش فاذا وقع الحرب كانوا اجبن الناس واذا كان امن
كانوا اكثر الناس كلاما كما قال في الاية الاخرى فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اي علت السنتهم بالكلام الحاد القوي في الامن وفي الحرب اجبن
شيء كما قال الشاعر ∴ في السلم اعيار جفاء وغلظة ∴ وفي الحرب اشباه النساء العوارك ∴ وقال تعالى
في الاية الاخرى ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة الى قوله فلو صدقوا
الله لكان خيرا لهم وقوله وطبع على قلوبهم اي بسبب نكولهم عن الجهاد فهم لا يفقهون
اي لا يفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلوه ولا ما فيه مضرة فيجتنبوه ∴ لكن الرسول

حكي عن بعضهم

والذين امنوا معه وجاهدوا باموالهم وانفسهم واوليك لهم الخيرات واوليك هم المفلحون اعد الله
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم لما ذكر تعالى ذم المنافقين
بين ثنا المومنين وما لهم في اخرتهم فقال لكن الرسول والذين امنوا معه الى اخر الايتين من بيان
حالهم ومالهم وقوله واوليك لهم الخيرات اي في الدار الاخرة في الفردوس والدرجات العلى
وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم
ثم بين تعالى حال ذوي الاعذار في ترك الجهاد الذين جاوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه
ويبينون ما هم فيه من ضعف وعدم القدرة على الخروج وهم من احياء العرب ممن حول المدينة قال الضحاك
عن ابن عباس انه كان يقرا وجاء المعذرون بالتخفيف ويقول هم اهل العذر وكذا روى ابن عيينة عن حميد
عن مجاهد سوا وقال ابن اسحق بلغني انهم نفر من بني غفار خفاف ابن رحضة وهذا القول اظهر في معنى
الاية لانه قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله اي لم ياتوا فيعتذروا وقال ابن جريج عن مجاهد وجاء
المعذرون من الاعراب قال نفر من بني غفار جاوا فاعتذروا فلم يعذرهم الله وكذا قال الحسن وقتادة ومحمد
ابن اسحق والقول الاول اولى والله اعلم لما قدمنا من قوله بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
اي وقعد اخرون من الاعراب عن المجي للاعتذار ثم اوعدهم العذاب الاليم فقال سيصيب الذين كفروا
منهم عذاب اليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا
لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم
عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستاذنونك
وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ثم بين تعالى الاعذار
التي لا حرج على من قعد معها عن القتال فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف
في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد ومنه العمى والعرج ونحوهما ولهذا بدا به ومنها ما هو عارض
بسبب مرض عن له في بدنه شغله عن الخروج في سبيل الله او بسبب فقره لا يقدر على التجهيز للحرب فليس على هولاء
حرج اذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ولم يرجفوا بالناس ولم يثبطوهم وهم محسنون في حالهم هذا
ولهذا قال ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز ابن رفيع عن
ابي ثمامة قال الحواريون يا روح الله اخبرنا عن الناصح لله قال الذي يوثر حق الله على حق الناس واذا بدا
له امران او بدا له امر الدنيا وامر الاخرة بدا بالذي للاخرة ثم تفرغ للذي للدنيا وقال الاوزاعي خرج
الناس للاستسقا فقام فيهم بلال ابن سعد فقال يا معشر من حضر الستم مقرين بالاساءة فقالوا اللهم
نعم فقال اللهم انا نسمعك تقول ما على المحسنين من سبيل اللهم وقد اقررنا بالاساءة فاغفر لنا وارحمنا واسقنا و
رفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقال قتادة نزلت هذه الاية في عائذ ابن عمرو المزني وقال ابن ابي حاتم
باسناده عن زيد ابن ثابت قال كنت اكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت اكتب براءة فاني لواضع القلم
على اذني اذ امرنا بالقتال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ما ينزل عليه اذ جاء اعمى فقال كيف بي يا رسول
الله وانا اعمى فنزلت ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله
ورسوله قال نزلت في عائذ ابن عمرو وفي غيره وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الاية وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا معه غازين فجاءته عصابة فيهم عبد الله ابن المغفل المزني فقالوا يا رسول
الله احملنا فقال والله ما اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون وعز عليهم ان يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة
ولا محملا



ولا محملا فلما راى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله انزل الله عذرهم في كتابه فقال ليس على الضعفاء ولا على
المرضى الى قوله فهم لا يعلمون وقال مجاهد في قوله ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم نزلت في بني مقرن من مزينة و
قال محمد ابن كعب القرظي كانوا سبعة نفر من بني عمرو ابن عوف من الانصار وعدهم وذكر ابن كثير عدد
اسماوهم عن محمد ابن اسحق ومحمد ابن كعب ثم قال وقال ابن ابي حاتم حدثنا عمر ابن الاودي حدثنا وكيع عن الربيع
عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما انفقتم من نفقة او قطعتم واديا و
لا نلتم من عدو نيلا الا وقد شركوكم في الاجر ثم قرا ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم الاية واصله في الصحيحين
ورواه الامام احمد عن جابر بلفظه ورواه مسلم وابن ماجه من طرق عن الاعمش ثم رد تعالى الملامة على الذ
ين يستاذنونه وهم اغنياء ورضاهم بان يكونوا مع الخوالف يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذ
روا لن نومن لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون سيحلفون لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزا
بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اخبر تعالى عن المنافقين بانهم اذا رجعوا الى المدينة انهم يعتذرون اليهم قل لا تعتذروا لن نومن لكم اي لن
نصدقكم قد نبانا الله من اخباركم اي علمنا احوالكم وسيرى الله عملكم ورسوله اي سيظهر اعمالكم للناس في الدنيا
وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون اي يخبركم باعمالكم خيرها وشرها ويجزيكم عليها
ثم اخبر عنهم انهم سيحلفون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تونبوهم فاعرضوا عنهم احتقارا لهم
لانهم رجس اي خبثا نجسا بواطنهم واعتقادهم وماواهم في اخرتهم جهنم جزا بما كانوا يكسبون من الاثا
م والخطايا واخبر عنهم انهم ان رضوا عنهم بحلفهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي الخارجين عن طا
عته وطاعة رسوله فان الفسق هو الخروج ومنه سميت الفارة فويسقة لخروجها من جحرها للفساد ويقال
فسقت الرطبة اذا خرجت من اكمامها الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله
على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدواير عليهم دايرة السو والله
سميع عليم ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم
سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم يخبر تعالى ان في الاعراب كفارا ومنافقين ومومنين وان كفرهم ونفاقهم اعظم
من غيرهم واشد واجدر اي احرى ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله كما قال الاعمش عن ابراهيم قال جلس اعرابي الى زيد ابن صوحان
وهو يحدث اصحابه وكانت يده قد اصيبت يوم نهاوند فقال الاعرابي والله ان حديثك ليعجبني وان يدك لتريبني فقال زيد ما
تريبك من يدي انها الشمال فقال الاعرابي والله ما ادري اليمين يقطعون ام الشمال فقال زيد صدق الله الاعراب اشد كفرا ونفاقا الاية
وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى
السلطان افتتن رواه ابو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري به وقال الترمذي لا نعرفه الا من حديث الثوري
ولما كانت الغلظة والجفا في اهل البوادي لم يبعث الله منهم رسولا وانما كانت البعثة من اهل القرى كما قال تعالى
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى ولما اهدى ذلك الاعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الهدية فرد
عليه اضعافها حتى رضي قال لقد هممت ان لا اقبل هدية الا من قرشي او ثقفي او انصاري او دوسي لان هولا
كانوا يسكنون المدن مكة والطايف ففيهم لطف اخلاق وقوله والله عليم حكيم اي عليم بمن يستحق
ان يعلم الايمان والعلم حكيم فيما قسم بين عباده من العلم والجهل والايمان والكفر والنفاق واخبر تعالى

ان منهم من يتخذ ما ينفق في سبيل الله مغرما اي غرامة وخسارة ويتربص بكم الدوائر اي ينتظر بكم الحوادث
والآفات عليهم دائرة السوء اي منعكسة عليهم والسوء دائر عليهم والله سميع اي سميع لدعاء عباده عليم
بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان وقوله ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند
الله وصلوات الرسول هذا هو القسم الممدوح من الاعراب الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله قربة يتقربون
بها عند الله ويبتغون بذلك دعاء الرسول لهم اي لانها قربة لهم اي الا ان ذلك لهم حاصل سيدخلهم الله في رحمته ان الله
غفور رحيم ۞ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ۞ يخبر تعالى عن رضاه عن
السابقين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان ورضاهم عنه بما اعد لهم جنات النعيم والنعيم
المقيم قال الشعبي السابقون الاولون من المهاجرين والانصار من ادرك بيعة الرضوان عام الحديبية
وقال ابو موسى الاشعري وسعيد ابن المسيب ومحمد ابن سيرين والحسن وقتادة هم الذين صلوا القبلتين مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد ابن كعب القرظي مر عمر ابن الخطاب برجل يقرأ والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار فاخذ عمر بيده فقال من اقرأك هذا قال ابي ابن كعب فقال لا تفارقني حتى اذهب بك
اليه فلما جاءه قال عمر انت اقرأت هذه الاية هكذا قال نعم قال وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال لقد
كنت ارى انا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا فقال ابي تصديق هذه الاية في اول سورة الجمعة واخرين
منهم لما يلحقوا بهم الاية وفي سورة الحشر والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الاية وفي الانفال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم الاية ورواه ابن جرير وذكر عن الحسن
انه كان يقرأها برفع الانصار عطفا على السابقون الاولون فقد اخبر الله العظيم انه قد رضي عن السابقين الاو
لين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان فيا ويل من ابغضهم او سبهم او ابغض او سب بعضهم لا سيما الصديق
سيد الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وخيرهم وافضلهم اعني الصديق الاكبر والخليفة الاعظم ابا بكر ابن
ابي قحافة رضي الله عنه الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون الصحابة ويبغضونهم عياذا بالله
من ذلك وهذا يدل على ان عقولهم منكوسة فاين هؤلاء من الايمان بالقران اذ يسبون من رضي الله عنهم
اهل السنة فانهم يترضون عمن رضي الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويوالون
من يوالي الله ويعادون من يعادي الله وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدون ولهذا
هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون ۞ وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفا
ق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم يخبر تعالى ان في احياء العرب ممن حول المدينة منا
فقون وفي اهل المدينة ايضا منافقون مردوا اي مرنوا على النفاق واستمروا فيه ومنه يقال شيطان مريد ومارد
ويقال تمرد فلان على الله اي عتا وتجبر وقوله لا تعلمهم نحن نعلمهم لا ينافي قوله ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم عن
بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول الاية لان هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها لا انه يعرف جميع
من عنده من اهل النفاق والريب على التعيين وقد كان يعلم ان في بعض من يخالطه من اهل المدينة نفاقا وان
كان يراه صباحا ومساء وشاهد هذا بالصحة ما رواه الامام احمد باسناده عن جبير ابن مطعم قال قلت يا رسول الله
انهم يزعمون انه ليس لنا اجر بمكة قال لتاتينكم اجوركم ولو كنتم في جحر ثعلب واصغى الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
براسه فقال ان في اصحابي منافقين ومعناه انه قد يبوح بعض المنافقين والمرجفين من الكلام
ما لا صحة له ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذي سمعه جبير ابن مطعم وتقدم تفسير قوله وهموا بما لم
ينالوا انه عليه الصلاة والسلام اعلم حذيفة باعيان اربعة عشر او خمسة عشر منافقا وهذا تخصيص
لا يقتضي

١٢٨

لا يقتضي انه اطلع على اسمائهم واعيانهم والله اعلم وقال عبد الرزاق انبانا معمر عن قتادة في الاية
قال ما بال اقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة وفلان في النار فاذا سالت احدهم عن نفسه قال لا ادري لعمري
انت اعلم بنفسك منك باعمال الناس لقد تكلفت شيئا ما تكلفه الانبياء قبلك قال نبي الله نوح وما علمي
بما كانوا يعملون وقال نبي الله شعيب بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ وقال الله لنبيه
لا تعلمهم نحن نعلمهم وقال السدي عن ابي مالك عن ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم جمعة
فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج اناسا فضحهم فجاء عمر وهم يخرجون
من المسجد فاختبا منهم حياء انه لم يشهد الجمعة وظن ان الناس قد انصرفوا واختبؤوا هم منه وظنوا انه
علم بامرهم فدخل عمر فاذا الناس لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين ابشر يا عمر قد فضح الله المنافقين اليوم فهذا العذا
ب الاول حين اخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر وكذا قال الثوري عن
السدي عن ابي مالك نحو هذا وقال مجاهد في قوله سنعذبهم مرتين قال القتل والسبا وقال في رواية
الجوع وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب النار وقال الحسن عذاب في الدنيا وعذاب النار وقال ابن زيد اما
عذاب الدنيا فالاموال والاولاد وقرا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا
فهذه المصائب لهم عذاب وهي للمؤمنين اجر وعذاب في الاخرة ثم يردون الى عذاب عظيم قال النار وقال
محمد ابن اسحق سنعذبهم مرتين قال هو فيما بلغني ما هم فيه من امر الاسلام وما يدخل عليهم منه من غيظ ذلك
على غير حسبة ثم عذابهم في القبور اذا صاروا اليها ثم العذاب العظيم الذي يردون اليه عذاب الاخرة والخلد
فيه وقال سعيد عن قتادة في قوله سنعذبهم مرتين عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب عظيم
ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم اسر الى حذيفة باثني عشر رجلا من المنافقين فقال ستة تكفيهم الدبيلة سراج
من نار جهنم تاخذ في كتف احدهم حتى تفضي الى صدره وستة يموتون موتا وذكر لنا ان عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه اذا مات رجل ممن يرى انه منهم نظر الى حذيفة فان صلى عليه والا تركه وذكر لنا ان عمر
قال لحذيفة انشدك الله امنهم انا قال لا ولا اومن منها احدا بعدك ۞ واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ۞ لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين
عن الغزاة رغبة عنها وتكذيبا شرع في بيان حال المذنبين الذين تاخروا عن الجهاد كسلا وميلا الى الراحة
مع ايمانهم وتصديقهم بالحق فقال واخرون اعترفوا بذنوبهم اي اقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم
ولهم اعمال اخر صالحة خلطوا هذه بتلك فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه وهذه الاية وان كانت نزلت في اناس
معينين الا انها عامة في كل المذنبين الخطائين المخلطين المتلوثين وقد قال مجاهد انها نزلت
في ابي لبابة لما قال لبني قريظة انه الذبح واشار الى حلقه وقال ابن عباس نزلت في ابي لبابة وجماعة من اصحابه
تخلفوا عن غزوة تبوك فقال بعضهم ابو لبابة وخمسة معه وقيل وسبعة معه وقيل وتسعة معه فلما
رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوته ربطوا انفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما انزل الله هذه الاية اطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم وعفا عنهم وقال البخاري حدثنا مؤمل ابن
هشام حدثنا اسمعيل ابن ابراهيم حدثنا عوف حدثنا ابو رجاء حدثنا سمرة ابن جندب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لنا اتاني الليلة اتيان فابتعثاني فانتهيا بي الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر
كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا
الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن صورة قالا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك

البخاري هكذا

قال اما القوم الذين شطر منهم حسن وشطر قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا واخر سيا فتجاوز الله
عنهم هكذا رواه مختصرا في تفسير هذه الاية ﴿خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها و
صل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ

صدقة يطهرهم ويزكيهم بها

الصدقات وان الله هو التواب الرحيم﴾ امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان ياخذ من اموالهم اي الذين
اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملا صالحا واخر سيا وهذا عام وان عاد بعضهم الضمير في اموالهم اي
الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملا صالحا واخر سيا ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة
من احياء العرب ان دفع الزكاة الى الامام لا يكون وانما كان خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا احتجوا
بقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقد رد
عليهم هذا التاويل والفهم الفاسد الصديق وساير الصحابة وقاتلوهم حتى ادوا الزكاة الى الخليفة
كما كانوا يودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الصديق والله لو منعوني عناقا وفي رواية عقالا كانوا
يودونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه وقوله ﴿وصل عليهم﴾ اي ادع لهم واستغفر لهم كما
رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله ابن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي بصدقة قوم صلى عليهم
فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى وفي الحديث الاخر ان امراة قالت يا رسول الله صل علي وعلى زوجي
فقال صلى الله عليك وعلى زوجك وقوله ﴿ان صلاتك سكن لهم﴾ قرا بعضهم على الجمع واخرون قروا على الافراد
سكن لهم قال ابن عباس رحمة وقال قتادة وقار وقوله ﴿والله سميع عليم﴾ اي لدعايك عليم بمن يستحق ذلك منك
ومن هو اهل له وقوله ﴿الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات﴾ هذا تهييج الى
التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها واخبر ان كل من تاب اليه تاب عليه
ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فان الله يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها حتى تصير التمرة مثل احد
كما جا بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الثوري ووكيع كلاهما عن عباد ابن منصور
عن القاسم ابن محمد انه سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة وياخذها بيمينه ح
فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات وقال الثوري والاعمش
كلاهما عن عبد الله ابن ابي قتادة عن ابن مسعود ان الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل ان تقع في يد السايل

ابن السايب عن عبد الله ابن

ثم قرا هذه الاية الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وقد روى ابن عساكر في تاريخه
عن عبد الله ابن الشاعر السكسكي الدمشقي واصله حمصي وكان احد الفقها روى عن معاوية وغيره وحكى
عنه حوشب ابن سيف السكسكي الحمصي قال غزا الناس في زمان معاوية وعليهم عبد الرحمن ابن خالد فغل

ابن الوليد

رجل من المسلمين ماية دينار رومية فلما قفل الجيش ندم واتى الامير فابى ان يقبلها منه وقال قد تفرق الناس و
لن اقبلها منك حتى تاتي الله بها يوم القيمة فجعل الرجل يستقري الصحابة فيقولون له مثل ذلك فلما قدم
دمشق ذهب الى معاوية ليقبلها منه فابى عليه فخرج من عنده وهو يبكي ويسترجع فمر بعبد الله ابن الشاعر
السكسكي فقال له ما يبكيك فذكر له امره فقال اومطيعي انت قال نعم قال اذهب الى معاوية فقل له اقبل مني
خمسك فادفع اليه عشرين دينارا وانظر الى الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش فان الله يقبل
التوبة عن عباده وهو اعلم باسمايهم ومكانهم ففعل الرجل فقال معاوية لان اكون افتيته بها
احب الي من كل شي املكه احسن الرجل ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وستردون الى

عالم

١٢٩

يعني القيمة

﴿عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون﴾ قال مجاهد هذا وعيد يعني من الله للمخالفين اوامره
فان اعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى رسوله وعلى المومنين وهذا كاين لا محالة كما قال يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية وقال تعالى يوم تبلى السراير وقال وحصل ما في الصدور وقد يظهر ذلك للناس
في الدنيا كما قال الامام احمد باسناده عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان احدكم يعمل في
صخرة صما ليس لها باب ولا كوة لاخرج الله عمله للناس كاينا ما كان وقد ورد ان اعمال الاحيا تعرض

ثنا حسن ابن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن ابي الهيثم من

على الاموات والاقربا من العشاير في البرزخ كما قال ابو داود الطيالسي حدثنا الصلت ابن دينار عن الحسن
عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعمالكم تعرض على عشايركم واقربايكم فان كان خيرا استبشروا
به وان كان غير ذلك قالوا اللهم الهمهم ان يعملوا بطاعتك وقال الامام احمد انبانا عبد الرزاق عن سفيان
عمن سمع انسا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اعمالكم تعرض على اقاربكم وعشايركم من الاموات فان كان
خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وقال البخاري قالت
عايشة اذا اعجبك حسن عمل امري فقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وقد ورد في الحديث شبيه
بهذا قال الامام احمد حدثنا ابن ابي عدي حدثنا حميد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا عليكم

ثنا ... ثنا حميد عن انس ...

ان تعجبوا باحد حتى تنظروا بما يختم له فان العامل يعمل [illegible] زمانا من عمره او برهة من دهره بعمل
لو مات عليه دخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا قال فاذا اراد الله بعبد خيرا استعمله قبل موته قالوا
يا رسول الله وكيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه تفرد به احمد من هذا الوجه ﴿واخرون
مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة و
الضحاك وغير واحد هم الثلاثة الذين خلفوا اي عن التوبة مرارة ابن الربيع وكعب ابن مالك وهلال
ابن امية قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا الى الدعة والحفظ وطيب الثمار والظلال لا شكا و
نفاقا وكانت طايفة منهم ربطوا انفسهم بالسواري كما فعل ابو لبابة واصحابه وطايفة لم
يفعلوا ذلك وهم هولا الثلاثة المذكورين ونزلت توبة اوليك قبل هولا وارجي هولا عن التوبة حتى
نزلت الاية الاتية وهي قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى
اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم الاية كما سياتي بيانه في حديث كعب ابن مالك
وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم اي هم تحت عفو الله ان شا فعل بهم هذا وان شا فعل ذاك ولكن
رحمته تغلب غضبه وهو عليم حكيم اي عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو حكيم في افعاله واقواله
لا اله غيره ولا رب سواه ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين وارصادا
لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين﴾
سبب نزول هذه الايات انه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها رجل من الخزرج يقال
له ابو عامر الراهب وكان قد تنصر في الجاهلية وقرا علم اهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية
وله شرف في الخزرج كبير فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مهاجرا واجتمع المسلمون عليه
وصارت للاسلام كلمة عالية واظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين ابو عامر بريقه وبارز بالعداوة وخرج فارا

ابو عامر

الى كفار قريش يمالئهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا بمن وافقهم من احياء العرب وقدموا عام احد فكان

عام

من امر المسلمين ما كان وامتحنهم الله وكانت العاقبة للمتقين وكان هذا الفاسق قد حفر حفاير بين
الصفين فوقع في احداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيب ذلك اليوم وتقدم ابو عامر اولا الى
قومه من الانصار فخاطبهم فاستمالهم الى نصره فلما عرفوه قالوا لا انعم الله بك عينا يا فاسق
يا عدو الله ونالوا منه فرجع وهو يقول لقد اصاب قومي بعدي شر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد دعاه الى الله وقرا عليه القران فابى وتمرد فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يموت بعيدا طريدا فنالته هذه الدعوة
وذلك انه فرغ الناس من احد ورأى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارتفاع ذهب الى هرقل يستنصره
على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه واقام عنده وكتب الى جماعة من اهل النفاق من قومه يعدهم
انه سيقدم عليهم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويردهم عما هم فيه وامرهم ان يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه
من يقدم من عنده لاداء كتبه ويكون له مرصدا اذا قدم عليهم بعد ذلك فشرعوا في بناء المسجد فبنوه واحكموه
وفرغوا منه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك وجاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه ان
يصلي عندهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره واثباته وذكروا انهم انما بنوه للضعفاء واهل العلة في الليلة
الشاتية فعصمه الله من الصلاة فيه فقال انا على سفر ولكن اذا رجعنا ان شاء الله فلما قفل عليه السلام
راجعا الى المدينة من تبوك ولم يكن بينه وبينها الا يوم او بعض يوم نزل عليه الوحي بخبر المسجد
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة كما قال ابن ابي طلحة
في الاية عن ابن عباس هم اناس من الانصار بنوا مسجدا فقال لهم ابو عامر ابنوا مسجدا واستعدوا بما
استطعتم من قوة ومن سلاح فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فاتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فلما فرغوا
من مسجدهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب ان تصلي فيه وتدعو لنا
بالبركة فانزل الله عز وجل لا تقم فيه ابدا الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين وكذا روي عن سعيد ابن
جبير ومجاهد وابن الزبير وغير واحد من العلماء وقال محمد ابن اسحق عن الزهري ويزيد ابن رومان
وعبد الله ابن ابي بكر وعمر ابن عاصم ابن عمر ابن قتادة وغيرهم قالوا اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من
تبوك حتى نزل بذي اوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان اصحاب مسجد الضرار قد اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة و
الليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا فتصلي لنا فيه فقال انا على جناح سفر وحال شغل او كما
قال صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ابن الدخشم اخا بني سالم ابن عوف ومعن ابن
عدي واخاه عاصم ابن عدي اخا بني العجلان فقال انطلقا الى المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه
فخرجا سريعين حتى اتيا بني سالم ابن عوف وهم رهط مالك ابن الدخشم فقال مالك لمعن انظرني
حتى اخرج اليك بنار من اهلي فاخذ سعفا من النخل فاشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه
اهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم القران والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الى اخر القصة و
كان الذين بنوه اثني عشر رجلا وعد اسماءهم وقوله وليحلفن ان اردنا الا الحسنى اي الذين بنوه
ما اردنا ببنائه الا الخير والرفق بالناس والله يشهد انهم لكاذبون اي في قصدهم وفيما بنوا انما بنوه ضرارا
لمسجد قبا وكفرا بالله وتفريقا بين المومنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله وهو ابو عامر وقوله
لا تقم فيه ابدا نهي له صلى الله عليه وسلم والامة تبع له في ذلك ان يقوم فيه اي يصلي فيه ابدا ثم حثه على الصلاة
في مسجد قبا الذي اسس على التقوى من اول يوم بنائه وهي طاعة الله وطاعة رسوله وجمعا لكلمة المومنين

ومعقلا

قبل عزوه

المرادي

عنده لاداء

على

الروم



ومعقلا للاسلام واهله ولهذا قال المسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه والسياق
انما هو في مسجد قبا ولهذا جا في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة وفي الحديث
الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قبا راكبا وماشيا وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما بناه واسسه اول قدومه ونزوله على بني عمرو ابن عوف كان جبريل هو الذي عين له القبلة والله اعلم
وقال ابو داود حدثنا ... عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون
ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الاية ورواه الترمذي من حديث يونس ابن الحارث
وهو ضعيف وقال غريب من هذا الوجه وقال الطبراني باسناده عن مجاهد عن ابن عباس لما نزلت فيه رجال
يحبون ان يتطهروا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عويم ابن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذي اثنى الله
عليكم فقال يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امراة من الغايط الا غسل فرجه او مقعدته فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هو هذا وقال الامام احمد حدثنا حسين ابن موسى حدثنا ابو اويس ابن شرحبيل عن عويم ابن ساعدة انه
حدثهم ان رسول النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم في مسجد قبا فقال ان الله قد احسن عليكم الثنا في الطهور في قصة
مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به فقالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيا الا انه كان لنا جيران من اليهود
فكانوا يغسلون ادبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا رواه ابن خزيمة في صحيحه وقال هشيم عن عبد الحميد
المدني عن ابراهيم ابن اسماعيل الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم ابن ساعدة ما هذا الذي
اثنى الله عليكم به رجال يحبون ان يتطهروا الاية قال يا رسول الله انا نغسل الادبار بالماء وقال ابن جرير حدثني محمد
ابن عمارة الاسدي حدثنا محمد ابن سعيد حدثنا ابراهيم ابن محمد ابن شرحبيل ابن سعد قال سمعت خزيمة ابن
ثابت يقول نزلت هذه الاية فيه رجال يحبون ان يتطهروا الاية قال كانوا يغسلون ادبارهم من الغايط
حديث اخر قال الامام احمد باسناده عن محمد ابن عبد الله ابن سلام قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني
قبا فقال ان الله عز وجل قد اثنى عليكم خيرا فلا تخبرونه يعني قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا الاية قالوا يا رسول
الله انا نجده مكتوبا علينا في التوراة الاستنجا بالما وقد صرح جماعة من السلف رواه ابن ابي طلحة عن ابن
عباس ورواه عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة وقاله عطية والشعبي والحسن وغير واحد
وقد ورد في الحديث الصحيح ان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي في جوف المدينة هو المسجد الذي
اسس على التقوى وهذا صحيح ولا منافاة بين الاية وبين هذا لانه اذا كان مسجد قبا قد اسس على التقوى
من اول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى والاحرى ولهذا قال احمد في مسنده باسناده عن
ابي ابن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المسجد الذي اسس على التقوى مسجدي هذا حديث
اخر قال الامام احمد باسناده عن سهل ابن سعد الساعدي قال اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسجد الذي اسس على التقوى فقال احدهما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الاخر هو مسجد قبا
فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فسالاه فقال هو مسجدي هذا تفرد به احمد حديث قال احمد باسناده عن ابي
سعيد الخدري قال تمارى رجلان في المسجد الذي اسس على التقوى فقال احدهما هو مسجد قبا وقال الاخر هو
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مسجدي هذا تفرد به احمد ايضا طريق اخر
قال الامام احمد باسناده عن سعيد ابن ابي سعيد عن ابيه انه قال تمارى رجلان في المسجد الذي اسس على التقوى
من اول يوم فقال رجل هو مسجد قبا وقال الاخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو مسجدي وكذا رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة عن الليث وصححه الترمذي ورواه مسلم كما سياتي
طريق اخر قال احمد حدثنا يحيى عن انيس ابن ابي يحيى حدثني ابي قال سمعت ابا سعيد الخدري
قال اختلف رجلان من بني خدرة ورجل من بني عمرو ابن عوف في المسجد الذي اسس على التقوى فقال

جهته
ثنا محمد ابن العلا
ثنا معاوية ابن هشام عن
يونس ابن الحارث عن
ابراهيم ابن ميمونة عن
ابي صالح

ثنا حسن ابن علي العمري ثنا
محمد ابن حميد الرازي ثنا
سلمة ابن الفضل عن محمد
ابن اسحق عن الاعمش

ثنا يحيى ابن ادم
ثنا مالك يعني ابن
مغول سمعت
سيارا ابا الحكم
عن شهر ابن حوشب

الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الاخر هو مسجد قبا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن ذلك
فقال هو هذا المسجد وفي ذلك خير كثير يعني مسجد قبا طريق اخرى قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى بن سعيد
انبانا حميد الخراط المدني سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بي عبد الرحمن بن ابي سعيد فقلت كيف سمعت اباك في المسجد
الذي اسس على التقوى فقال قال ابي اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت في بيت لبعض نسايه فقلت يا رسول الله
اي مسجد اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصا فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا ثم قال سمعت
يذكره رواه مسلم منفردا به عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد به ورواه عن ابي بكر بن ابي شيبة وغيره عن
حاتم بن اسماعيل عن حميد الخراط وقد قال بانه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من السلف والخلف
وهو مروي عن عمر وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب واختاره ابن جرير وقوله
لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه الاية دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة
من اول بنايها على عبادة الله وحده لا شريك له واستحباب الصلاة مع جماعة الصالحين والعباد
العاملين المحافظين على اسباغ الوضوء والتنزه من ملابسة القاذورات وقد قال الامام احمد
حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت شبيبا يحدث عن رجل من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرا الروم فيها فاوهم فلما انصرف قال يلبس علينا
القران ان اقواما منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء فمن شهد معنا الصلاة فليحسن الوضوء
ثم رواه من طريقين اخريين عن شبيب ابي روح من ذي الكلاع انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم
فذكره فدل هذا على ان اكمال الطهارة يسهل القيام في العبادة ويعين على اتمامها واكمالها والقيام
بمشروعاتها وقال ابو العالية في قوله ان الله يحب المتطهرين ان الطهور بالماء لحسن ولكنهم المتطهرون
من الذنوب وقال الاعمش التوبة من الذنب والتطهر من الشرك وقد ورد في الحديث
المروي من طرق في السنن وغيرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا ان الله قد اثنى عليكم في
الطهور فماذا تصنعون قالوا نستنجي بالما عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان
يتطهروا الاية فسالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نتبع الحجارة بالما رواه البزار ثم قال تفرد به
محمد بن عبد العزيز عن الزهري ولم يرو عنه سوى ابنه قلت وانما ذكرته بهذا اللفظ لانه مشهور بين الفقها
ولم يعرفه كثير من المحدثين المتاخرين او كلهم والله اعلم افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن
اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم
الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم يقول تعالى لا يستوي من اسس بنيانه
على تقوى من الله ورضوان ومن بنى مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين وارصادا لمن حارب
الله ورسوله من قبل فانما بنى هولاء بنيانهم على شفا جرف هار اي طرف حفيرة مثاله في نار جهنم والله
لا يهدي القوم الظالمين اي لا يصلح عمل المفسدين قال جابر بن عبد الله رايت المسجد الذي بني ضرارا
يخرج منه الدخان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج ذكر لنا ان رجالا حفروا فوجدوا الدخان
يخرج منه وكذا قال قتادة وقال خلف بن ياسين الكوفي رايت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في
القران وفيه حجر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة رواهما ابن جرير وقوله لا يزال بنيانهم
الذي بنوا ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا بسبب اقدامهم على هذا الصنيع الشنيع اورثهم
نفاقا

نفاقا في قلوبهم كما اشرب عابدو العجل حبه وقوله الا ان تقطع قلوبهم اي بموتهم قاله ابن عباس
ومجاهد وقتادة وزيد بن اسلم والسدي وحبيب بن ابي ثابت والله عليم اي باعمال خلقه حكيم في
مجازاتهم عليها من خير وشر والله اعلم ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقا
تلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران ومن اوفى بعهده
من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك الفوز العظيم يخبر تعالى انه عاوض عباده المومنين عن
انفسهم واموالهم اذا بذلوها في سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه واحسانه فانه قبل العوض
عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له ولهذا قال الحسن البصري وقتادة بايعهم والله فاغلى ثمنهم وقال
شمر بن عطية ما من مسلم الا ولله في عنقه بيعة وفى بها او مات عليها ثم تلا هذه الاية ولهذا يقال
لمن حمل في سبيل الله بايع الله اي قبل هذا العقد ووفى به وقال محمد بن كعب القرظي وغيره قال عبد الله بن
رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ليلة العقبة اشترط لربك ولنفسك ما شيت فقال اشترط لربي ان
تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فما لنا
اذا فعلنا ذلك قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم الاية وقوله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون اي سوى قتلوا او قتلوا او اجتمع
لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة ولهذا جاء في الصحيحين تكفل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد
في سبيلي وتصديق برسلي بان توفاه ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا ما نال
من اجر او غنيمة وقوله وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران تاكيد لهذا الوعد واخبار
انه قد كتبه على نفسه الكريمة وانزله على رسله في كتبه الكبار وهي التوراة المنزلة على موسى
والانجيل المنزل على عيسى والقران المنزل على محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقوله ومن
اوفى بعهده من الله اي ولا احد اعظم وفا بما عاهد عليه الله وهذا كقوله ومن اصدق من الله
قيلا ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اي ليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد با
لفوز العظيم التايبون العابدون الحامدون السايحون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المومنين هذا نعت المومنين الذين اشترى الله منهم انفسهم واموالهم بهذه الصفات الجميلة
والخلال الجليلة التايبون من الذنوب كلها التاركون للفواحش العابدون اي القايمون بعبادة ربهم محافظين عليها
وهي الاقوال والافعال فمن اخص الاقوال الحمد فلهذا قال الحامدون ومن افضل الاعمال الصيام وهو ترك الملاذ
من الطعام والشراب والجماع وهو المراد بالسياحة هاهنا ولهذا قال السايحون كما وصف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
في قوله سايحات اي صايمات وكذا الركوع والسجود وهو عبارة عن الصلاة ولهذا قال الراكعون الساجدون وهم مع
ذلك ينفعون خلق الله ويرشدونهم الى طاعة الله بامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله
ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علما وعملا فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ولهذا قال و
بشر المومنين لان الايمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعادة لمن اتصف به بيان ان المراد بالسياحة الصيام
قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال السايحون الصايمون وكذا روي عن سعيد بن جبير والعو
في عن ابن عباس وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس كل ما ذكر الله في القران السياحة هم الصايمون وكذا قال الضحاك ر
قال ابن جرير باسناده عن عايشة قالت سياحة هذه الامة الصيام وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير
وعطا وابو عبد الرحمن السلمي والضحاك وسفيان بن عيينة وغيرهم ان المراد بالسايحون الصايمون وقال الحسن

البصري السائحون الصائمون شهر رمضان وقال ابو عمرو العبدي السائحون الذين يديمون الصيام من المؤمنين وقد
ورد في حديث مرفوع نحو هذا فقال ابن جرير باسناده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السا
يحون هم الصائمون ثم رواه باسناد آخر عن ابي هريرة انه قال السائحون هم الصائمون والموقوف اصح وقال
ايضا حدثني يونس باسناده الى عبيد بن عمير قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصا
يمون فهذا مرسل جيد وهذا اصح الاقوال واشهرها وجاء ما يدل على ان السياحة الجهاد وهو ما روى ابو داود
في سننه من حديث ابي امامة ان رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة قال سياحة امتي الجهاد في سبيل الله وقال ابن
المبارك عن ابن لهيعة عن عمارة بن غزية ان السياحة ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابدلنا الله بذلك
الجهاد في سبيل الله والتكبير على كل شرف وعن عكرمة هم طلبة العلم وقال ابن زيد هم المهاجرون رواهما ابن
ابي حاتم وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه من يتعبد بمجرد السياحة في الارض والتفرد في شواهق الجبال
والكهوف فان هذا ليس بمشروع الا في ايام الفتن والزلازل كما في صحيح البخاري عن ... ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه
من الفتن وقال ابن عباس في قوله والحافظون لحدود الله قال القائمون بطاعة الله وكذا قال
الحسن وفي رواية عنه والحافظون لحدود الله قال لفرائض الله وفي رواية القائمون على امر الله ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان
استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابرهيم لاواه حليم قال الامام
احمد حدثنا عبد الرزاق انبانا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن ابيه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة وعنده
ابا جهل وعبد الله بن ابي امية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال
ابو جهل وعبد الله اترغب عن ملة عبد المطلب فقال انا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين قال ونزلت
انك لا تهدي من احببت الاية اخرجاه وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن ادم انبانا سفيان عن ابي
اسحق عن ابي الخليل عن علي رضي الله عنه قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت ايستغفر الرجل
لابويه وهما مشركان فقال الم يستغفر ابرهيم لابيه فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه
قال لما مات فلا ادري اقاله سفيان او قاله اسرائيل وهو في الحديث لما مات قلت وهذا ثابت
عن مجاهد انه قال لما مات وقال الامام احمد باسناده عن بريدة عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فنزل بنا ونحن قريب من الف راكب فصلى ركعتين ثم اقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان
فقام عمر وفداه بالاب والام وقال يا رسول الله ما لك فقال اني سالت ربي عز وجل في الاستغفار لامي
فلم ياذن لي فدمعت عيناي رحمة لها من النار واني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
لتذكركم زيارتها خيرا ونهيتكم عن لحوم الاضاحي بعد ثلاث فكلوا ما شئتم وامسكوا ما شئتم و
نهيتكم عن الاشربة في الاوعية فاشربوا في اي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكرا وروى ابن جرير
من حديث علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى
رسم قبر فجلس اليه ثم قام مستعبرا يخاطب ثم قام فتبعته فقلت يا رسول الله انا رأينا ما صنعت
قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فما روي

بالكيا

بالكيا اكثر من يومئذ وقال ابن ابي حاتم باسناده عن عبد الله بن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
الى المقابر فاتبعناه حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام اليه عمر بن الخطاب
فدعاه ثم دعانا فقال ما ابكاكم فقلنا بكينا لبكائك قال ان القبر الذي جلست عنده قبر امنة واني استاذنت ر
بي في زيارتها فاذن لي واني استاذنت ربي في الدعاء لها فلم ياذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد وكنت نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها فانها تذكر الاخرة حديث اخر في معناه قال الطبراني باسناده عن عكرمة عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقبل من غزوة تبوك واعتمر

ثم قال ابن كثير وهذا حديث غريب واغرب منه واشد نكارة ما رواه الخطيب عن عائشة
ان الله احياها امه وامنت ثم عادت وكذلك ما رواه السهيلي ان الله احيا له اباه وامه فامنا به
قال الحافظ ابو دحية هو موضوع يرده القران والاجماع قال الله تعالى ولا الذين يموتون و
هم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما وقال العوفي عن ابن عباس في الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم
اراد ان يستغفر لامه فنهاه الله عن ذلك فقال فان ابرهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم قد
استغفر لابيه فانزل الله ما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الاية
وقال ابن ابي طلحة عن ابن عباس في الاية كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت فامسكوا عن
الاستغفار لامواتهم ولم ينهوا عن الاستغفار ان يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم انزل الله
ما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وقال قتادة في الاية ذكر لنا
ان رجالا قالوا يا نبي الله ان من ابائنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني
ويوفي بالذمم افلا نستغفر لهم فقال صلى الله عليه وسلم بلى والله اني لاستغفر لابي كما استغفر
ابرهيم لابيه فانزل الله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ثم عذر الله
ابرهيم عليه الصلاة والسلام فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه قال وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اوحي الي كلمات فدخلن في اذني ووقرن في قلبي
امرت ان لا استغفر لمن كان مشركا ومن اعطى فضل ماله فهو خير له ومن امسكه فهو شر له ولا يلوم
الله على كفاف وقال الثوري عن الشيباني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مات يهودي
وله ابن مسلم فلم يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال فانه ينبغي ان يمشي معه ويدفنه ويدعو
بالصلاح ما دام حيا فاذا مات وكله الى شانه ثم قال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ولم يدع ويشهد له بالصحة ما رواه ابو داود
وغيره عن علي قال لما مات ابو طالب قلت يا رسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب
فواره ولا تحدثن شيئا حتى تاتيني الحديث وروي انه صلى الله عليه وسلم لما مرت به جنازة ابي طالب
قال وصلتك الرحم يا عم وقال عطاء بن ابي رباح ما كنت لادع الصلاة على احد من اهل القبلة ولو

كانت حبشية حبلى من الزنا لان لم اسمع الله حجب الصلاة الا عن المشركين يقول الله عز وجل ما
كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وروى ابن جرير عن وكيع عن ابيه عن
عصمة ابن رامل عن ابيه سمعت ابا هريرة يقول رحم الله رجلا استغفر لابي هريرة ولامه قالت
ولابيه قال ان ابي مات مشركا وقوله فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه قال ابن عباس
ما زال ابراهيم يستغفر لابيه حتى مات وفي رواية فلما تبين له انه عدو لله وهكذا قال مجاهد
وغيره وقال عبيد ابن عمير وسعيد ابن جبير يتبرا منه يوم القيمة حين يلقاه اباه وعلى وجه
ابيه القترة والغبرة فيقول يا ابراهيم اني كنت اعصيك واني اليوم لا اعصيك فيقول اي
رب الم تعدني الا تخزني يوم يبعثون فيقول فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقال انظر
الى ما وراك فاذا هو بذيخ متلطخ اي قد مسخ ضبعا ثم يسحب بقوايمه ويلقى في النار وقوله
ان ابراهيم لاواه حليم قال الثوري وغير واحد عن عاصم ابن بهدلة عن زر ابن حبيش عن
ابن مسعود قال الاواه الدعا وكذا روي من غير وجه عن ابن مسعود وروى ابن جرير عن
عبد الله ابن شداد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاواه قال المتضرع قال ان ابراهيم
لاواه حليم ورواه ابن ابي حاتم ولفظه قال المتضرع الدعا وقال الثوري عن سلمة ابن كهيل عن
مسلم البطين عن ابي الاسد انه سال ابن مسعود عن الاواه قال هو الرحيم وبه قال مجاهد
والحسن وغيرهما اي الرحيم بعباد الله وقال ابن المبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس الاواه
المومن وقال ابن ابي طلحة عنه هو المومن التواب وقال ابن جريج هو المومن بلسان الحبشة و
قال احمد ثنا موسى ثنا ابن لهيعة عن الحارث ابن يزيد عن علي ابن رباح عن عقبة ابن عامر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذا البجادين انه اواه وذلك انه رجل كان اذا ذكر
الله في القران يرفع صوته في الدعا ورواه ابن جرير وقال الشعبي الاواه المسبح وقال ابن وهب
عن معاوية ابن صالح عن ابي الزاهرية عن جبير ابن نفير عن ابي الدردا قال لا يحافظ على
سبحة الضحى الا اواه وقال شفي ابن ماتع عن ابي ايوب الاواه الذي اذا ذكر خطاياه استغفر
منها وعن مجاهد الاواه الحفيظ الرجل يذنب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا ذكر ذلك كله ابن
ابي حاتم وذكر ابن جرير ثنا ابن وكيع ثنا المحاربي عن حجاج عن الحكم عن الحسن ابن مسلم ابن
بناق ان رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه اواه وقال ابن
ابي جريج عن ابن عباس ان ابراهيم لاواه قال فقيه قال ابن جرير واولى الاقوال قول من قال
انه الدعا وهو المناسب للسياق وذلك ان الله تعالى لما ذكر ان ابراهيم انما استغفر لابيه عن
موعدة وعدها اياه وقد كان ابراهيم كثير الدعا حليما عمن ظلمه فاستغفر لابيه مع شدة اذاه
له في قوله اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم لين لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك
ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا فحلم عنه مع اذاه له وما كان الله ليضل قوما بعد اذ
هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض وما
لكم من دون الله من ولي ولا نصير يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة وحكمه العادل انه لا
يضل



يضل قوما بعد بلاغ الرسالة اليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى الاية وقال مجاهد في الاية قال بيان الله عز وجل والاستغفار
للمشركين خاصة وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة فافعلوا او ذروا وقال ابن جرير يقول تعالى وما
كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان
حتى يتقدم اليكم بالنهي عنه فتتركوا فاما قبل ان يبين لكم كراهية ذلك بالنهي عنه ثم تتعدوا نهيه الى ما
نهاكم عنه فانه لا يحكم عليكم بالضلال فان الطاعة والمعصية انما يكون من المامور والمنهي واما من
لم يومر ولم ينه فغير كاين مطيعا او عاصيا فيما لم يومر به ولم ينه عنه وقوله ان الله له ملك
السموات والارض الاية قال ابن جرير هذا تحريض من الله تعالى للمومنين في قتال المشركين وملوك
الكفر وانهم يثقوا بنصر الله مالك السموات والارض ولا يرهبوا من اعدايه فانهم لا ولي لهم من
دون الله ولا نصير سواه وقال ابن ابي حاتم ثنا علي ابن ابي دلامة البغدادي ثنا عبد الوهاب ابن
عطا ثنا سعيد عن قتادة عن صفوان ابن محرز عن حكيم ابن حزام قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اصحابه اذ قال لهم هل تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شي قال اني لاسمع اطيط السماء
وما تلام ان تيط وما فيها من موضع شبر الا وعليه ملك ساجدا او قايم وقال كعب الاحبار ما من
موضع خرمة ابرة من الارض الا وملك موكل بها يرفع علم ذلك الى الله وان ملايكة السما لاكثر
عدد التراب وان حملة العرش ما بين كعب احدهم الى مخه مسيرة ماية عام لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق
منهم ثم تاب عليهم انه بهم روف رحيم قال مجاهد وغير واحد نزلت هذه الاية في غزوة تبوك وذلك
انهم خرجوا اليها في شدة من الامر في سنة مجدبة وحر شديد وعسر من الزاد والما قال قتادة خرجوا
الى الشام عام تبوك في لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد اصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا
ان الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها
ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم واقفلهم من غزوتهم قال ابن جرير حدثني يونس انبانا
ابن وهب اخبرني عمرو ابن الحارث عن سعيد ابن ابي هلال عن عتبة ابن ابي عتبة عن نافع ابن جبير
ابن مطعم عن ابن عباس قيل لعمر ابن الخطاب في شان العسرة فقال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا فاصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى ان الرجل
لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله عز وجل عودك
في الدعا خيرا فادع لنا فقال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السما فاهطلت
ثم سكنت فملاوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر وقال ابن جرير في قوله لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة اي من النفقة والظهر والزاد والما من
بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم اي عن الحق ويشك في دين الرسول صلى الله عليه وسلم ويرتاب
بالذي نالهم من المشقة والشدة في سفرهم ثم تاب عليهم يقول ثم رزقهم الانابة الى ربهم والرجوع
الى الثبات على دينه انه بهم روف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما

رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو
التواب الرحيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ۞ قال احمد ثنا يعقوب
ثنا ابن اخي الزهري محمد ابن عبد الله عن عمه محمد ابن مسلم الزهري اخبرني عبد الرحمن ابن عبد الله
ابن كعب ابن مالك وكان قايد كعب من بنيه حين عمي قال سمعت كعب ابن مالك يحدث حديثه
حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب احد تخلف عنها
انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد
ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب ان لي بها
مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس منها واشهر وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة
والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يريد غزوة يغزوها الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا
اهبة عدوهم فاخبرهم وجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم
كتاب حافظ يريد الديوان فقال كعب فقل رجل يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى له ما لم ينزل
فيه وحي من الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظل وانا اليها
اصعر فتجهز اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فار
جع ولم اقض شيا فاقول لنفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل تمادى بي حتى استمر بالنا
س الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازي شيا
وقلت اتجهز بعد يوم او يومين ثم الحقه فغدوت بعد ما فصلوا لاتجهز فرجعت ولم اقض شيا
ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو فهممت ان
ارتحل فالحقهم وليت اني فعلت ثم لم يقدر ذلك لي فطفقت اذا خرجت في الناس بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحزنني لا ارى الا رجلا مغموصا عليه في النفاق او رجلا ممن عذر الله عز وجل و
لم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب
ابن مالك قال رجل من بني سلمة حبسه يا رسول الله برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ ابن
جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي وطفقت اتفكر
الكذب واقول بماذا اخرج من سخطه غدا واستعين على ذلك كل ذي راي من اهلي فلما قيل ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل وعرفت اني لم انج منه بشي ابدا فا
جمعت صدقه واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فصلى ركعتين
ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فيعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين
رجلا فيقبل منهم علانيتهم ويستغفر لهم ويكل سرايرهم الى الله تعالى حتى جيت فلما سلمت عليه تبسم
تبسم المغضب ثم قال لي تعال فجيت امشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن قد





استريت ظهرك فقلت يا رسول الله اني لو جلست عند غيرك من ملوك اهل الدنيا لرايت ان اخرج
من سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لان حدثتك اليوم حديث كذب
ترضى به عني ليوشكن الله يسخطك علي ولئن حدثتك بصدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقبى
من الله تعالى والله ما كنت قط افرغ ولا ايسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وقام الي رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا والله
ما علمناك كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت الا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اعتذر به المتخلفون فقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله لك قال فوالله ما زالوا يونبوني
حتى اردت ان ارجع فاكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي معي احد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا
ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما فقالوا مرارة ابن الربيع العامري وهلال ابن اميه الوا
قفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي قال ونهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا
حتى تنكرت لي في نفسي الارض فما هي بالارض التي كنت اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما
صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اشهد
الصلاة مع المسلمين واطوف بالاسواق فلا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في
مجلسه بعد الصلاة فاسلم واقول في نفسي حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه
النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي فاذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة
المسلمين مشيت حتى تسورت حايط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله
ما رد علي السلام فقلت له يا ابا قتادة انشدك الله هل تعلم اني احب الله ورسوله فسكت فعدت فنشدته
فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي بسوق المدينة
اذا نبطي من انباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب ابن مالك فطفق الناس
يشيرون له الي حتى جاء فدفع الي كتابا من ملك غسان فاذا فيه اما بعد فقد بلغنا ان صاحبك جفاك
ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت حين قراتها وهذا ايضا من البلا فتيممت
التنور فسجرته فيها حتى اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني
فقال ان رسول الله يامرك ان تعتزل امراتك فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال بل اعتزلها ولا تقربها قال
وارسل الى صاحبي بمثل ذلك فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر فجاءت
امراة هلال ابن اميه فقالت يا رسول الله ان هلالا شيخ ضايع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا
ولكن لا يقربنك قالت وانه والله ما به حركة الى شي والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه
هذا فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك فقد اذن لامراة هلال ان تخدمه
فقلت والله لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
استاذنته وانا رجل شاب قال فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا ثم صليت صلاة
الصبح صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا قد ضاقت علي
نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صارخا اوفى على جبل سلع يقول باعلى صوته يا كعب ابن
مالك ابشر فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرج فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا

حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض الي رجل فرسا و
سعى ساع من اسلم او في على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته
يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما
وانطلقت اوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة يقولون
لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله
الناس فقام الي طلحة ابن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام الي رجل من المهاجرين غيره
قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه
من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال لا
بل من عند الله قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كانه قطعة قمر حتى
يعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى
الله والى رسوله قال امسك بعض مالك فهو خير لك قلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر وقلت يا
رسول الله انما نجاني الله بالصدق وان من توبتي الا احدث الا صادقا ما بقيت قال فوالله ما
اعلم احدا من المسلمين ابلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن
مما ابلاني الله تعالى والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا و
اني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي قال وانزل الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين
اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم روف رحيم
وعلى الثلاثة الذين خلفوا الاية والتي بعدها فوالله ما انعم الله علي نعمة قط بعد ان هداني الله للا
سلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين
كذبوه فان الله تعالى قال للذين كذبوه حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله تعالى سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس الايتين قال وكنا ايها الثلاثة خلفنا
عن امر اوليك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا فبايعهم واستغفر لهم وارجا امرنا
حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس تخليفه ايانا وارجاوه
امرنا الذي ذكر بما خلفنا بتخليفنا عن الغزو وانما هو عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه رواه البخا
ري ومسلم من حديث الزهري بنحوه فقد تضمن تفسير الاية باحسن الوجوه وابسطها وكذا روي
عن غير واحد من السلف في تفسيرها وقوله فسمى رجلين شهدا بدرا قيل انه خطا من الزهري و
لما ذكر تعالى ما فرج به عن هولاء الثلاثة من الضيق من هجر المسلمين وضاقت عليهم الارض بما رحبت
اي مع سعتها تشددت عليهم المسالك فلا يهتدون ما يصنعون فصبروا لامر الله واستكانوا
حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخلفهم انه على غير عذر فعوقبوا هذه
المدة ثم تاب الله عليهم فكان عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم ولهذا قال يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وكونوا مع الصادقين اي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع اهله وتنجوا من المهالك ويجعل
الله لكم فرجا قال احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله مرفوعا عليكم بالصدق فان
الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب
عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل

يكذب



يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا اخرجاه في الصحيحين وقال شعبة عن عمرو ابن
مرة سمع ابا عبيدة يحدث عن ابيه انه قال ان الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل اقرؤوا ان شيتم
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين هكذا اقراها ثم قال هل تجدون لاحد
فيه رخصة وعن عبد الله ابن عمر في قوله مع الصادقين قال مع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
وقال الضحاك مع ابي بكر وعمر واصحابهم وقال الحسن ان اردت ان تكون مع الصادقين فعليك
بالزهد في الدنيا والكف عن اهل الملة ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب
ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطون موطيا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم
به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين يعاتب تعالى المتخلفين عن تبوك من اهل المدينة
ومن حولها من احياء العرب ورغبتهم بانفسهم عن مواساته فيما حصل من المشقة فانهم نقصوا انفسهم
من الاجر لانهم لا يصيبهم ظما وهو العطش ولا نصب وهو التعب ولا مخمصة وهي المجاعة ولا
يطون موطيا يغيظ الكفار اي ينزلون منزلا يرهب عدوهم ولا ينالون منه ظفرا وغلبة عليه
الا كتب لهم الله بهذه الاعمال التي ليست داخلة تحت قدرهم وانما هي ناشية عن افعالهم
الاعمال الصالحة وثوابا جزيلا ان الله لا يضيع اجر المحسنين كقوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا
يعملون يقول تعالى ولا ينفق هولاء الغزاة في سبيل الله قليلا او كثيرا ولا يقطعون واديا
اي في السير الى الاعداء الا كتب لهم ولم يقل هنا به لان هذه افعال صادرة عنهم ولهذا قال
ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وقد حصل لعثمان من هذه الاية حظ وافر وذلك انه انفق
في هذه الغزوة النفقات الجليلة كما قال عبد الله ابن احمد ثنا موسى المعنوي ثنا عبد الوارث
حدثني سليمان ابن المغيرة حدثني الوليد ابن ابي هشام عن فرقد ابي طلحة عن عبد الرحمن ابن
الحباب السلمي قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على جيش العسرة فقال عثمان علي ماية
بعير باحلاسها واقتابها قال ثم حث فقال عثمان على ماية اخرى باحلاسها واقتابها ثم نزل
مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان علي ماية اخرى باحلاسها واقتابها قال فرايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده هكذا يحركها فاخرج عبد الصمد يده كالمتعجب ما على عثمان بعد هذا وقال
عبد الله ايضا ثنا هارون ابن معروف ثنا ضمرة ثنا عبد الله ابن شوذب عن عبد الله ابن القاسم عن
كثير مولى عبد الرحمن ابن سمرة قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار في ثوبه حين
جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول ما ضر ابن
عثمان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارا وقال قتادة في قوله تعالى ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ما ازداد
قوم من اهليهم في سبيل الله بعدا الا ازدادوا من الله قربا وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا
نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
هذا بيان من الله لما اراد من نفير الاحيا مع الرسول في غزوة فانه قد ذهب طايفة من السلف

الى انه يجب النفير على كل مسلم اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى انفروا خفافا و
ثقالا وقال ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب الاية قالوا فنسخ ذلك بهذه الاية وقد
يقال انها المراده من النفير الاحيا شرذمة من كل قبيلة ليتفقه الخارجون مع رسول الله
بما ينزل من الوحي عليه وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم بما كان من امر العدو فيجتمع لهم الا
مران في هذا النفير المعين وبعده صلى الله عليه وسلم تكون الطايفة النافرة من الحي اما
للتفقه واما للجهاد فانه فرض كفاية على الاية وقال ابن ابي طلحة عن ابن عباس في الاية ما
كان المومنون لينفروا جميعا ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة
منهم طايفة يعني السرايا ولا يسيروا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قران
تعلمه القاعدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ان الله قد انزل على نبيكم قرانا وقد تعلمناه
فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا اخرى فذلك قوله ليتفقهوا
في الدين يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم وقال مجاهد
نزلت هذه الاية في ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فاصابوا من
الناس معروفا ومن الخطب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال
الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم فوجدوا في انفسهم من ذلك تحرجا واقبلوا من البادية
حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا
وليستمعوا ما في الناس وما انزل الله ولينذروا قومهم الناس كلهم اذا رجعوا اليهم الاية
وقال قتادة في الاية هذا اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيوش امرهم الله ان
يغزوا بنبيه صلى الله عليه وسلم وتقيم طايفة تتفقه في الدين وتنطلق طايفة تدعوا قومها وتحذرهم
وقايع الله فيمن خلا قبلهم وقال الضحاك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يحل
لاحد من المسلمين ان يتخلف عنه الا اهل العذر وكان اذا قام واسرى السرايا لم يحل لهم السرية
قال لهم الذين اقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل بعدكم على نبيه قرانا فيقرؤونهم
ويفقهونهم وقال ابن ابي طلحة ايضا عن ابن عباس في الاية انها ليست في الجهاد ولكن لما دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجدبت بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل باسرها
حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم واجهدوهم فانزل الله يخبر رسوله انهم ليسوا مومنين فردهم النبي صلى الله عليه
وسلم الى عشايرهم وحذر قومهم ان يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم الاية وقال
العوفي عن ابن عباس في الاية ينطلق من كل حي من العرب عصابة فياتون النبي صلى الله عليه وسلم
فيسالونه عما يريدون من امر دينهم ويتفقهوا في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
ان نفعله واخبرنا بعشايرنا اذا انطلقنا اليهم قال فيامرهم نبي الله بطاعة الله وطاعة
رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا اذا اتوا قومهم ان من اسلم فهو منا وينذ
رونهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرهم قومهم
فاذا رجعوا اليهم يدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة وقال عكرمة لما
نزلت



نزلت الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما وما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
عن رسول الله قال المنافقون هلك اصحاب البدو الذين تخلفوا عن رسول الله لم ينفروا معه وقد
كان ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا البدو الى قومهم يفقهونهم فانزل الله عز
وجل وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة الاية ونزلت الذين
يحاجون الله من بعد ما استجيب له الاية وقال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله
من الظهور على المشركين والنصر ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم يا ايها الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين امر الله
تعالى المومنين ان يقاتلوا الكفار اولا فاولا الاقرب فالاقرب الى حوزة الاسلام ولهذا بدا ر
سول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب فلما فرغ منه وفتح الله عليه مكة و
المدينة والطايف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وغير ذلك من اقاليم جزيرة العرب شرع في
قتال اهل الكتاب فتجهز لغزو الروم الذين هم اقرب الناس الى جزيرة العرب واولى الناس
بالدعوة الى الاسلام لانهم اهل كتاب فبلغ تبوك ثم رجع لاجل جهد الناس وجدب البلاد
وذلك سنة تسع ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع ثم عاجلته المنية بعد حجته باحد
وثمانين يوما وقام بالامر بعده ابو بكر وقد مال الدين ميلة فثبته الله تعالى به ورد شارد الدين
وبين الحق لمن جهله ثم شرع في تجهيز الجيوش الى الروم والى الفرس وكان تمام الامر على يدي وصيه
من بعده عمر ابن الخطاب ثم لما مات اجمع الصحابة على عثمان فامتدت في ساير الاقاليم حجة الله
البالغة وظهر الاسلام في مشارق الارض ومغاربها وبلغت الامة الحنيفية من اعداء الله ما
ارادوا فكلما علوا امة انتقلوا الى من بعدهم امتثالا لقوله يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار وقوله وليجدوا فيكم غلظة اي غلظة عليهم في قتالكم لهم فان الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار المومن الكامل هو الذي يكون رفيقا لاخيه المومن غليظا على
عدوه كقوله اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وقوله اشداء على الكفار رحماء بينهم وفي الحديث
انا الضحوك القتال ضحوك في وجه وليه قتال لعدوه وقوله واعلموا ان الله مع المتقين اي
قاتلوا وتوكلوا على الله واعلموا انه معكم ان اطعتموه وهكذا الامر لما كانت القرون الثلاثة الذين
هم خير هذه الامة لم يزالوا ظاهرين على عدوهم ثم لما وقعت الفتن والاهوا والاختلافات
بين الملوك طمع الاعداء في اطراف البلاد وتقدموا اليها فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض
ثم تقدموا الى جزيرة الاسلام فاخذوا من اطراف بلادنا بلدا كثيرا ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على بلاد
الاسلام ولله الامر من قبل ومن بعد فكلما قام ملك من ملوك الاسلام واطاع الله فتح الله عليه من البلاد
واسترجع من الاعداء بقدر ما فيه من ولاية الله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته
هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون يقول تعالى واذا ما انزلت سورة فمن المنافقين من يقول ايكم
زادته هذه ايمانا اي يقول بعضهم لبعض قال الله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم

يستبشرون وهذا من اكبر الدلايل على ان الايمان يزيد وينقص كما هو
مذهب اكثر السلف والخلف بل حكى غير واحد الاجماع على ذلك واما
الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم اي شكا الى شكهم كقوله
تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة الاية وقوله قل هو للذين امنوا
هدى وشفاء الاية وهذا من جملة شقايهم ان هدى القلوب يكون سببا
لضلالهم كما ان سيء المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيد الا خبالا ونقصا
اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا
صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون يقول تعالى اولا يرى هولاء المنا
فقون انهم يختبرون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون
اي لا يتوبون من ذنوبهم السالفة ولا هم يذكرون فيما يستقبل من احوالهم
قال مجاهد يختبرون بالسنة والجوع وقال قتاده بالغزو في السنة مرة او
مرتين وقال شريك عن جابر الجعفي عن ابي الضحى عن حذيفة في الاية قال كنا
نسمع كل عام كذبة او كذبتين فيضل بها فيام من الناس كثير رواه ابن
جرير وفي الحديث عن انس لا يزداد الامر الا شدة ولا يزداد الناس الا
شحا وما من عام الا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم
وقوله نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد الاية هذا اخبار عن المنا
فقين انهم اذا انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض اي تلفتوا هل يراكم من احد
ثم انصرفوا اي تولوا عن الحق وانصرفوا عنه وهذا حالهم في الدنيا لا يثبتون
عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه كقوله فما لهم عن التذكرة معرضين وقوله
عن اليمين وعن الشمال عزين اي ما لهم يتفلتون عنك يمينا وشمالا هروبا
من الحق وذهابا الى الباطل وقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم
لا يفقهون اي لا يفهمون عن الله خطابا ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه
بل هم في شغل عنه ونفور منه فلهذا صاروا الى ما صاروا اليه لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رءوف رحيم وان تولوا فقل
حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم يقول تعالى ممتنا
على المومنين بما ارسل اليهم رسولا من انفسهم اي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال

ابراهيم



ابراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم كما قال جعفر للنجاشي والمغيرة ابن شعبة لرسول
كسرى ان الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وامانته وذكر
الحديث وقال ابن عيينة عن جعفر ابن محمد عن ابيه في قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم قال لم يصبه
شي من ولادة الجاهلية وقال صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح وقد وصل هذا
من وجه اخر وقوله عزيز عليه ما عنتم اي يعز عليه الشي الذي يعنت امته ويشق عليها و
لهذا جاء في الحديث بعثت بالحنيفية السمحة وفي الصحيح ان هذا الدين يسر وشريعته كلها سهلة
سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله عليه وقوله حريص عليكم اي على هدايتكم ووصول النفع
الدنيوي والاخروي اليكم وقال الطبراني ثنا محمد ابن عبد الله ابن يزيد المقري ثنا ابي ثنا ابن عيينة
عن قطر عن ابي الطفيل عن ابي ذر قال تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طاير يقلب جناحيه
في الهوى الا وهو يذكر لنا منه علما قال وقال صلى الله عليه وسلم ما بقي شي يقرب من الجنة ويباعد من
النار الا وقد بين وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يحرم حرمة الا
وقد علم انه سيطلعها منكم مطلع الا واني اخذ بحجزكم ان تهافتوا في النار كتهافت الفراش والذ
باب رواه احمد وله عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ملكان فيما يرى النايم فقعد
احدهما عند رجليه والاخر عند راسه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه اضرب مثل هذا
ومثل امته فقال ان مثله ومثل امته كمثل قوم سفر انتهوا الى راس مفازة ولم يكن معهم من الزاد
ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون فيه فبينما هم كذلك اذ اتاهم رجل في حلة حبرة فقال
ارايتم ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء اتتبعوني فقالوا نعم قال فانطلق بهم
فاوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فاكلوا وشربوا وسمنوا فقال الم القكم على تلك الحال
فجعلتم لي ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء ان تتبعوني فقالوا بلى قال فان
بين ايديكم رياضا هي اعشب من هذه وحياضا هي اروى من هذه فاتبعوني فقالت طايفة
صدق والله لنتبعنه وقالت طايفة قد رضينا ان نقيم على هذا وعن ابي هريرة ان اعرابيا
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه في شي فاعطاه شيا ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي
لا ولا اجملت فغضب بعض المسلمين وهموا ان يقوموا اليه فاشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم ان كفوا فلما قام وبلغ الى منزله دعى الاعرابي فقال انك جيتنا فسالتنا فاعطيناك فقلت
ما قلت فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا وقال احسنت اليك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك جيتنا فاعطيناك فسالتنا فاعطيناك
فقلت ما قلت وفي نفس اصحابي عليك من ذلك شي فاذا جيت فقل بين ايديهم ما قلت بين
يدي حتى يذهب عن صدورهم قال نعم فلما جاء الاعرابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم
جاءنا فسالنا فاعطيناه فقال ما قال وانا قد دعوناه فاعطيناه فزعم انه قد رضي كذلك فقال
الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل هذا الاعرابي

كمثل رجل كانت له ناقة فشردت فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فقال لهم صاحب
الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فانا ارفق بها واعلم بها فتوجه اليها فاخذ لها من قمام
الارض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها وانه لو اطعتكم حيث
قال ما قال لدخل النار رواه البزار وقوله بالمومنين روف رحيم كقوله واخفض
جناحك لمن اتبعك من المومنين فان عصوك فقل اني بري مما تعملون وتوكل
على العزيز الرحيم امره تعالى في هذه الايه وهي قوله فان تولوا اي عما جيتهم به
من الشريعة العظيمة الكاملة فقل حسبي الله اي الله هو عليه توكلت كقوله رب
المشرق والمغرب لا اله الا هو الايه وهو رب العرش العظيم اي هو وخالقه
لانه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات قال احمد بن محمد ابن
ابي بكر ثنا بشر ابن عمر ثنا عن علي ابن زيد عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس
عن ابي ابن كعب قال اخر اية نزلت في القران لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر
السوره وقال عبد الله ابن احمد ثنا روح ابن عبد المومن ثنا عمر وابن شعيب ثنا
ابو جعفر عن الربيع ابن انس عن ابي العاليه عن ابي ابن كعب انهم جمعوا القران
في مصاحف في خلافة ابي بكر وكان رجال يكتبون ويملي عليهم ابي ابن كعب فلما
انتهوا الى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم الايه ظنوا ان هذا اخر ما نزل من القران
فقال لهم ابي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقراني بعدها ايتين لقد جاءكم رسول من
انفسكم الى قال ما نزل من القران فختم بما فتح به بالله الذي لا اله الا هو وهو قول
الله وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون غريب
ايضا وقال احمد ثنا علي ابن بحر ثنا علي ابن محمد ابن سلمه عن ابن اسحق عن يحيى ابن عباد
عن ابيه عباد ابن عبد الله ابن الزبير قال اتى الحارث ابن خزيمه بهاتين الايتين من
اخر براءه لقد جاءكم رسول من انفسكم الى عمر فقال من معك على هذا قال لا ادري
والله اني لاشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لو كانت ثلاث
ايات لجعلتها سورة واحده فانظروا سورة من القران فضعوها فيها فوضعها
في اخر براءه وقد تقدم ان عمر هو الذي اشار على ابي بكر بجمع القران فامر زيد ابن
ثابت بجمعه وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون ذلك وفي الصحيح ان زيدا قال
فوجدت اخر براءة مع خزيمة ابن ثابت او ابي خزيمه وقد قدمنا ان
جماعة من الصحابه تذكروا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
قال خزيمة حين ابتداهم بها والله اعلم وروى ابو داود عن ابي الدردا
قال من قال اذا اصبح واذا امسى حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش
العرش العظيم سبع مرات الا كفاه الله ما اهمه اخر تفسير سورة براءة ولله الحمد
تم بعد الزوال من صلاة الجمعه نهار ثامن عشر من رمضان سنة تسع عشر ولله الحمد